مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

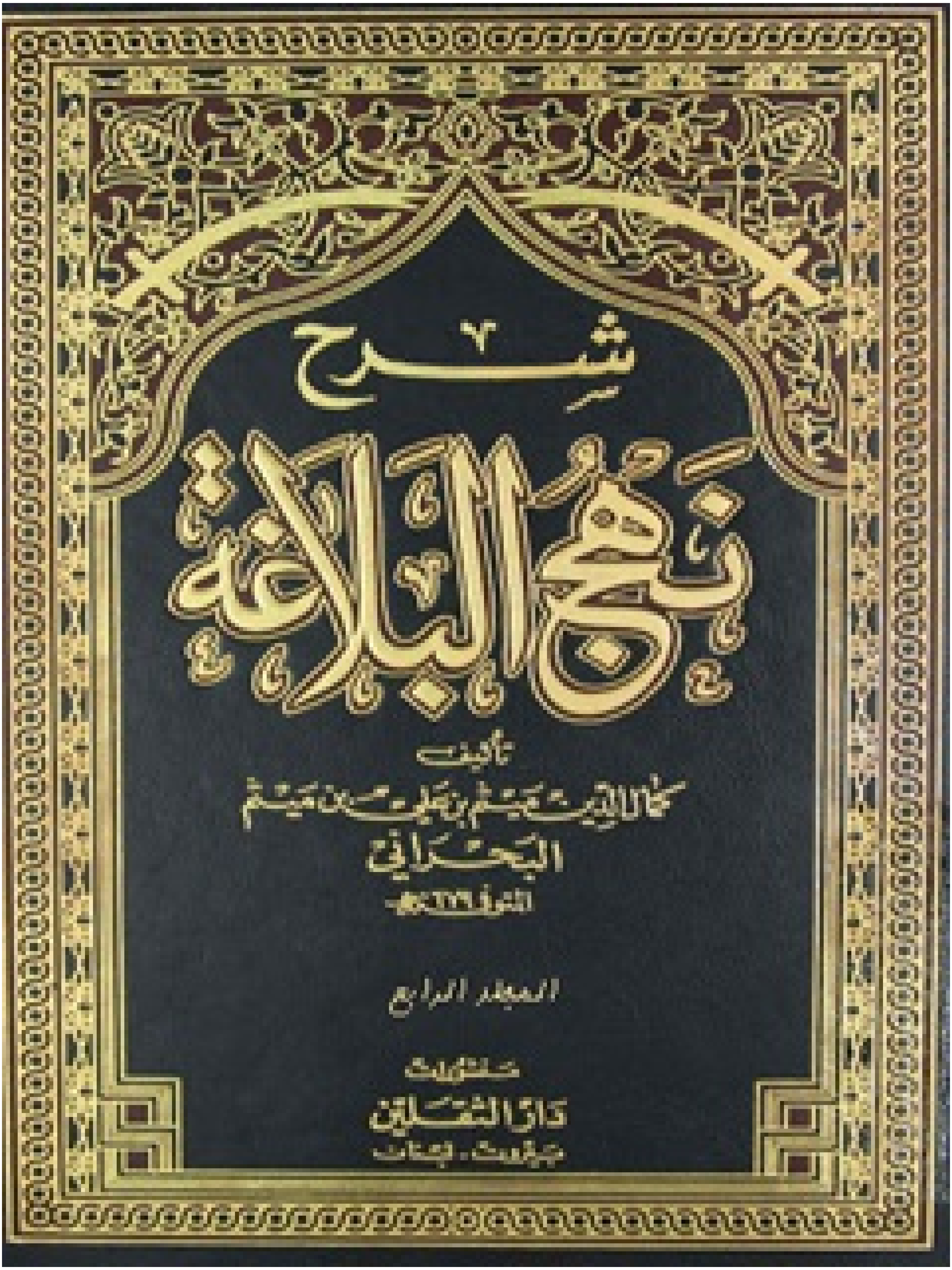
شرح
نهج البلاغة
تأليف
كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم
البحراني
المجلد الرابع
منشورات
دار الثقلين
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

شرح نهج البلاغه (ابن میثم)

کاتب:

کمال الدین میثم بن علی بن میثم ابن میثم بحرانی

نشرت فی الطباعة:

دار الثقلین

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵

شرح نهج البلاغه (ابن میثم) المجلد ۴ ----- ۳۶

اشاره ----- ۳۶

اشاره ----- ۳۷

تتمه باب الخطب ----- ۳۷

۱۹۳-و من كلام له عليه السّلام ----- ۳۷

اشاره ----- ۳۷

اللغه ----- ۳۸

المعنى ----- ۳۸

۱۹۴-و من كلام له عليه السّلام ----- ۴۰

اشاره ----- ۴۰

أقول:حاصل الفصل التنفير عن الدنيا و الترغيب فى الآخره بذكر الغايه ----- ۴۰

۱۹۵-و من كلام له عليه السّلام ----- ۴۲

اشاره ----- ۴۲

اللغه ----- ۴۲

و مدار الفصل على الأمر بالتجهيز من الدنيا ----- ۴۳

۱۹۶-و من كلام له عليه السّلام ----- ۴۴

اشاره ----- ۴۴

اللغه ----- ۴۵

المعنى ----- ۴۵

۱۹۷-و من كلام له عليه السّلام و قد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين ----- ۴۸

اشاره ----- ۴۸

اللغه ----- ۴۸

و حاصل الفصل تأديب قومه و إرشادهم إلى السيره الحسنه و جذب لهم عن ----- ۴۸

۱۹۸-و قال علیه السّلام ----- ۴۹
اشاره ----- ۴۹
اللغه ----- ۵۰
المعنی ----- ۵۰
۱۹۹-و قال علیه السّلام ----- ۵۰
اشاره ----- ۵۰
اللغه ----- ۵۰
المعنی ----- ۵۰
۲۰۰-و من کلام له علیه السّلام ----- ۵۱
اشاره ----- ۵۱
اللغه ----- ۵۲
المعنی ----- ۵۲
۲۰۱-و من کلام له علیه السّلام ----- ۵۴
اشاره ----- ۵۴
اللغه ----- ۵۶
المعنی ----- ۵۶
۲۰۲-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۹
اشاره ----- ۵۹
اللغه ----- ۶۰
المعنی ----- ۶۰
اشاره ----- ۶۰
و فی هذا الفصل فواید: ----- ۶۱
الأولی ----- ۶۱
الثانیه ----- ۶۱
الثالثه ----- ۶۱
الرابعه ----- ۶۱

الخامسه ----- ۶۱
السادسه ----- ۶۳
السابعه ----- ۶۳
۲۰۳-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۶۳
اشاره ----- ۶۳
اللغه ----- ۶۳
۲۰۴-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۶۴
القسم الأول ----- ۶۴
اشاره ----- ۶۴
أقول:حمد اللّه تعالی باعتبارات إضافیّه و سلبیّه: ----- ۶۴
أولها:العلیّ عن شبه المخلوقین ----- ۶۴
الثانی:الغالب لمقال الواصفین ----- ۶۴
الثالث:الظاهر بعجائب تدبیره للناظرین ----- ۶۴
الرابع:الباطن بجلال عزّته عن فکر المتوهّمین. ----- ۶۵
الخامس:العالم المنزّه فی کیفیّه علمه عن اکتساب له بعد جهل أو ازدیاد ----- ۶۵
السادس:المقدّر لجمیع الامور ----- ۶۵
السابع:الّذی لا تغشاه الظلم،و لا یستضیء بالأنوار ----- ۶۵
الثامن:و لا یرهقه ----- ۶۵
التاسع:لیس إدراکه بالأبصار ----- ۶۵
العاشر:و لا علمه بالأخبار ----- ۶۵
القسم الثانی و منها فی ذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ----- ۶۷
اشاره ----- ۶۷
اللغه ----- ۶۷
و قد أشار إلی بعض فضائل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بعض فوایده ----- ۶۷
۲۰۵-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۶۷
اشاره ----- ۶۷

اللغه ---- ۶۸
المعنی ---- ۶۹
۲۰۶-و من دعائه له علیه السّلام ---- ۷۳
اشاره ---- ۷۳
اللغه ---- ۷۳
المعنی ---- ۷۳
۲۰۷-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۷۵
اشاره ---- ۷۵
اللغه ---- ۷۸
و غرض الفصل جمع کلمتهم و اتّفاقهم علی أوامره ---- ۷۸
فأشار أوّلا إلی أنّ لکلّ ---- ۷۸
إشاره إلی لوازم حقّ الوالی علی الرعیّه و حقّ الرعیّه علی الوالی: ---- ۸۰
إشاره إلی أنّه لا ینبغی أن یزدری أحد عن الاستعانه فی طاعه اللّه أو أن یعان ---- ۸۲
إرشاد لهم إلی ما ینبغی أن یکونوا علیه من السیره عنده و نهاهم من امور: ---- ۸۴
۲۰۸-و من کلام له علیه السّلام ---- ۸۶
اشاره ---- ۸۶
اللغه ---- ۸۶
المعنی ---- ۸۶
۲۰۹-و من کلام له علیه السّلام ---- ۸۷
اشاره ---- ۸۷
اللغه ---- ۸۸
المعنی ---- ۸۸
۲۱۰-و من کلام له علیه السّلام ---- ۸۸
اشاره ---- ۸۸
اللغه ---- ۸۸
المعنی ---- ۸۸

اشاره ---------- ۸۸

و فی الفصل إشارات: ---------- ۸۸

فالاولی:أنّ قتله علیه السّلام لمن قتل من مخالفیه ---------- ۸۸

الثانیه: ---------- ۹۰

الثالثه:لقائل أن یقول:لم قال علیه السّلام:أدرکت و تری من بنی عبد مناف؟ ---------- ۹۰

الرابعه:أنّ طلحه و الزبیر کانا من بنی عبد مناف من قبل الامّ دون الأب ---------- ۹۰

و الخامسه: ---------- ۹۰

۲۱۱-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۹۰

اشاره ---------- ۹۰

أقول:هذا الفصل من أجلّ کلام له فی وصف السالک المحقّق إلی اللّه، ---------- ۹۱

۲۱۲-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۹۳

اشاره ---------- ۹۳

اللغه ---------- ۹۴

المعنی ---------- ۹۷

۲۱۳-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۰۴

اشاره ---------- ۱۰۴

اللغه ---------- ۱۰۵

المعنی ---------- ۱۰۶

۲۱۴-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۱۲

اشاره ---------- ۱۱۲

اللغه ---------- ۱۱۴

المعنی ---------- ۱۱۵

۲۱۵-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۲۱

اشاره ---------- ۱۲۱

اللغه ---------- ۱۲۲

و غرض الفصل التبرّی من الظلم ---------- ۱۲۲

۲۱۶-و من دعاء له علیه السّلام ----- ۱۲۶
اشاره ----- ۱۲۶
اللغه ----- ۱۲۶
و حاصل الفصل التجاء إلی اللّه فی طلب الغنی و عدم الابتلاء بالفقر و لوازمه. ----- ۱۲۶
۲۱۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۲۷
اشاره ----- ۱۲۷
اللغه ----- ۱۲۹
و غرض الفصل التحذیر من الدنیا و الاشتغال بها عن اللّه،و التنفیر عن ----- ۱۲۹
۲۱۸-و من دعاء له علیه السّلام ----- ۱۳۱
اشاره ----- ۱۳۱
اللغه ----- ۱۳۲
المعنی ----- ۱۳۲
۲۱۹-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۳۴
اشاره ----- ۱۳۴
اللغه ----- ۱۳۴
المعنی ----- ۱۳۵
۲۲۰-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۳۷
اشاره ----- ۱۳۷
اللغه ----- ۱۳۷
و حاصل الفصل الاحتجاج علی من خالفه من أهل البغی ----- ۱۳۷
۲۲۱-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۳۸
القسم الأول ----- ۱۳۸
اشاره ----- ۱۳۸
اللغه ----- ۱۳۹
المعنی ----- ۱۳۹
و فی الفصل مقاصد: ----- ۱۳۹

الأوّل.التنبيه على فضيله تقوى اللّه بأوصاف: ---- ۱۳۹
الأوّل:كونها مفتاح سداد، ---- ۱۳۹
الثانی:كونها ذخيره معاد ---- ۱۴۰
الثالث: ---- ۱۴۰
الرابع: ---- ۱۴۰
الخامس:بها ينجح الطالب. ---- ۱۴۰
السادس: ---- ۱۴۰
و السابع: ---- ۱۴۰
المقصد الثانی:التنبيه على وجوب العمل الصالح المطلوب للّه ---- ۱۴۰
الأوّل:أنّهم فی وقت العمل و إمكان رفعه إلى اللّه دون ما بعد الموت ---- ۱۴۱
الثانی:فی وقت قبول التوبه ---- ۱۴۱
الثالث:فی وقت استماع الدعاء ---- ۱۴۱
الرابع:و الحال هادئه. ---- ۱۴۱
الخامس:و الأقلام جاريه ---- ۱۴۲
المقصد الثالث:حثّهم على المبادره إلى الأعمال الخيريّه باعتبارات: ---- ۱۴۲
أحدها:أنّ أعمارهم الّتی هی محل الأعمال فی معرض الانتكاس ---- ۱۴۲
الثانی:أنّ أبدانهم فی معرض التغيير و التبديل بالصحه الّتی هی مظنّه ---- ۱۴۲
الثالث:أن يبادر ما هو أعظم من ذلک و هو الموت ---- ۱۴۲
ثمّ نبّه على وجوب العمل للموت و لما بعده بأوصافه المخوّفه: ---- ۱۴۲
أحدها:كونه هادم لذّاتهم الدنيويّه ---- ۱۴۲
الثانی ---- ۱۴۳
الثالث: كونه مباعد طيّاتهم ، ---- ۱۴۳
الرابع: ---- ۱۴۳
الخامس ---- ۱۴۴
السادس: ---- ۱۴۴
السابع ---- ۱۴۴

الثامن ---------- ۱۴۴
التاسع ---------- ۱۴۴
العاشر ---------- ۱۴۴
الحادی عشر ---------- ۱۴۴
الثانی عشر ---------- ۱۴۵
الثالث عشر ---------- ۱۴۵
الرابع عشر ---------- ۱۴۶
الخامس عشر ---------- ۱۴۶
السادس عشر ---------- ۱۴۶
السابع عشر ---------- ۱۴۶
الثامن عشر ---------- ۱۴۶
التاسع عشر ---------- ۱۴۶
العشرون: ---------- ۱۴۶
القسم الثانی منها فی صفه الزهاد. ---------- ۱۴۹
اشاره ---------- ۱۴۹
اللغه ---------- ۱۴۹
المعنی ---------- ۱۴۹
۲۲۲-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۵۱
اشاره ---------- ۱۵۱
اللغه ---------- ۱۵۲
و الإشاره إلی أوصاف الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم : ---------- ۱۵۲
فالأوّل: ---------- ۱۵۲
الثانی:ذکر تبلیغه لرساله ربّه ---------- ۱۵۲
الثالث: ---------- ۱۵۲
۲۲۳-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۵۲
اشاره ---------- ۱۵۲

اللغه ---------- ۱۵۳
المعنى ---------- ۱۵۳
۲۲۴-و من كلام له عليه السّلام ---------- ۱۵۴
اشاره ---------- ۱۵۴
اللغه ---------- ۱۵۵
المعنى ---------- ۱۵۵
۲۲۵-و من كلام له عليه السّلام ---------- ۱۵۶
اشاره ---------- ۱۵۶
اللغه ---------- ۱۵۷
و الكلام إشاره إلى السبب المادىّ لاختلاف الناس فى الصور و الأخلاق . ---------- ۱۵۷
۲۲۶-و من كلام له عليه السّلام ---------- ۱۶۰
اشاره ---------- ۱۶۰
اللغه ---------- ۱۶۱
المعنى ---------- ۱۶۱
Z۲۲۷-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۱۶۳
القسم الأول ---------- ۱۶۳
اشاره ---------- ۱۶۳
اللغه ---------- ۱۶۴
المعنى ---------- ۱۶۴
و قد حمد اللّه تعالى باعتبارات من التنزيه : ---------- ۱۶۴
الأوّل:كونه لا تدركه الشواهد ---------- ۱۶۴
الثانى:و لا تحويه المشاهد ---------- ۱۶۴
الثالث:و لا تراه النواظر ---------- ۱۶۴
الرابع:و لا تحجبه السواتر ---------- ۱۶۴
الخامس:كونه دالاّ على قدمه بحدوث خلقه ---------- ۱۶۴
السادس ---------- ۱۶۵

السابع:الّذی صدق فی میعاده، ۱۶۶
الثامن:و ارتفع عن ظلم عباده ۱۶۶
التاسع:و قام بالقسط فی خلقه ۱۶۶
العاشر:کونه یستشهد بحدوث الأشیاء علی أزلیّته. ۱۶۶
الحادی عشر:و بما و سمها به من العجز عن قدرته. ۱۶۶
الثانی عشر:و بما اضطرّها إلیه من الفناء دوامه. ۱۶۸
الثالث عشر،کونه تعالی واحدا لا بعدد ۱۶۸
الرابع عشر:کونه دائما لا بأمد ۱۶۸
الخامس عشر:کونه قائما لا بعمد ۱۶۸
السادس عشر:کونه تتلقّاه الأذهان لا بمشاعره، ۱۶۸
السابع عشر:کونه و تشهد له المرائی لا بمحاضره. ۱۷۰
الثامن عشر:کونه تعالی لم تحط به الأوهام. ۱۷۰
التاسع عشر:کونه تعالی تجلّی لها ۱۷۰
العشرون:و بها امتنع منها ۱۷۱
الحادی و العشرون: ۱۷۱
الثانی و العشرون:کونه تعالی لیس بذی کبر.إلی قوله:تجسیما. ۱۷۲
الثالث و العشرون:و لا بذی عظم،إلی قوله:تجسیدا، ۱۷۲
الرابع و العشرون ۱۷۲
الخامس و العشرون:کونه عظم سلطانا. ۱۷۲
و قوله:فبلّغ الرساله.إلی آخره. ۱۷۳
القسم الثانی منها:فی صفه عجیب خلق أصناف من الحیوانات: ۱۷۴
اشاره ۱۷۴
اللغه ۱۷۶
المعنی ۱۷۶
۲۲۸-و من خطبه له علیه السّلام ۱۹۱
اشاره ۱۹۱

اللغه ---------- ۱۹۵
و اعلم أنّ مدار هذه الخطبه على التوحيد المطلق و التنزيه المحقّق، ---------- ۱۹۶
و قد ---------- ۱۹۶
اشاره ---------- ۱۹۶
فالأوّل:قوله:ما وحّده من كيّفه. ---------- ۱۹۶
الثانی:و لا حقيقته أصاب من مثّله ---------- ۱۹۷
الثالث:و لا إيّاه عنى من شبّهه ---------- ۱۹۷
الرابع:و لا صمده من أشار إليه و توهّمه، ---------- ۱۹۷
الخامس:قوله:كلّ معروف بنفسه مصنوع. ---------- ۱۹۸
السادس:و كلّ قائم فی سواه معلول ---------- ۱۹۹
السابع:فاعل لا باضطراب آله. ---------- ۱۹۹
الثامن:مقدّر لا بحول فكره، ---------- ۱۹۹
التاسع:كونه غنيّا لا باستفاده ---------- ۱۹۹
العاشر:كونه لا تصحبه الأوقات، ---------- ۱۹۹
الحادی عشر:كونه لا ترفده الأدوات ---------- ۲۰۱
الثانی عشر:سبق الأوقات كونه ---------- ۲۰۱
الثالث عشر:و العدم وجوده ---------- ۲۰۱
الرابع عشر.و الابتداء أزله، ---------- ۲۰۱
الخامس عشر:بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له ---------- ۲۰۲
السادس عشر:و بمضادّته بين الامور عرف أنّ لا ضدّ له ---------- ۲۰۲
السابع عشر:و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ---------- ۲۰۲
الثامن عشر:كونه تعالى مضادّا بين الامور. ---------- ۲۰۲
التاسع عشر:كونه مؤلّفا بين متعادياتها ---------- ۲۰۳
العشرون ---------- ۲۰۳
الحادی و العشرون:كونه مقرّبا بين متباعداتها، ---------- ۲۰۳
الثانی و العشرون: ---------- ۲۰۳

الثالث و العشرون:كونه تعالى لا يشمله حدّ، ---- ۲۰۳
الرابع و العشرون:كونه لا يحسب بعد ---- ۲۰۵
الخامس و العشرون:كونه تعالى منزّها أن يجرى عليه السكون و الحركه، ---- ۲۰۷
السادس و العشرون:كونه تعالى لا يحول ---- ۲۰۹
السابع و العشرون ---- ۲۱۰
الثامن و العشرون:و كذلک لا يجوز عليه الافول ---- ۲۱۰
التاسع و العشرون:كونه «لَمْ يَلِدْ» فيكون مولودا «وَ لَمْ يُولَدْ» فيكون محدودا. ---- ۲۱۰
الثلاثون:كونه جلّ عن اتّخاذ الأبناء ---- ۲۱۱
الحادى و الثلاثون:كونه طهر عن ملامسه النساء ---- ۲۱۱
الثانى و الثلاثون:كونه لا تناله الأوهام فيقدّره ---- ۲۱۱
الثالث و الثلاثون:و لا يتوهّمه الفطن فتصوّره. ---- ۲۱۱
الرابع و الثلاثون:لا تدركه الحواسّ فتحسّه. ---- ۲۱۲
الخامس و الثلاثون:كونه تعالى لا تلمسه الأيدى فتمسّه ---- ۲۱۲
السادس و الثلاثون:كونه لا يتغيّر بحال ---- ۲۱۲
السابع و الثلاثون و لا يتبدّل فى الأحوال ---- ۲۱۲
الثامن و الثلاثون:كونه لا تبليه الليالى و الأيّام ---- ۲۱۴
التاسع و الثلاثون:كونه لا يغيّره الضياء و الظلام، ---- ۲۱۴
الأربعون:كونه لا يوصف بشىء من الأجزاء ---- ۲۱۴
الحادى و الأربعون:و لا بالجوارح و الأعضاء ---- ۲۱۴
الثانى و الأربعون:و لا بعرض من الأعراض ---- ۲۱۴
الثالث و الأربعون:و لا بالغيريّه و الأبعاض ---- ۲۱۶
الرابع و الأربعون:و لا يقال له حدّ و لا نهايه ---- ۲۱۶
الخامس و الأربعون:و كذلک و لا انقطاع و لا غايه ---- ۲۱۷
السادس و الأربعون.و لا أنّ الأشياء تحويه فتقلّه أو تهويه ---- ۲۱۷
السابع و الأربعون:ليس فى الأشياء بوالج و لا عنها بخارج ---- ۲۱۷
الثامن و الأربعون:كونه يخبر بلا لسان و لهوات ---- ۲۱۷

التاسع و الأربعون:يسمع بلا خروق و أدوات ---------- ۲۱۸

الخمسون:يقول و لا يلفظ ---------- ۲۱۸

الحادی و الخمسون:کونه یحفظ و لا یتحفّظ. ---------- ۲۱۸

الثانی و الخمسون: ---------- ۲۱۸

الثالث و الخمسون:کونه یحبّ و یرضی من غیر رقّه ---------- ۲۱۹

الرابع و الخمسون: ---------- ۲۲۰

الخامس و الخمسون:یقول لما أراد کونه «کُنْ فَیَکُونُ» ---------- ۲۲۰

السادس و الخمسون:لا بصوت یقرع ---------- ۲۲۱

السابع و الخمسون:و لا بنداء یسمع ---------- ۲۲۱

الثامن و الخمسون:لا یقال.إلی قوله:لم یکن. ---------- ۲۲۲

التاسع و الخمسون:کونه تعالی خلق الخلق.إلی قوله:غیره، ---------- ۲۲۳

السّتون:کونه لم یستعن علی خلق ما خلق بأحد من خلقه ---------- ۲۲۳

الحادی و السّتون:کونه أنشأ الأرض فأمسکها ---------- ۲۲۳

الثانی و السّتون:کونه أرساها ---------- ۲۲۳

الثالث و السّتون:کونه حصّنها من الأود و الاعوجاج ---------- ۲۲۳

الرابع و السّتون:کونه منعها عن التهافت و الانفراج ---------- ۲۲۳

الخامس و السّتون:کونه أرسی أوتادها ---------- ۲۲۵

السادس و السّتون.کونه ضرب أسدادها ---------- ۲۲۵

السابع و السّتون:کونه استفاض عیونها. ---------- ۲۲۵

الثامن و السّتون:کونه خدّ أودیتها ---------- ۲۲۵

التاسع و السّتون:کونه هو الظاهر علیها سلطانه و عظمته ---------- ۲۲۵

السبعون:قوله:و هو الباطن لها ---------- ۲۲۵

الحادی و السبعون:کونه عالیا علی کلّ شیء ---------- ۲۲۶

الثانی و السبعون:کونه لا یعجزه شیء منها طلبه.إلی قوله:فیسبقه، ---------- ۲۲۷

الثالث و السبعون:و کذلک کونه لا یحتاج إلی ذی المال فیرزقه ---------- ۲۲۷

الرابع و السبعون:قوله:خضعت له الأشیاء.إلی قوله.لعظمته ---------- ۲۲۷

الخامس و السبعون:کونه لا کفء له یکافیه ۲۲۷
السادس و السبعون:هو المفنی لها.إلی قوله:کمفقودها ۲۲۷
و قوله:و لیس فناء الدنیا.إلی قوله:اختراعها . ۲۲۹
و قوله:و کیف لو اجتمع.إلی قوله:إفنائها. ۲۲۹
و قوله:و إنّه سبحانه یعود.إلی قوله:الامور. ۲۳۰
و قوله:یعود بعد. ۲۳۰
و قوله:عدمت عند ذلک.إلی قوله:الساعات. ۲۳۰
و قوله:فلا شیء.إلی قوله:الامور. ۲۳۰
و قوله:بلا قدره.إلی قوله:فناؤها. ۲۳۰
و قوله:و لو قدرت.إلی قوله:بقائها. ۲۳۱
و قوله:لم یتکاءده.إلی قوله:خلقه. ۲۳۲
و قوله:و لم یکوّنها.إلی آخره. ۲۳۲
و قوله:لکنّه سبحانه.إلی قوله:لقدرته. ۲۳۲
و قوله:ثمّ یعیدها بعد الفناء. ۲۳۳
و قوله:من غیر حاجه.إلی آخره. ۲۳۳
و قوله:ثمّ یعیدها بعد الفناء. ۲۳۴
۲۲۹-و من خطبه له علیه السّلام ۲۳۴
اشاره ۲۳۴
اللغه ۲۳۵
المعنی ۲۳۵
۲۳۰-و من خطبه له علیه السّلام ۲۴۰
اشاره ۲۴۰
اللغه ۲۴۱
و الفصل یشتمل علی الوصیّه بامور: ۲۴۱
أوّلها:تقوی اللّه تعالی ۲۴۱
الثانی:ممّا أوصاهم به ذکر الموت و إقلال الغفله عنه. ۲۴۱

الثالث:ممّا أمرهم به علی طریق الوصیّه أن یسابقوا إلی منازلهم الّتی امروا ----- ۲۴۳
الرابعه:ممّا أمرهم به الصبر علی طاعه اللّه و علی مجانبه المعصیه. ----- ۲۴۳
و قوله:فإن غدا من الیوم قریب. ----- ۲۴۴
و قوله:ما أسرع الساعات فی الیوم.إلی آخره. ----- ۲۴۴
۲۳۱-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۴۴
اشاره ----- ۲۴۴
اللغه ----- ۲۴۵
و فی الفصل مسائل : ----- ۲۴۵
الاولی: ----- ۲۴۵
الثانیه:قوله:فإذا کانت لکم براءه.إلی قوله:حدّ البراءه. ----- ۲۴۶
الثالثه:قوله:و الهجره قائمه علی حدّها الأوّل ----- ۲۴۷
الرابعه:قوله:ما کان فی الأرض.إلی قوله:و معانیها. ----- ۲۴۸
الخامسه:قوله:لا تقع اسم الهجره.إلی قوله:قلبه ----- ۲۴۹
السادسه:قوله:إنّ أمرنا صعب مستصعب. ----- ۲۵۰
السابعه:أیّه بالناس. ----- ۲۵۲
و قوله:قبل أن تشغر برجلها فتنه.إلی آخره. ----- ۲۵۳
قوله:تطأ فی خطامها ----- ۲۵۳
۲۳۲-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۵۳
اشاره ----- ۲۵۳
اللغه ----- ۲۵۵
المعنی ----- ۲۵۶
۲۳۳-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۶۳
اشاره ----- ۲۶۳
اللغه ----- ۲۶۵
المعنی ----- ۲۶۷
و قد حمد اللّه سبحانه باعتبارات لا ینبغی إلاّ له: ----- ۲۶۷

أحدها:الفاشی حمده ---------- ۲۶۷
الثانی:الغالب جنده ---------- ۲۶۷
الثالث:المتعالی جدّه ---------- ۲۶۷
الرابع:من الاعتبارات الّذی عظم حلمه فعفا. ---------- ۲۶۷
الخامس:و عدل فی کلّ ما قضی ---------- ۲۶۹
السادس:و علم ما یمضی و ما مضی. ---------- ۲۶۹
السابع:مبتدع الخلایق بعلمه ---------- ۲۶۹
الثامن:و منشئهم بحکمه ---------- ۲۷۰
و قوله:بلا اقتداء و لا تعلیم. ---------- ۲۷۰
و قوله:و لا إصابه خطأ. ---------- ۲۷۰
و قوله:و لا حضره ملأ. ---------- ۲۷۱
و قوله:قد قادتهم أزمّه الحین. ---------- ۲۷۱
و قوله:و استغلقت.إلی قوله:الرین. ---------- ۲۷۱
و قوله لم تبرح عارضه نفسها.إلی قوله الغابرین. ---------- ۲۷۳
و قوله:إذا أعاد.إلی قوله:أسدی. ---------- ۲۷۳
و قوله:فما أقلّ من قبلها. ---------- ۲۷۴
ثمّ أمرهم فیها بأوامر : ---------- ۲۷۴
أحدها:أن یهطعوا بأسماعهم إلیها ---------- ۲۷۴
الثانی:أن یواکظوا علیها بجدّهم ---------- ۲۷۴
الثالث:أن یعتاضوها خلفا عن کلّ محبوب فی الدنیا سلف لهم ---------- ۲۷۴
الرابع:أن یعتاضوها من کلّ مخالف لهم موافقا. ---------- ۲۷۴
الخامس: ---------- ۲۷۵
السادس:و أن یقطعوا بها یومهم ---------- ۲۷۶
السابع: ---------- ۲۷۶
الثامن: ---------- ۲۷۶
التاسع:أن یداووا بها الأسقام ---------- ۲۷۶

العاشر:و أن يبادروا بها الحمام ---- ۲۷۶

الحادی عشر:أن يعتبروا بمن أضاعها ---- ۲۷۶

الثانی عشر:أن لا يجعلوا أنفسهم عبره لمن أطاعها ---- ۲۷۸

الثالث عشر:أن يصونوها. ---- ۲۷۸

الرابع عشر:أن يتصوّنوا بها ---- ۲۷۸

الخامس عشر:أن يكونوا عن الدنيا نزّاها ---- ۲۷۸

السادس عشر:أن يكونوا إلى الآخره ولّاها ---- ۲۷۸

السابع عشر:أن لا يضعوا من رفعته التقوى. ---- ۲۷۸

الثامن عشر: ---- ۲۷۹

التاسع عشر: ---- ۲۸۰

العشرون: ---- ۲۸۰

الحادی و العشرون: ---- ۲۸۰

الثانی و العشرون: ---- ۲۸۰

الثالث و العشرون:و من الفتنه بأعلاقها. ---- ۲۸۰

فقوله:فإنّ برقها خالب. ---- ۲۸۱

و قوله:و نطقها كاذب. ---- ۲۸۱

و قوله:و أموالها محروبه. ---- ۲۸۱

و قوله:و أعلاقها مسلوبه. ---- ۲۸۱

ثمّ أردف تلك الأوصاف بالتنبيه على أوصاف ---- ۲۸۲

اشاره ---- ۲۸۲

أحدها: ---- ۲۸۲

الثانی: ---- ۲۸۲

الثالث: ---- ۲۸۲

الرابع: ---- ۲۸۲

الخامس: ---- ۲۸۴

السادس: ---- ۲۸۴

السابع:حالها انتقال. ---------- ۲۸۴
الثامن: ---------- ۲۸۴
التاسع: ---------- ۲۸۴
العاشر: ---------- ۲۸۶
الحادی عشر:و علوّها سفل ---------- ۲۸۶
الثانی عشر:کونها دار حرب ---------- ۲۸۶
الثالث عشر:کون أهلها علی ساق ---------- ۲۸۶
الرابع عشر: ---------- ۲۸۸
الخامس عشر:و أعجزت مهاربها ---------- ۲۸۸
السادس عشر: ---------- ۲۸۸
ثمّ قتسمهم باعتبار لحوق شرّها لأحیائهم و أمواتهم إلی أصناف: ---------- ۲۸۸
أحدها: ---------- ۲۸۸
الثانی:و لحم مجزور، ---------- ۲۸۸
الثالث:و شلو مذبوح. ---------- ۲۸۸
الرابع:و دم مسفوح ---------- ۲۹۰
الخامس: ---------- ۲۹۰
السادس:و صافق بکفّیه ---------- ۲۹۰
السابع:و-کذلک-مرتفق لخدّیه ---------- ۲۹۰
الثامن:و-کذلک-و زار علی رأیه ---------- ۲۹۰
التاسع:و راجع عن عزمه ---------- ۲۹۰
و قوله:و قد أدبرت الحیله. ---------- ۲۹۰
و قوله:و أقبلت الغیله. ---------- ۲۹۱
و قوله:و لات حین مناص. ---------- ۲۹۱
و قوله:هیهات هیهات. ---------- ۲۹۲
و قوله:و قد فات ما فات.إلی قوله:ذهب. ---------- ۲۹۲
و قوله:و مضت الدنیا لحال بالها. ---------- ۲۹۲

و قوله:و أقبلت الآخره. ----- ۲۹۲
۲۳۴-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۹۴
اشاره ----- ۲۹۴
الفصل الأوّل: ----- ۲۹۴
اشاره ----- ۲۹۴
اللغه ----- ۲۹۶
المعنی ----- ۲۹۶
و قد ذکر الشارحون فی تسمیه هذه الخطبه القاصعه وجوها: ----- ۲۹۶
و اعلم أنّ مدار هذه الخطبه علی النهی عن الکبر و التوبیخ علیه ----- ۲۹۶
إذا عرفت ذلک فنقول:إنّه علیه السّلام حمد اللّه تعالی باعتبارات: ----- ۲۹۸
أحدها:لبسه للعزّ و الکبریاء. ----- ۲۹۸
الثانی:کونه تعالی اختارهما لنفسه دون خلقه. ----- ۲۹۹
الثالث:و جعلهما حمی و حرما علی غیره. ----- ۲۹۹
الرابع:و اصطفاهما لجلاله ----- ۲۹۹
الخامس: ----- ۲۹۹
السادس: ----- ۳۰۰
و قوله:لیمیز المتواضعین منهم من المتکبّرین. ----- ۳۰۰
و قوله:و هو العالم.إلی قوله:العیوب. ----- ۳۰۰
و قوله:الّذی وضع أساس العصبیّه. ----- ۳۰۱
و قوله:و نازع اللّه رداء الجبریّه. ----- ۳۰۱
و قوله:أ لا ترون.إلی قوله:بترفّعه. ----- ۳۰۱
و قوله:و لو أراد اللّه.إلی قوله:علی الملائکه. ----- ۳۰۱
الفصل الثانی:فی أمر السامعین بالاعتبار بحال إبلیس و ما لزمه من اللعنه ----- ۳۰۴
اشاره ----- ۳۰۴
اللغه ----- ۳۰۷
المعنی ----- ۳۰۸

فقوله:فاعتبروا. ---------- ۳۰۸
و قوله:و كان قد عبد اللّه.إلى قوله:الآخره. ---------- ۳۰۹
فأمّا قوله:لا يدرى. ---------- ۳۱۰
و قوله:فمن.إلى قوله:معصيه. ---------- ۳۱۱
و قوله:يسلم على اللّه. ---------- ۳۱۱
و قوله:كلاّ. ---------- ۳۱۱
و قوله:إنّ حكمه فى أهل السماء.إلى قوله:لواحد. ---------- ۳۱۳
و قوله:و ما بين اللّه.إلى قوله:العالمين. ---------- ۳۱۳
و قوله:بخيله و رجله. ---------- ۳۱۳
و قوله:فلعمرى.إلى قوله:الشديد. ---------- ۳۱۳
و قوله:صدّقه به أبناء الحميّه. ---------- ۳۱۷
و قوله:و إخوان العصبيّه. ---------- ۳۱۷
و قوله:حتّى.إلى قوله:الجلىّ. ---------- ۳۱۷
و قوله:فنجمت الحال. ---------- ۳۱۹
و قوله:استفحل. ---------- ۳۱۹
و قوله:طعنا.إلى قوله:لمقاتلكم. ---------- ۳۱۹
و قوله:فلعمر اللّه.إلى قوله:بلاء. ---------- ۳۲۱
و قوله:فإنّ له من كلّ امّه.إلى قوله:فرسانا. ---------- ۳۲۳
و قوله:و لا تكونوا كالمتكبّرين على ابن امّه. ---------- ۳۲۳
و قوله:سوى ما ألحقت العظمه.إلى قوله:ريح الكبر. ---------- ۳۲۴
و قوله:الّذى أعقبه اللّه. ---------- ۳۲۴
و قوله:و ألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامه. ---------- ۳۲۴
و قوله أمرا. ---------- ۳۲۶
و قوله:الّذين تكبّروا عن حسبهم و ترفّعوا فوق نسبهم. ---------- ۳۲۶
و قوله:و ألقوا الهجينه على ربّهم. ---------- ۳۲۷
و قوله:و جاحدوا اللّه ما صنع بهم. ---------- ۳۲۷

و قوله:مكابره لقضائه. ---------- ۳۲۷
و قوله:فإنّهم.إلى قوله:الجاهليّه. ---------- ۳۲۸
و قوله:و لا تطيعوا الأدعياء. ---------- ۳۲۸
و قوله:فجعلكم مرمى نبله ---------- ۳۳۰
الفصل الثالث:فى أمرهم بالاعتبار بحال الماضين،و ما أصاب الامم المستكبرين ---------- ۳۳۰
اشاره ---------- ۳۳۰
اللغه ---------- ۳۳۵
المعنى ---------- ۳۳۶
و اعلم أنّه عليه السّلام أمرهم بأوامر : ---------- ۳۳۶
أحدها:الأمر بالاعتبار بما أصاب المتكبّرين من سابق الامم من عقوبات ---------- ۳۳۶
الثانى:أن يتّعظوا بمثاوى خدودهم و مصارع جنوبهم ---------- ۳۳۶
الثالث:أن يستعيذوا باللّه من لواقح الكبر. ---------- ۳۳۶
و قوله:فلو رخّص اللّه.إلى قوله:التواضع. ---------- ۳۳۶
و قوله:فألصقوا.إلى قوله:مستضعفين. ---------- ۳۳۸
و قوله:قد اختبرهم.إلى قوله:بالمكاره. ---------- ۳۳۸
و قوله:فلا تعتبروا الرضا و السخط بالمال و الولد إلى قوله:الاقتدارالإقتار خ. ---------- ۳۳۸
و قوله:فإنّ اللّه سبحانه يختبر عباده المستكبرين.إلى قوله:فى أعينهم. ---------- ۳۴۰
و قوله:و لو أراد اللّه سبحانه لأنبيائه.إلى قوله:معانيها. ---------- ۳۴۱
و قوله:و لكنّ اللّه سبحانه جعل رسله.إلى قوله:أذى. ---------- ۳۴۴
و قوله:و لو كانت الأنبياء.إلى قوله:مقتسمه. ---------- ۳۴۴
و قوله:و ملك تمتدّ نحوه أعناق الرجال،و تشدّ إليه عقد الرحال. ---------- ۳۴۵
و قوله:و لكنّ اللّه سبحانه.إلى قوله:شائبه. ---------- ۳۴۵
و قوله:و كلّما كانت البلوى.إلى قوله:أجزل. ---------- ۳۴۶
و قوله:جعله للناس قياما. ---------- ۳۴۶
و قوله:ثمّ أمر آدم و ولده أن يثنوا أعطافهم نحوه ---------- ۳۴۷
و قوله:فصار مثابه لمنتجع أسفارهم. ---------- ۳۴۸

و قوله:تهوى إليه ثمار الأفئده. ---- ۳۴۸
و قوله:ابتلاء.و امتحانا.و اختبارا.و تمحيصا. ---- ۳۴۹
و قوله:و لو أراد اللّه.إلى قوله:ضعف البلاء. ---- ۳۵۰
و قوله:و لو كان الأساس.إلى قوله:من الناس. ---- ۳۵۰
و قوله:و لكنّ اللّه يختبر عباده.إلى قوله:المكاره. ---- ۳۵۱
و قوله:إخراجا للتكبر.إلى قوله:لعفوه. ---- ۳۵۱
و قوله:لا عالما لعلمه و لا مقلاّ فى طمره. ---- ۳۵۲
و قوله:و عن ذلک ما حرس اللّه.إلى قوله:تذلّلا. ---- ۳۵۲
و قوله:مع ما فى الزكاه.إلى قوله:الفقير. ---- ۳۵۴
قوله:انظروا.إلى آخره. ---- ۳۵۴
الفصل الرابع:فى توبيخهم على المعصيه ---- ۳۵۴
اشاره ---- ۳۵۴
اللغه ---- ۳۵۹
المعنى ---- ۳۵۹
فقوله:و لقد نظرت.إلى قوله:بمعذّبين . ---- ۳۵۹
و قوله:غيركم. ---- ۳۶۱
و قوله:تتعصّبون لأمر ما يعرف له سبب و لا علّه. ---- ۳۶۱
و قوله:من الاجتناب.إلى قوله:و التواصى بها. ---- ۳۶۴
و قوله:و اجتنبوا.إلى قوله:و تخاذل الأيدى. ---- ۳۶۴
و قوله:و تدبّروا أحوال الماضين من المؤمنين.إلى قوله:إليه بهم. ---- ۳۶۴
و قوله:فانظروا كيف كانوا.إلى قوله:للمعتبرين منكم. ---- ۳۶۵
و قوله:و السيوف متناصره. ---- ۳۶۵
و قوله:فاعتبروا بحال ولد إسماعيل و بنى إسحاق و إسرائيل عليهم السّلام.إلى ---- ۳۶۶
و قوله:فما أشدّ اعتدال الأحوال. ---- ۳۶۷
و قوله:تأمّلوا أمرهم فى حال تشتّتهم.إلى آخر الكلام. ---- ۳۶۷
و قوله:ليالى كانت الأكاسره و القياصره أربابا لهم. ---- ۳۶۷

و قوله:إلی منابت الشیح و مها فی الریح. ---- ۳۶۷

و قوله:و أجد بهم قرارا. ---- ۳۶۹

و قوله:فالأحوال مضطربه. ---- ۳۶۹

و قوله:من بنات. ---- ۳۶۹

و قوله:فانظروا إلی مواقع نعم اللّه علیهم. ---- ۳۷۱

و قوله:و التقت الملّه بهم فی عوائد برکتها. ---- ۳۷۱

و قوله:فهم حکّام.إلی قوله:یمضیها فیهم. ---- ۳۷۲

و قوله:و إنّ اللّه سبحانه قد امتنّ.إلی قوله:کلّ خطر. ---- ۳۷۲

و قوله:و علموا.إلی قوله:بین خلقه. ---- ۳۷۲

و قوله:انتهاکا و نقضا. ---- ۳۷۳

و قوله:و إنّکم.إلی قوله:بینکم. ---- ۳۷۳

و قوله:إلاّ المقارعه بالسیف. ---- ۳۷۴

و قوله:و إنّ عندکم الأمثال.إلی قوله:و وقائعه. ---- ۳۷۴

و قوله:فلا تستبطئوا.إلی قوله:بأسه. ---- ۳۷۴

و قوله:و إنّ اللّه.إلی قوله:التناهی. ---- ۳۷۵

الفصل الخامس:فی اقتصاصه علیه السّلام لحاله فی تکلیفه و موافقته لأوامر اللّه ---- ۳۷۶

اشاره ---- ۳۷۶

اللغه ---- ۳۷۹

المعنی ---- ۳۸۰

اشاره ---- ۳۸۰

و قوله:أنا وضعت فی الصغر بکلکل العرب.إلی آخره. ---- ۳۸۲

و قوله:و قد علمتم موضعی.إلی آخره. ---- ۳۸۲

و عدّ أحواله الّتی هی وجوه ذلک الاستعداد ---- ۳۸۲

أحدها:القرابه. ---- ۳۸۲

الثانیه:منزلته الخصیصه به ---- ۳۸۴

الثالثه:أنّه لم یجد له کذبه فی قول و لا خطله فی فعل، ---- ۳۸۴

الرابعه:أشار إلی اتّباعه له و ملازمته إیّاه ----- ۳۸۵
الخامسه: ----- ۳۸۵
السادسه:أنّه کان یجاور معه فی کل سنه بحراء فیراه دون غیره ----- ۳۸۵
السابعه:أشار إلی کونه أوّل من أسلم من الذکور ----- ۳۸۶
الثامنه: ----- ۳۸۸
التاسعه:کونه معه حین أتاه الملأ من قریش و سألوه ما سألوا من دعوه ----- ۳۹۰
قوله:و إنّی لمن قوم.إلی قوله:لائم. ----- ۳۹۲
و قوله:سیماهم سیما الصدّیقین.إلی آخر الصفات. ----- ۳۹۲
۲۳۵-و من کلام له علیه السّلام ----- ۳۹۳
اشاره ----- ۳۹۳
اللغه ----- ۳۹۳
المعنی ----- ۳۹۴
۲۳۶-و من کلام له علیه السّلام ----- ۳۹۵
اشاره ----- ۳۹۵
المعنی ----- ۳۹۵
۲۳۷ و من خطبه له علیه السّلام ----- ۳۹۶
اشاره ----- ۳۹۶
اللغه ----- ۳۹۷
المعنی ----- ۳۹۷
۲۳۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۳۹۹
اشاره ----- ۳۹۹
اللغه ----- ۴۰۰
المعنی ----- ۴۰۰
۲۳۹-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۴۰۳
اشاره ----- ۴۰۳
اللغه ----- ۴۰۴

المعنی ----- ۴۰۴
۲۴۰-و من کلام له علیه السّلام ----- ۴۰۵
اشاره ----- ۴۰۵
اللغه ----- ۴۰۶
المعنی ----- ۴۰۶
باب المختار من کتب مولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام ----- ۴۰۸
اشاره ----- ۴۰۸
۱-من کتاب له علیه السّلام ----- ۴۰۸
اشاره ----- ۴۰۸
المعنی ----- ۴۰۹
۲-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۴۱۲
اشاره ----- ۴۱۲
المعنی ----- ۴۱۳
۳-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۴۱۳
اشاره ----- ۴۱۳
اللغه ----- ۴۱۵
المعنی ----- ۴۱۵
اشاره ----- ۴۱۵
و اعلم أنّ فی النسخه نکتا : ----- ۴۱۶
إحداها: ----- ۴۱۶
الثانیه: ----- ۴۱۶
الثالثه: ----- ۴۱۶
الرابعه: ----- ۴۱۶
الخامسه: ----- ۴۱۹
السادسه: ----- ۴۱۹
السابعه: ----- ۴۱۹

الثامنه: ---- ۴۲۰
التاسعه: ---- ۴۲۰
العاشره: ---- ۴۲۰
۴-و من کتاب له علیه السّلام ---- ۴۲۰
اشاره ---- ۴۲۰
اللغه ---- ۴۲۱
المعنی ---- ۴۲۱
۵-و من کتاب له علیه السّلام ---- ۴۲۲
اشاره ---- ۴۲۲
اللغه ---- ۴۲۳
المعنی ---- ۴۲۳
۶-و من کتاب له علیه السّلام ---- ۴۲۴
اشاره ---- ۴۲۴
اللغه ---- ۴۲۵
المعنی ---- ۴۲۵
۷-و من کتاب له علیه السّلام ---- ۴۲۶
اشاره ---- ۴۲۶
اللغه ---- ۴۲۸
المعنی ---- ۴۲۸
۸-و من کتاب له علیه السّلام ---- ۴۳۰
اشاره ---- ۴۳۰
اللغه ---- ۴۳۰
المعنی ---- ۴۳۱
۹-و من کتاب له علیه السّلام ---- ۴۳۱
اشاره ---- ۴۳۱
اللغه ---- ۴۳۵

المعنى ----- ۴۳۵
۱۰-و من كتاب له عليه السّلام ----- ۴۴۲
اشاره ----- ۴۴۲
اللغه ----- ۴۴۳
المعنى ----- ۴۴۴
۱۱-و من وصيّه له عليه السّلام ----- ۴۴۸
اشاره ----- ۴۴۸
اللغه ----- ۴۵۰
المعنى ----- ۴۵۰
۱۲-و من وصيّه له عليه السّلام ----- ۴۵۱
اشاره ----- ۴۵۱
اللغه ----- ۴۵۲
المعنى ----- ۴۵۲
۱۳-و من كتاب له عليه السّلام ----- ۴۵۳
اشاره ----- ۴۵۳
اللغه ----- ۴۵۴
المعنى ----- ۴۵۴
۱۴-و من وصيّه له عليه السّلام ----- ۴۵۴
اشاره ----- ۴۵۴
اللغه ----- ۴۵۵
و قد وصىّ فى هذا الفصل بامور : ----- ۴۵۵
أحدها:ان لا يقاتلوهم إلى أن يبدءوهم بالقتال، ----- ۴۵۵
و أمّا الثانيه:فهى تركهم حتّى يبدءوا بالحرب ----- ۴۵۵
الثالث:وصّاهم على تقدير وقوع الهزيمه منهم بإذن اللّه أن لا يقتلوا مدبرا: ----- ۴۵۶
الرابع:أن لا تجهزوا على جريح. ----- ۴۵۶
و قوله:و إن كنّا.إلى آخره. ----- ۴۵۶

و قوله:و إن كان الرجل.إلى آخره. ----- ۴۵۶
۱۵-و كان يقول عليه السّلام ----- ۴۵۷
اشاره ----- ۴۵۷
اللغه ----- ۴۵۷
المعنى ----- ۴۵۸
۱۶-و كان عليه السلام يقول ----- ۴۵۸
اشاره ----- ۴۵۸
اللغه ----- ۴۵۹
المعنى ----- ۴۵۹
و قوله:لا تشتدّنّ عليكم إلى قوله:حمله . ----- ۴۵۹
ثمّ أمرهم بأوامر : ----- ۴۵۹
أحدها: ----- ۴۵۹
الثانى: ----- ۴۶۰
الثالث:أن يحثّوا أنفسهم على الطعن الّذى يظهر أثره و الضرب الشديد: ----- ۴۶۰
الرابع:أن يميتوا الأصوات ----- ۴۶۰
۱۷-و من كتاب له عليه السّلام ----- ۴۶۰
اشاره ----- ۴۶۰
اللغه ----- ۴۶۲
و قد أجاب عليه السّلام عن امور أربعه تضمّنها كتاب معاويه: ----- ۴۶۲
أحدها:أنّه استعطفه إلى البقيّه و استدرجه لوضع الحرب ----- ۴۶۲
الثانى:أنّه سأل إقراره على الشام ----- ۴۶۲
الثالث:حفظ الرجال. ----- ۴۶۳
الرابع:أوهم بقوله:و إنّا فى الحرب و الرجال سواء. ----- ۴۶۴
الخامس:أنّه نبّه بقوله:و نحن بنو عبد مناف. ----- ۴۶۴
۱۸-و من كتاب له عليه السّلام ----- ۴۶۶
اشاره ----- ۴۶۶

اللغه ---- ۴۶۷
المعنی ---- ۴۶۸
۱۹-و من کتاب له علیه السّلام ---- ۴۷۰
اشاره ---- ۴۷۰
اللغه ---- ۴۷۰
المعنی ---- ۴۷۰
۲۰-و من کتاب له علیه السّلام ---- ۴۷۱
اشاره ---- ۴۷۱
اللغه ---- ۴۷۱
المعنی ---- ۴۷۱
۲۱-و من کتاب له علیه السّلام ---- ۴۷۲
اشاره ---- ۴۷۲
اللغه ---- ۴۷۲
المعنی ---- ۴۷۲
و قد أمره فی هذا الفصل بأوامر : ---- ۴۷۲
أحدها:ترک الإسراف ---- ۴۷۲
الثانی:أن یذکر فی الیوم غدا ---- ۴۷۳
الثالث:أن یمسک من المال بقدر ضرورته. ---- ۴۷۳
الرابع:أن یقدّم الفضل منها لیوم حاجته ---- ۴۷۳
۲۲-و من کتاب له علیه السّلام ---- ۴۷۳
اشاره ---- ۴۷۳
اللغه ---- ۴۷۴
المعنی ---- ۴۷۴
۲۳-و من کتاب له علیه السّلام ---- ۴۷۵
اشاره ---- ۴۷۵
اللغه ---- ۴۷۶

و قد وصیّ علیه السّلام بأمرین هما عمود الإسلام و بهما یقوم: ----- ۴۷۶
أحدهما:أن لا یشرکوا باللّه شیئا. ----- ۴۷۶
و الثانی:الاهتمام بأمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و المحافظه علی سنّته. ----- ۴۷۶
۲۴-و من وصیّه له علیه السّلام ----- ۴۷۷
اشاره ----- ۴۷۷
اللغه ----- ۴۸۰
المعنی ----- ۴۸۰
۲۵-و من وصیّه له علیه السّلام ----- ۴۸۲
اشاره ----- ۴۸۲
اللغه ----- ۴۸۳
المعنی ----- ۴۸۴
۲۶-و من عهد له علیه السّلام ----- ۴۸۷
اشاره ----- ۴۸۷
اللغه ----- ۴۸۸
المعنی ----- ۴۸۸
۲۷-و من عهد له علیه السّلام ----- ۴۹۱
اشاره ----- ۴۹۱
القسم الأول ----- ۴۹۱
اشاره ----- ۴۹۱
اللغه ----- ۴۹۳
المعنی ----- ۴۹۳
القسم الثانی و من هذا العهد ایضا ----- ۵۰۱
۲۸-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۵۰۳
اشاره ----- ۵۰۳
اللغه ----- ۵۰۷
المعنی ----- ۵۰۸

اشاره ----- ۵۰۸
و فیه نکت : ----- ۵۰۸
الاولی: ----- ۵۰۸
الثانیه:أنّ معاویه لمّا اقتصّ حال أصحابه و ذکر الأفضل فالأفضل منهم ----- ۵۰۹
الثالثه: ----- ۵۱۰
الرابعه ----- ۵۱۰
الخامسه: ----- ۵۱۱
السادسه:جوابه عمّا ادّعاه بزعمه من حسده علیه السّلام لسایر الخلفاء و بغیه ----- ۵۱۵
السابعه: ----- ۵۱۵
الثامنه: ----- ۵۱۶
التاسعه: ----- ۵۱۶
العاشره: ----- ۵۱۷
۲۹-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۵۱۸
اشاره ----- ۵۱۸
اللغه ----- ۵۱۹
المعنی ----- ۵۱۹
۳۰-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۵۲۰
اشاره ----- ۵۲۰
اللغه ----- ۵۲۱
المعنی ----- ۵۲۱
فهرست ما فی هذا الجزء من الخطب و ما یجری مجریها ----- ۵۲۴
تعریف مرکز ----- ۵۳۲

شرح نهج البلاغه (ابن میثم) المجلد ۴

اشاره

ص :۱

اشاره

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ»

تتمه باب الخطب

۱۹۳–و من کلام له علیه السّلام

اشاره

روی عنه أنه قاله عند دفن سیده النساء فاطمه علیها السلام کالمناجی به رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم عند قبره اَلسَّلَامُ عَلَیْکَ یَا؟رَسُولَ اللَّهِ؟ عَنِّی- وَ عَنِ ابْنَتِکَ النَّازِلَهِ فِی جِوَارِکَ- وَ السَّرِیعَهِ اللَّحَاقِ بِکَ- قَلَّ یَا؟رَسُولَ اللَّهِ؟ عَنْ صَفِیَّتِکَ صَبْرِی وَ رَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِی- إِلاَّ أَنَّ فِی التَّأَسِّی لِی بِعَظِیمِ فُرْقَتِکَ- وَ فَادِحِ مُصِیبَتِکَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ- فَلَقَدْ وَسَّدْتُکَ فِی مَلْحُودَهِ قَبْرِکَ- وَ فَاضَتْ بَیْنَ نَحْرِی وَ صَدْرِی نَفْسُکَ- فَ «إِنّٰا لِلّٰهِ وَ إِنّٰا إِلَیْهِ رٰاجِعُونَ» - فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِیعَهُ وَ أُخِذَتِ الرَّهِینَهُ- أَمَّا حُزْنِی فَسَرْمَدٌ وَ أَمَّا لَیْلِی فَمُسَهَّدٌ- إِلَی أَنْ یَخْتَارَ اللَّهُ لِی دَارَکَ الَّتِی أَنْتَ بِهَا مُقِیمٌ- وَ سَتُنَبِّئُکَ ابْنَتُکَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِکَ عَلَی هَضْمِهَا- فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ وَ اسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ- هَذَا وَ لَمْ یَطُلِ الْعَهْدُ وَ لَمْ یَخْلُ مِنْکَ الذِّکْرُ- وَ السَّلاَمُ عَلَیْکُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ لاَ قَالٍ

ص:۲

وَ لاَ سَئِمٍ- فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَهٍ- وَ إِنْ أَقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ

اللغه

أقول: مسهّد: مورق .و أحفها السؤال: استقص عليها فيه .

المعنى

فأمّا قول السيّد-رضى اللّه تعالى عنه-سيّده النساء،فقد جاء فى الخبر أنّه رآها تبكى عند موته فقال لها:

أ ما ترضين أن تكون سيّده نساء هذه الامّه،و روى أنّه قال:سادات نساء العالمين أربع:خديجه بنت خويلد،و فاطمه بنت محمّد،و آسيه بنت مزاحم،و مريم بنت عمران.و السلام منه عليه السّلام على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كعاده الزائرين لكن الزياره هنا قلبيّه،و عنها كالمستأذن لها فى الدخول عليه،و جوارها له:أى فى منازل الجنّه و أمّا سرعه لحاقها به ففائده ذكرها التشكّى إليه من سرعه تواتر المصائب عليه بموته و لحوقها عقيبه،و المنقول أنّ مدّه حياتها بعده صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أربعه أشهر،و قيل:

ستّه أشهر .ثمّ أخذ فى التشكّى إليه كالمخاطب له من قلّه صبره و رقّه تجلّده و تحمّله للمصيبه بها.

و فى قوله:صفيّتك.

إشاره إلى ما كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من التبجيل و المحبّه و الإكرام.

و قوله:إلاّ أنّ لى.إلى قوله:موضع تعزّ.

كالعذر و التسليه و إن كانت هذه المصيبه عظيمه يقلّ لها الصبر و يرقّ لها التجلّد فإنّ المصيبه بفراقك أعظم،و كما صبرت فى تلك على كونها أشدّ فلإن أصبر على هذه أولى.و التأسى الاقتداء بالصبر فى هذه المصيبه كالصبر فى تلك.

و قوله :فلقد وسّدتك.إلى قوله:نفسک.

كالشرح للمصيبه به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مقاساتها عند تلحيده و عند فيضان نفسه و هى دمه بين صدره و نحره،و كالتذكير لنفسه بها.

و قوله:ف«إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» .

امتثال لقوله تعالى «وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ اَلَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا»

«لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» (۱).

استعاره و قوله : فلقد استرجعت الوديعه.إلی قوله:الرهينه.

استعار لفظ الوديعه و الرهينه لتلک النفس،و وجه الاستعاره الاولی أنّ النفوس فی هذه الأبدان يشبه الودايع و الأمانات فی کونها تسترجع إلی عاملها فی وجوب المحافظه عليها من المهلکات،و يحتمل أن يريد ما هو المتعارف بين الناس من کون المرأه وديعه الرجل کما يقال:النساء ودايع الکرام،و وجه الثانيه أنّ کلّ نفس رهينه علی الوفاء بالميثاق الّذی واثقها اللّه تعالی به،و العهد الّذی أخذ عليها حين الإهباط إلی عالم الحسّ و الخيال أن ترجع إليه سالمه من سخطه، عامله بأوامره غير منحرفه من صراطه الوضوح علی لسان رسوله صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فإن وفيت بعهدها خرجت من وثاق الرهن و ضوعف لها الأجر کما قال تعالی «وَ مَنْ أَوْفی بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» (۲)و إن نکثت و ارتکبت بما نهيت عنه بقيت رهينه بعملها کما قال تعالی «کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ رَهِينَهٌ» (۳)و الرهينه تصدق علی الذکر و الأنثی .و قد سبقت الإشاره إلی ذلک.

کنايه و قوله: أمّا حزنی.إلی قوله:مقيم .

صوره حاله بعدهما علی سبيل الشکايه،و کنّی بالدار عن الجنّه لأنّه ممّن بشّر بها.

و قوله :و ستنبئک ابنتک.إلی قوله:الذکر.

رمز للتشکّی إلی الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم من امّته بعده فيما کان يعتقده حقّا له من الخلافه و نحله فدک لفاطمه عليها السّلام فزحزحا عنهما مع نوع من الاهتضام له،و الغلظه عليه فی القول علی قرب عهدهم بالرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و طراوه الذکر الّذی هو القرآن الآمر بمودّه القربی.

و قوله :و السلام عليکما.إلی آخره.

۱- ۱) ۲-۱۵۱.

۲- ۲) ۱۰-۴۸.

۳- ۳) ۴۱-۷۴.

صوره وداع المحبّين الناصحين بجارى العاده.

و قوله:و إن اقم.إلى قوله:الصابرين.

تنزيه لنفسه عمّا عساه يعرض لبعض من يلازم القبور لشدّه الجزع و الأسف عن و هم أنّه لا عوض عن ذلك الفائت و الأجر على التعزّى و الصبر عنه،و ما وعد اللّه به الصابرين على نزول المصائب هو صلاته و رحمته فى قوله تعالى «قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِکَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ» «وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (۱)و باللّه التوفيق.

۱۹۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

:أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَ الْآخِرَهُ دَارُ قَرَارٍ- فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ- وَ لاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ- وَ أَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ- مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ- فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ وَ لِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ- إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَکَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَکَ- وَ قَالَتِ الْمَلاَئِكَهُ مَا قَدَّمَ- لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ- وَ لاَ تُخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُمْ

أقول:حاصل الفصل التنفير عن الدنيا و الترغيب فى الآخره بذكر الغايه

من وجودهما

فتكون الدنيا مجازا:أى يسلك بها إلى الآخره سلوكا اختياريّا كسلوك عباد اللّه الصالحين إليه،و اضطراريّا كعبور الكلّ إلى الآخره بالموت،و أراد هنا الاضطرارىّ،و هاتان القرينتان كالمقدّمه لقوله:فخذوا من ممرّكم لمقرّكم.

و قوله:و لا تهتكوا.إلى قوله:أسراركم.

ص:۵

۱- (۱) .۲-۱۵۲.

أى لمجاهرته بالمعصيه فإنّه إذا كان يعلم أسراركم فهو يعلم ظواهر كم أولى.

كنايه و قوله : و أخرجوا.إلى قوله:أبدانكم .

أمر لهم بالزهد فى الدنيا قبل الموت،و كنّى عنه بإخراج القلوب منها.يقال:خرج فلان عن كذا،و أخرج نفسه من كذا إذا أعرض عنه و تبرّء منه.

و قوله:ففيها اختبرتم.

إشاره إلى قصد العنايه الإلهيّه منها،و قد عرفت معنى الاختبار،و لغيرها خلقتم:أى لنيل السعاده فى الآخره بالذات،أو الشقاوه لمن حرّمها بالعرض.

و قوله :إنّ المرء.إلى قوله:قدّم.

أى ما ترك من متاع الدنيا أو ما قدّم من الأعمال الصالحه،و إنّما قرن ذكر الناس و ما يسئلون عنه بذكر الملائكه و ما يسئلون عنه ليتبّه على شرف الأعمال المسعده فى الآخره على متاع الدنيا لكون الأوّل مطلوب الملائكه و ما تعتنون بالفحص عنه،و كون الثانى معتنى الناس الغافلين،و فى لفظ ما ترک و ما قدّم لطف شبيه[تنبيه خ]على أنّ متاع الدنيا مفارق متروک و الأعمال الصالحه مقدّمه باقيه نافعه للمرء فى معاده فينبغى أن تكون العنايه بها دون المفارق المتروک.

و قوله:للّه آباؤكم.

كلمه تقولها العرب لتعظيم المخاطب بنسبته أو بنسبه أبيه إلى اللّه يقال:للّه أنت و للّه أبوک،و قيل:اللام للعاقبه:أى إلى اللّه تصير آبائكم لكن بذلک يخرج الكلام عن معنى التعجّب و الاستعظام.

و قوله:فقدّموا بعضا.إلى آخره.

أى فقدّموا بعضا من متاع الدنيا كالصدقات و نحوها يكن لكم ثوابها فى الآخره كقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:يا بن آدم ليس لک من دنياک إلاّ ثلاث:ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدّقت فأبقيت،و لا تخلّفوها بأسرها لغيركم فيكون عليكم وزرها، و قد علمت كيفيّه استلزام الصدقه و الزكاه و نحوها للملكات الفاضله و الثواب الاخروى،و استلزام البخل و ادخار المال للشقاوه الاخرويّه،و إنّما خصّص

البعض بالتقديم لأنّ حرمان الورثه لا يجوز،و نهى عن تخليف الكلّ لأنّ ترك الزكاه و الصدقه لا يجوز،و روى يكن لكم قرضا و يكن عليكم كلاّ و هو كقوله تعالى «مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً» (1)و لفظ القرض مستعار،و وجه الاستعاره أنّ القرض يستلزم فى العاده الطلب من المقترض و شكره لمقرضه و أداه إليه فأشبه ذلك تكرر أوامر اللّه الطالبه للزكاه و الصدقه و شكر اللّه للمنفقين فى سبيله و جزاؤه للمتصدّقين فى الآخره بأضعاف ما بذلوه و أنفس كميّه و كيفيّه من الكلّ الّذى لا منفعه فيه مع وجود مضرّته،و لمّا كان حفظ المال و تخليفه بعد الموت كذلك لا جرم كان كلاّ.و باللّه التوفيق.

۱۹۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

كان كثيرا ما ينادى به أصحابه

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُودِیَ فِیکُمْ بِالرَّحِیلِ- وَ أَقِلُّوا الْعُرْجَهَ عَلَی الدُّنْیَا- وَ انْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِکُمْ مِنَ الزَّادِ- فَإِنَّ أَمَامَکُمْ عَقَبَهً کَئُوداً وَ مَنَازِلَ مَخُوفَهً مَهُولَهً- لاَ بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَیْهَا وَ الْوُقُوفِ عِنْدَهَا-.وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ الْمَنِیَّهِ نَحْوَکُمْ دَانِیَهٌ- وَ کَأَنَّکُمْ بِمَخَالِبِهَا وَ قَدْ نَشِبَتْ فِیکُمْ- وَ قَدْ دَهَمَتْکُمْ فِیهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ وَ مُعْضِلاَتُ الْمَحْذُورِ-.فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْیَا وَ اسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَی و قد مضى شىء من هذا الكلام فيما تقدم،بخلاف هذه الروايه.

اللغه

أقول: العرجه و التعريج : الإقامه على المكان و الاحتباس به .و عقبه

ص:7

1- 1) 2-246.

كؤود : شاقه المصاعد .و الملاحظ : جمع ملحظ و هو مصدر أو محلّ اللحظ و هو النظر بموخّر العين .و دانيه : مجدّده .و مفظعات الامور : عظائمها و شدائدها المجاوزه حدّ المقدار المعتاد .و معضلات المحذور : ما ثقل منها و أمال .

و مدار الفصل على الأمر بالتجهيز من الدنيا

و هو الاستعداد للسفر إلى اللّه بما يحتاج إليه المسافرون إلى حضرته من الزاد المبلغ و هو التقوى،و الرحيل يحتمل أن يريد به السفر بالموت فيكون المنادى هو حوادث الأيّام الداعيه بضرورتها للأمزجه إلى الانهدام،و يحتمل أن يريد به السفر إلى اللّه بالرياضه الكامله،و المنادى بذلك هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الكتاب العزيز و أولياء اللّه.ثمّ على الأمر بإقلال التعريج على الدنيا:أى بقلّه الالتفات إليها إلاّ على القدر الضروريّ منها و هو الزهد .ثمّ بالانقلاب عنها بصالح ما يحضرهم فى الدنيا و يمكنهم إعداده و الاستعداد به و هو الأعمال الصالحه و التقوى استعاره و قوله: فإنّ أمامكم عقبه كؤودا .

استعار لفظ العقبه بوصف الكؤود،و وجه المشابهه شدّه الملاقات و قطع منازله فى حال تألم النفوس إلى آخر الموت،و أراد بالمنازل المحوفه المهوله منازل الآخره بعد من القبر و ساير درجات النفوس فى الشقاوه و الأهوال الاخرويّه و ظاهر أنّه لا بدّ من ورود تلك المنازل و الوقوف عندها إلى حين عبورها خصوصا أصحاب الملكات الرديئه و العلايق الدنيّه البدنيّه فإنّ وقوفهم بتلك المنازل أطول و شدائدهم فيها أهول.

استعاره بالكنايه و قوله : و اعلموا.إلى قوله:فيكم.

أخذ بعض لوازم المستعار و هو الملاحظه و ذويها،و كنّى بذلك عن كونها هم بالرصد لا تنقطع عنهم،و روى دائنه:أى قريبه منهم،و كذلك المخالب و نشبتها كنايه عن لحوق الآفات و الأمراض المهلكه لهم،و معنى التشبيه هاهنا تشبيه المقدّر القريب وقوعه و هو لحوق الموت لهم،و نسبه مخالب المنيه فيهم بوقوع ذلك فى السرعه ،و الباء فى بمخالبها للالصاق،و الواوان فى قوله:و قد للحال.

کنایه و قوله: و قد دهمتکم.إلی قوله:المحذور .

کنایه عن لحوق شدائد الموت و مثقلات الظهور المحذوره و هی الذنوب.

و قوله :فقطّعوا علایق الدنیا.

أمر بالزهد الحقیقیّ فیها و التخفیف منها بترک الفضول و الاستکثار من متاعها،و استظهروا بزاد التقوی:أی اتّخذوه ظهیرا لکم علی مشاقّ السفر إلی الآخره،و باللّه التوفیق.

۱۹۶-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

کلم به طلحه و الزبیر بعد بیعته بالخلافه و قد عتبا[علیه]من ترک مشورتهما،و الاستعانه فی الأمور بهما لَقَدْ نَقَمْتُمَا یَسِیراً وَ أَرْجَأْتُمَا کَثِیراً- أَ لاَ تُخْبِرَانِی أَیُّ شَیْءٍ کَانَ لَکُمَا فِیهِ حَقٌّ دَفَعْتُکُمَا عَنْهُ- أَمْ أَیُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَیْکُمَا بِهِ- أَمْ أَیُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَیَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِینَ- ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ-.وَ اللَّهِ مَا کَانَتْ لِی فِی الْخِلاَفَهِ رَغْبَهٌ- وَ لاَ فِی الْوِلاَیَهِ إِرْبَهٌ- وَ لَکِنَّکُمْ دَعَوْتُمُونِی إِلَیْهَا وَ حَمَلْتُمُونِی عَلَیْهَا- فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَیَّ نَظَرْتُ إِلَی کِتَابِ اللَّهِ وَ مَا وَضَعَ لَنَا- وَ أَمَرَنَا بِالْحُکْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ- وَ مَا اسْتَنَّ؟النَّبِیُّ ص؟ فَاقْتَدَیْتُهُ- فَلَمْ أَحْتَجْ فِی ذَلِکَ إِلَی رَأْیِکُمَا وَ لاَ رَأْیِ غَیْرِکُمَا- وَ لاَ وَقَعَ حُکْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِیرَکُمَا وَ إِخْوَانِی مِنَ الْمُسْلِمِینَ- وَ لَوْ کَانَ ذَلِکَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْکُمَا وَ لاَ عَنْ

غَيْرِكُمَـا.-وَ أَمَّا مَـا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَهِ- فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِى- وَ لاَ وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّى- بَلْ وَجَـدْتُ أَنَا وَ أَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ- فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قَسْـمِهِ- وَ أَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ- فَلَيْسَ لَكُمَا وَ اللَّهِ عِنْدِى وَ لاَ لِغَيْرِكُمَا فِى هَذَا عُتْبَى-.أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَ قُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ- وَ أَلْهَمَنَا وَ إِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

اللغه

أقول: أرجأتما : أخّرتما .و استأثر : استبدّ .و الإربه : الحاجه .و أفضت :

وصلت .و العتبى : الرجوع عن الإساءه

المعنى

و اعلم أنّ الرجلين كانا يؤمّلان الأمر لأنفسهما فلمّا صار إليه عليه السّـلام عاد إلى رجاء أن يـداخلهما فى أمره و أن يزد لهما فى العطاء على غيرهما كما فضّل بعض الأئمّه من قبله و أن يشاركهما فى أكثر الآراء المصلحيّه محبّه منهما للجاه و نظرا إلى محلّهما و شرفهما لكنّ الرجل لمّـا جعل دليله الكتاب العزيز و السنّه النبويّه و كـان هو القوىّ على تفريع الأحكـام منهمـا دون غيره و صاحب أسرارهما كما علمت رجوع أكابر الصحابه و الخلفاء السابقين إليه فى كثير الأحكام لاـ جرم لم يكن به حاجه إلى الاستشاره فيما يقع إليه من الوقايع ،و أشار باليسير الّذى نقماه إلى ترك مشورتهما و تسويتهما بغيرهما فى العطاء و إن كان عندهما صعبا فهو لكونه عنده غير حقّ فى غايه من السهوله،و الكسير الّذى أرجاه ما أخّراه من حقّه و لم يوفياه إيّاه،و روى كثيرا بالثاء بثلاث نقط،و أشار به إلى ما يعود إلى صلاح المسلمين من الآراء الّتى ينبغى أن

يتحدّث فيها،و يحتمل أن يريد أنّ الّذى أبدياه و نقماه بعض ممّا فى أنفسهما،و قد دلّ ذلك على أنّ فى أنفسهما أشياء كثيره وراء ما ذكراه لم يقولاه.

و قوله:ألا تخبرانى.إلى قوله:بابه.

استفسار عن الحقّ الّذى نقما تركه،و أشار إلى وجوه الحقّ و جهاته المتعارفه المعتاده،و تلخيصه أنّ الحقّ الّذى تنقمان على تركه إمّا أن يكون متعلّقا بكما أو بغير كما من المسلمين،و الأوّل إمّا أن يكون قسما استأثرت به أو غيره من الحقوق دفعتكما عنه ظلما،و الثانى إمّا أن يكون تركه منّى ضعفا أو جهلا به أو خطأ لدليل الحكم فيه،و الاستفهام فى الأقسام كلّها استفهام إنكار لها و مستند منعه و إنكاره لها ظاهر فإنّ التسويه فى العطاء سنّه الرسول فيجب اتّباعها،و الاستشاره فى الحوادث و نحوها إنّما يجب مع عدم الحكم فى الواقعه أو مع جهله و لم يكن عادما لأحكام الوقايع الوارده عليه و لا-جاهلا-بها،و كذلك لم يترك حقّا لأحد من المسلمين عن ضعف منه لأنّه كان خليفه الوقت و لا عن جهل بحكم و لا بدليله لأنّه كان أعلم الامّه بأحكام اللّه،و لمّا كان الّذى نقماه عليه فى تلك الحال من الأقسام المذكوره إنّما هو ترك مشورتهما و السويه فى العطاء بينهما و بين غيرهما أشار إلى الجواب عن الأوّل بقوله :و اللّه ما كانت.

إلى قوله:و لا عن غيركما.

فقوله:و اللّه.إلى قوله:حملتمونى عليها.

كالمقدّمه فى الجواب المكاسره من توهّمهما رغبته فى الخلافه و محبّته للملك و السلطان لاستيثار عليهما و نحو ذلك فإنّه إذا انكسر ذلك الوهم لم يبق علّه طلبه للولايه إلاّ نصره الحقّ و إقامته كما صرّح هو به فى غير موضع و حينئذ تندفع شبهتها عنه.

و قوله :فلمّا أفضت.إلى قوله:فاقتديته.

وجه الجواب دلّ به على صغرى القياس فيه،و خلاصته:أى إنّما أحكم بالكتاب فأتّبعته و أقتدى بالسنّه،و تقدير الكبرى و كلّ من فعل ذلك فلا حاجه

به فى الحكم إلى الرأى.

و قوله،فلم أحتج.إلى قوله،غيركما.

كالنتيجه.

و قوله:و لا وقع حكم جهلته.

أحد الأقسام الّتى استفهم عنها على سبيل الإنكار أوّلا قد صرّح بإنكاره هاهنا و منعه على تقدير دعواهم له.ثمّ بتسليمه تسليم جدل أنّه لو وقع لم يكن يرغب عنهما و لا عن غيرهما من المسلمين و الاستشاره فيه.ثمّ ذكر الأمر الثانى ممّا نقماه عليه فقال :و أمّا ما ذكرتما من الأمر الأسوه:أى اسوتكما بغير كما فى العطاء، و أجاب عنه بقوله:فإنّ ذلك أمر.إلى قوله:حكمه.

فقوله:و لاولّيته هوى منّى.

أى لم أجعل الحاكم فى ذلك هواى،و روى و لا ولّيته هوى منّى على أن يكون هوى مفعولا له:و خلاصته أنّ حكمى بالتسويه فى القسمه لم يكن عن رأى منّى و لا هوى أتّبعته و لكن وجدته أنا و أنتم قد فرغ اللّه منه:أى من القضاء به فى اللوح المحفوظ و إنزاله،و يقال للأمر الثابت الّذى لا يحتاج إلى إيجاد أو تكميل مفروغ منه، مجاز و نسبه الفراغ إلى اللّه مجاز لمناسبته ما قضاه بفعل العبد الّذى فرغ من عمله.

و قوله:فلم أحتج إليكما.إلى قوله:حكمه.

أى لمّا وجدته كذلك لم أمل إليكما بما يرضيكما مع مخالفته لما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و روى فلم أحتجّ إليكما:أى فى الإرشاد إلى أحكام اللّه بعد فراغه منها.

و قوله :فليس لكما.إلى قوله.عتبى.

لازم بنتيجتى قياسيّه فى الجوابين فإنّه لمّا ثبت أنّه لا حقّ لهما فيما نقماه عليه لم يكن عليه أن يعتب .ثمّ أخذ فى الدعاء لهما و لنفسه بأخذ اللّه قلوبهم إلى الحقّ و إلهامهم الصبر عن الميول الباطله و على الحقّ.ثمّ دعا برحمه اللّه لرجل

رأى حقّا و عدلا و أعان على العمل به،أو رأى جورا و ظلما فردّه و أعان على صاحبه جذ بالهما إلى ذلك.و باللّه التوفيق.

۱۹۷-و من كلام له عليه السّلام و قد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

اشاره

إِنِّی أَكْرَهُ لَكُم أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِینَ- وَ لَكِنَّكُم لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ ذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ- كَانَ أَصْوَبَ فِی الْقَوْلِ وَ أَبْلَغَ فِی الْعُذْرِ- وَ قُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِیَّاهُمْ- اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَ دِمَاءَهُمْ- وَ أَصْلِحْ ذَاتَ بَیْنِنَا وَ بَیْنِهِمْ وَ اهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ- حَتَّی یَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ- وَ یَرْعَوِیَ عَنِ الْغَیِّ وَ الْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ

اللغه

أقول: لهج به : أولع و حرص عليه .

و حاصل الفصل تأديب قومه و إرشادهم إلى السيره الحسنه و جذب لهم عن

تعويدها و تمرينها بكلام الصالحين

،و نبّه بكراهته للسبّ و النهى عنه على تحريمه، و نحوه إشاره الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بقوله:ما بعثت لعّانا و لا سبّابا.و قوله:اللهم إنّى بشر فإذا دعوت على إنسان فاجعل دعائى له لا عليه و اهده إلى الصراط المستقيم.

و قوله:لو وصفتم.إلى قوله:فى العذر.

أى لو عدلتم عن السباب إلى وصف أعمالهم و تذكيرهم بكونهم ظالمين لكم و ضالّين عن السبيل ذكرا على وجه النصيحه و الهدايه لهم .ثمّ قلتم مكان سبّكم إيّاهم هذا الدعاء لكان أصوب فى القول ممّا ذكرتموه من رذيله السباب و لأنّ فى تذكيرهم بأحوالهم و نصيحتهم إيّاهم فائده و هى رجاء أن يعودوا إلى الحقّ و لأنّ ذلك أبلغ فى العذر إليهم من غيره.إذ لكم أن تقولوا بعد ذلك إنّكم نصحتموهم و طلبتم منهم العتبى فلم يستعينوا.

ص:۱۳

و قوله:و قلتم.

عطف على قوله:وصفتم و لو مقدّره عليه و جوابها مقدّر بعد تمام الدعاء و حذفا لدلاله لو الاولى عليهما،و التقدير لو قلتم هذا الدعاء لكان أصوب و أبلغ فى العذر،و الدعاء الّذى علّمهم عليه السّلام إيّاه مطابق لصوره حال الحرب،و اشتمل على طلب حقن الدماء أوّلا-لأنّ سفكك الدماء هو الخوف الحاضر،و على طلب علّته و هى إصلاح ذات البين:أى ما بيننا و بينهم من الأحوال الموجبه للافتراق حتّى يكون أحوال الفه و اتّفاق،و لمّا كانت الأحوال ملابسه للبين قيل لها:

ذات البين كقولك:اسقنى ذا إنائك:أى ما فى إنائك من الشراب،و قيل:ذات البين حقيقه الفرقه:أى صلح حقيقه الفرقه بيننا و بينهم و بدّلها بالالفه.ثمّ على طلب العلّه الحاسمه للفرقه الموجبه لاصلاحها و هى هداهم من ضلالتهم بمعرفه من جهل الحقّ له و ارعوا به من غباوته،و هى طرف التفريط من فضيله الحكمه، و عداوته و هو طرف الإفراط من فضيله العدل،و قد كانت الرذيلتان فى أصحاب معاويه فإنّه لمّا قصرت وطئتهم عن وجه الحقّ و غلبت عليهم الشبهه بغوا و تعدّوا و لهجوا بعدوانهم،و روى عوض الغىّ العمى و هو عمى البصيره و غباوتها.

۱۹۸-و قال عليه السّلام

اشاره

فى بعض أيام صفين و قد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب

:اِمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلاَمَ لاَ يَهُدَّنِي- فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهَذَيْنِ يَعْنِي؟الْحَسَنَ؟ وَ؟الْحُسَيْنَ ع؟- عَلَى الْمَوْتِ لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ قال الرضى أبو الحسن:قوله عليه السلام«املكوا عنى هذا الغلام» من أعلى الكلام و أفصحه.

ص:۱۴

اللغه

أقول: املکوه : شدّوه و اضبطوه .و یهدّنی : یکسرنی .و نفست بالکسر أنفس بالفتح : أی أضنّ و أبخل .

المعنی

و لمّا کان وجود الولد المنتفع ممّا یشدّ القوّه و تقوی به النفس خصوصا مثل الحسن علیه السّلام کنایه کنّی بقوله: لا یهدّنی علی تقدیر هلاکه عن إضعافه لرکنه و انکسار نفسه بذلک .ثمّ علی علّه اخری لوجوب المحافظه علیه مع أخیه علیهما السّلام و هی المحافظه علی نسل الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

۱۹۹–و قال علیه السّلام

اشاره

لما اضطرب علیه أصحابه فی أمر الحکومه

أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ یَزَلْ أَمْرِی مَعَکُمْ عَلَی مَا أُحِبُّ- حَتَّی نَهِکَتْکُمُ الْحَرْبُ- وَ قَدْ وَ اللَّهِ أَخَذَتْ مِنْکُمْ وَ تَرَکَتْ- وَ هِیَ لِعَدُوِّکُمْ أَنْهَکُ-.لَقَدْ کُنْتُ أَمْسِ أَمِیراً فَأَصْبَحْتُ الْیَوْمَ مَأْمُوراً- وَ کُنْتُ أَمْسِ نَاهِیاً فَأَصْبَحْتُ الْیَوْمَ مَنْهِیّاً- وَ قَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَ لَیْسَ لِی أَنْ أَحْمِلَکُمْ عَلَی مَا تَکْرَهُونَ

اللغه

أقول: نهکتکم : خلقتکم .

المعنی

استعاره فقوله: علی ما أحبّ .

أی من الطاعه لی،و لفظ النهک و استناده إلی الحرب استعاره لاضعافها لهم ملاحظه لشبههم بالثوب الّذی أخلقه اللبس،و تشبّهها بمستعمله فی کونها سببا لذلک الإضعاف:أی لم أزل کذلک إلی تلک الغایه.

کنایه و قوله: و اللّه أخذت منکم و ترکت .

کنایه عن تصرّفها فیهم بوجوه التصرّف و هو کالعذر لهم ،و إرادته بقوله:

و هی لعدوّکم أنهک لکی لا یتعاجزوا بعذر إنها کهالهم .ثمّ أخذ فی التشکّی منهم إلیهم

و عتابهم على عصيانهم له و حكمهم عليه بالرجوع إلى التحكيم حتّى صار مأمورا لهم و منهيّا بعد كونه آمرا فيهم و ناهيا،و ذلك من معكوس الحكم و مضادّ لما ينبغى لهم.

و قوله:و قد أحببتم البقاء.

أى بترك القتال و هو كالتوبيخ لهم على ذلك.

و قوله:و ليس.إلى آخره.

أى ليس لى قدره على ذلك و إن كان له ذلك بحسب المصلحه و الشرع.

۲۰۰-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

بالبصره،

و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثى-و هو من أصحابه- يعوده،فلما رأى سعه داره قال :

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَهِ هَذِهِ الدَّارِ فِى الدُّنْيَا- أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِى الْآخِرَهِ كُنْتَ أَحْوَجَ- وَ بَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَهَ- تَقْرِى فِيهَا الضَّيْفَ وَ تَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ- وَ تُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا- فَإِذاً أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَهَ- فَقَالَ لَهُ؟الْعَلاَءُ؟يَا؟أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِى؟عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ؟- قَالَ وَ مَا لَهُ- قَالَ لَبِسَ الْعَبَاءَهَ وَ تَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا- قَالَ عَلَيَّ بِهِ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ- يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ- أَ مَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَ وَلَدَكَ- أَ تَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَ هُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا- أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ- قَالَ يَا؟أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟- هَذَا أَنْتَ فِى خُشُونَهِ مَلْبَسِكَ وَ جُشُوبَهِ مَأْكَلِكَ- قَالَ وَيْحَكَ إِنِّى لَسْتُ كَأَنْتَ- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّهِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَهِ النَّاسِ- كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ

ص:۱۶

اللغه

أقول: استهام بك : أى أذهبك لوجهك،و زيّن لك الهيام،و هو الذهاب فى التيه .و جشوبه المأكل : غلظته و خشونته،و قيل:الطعام الجشب:الّذى لا إدام معه .و تبيّغ : تهيّج .

المعنى

و قد استفهمه عن غرضه فى توسعه داره استفهام توبيخ و إنكار لما أنّ ذلك ينافى الزهد فى الدنيا و الحرص فى الآخره.ثمّ عن كونه أحوج إليها فى الآخره استفهام تثبيت و تقرير،و أراد أنّك لو كنت أنفقت ما أخرجته على بنائها من المال فى سبيل اللّه لكان أولى و لكنت إليه أحوج منها،و فى روايه بإثبات الهمزه مع ما فى قوله:ما أنت.

و قوله:و بلى.إلى آخره.

هدايه له إلى وجوه استعمالها فى مرضات اللّه و التقرّب بها إليه بعد التفريط فى بنائها،و عدّ وجوه المبارّ المتعلّقه بها.و مطالع الحقوق وجوهها الشرعيّه المتعلّقه به كالزكاه و الصدقه و غيرهما،و ظاهر كونها مبلّغه إلى الآخره عند إخراج تلك الحقوق منها و فيها،و مقرّ به إلى اللّه.

و قوله:علىّ به.

ينوب مناب فعل الأمر:أى جيئوا به،و عديّ تصغير عدوّ،و أصله عديو و فحذفوا إحدى الواوين و قلّبوا الثانيه ياء تخفيفا و ادغموا فيها ياء التصغير،و إنّما صغّره استصغارا له باعتبار أنّ شيطانه لم يعدّه إلى كبيره بل قاده إلى أمرو إن كان خارجا به عن الشريعه إلّا أنّه قريب من السلامه،و دخل عليه بالخدعه فى رأى الصالحين،و كان شيطانه بذلك الاعتبار صغيرا بالنسبه إلى شيطان آخر و هو باعتبار القياده لذلك الوسواس عدّى نفسه،و قيل:بل صغّره من جهه حقاره فعله ذلك لكونه عن جهل منه و إنّما منعه من هذه الطريقه لكونه لم يترك الدنيا على وجه الترك بل كان لمشاركه هواه لعقله،و كان تركه ذلك مستلزما لإهمال حقوق تجب عليه فى الشريعه و تلزمه فتبّه بقوله:لقد استهام بك الخبيث على أنّ فعله ذلك عن مشاركه الشيطان و لم يكن عن عقليّه خالصه،و بقوله:

أما رحمت أهلك و ولدك على الحقوق اللازمه له من قبلهم،و قد أهملها بفعله ذلك.

استفهام توبیخی فقوله: أ ترى اللّه.إلی قوله:ذلک .

فی مقام التوبیخ له علی ذلک الترک و هو کقوله تعالی «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَهَ اللّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّیِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ» (۱)الآیه ،و الحاصل أنّ ترک الدنیا بالکلّیّه لیس هو مطلوب الشارع من الزهد فیها و التخلّی عنها لأنّ الشارع یراعی نظام العالم باشتراک الخلق فی عماره الدنیا و تعاونهم علی المصالح بقاء النوع الإنسانیّ و ترک الدنیا و إهمالها بالکلّیّه یعدم ذلک النظام و ینافیه بل الّذی یأمر به الشارع القصد فی الدنیا و استعمال متاعها علی القوانین الّتی وردت بها الرسل و الوقوف فیها عند الحدود المضروبه فی شرایعهم دون تعدّیها کما أشار إلیه علیه السّلام من منع هذا الرجل،و أمّا السالکون من الصوفیّه بعد عصر الصحابه فهم علی الطریقین:فمنهم من یختار القشف و ترک الطیّبات و هجر اللذّات رأسا، و منهم من یؤثر الترف،و الّذی یفعله المحقّقون من السالکین من التقشّف فلا ینافی الشریعه لعلمهم بأسرارها و طریقتهم تلک أقرب إلی السلامه من طریق المترفین لکون الترف مجال الشیطان،و قد کان سلوک الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و علیّ علیه السّلام و جماعه من أکابر الصحابه أمیل إلی طریق التقشّف لکن مع مشارکتهم لأهل الدنیا فی تدبیر أحوال المدن و صلاح العالم غیر منقطعین عن أهلها و لا منعزلین فأمّا اعتراض عاصم علی علیّ علیه السّلام فی نهیه له فحاصله أنّه قاس نفسه فی ترک الدنیا علیه،و تقدیره إنّک إذا نهیتنی عن ذلک فکیف بک؟:أی فکیف بما أری من هذه الحال و أنت المقتدی به،أو فکیف أصنع بک مع الحال الّتی أنت علیها،و إنّما ینبغی لی أن أقتدی بک فأجابه علیه السّلام بجواب إقناعیّ بیّن فیه الفرق بینه و بینه، و هو إنّی إنّما فعلت ذلک لکونی إماما و کلّ إمام فرض اللّه علیه أن یقدّر نفسه بضعفه الناس:أی لیسویّها بهم فی حالهم کیلا یهیّج بالفقیر فقره فیضعف عن حلمه فیکفر أو یفسق و قد کان علیه السّلام قبل الخلافه کذلک،و الجواب المحقّق هو ما قلناه من کون هذه الطریق أسلم،و أمّا الفرق بینهما فیرجع إلی أنّ عاصما

۱- ۱) ۳۰-۷.

سلک علی غیر علم بکیفیّه السلوک مع ترک الحقوق الّتی تلزمه لأهله و ولده فکانت حاله الّتی فارقها أولی به.و باللّه التوفیق.

۲۰۱-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

و قد سأله سائل عن أحادیث البدع،و عما فی أیدی الناس من اختلاف الخبر فقال علیه السّلام :

إِنَّ فِی أَیْدِی النَّاسِ حَقّاً وَ بَاطِلاً- وَ صِدْقاً وَ کَذِباً وَ نَاسِخاً وَ مَنْسُوخاً- وَ عَامّاً وَ خَاصّاً- وَ مُحْکَماً وَ مُتَشَابِهاً وَ حِفْظاً وَ وَهْماً- وَ لَقَدْ کُذِبَ عَلَی؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ عَلَی عَهْدِهِ- حَتَّی قَامَ خَطِیباً فَقَالَ- مَنْ کَذَبَ عَلَیَّ مُتَعَمِّداً فَلْیَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ- وَ إِنَّمَا أَتَاکَ بِالْحَدِیثِ أَرْبَعَهُ رِجَالٍ لَیْسَ لَهُمْ خَامِسٌ رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِیمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ- لاَ یَتَأَثَّمُ وَ لاَ یَتَحَرَّجُ- یَکْذِبُ عَلَی؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ مُتَعَمِّداً- فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ کَاذِبٌ لَمْ یَقْبَلُوا مِنْهُ- وَ لَمْ یُصَدِّقُوا قَوْلَهُ- وَ لَکِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- رَآهُ وَ سَمِعَ مِنْهُ وَ لَقِفَ عَنْهُ فَیَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ- وَ قَدْ أَخْبَرَکَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِینَ بِمَا أَخْبَرَکَ- وَ وَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَکَ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ- فَتَقَرَّبُوا إِلَی أَئِمَّهِ الضَّلاَلَهِ- وَ الدُّعَاهِ إِلَی النَّارِ بِالزُّورِ وَ الْبُهْتَانِ- فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ وَ جَعَلُوهُمْ

حُكّاماً عَلَى رِقَابِ النَّاسِ- فَأَكَلُوا بِهِمُ الـدُّنْيَا وَ إِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَ الـدُّنْيَا- إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ فَهَـذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَهِ وَ رَجُلٌ سَـمِعَ مِنْ؟رَسُولِ اللَّهِ؟ شَـيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ- فَوَهِمَ فِيهِ وَ لَمْ يَتَعَمَّدْ كَـذِباً فَهُوَ فِي يَـدَيْهِ- وَ يَرْوِيهِ وَ يَعْمَـلُ بِهِ- وَ يَقُولُ أَنَـا سَـمِعْتُهُ مِـنْ؟رَسُـولِ اللَّهِ ص؟- فَلَـوْ عَلِـمَ الْمُسْـلِمُونَ أَنَّهُ وَهِـمَ فِيـهِ لَمْ يَقْبَلُـوهُ مِنْهُ- وَ لَـوْ عَلِمَ هُـوَ أَنَّهُ كَـذَلِكَ لَرَفَضَهُ وَ رَجُـلٌ ثَـالِثٌ سَـمِعَ مِـنْ؟رَسُـولِ اللَّهِ ص؟ شَـيْئاً- يَـأْمُرُ بِـهِ ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ وَ هُـوَ لاَ يَعْلَمُ- أَوْ سَـمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَـيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَ هُـوَ لاَ يَعْلَمُ- فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَ لَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ- فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ- وَ لَوْ عَلِمَ الْمُسْـلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ وَ آخَرُ رَابِعٌ- لَمْ يَكْـذِبْ عَلَى اللَّهِ وَ لاَ عَلَى رَسُولِهِ- مُبْغِضٌ لِلْكَـذِبِ خَوْفـاً مِنَ اللَّهِ وَ تَعْظِيمـاً؟لِرَسُولِ اللَّهِ ص؟- وَ لَمْ يَهِمْ بَـلْ حَفِظَ مَا سَـمِعَ عَلَى وَجْهِـهِ- فَجَـاءَ بِهِ عَلَى سَـمْعِهِ- لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ- فَهُـوَ حَفِـظَ النَّاسِـخَ فَعَمِـلَ بِهِ- وَ حَفِـظَ الْمَنْسُـوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ- وَ عَرَفَ الْخَاصَّ وَ الْعَامَّ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ- وَ عَرَفَ الْمُتَشَابِهَ- وَ مُحْكَمَهُ

وَ قَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ الْكَلاَمُ- لَهُ وَجْهَانِ فَكَلاَمٌ خَاصٌّ وَ كَلاَمٌ عَامٌّ- فَيَسْمَعُهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ- وَ لاَ مَا عَنَى؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟- فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ وَ يُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ- وَ مَا قُصِدَ بِهِ وَ مَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ- وَ لَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَ يَسْتَفْهِمُهُ- حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَ الطَّارِئُ- فَيَسْأَلَهُ ع حَتَّى يَسْمَعُوا- وَ كَانَ لاَ يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلاَّ سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَ حَفِظْتُهُ- فَهَذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلاَفِهِمْ وَ عِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ

اللغه

أقول: أحاديث البدع : أى الأحاديث المبتدعه بعد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المنقوله عنه،و ما يبتنى عليها من الأفعال المبتدعه فى الدين بدعه أيضا .و تبوّء مقعده :

نزله و استقرّ فيه .و لقف عنه : تناول بسرعه .و وهم بالكسر:غلط،و بالفتح ذهب وهمه إلى شىء و هو يريد غيره .و جنّب عنه : أخذ عنه جانبا .

المعنى

و قوله: إنّ فى أيدى الناس .إلى قوله: و حفظا و وهما .

تعديد لأنواع الكلام الواقع إلى الناس نقلا عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الصدق و الكذب من خواصّ الخبر،و الحقّ و الباطل أعمّ منهما لصدقهما على الأفعال و على الناسخ و المنسوخ و العامّ و الخاصّ و المتشابه،و قد مضى تفسير هذه المفهومات،و أمّا الحفظ فهو ما حفظ عن رسول اللّه كما هو،و الوهم ما غلط فيه و وهم مثلا أنّه عامّ و هو خاصّ أو أنّه ثابت و هو منسوخ إلى غير ذلك .

و قوله:قد كذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على عهده.إلى قوله:النار.

فـذلك الكـذب نحو مـا روى أنّ رجلا سرق رداء الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خرج إلى قوم و قال هـذا رداء محمّد أعطـانيه لتمكّنونى من تلـك المرأه و اسـتنكروا ذلك فبعثوا من سأل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن ذلك فقام الرجل الكاذب فشرب ماء فلـدغته حيّه فمات،و كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين سمع بتلك الحال قال لعلىّ:خذ السيف و انطلق فـإن وجـدته و قـد كفيت فاحرقه بالنار فجائه و أمر بإحراقه فكان ذلك سبب الخبر المـذكور،و اعلم أنّ العلماء ذكروا فى بيان أنّه لا بدّ أن يكذّب عليه دليلا فقالوا:قد نقل عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:سيكذّب علىّ فإن كان الخبر صدقا فلا بـد أن يكذّب عليه،و إن كان كذبا فقد كذّب عليه .ثمّ شرع فى قسمه رجال الحديث و قسّمهم إلى أربعه أقسام،و دلّ الحصر بقوله:ليس لهم خامس،و وجه الحصر فى الأقسام الأربعه أنّ الناقل للحديث عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المتسمّين بالإسلام إمّا منـافق أولا،و الثـانى إمّا أن يكـون قـد وهم فيه أولا،و الثـانى إمّا أن لا يكون قـد عرف مـا يتعلّق به من شرائط الروايه أو يكون.فالأوّل و هو المنافق ينقل كما أراد سواء كان أصل الحديث كذبا أو أنّ له أصلا حرّفه و زاد فيه و نقص بحسب هواه فهو ضـالّ مضّـل تعمّـدا و قصـدا،و الثـانى يرويه كمـا فهم و وهم فهو ضـالّ مضلّ سـهوا،و الثالث يروى ما سمع فضلا له و إضلاله عرضىّ،و الرابع يؤدّيه كما سمعه و كما هو فهو هادّ مهدىّ فأشار عليه السّلام إلى القسم الأوّل بقوله:

رجل منافق.إلى قوله:فهذا أحد الأربعه.

فقوله:متصنّع بالإسلام.

أى يظهره شعارا له.

و قوله:لا يتأثّم.

أى:لا يعرف بالإثم و لزوم العقاب عليه فى الآخره فلا يحذر منه،و وجه دخول الشبهه فى قبول قوله :كونه ظاهر الإسلام و الصحبه للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سماع قوله مع كون النـاس لا يعلمون بـاطنه و نفـاقه و ما أخبر به اللّه تعالى عن المنافقين

کقوله «إِنَّ الْمُنافِقِینَ فِی الدَّرْکِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ» (۱)و ما وصفهم به کقوله تعالی «إِذا جاءَکَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللّهِ» (۲)الآیه دلّت علی وصفهم بالکذب فی مطابقه عقایدهم لألسنتهم فی الشهاده بأنّه رسول حقّ و من کان یعتقد أنّه غیر رسول فإنّه مظنّه الکذب علیه،و أئمّه الضلالهبنو امیّه،و دعاتهم إلی النار دعاتهم إلی اتّباعهم فیما یخالف الدین،و ذلک الاتّباع مستلزم لدخول النار،و الزور و البهتان إشاره إلی ما کانوا یتقرّبون به إلی بنی امیّه من وضع الأخبار عن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی فضلهم و أخذهم علی ذلک الأجر من اولئک الأئمّه و تولیتهم الأعمال و الإمره علی الناس.

و قوله:و إنّما الناس.إلی قوله:إلاّ من عصم.

إشاره إلی علّه فعل المنافق لما یفعل فظاهر أنّ حبّ الدنیا هو الغالب علی الناس من المنافقین و غیرهم لقربهم من المحسوس و جهلهم بأحوال الآخره و ما یراد بهم من هذه الحیاه إلاّ من هدی اللّه فعصمه بالجذب فی طریق هدایته إلیه عن محبّه الامور الباطله،و فیه إیماء إلی قلّه الصالحین کما قال تعالی «إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ قَلِیلٌ ما هُمْ» و قوله «وَ قَلِیلٌ مِنْ عِبادِیَ الشَّکُورُ» و إنّما قال:ثمّ بقوا بعده علیه السّلام.ثمّ حکی حالهم مع أئمّه الضلال و إن کانت الأئمّه المشار إلیهم لم یوجدوا بعد إمّا تنزیلا لما لا بدّ منه من ذلک المعلوم له منزله الواقع أو إشاره إلی من بقی منهم بعد الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تقرّب إلی معاویه لأنّه إذن ذاک إمام ضلاله،و أشار إلی القسم الثانی بقوله :و رجل سمع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شیئا لم یحفظه.إلی قوله:لرفضه، و ذلک أن یسمع من الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کلاما فیتصوّر منه معنی غیر ما یریده الرسول.

ثمّ لا یحفظ اللفظ بعینه فیورده بعبارته الدالّه علی ما تصوّره من المعنی فلا یکون قد حفظه و تصوّره علی وجهه المقصود للرسول فوهم فیه و لم یتعمّد کذبا لوهمه فهو فی یدیه یرویه و یعمل به علی وفق ما تصوّر منه و یسنده إلی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ،و علّه دخول الشبهه علی المسلمین فیه هی عدم علمهم بوهمه،و علّه

۱- ۱) ۴۴-۱۴۴.

۲- ۲) ۱-۶۳.

دخولها علیه فی الروایه و العمل هو وهمه حین السماع حتّی لو علم ذلک لترک روایته و العمل به ،و أشار إلی القسم الثالث بقوله:و رجل سمع.إلی قوله:

لرفضه،و علّه دخول الشبهه علی الراوی و علی المسلمین واحده و هو عدم علمهم بأنّه منسوخ ،و أشار إلی القسم الرابع بقوله:و آخر رابع.إلی قوله:و محکمه.

فقوله:و عرف الخاصّ و العامّ فوضع کلّ شیء موضعه.

أی عمل بالعامّ فیما عدا صوره التخصیص.

و قوله :و قد کان یکون من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.إلی آخره.

تنبیه علی صحه القسم الثالث و داخل فیه فإنّ منهم من کان یسمع الکلام ذی الوجهین منه خاصّ و منه عامّ فلا یعرف أنّ أحدهما مخصّص الآخر أو یسمع العامّ دون الخاصّ فینقل العامّ بوجهه علی غیر معرفه معناه أو أنّه خرج علی سبب خاصّ فهو مقصور علیه و انتقل سببه فیعتقده عامّا أو أنّه عامّ فیعتقده مقصورا علی السبب و لا یعمل به فیما عدا صوره السبب فیتّبعه الناس فی ذلک.و کان قوله :

و لیس کلّ أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.إلی آخره جواب سؤال مقدّر کأن یقال:

فکیف یقع الاشتباه علیهم فی قوله مع کثرتهم و تواضعه لهم فلا یسألونه فأجاب أنّهم لیسوا بأسرهم کانوا یسألونه لاحترامهم له و تعظیمه فی قلوبهم،و إنّما کان یسأله آحاده حتّی کانوا یحبّون أن یجیء الأعرابی أو الطاریء فیسأله حتّی یسمعوا و یفتح لهم باب السؤال،و نبّه علی أنّه علیه السّلام کان یستقصی فی سؤاله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن کلّ ما یشتبه و یحفظ جوابه لیرجع الناس إلی فضیلته و الاقتباس من أنواره.

۲۰۲-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

وَ کَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ- وَ بَدِیعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ- أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ- الْمُتَرَاکِمِ الْمُتَقَاصِفِ یَبَساً جَامِداً- ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً- فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَکَتْ بِأَمْرِهِ- وَ قَامَتْ عَلَی حَدِّهِ وَ أَرْسَی

أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ- وَ الْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ- قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ وَ أَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ- وَ وَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ- وَ جَبَلَ جَلَامِيدَهَا وَ نُشُوزَ مُتُونِهَا وَ أَطْوَادِهَا- فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا- وَ أَلْزَمَهَا قَرَارَتَهَا- فَمَضَتْ رُءُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ- وَ رَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ- فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا- وَ أَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَ مَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا- فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا وَ أَطَالَ أَنْشَازَهَا- وَ جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً وَ أَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً- فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا- فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا- وَ أَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا- فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً- وَ بَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً- فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي وَ قَائِمٍ لَا يَسْرِي- تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ- وَ تَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ- «إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى»

اللغه

أقول: تعاصفه : تراد أمواجه و تلاطمها و كسر بعضها بعضا .و المثعنجر:

السيال الكثير الماء .و القمقام : البحر.قيل:سمّى بذلك لاجتماعه .و جبل : خلق .

و جلاميدها : صخورها .و أنهد : رفع .و أساخ : أدخل .و أنصابها : جمع نصب و هو ما انتصب فيها .و الأنشاز : جمع نشز و هو العوالى منها .و أرّزها فيها : أى وكّرها و غرزها،و روى أرزها مخفّفه:أى أثبتها،و عليه نسخه الرضىّ و الاولى أصحّ و أظهر .و أكنافها : أقطارها .و تكركره : تردّده و تصرّفه .

المعنى

اشاره

و قد أشار فى هذا الفصل إلى أنّ أصل الأجرام الأرضيّه و السماويّه و مادّتها هو الماء،و وصف كيفيّه خلقتها عنه و كيفيّه خلقه الأرض و السماوات و

ص:25

الجبال،و قد مرّ بیان کلّ ذلک مستقصی فی الخطبه الأولی،

و فی هذا الفصل فواید:

الأولی

:أنّه لمّا کانت هذه الأجرام فی غایه القوّه و العظمه و مع ذلک ففیها من عجائب الصنع و بدایعه ما یبهر العقول و یعجزها عن کیفیّه شرحه لا جرم نسبها إلی اقتدار جبروته و عظمته و بدیع لطائف صنعته تنبیها بالاعتبار الاولی علی أنّه الأعظم المطلق،و بالثانی علی لطفه و حکمته التامّه، کنایه و کنّی بالیبس الجامد عن الأرض .

الثانیه

:الضمیر فی منه للبحر و فی حدّه إمّا للّه أو لأمره کنایه و قیامها علی حدّه کنایه عن وقوفها علی ما حدّه من المقدار و الشکل و الهیئه و النهایات و نحوها و عدم خروجها عن ذلک و تجاوزها له ،و الضمیر المنصوب فی یحملها لمعنی الیبس الجامد و هو الأرض ،و کذلک فی جلامیدها و ما بعده فی أرساها و ما بعده للجبال، و فی جبالها و سهو لها و أقطارها للأرض،و فی قواعدها و قلالها و أنشازها للجبال، و قد عرفت کیفیّه ذلک الخلق فیما حکاه علیه السّلام فی الخطبه الاولی من ثوران الزبد بالریح و ارتفاعه إلی الجوّ الواسع و تکوین السماوات عنه.

الثالثه

:ذلّه البحر لأمره و إذعانه لهیبته دخوله تحت الإمکان و الحاجه إلی قدرته و تصریفها له،و هو من باب الاستعاره .

الرابعه

:قوله:علی حرکتها:أی حال حرکتها لأنّ علی تفید الحال، و قوله:تسیخ بحملها یفهم منه أنّه لو لا الجبال کونها أوتادا للأرض لمادّت و ساخت بأهلها.فأمّا کونها مانعه لها من المیدان فقد عرفت وجهه فی الخطبه الاولی، و أمّا کونها تسیخ لولاها فلأنّها إذا مادّت انقلبت بأهلها فغاص الوجه الّذی هم علیه و ذلک مراده بسیخها فالمانع بها من المیدان هو المانع بها أن تسیخ أو تزول عن موضعها .

الخامسه

:أشار بإجمادها بعد رطوبه أکنافها إلی أنّ أصلها من زبد الماء کما اشیر إلیه من قبل،و یحتمل أن یشیر بذلک إلی ما کان

مغمورا بالماء منها.

ثمّ سال الماء عنه إلى مواضع أسفل منه فخلا و جفّ و هى مواضع كثيره مسكونه

و غیر مسکونه .

السادسه

:قوله:تمخضه الغمام الذوارف إشاره إلی أنّ البحر إذا وقع فیه المطر یریح و یتمخض و یضطرب کثیرا و ذلک لتحریک أوقع المطر له بکثرته و قوّته أو لکثره اقتران المطر بالریاح فتموّجه،و أغلبها تحریکا له الریاح الجنوبیّه لانکشافه لها،و قد شاهدنا ذلک کثیرا.

السابعه

:لمّا عدّد المخلوقات المذکوره و تصریف القدره الربّانیّه لها قال:

إنّ فی ذلک لعبره لمن یخشی تنبیها علی وجوه الاعتبار بها لمن یخشی اللّه،و أراد العلماء لانحصار الخشیه فیهم بقوله تعالی «إِنَّما یَخْشَی اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ» (۱)و باللّه التوفیق.

۲۰۳-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

اَللَّهُمَّ أَیُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِکَ- سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَهَ غَیْرَ الْجَائِرَهِ- وَ الْمُصْلِحَهَ غَیْرَ الْمُفْسِدَهِ فِی الدِّینِ وَ الدُّنْیَا- فَأَبَی بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلاَّ النُّکُوصَ عَنْ نُصْرَتِکَ- وَ الْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِینِکَ- فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُکَ عَلَیْهِ یَا أَکْبَرَ الشَّاهِدِینَ شَهَادَهً- وَ نَسْتَشْهِدُ عَلَیْهِ جَمِیعَ مَا أَسْکَنْتَهُ أَرْضَکَ وَ سمَاوَاتِکَ- ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ الْمُغْنِی عَنْ نَصْرِهِ- وَ الْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ

اللغه

أقول: النکوص : الرجوع علی الأعقاب .

و هذا الفصل من خطبه کان یستنهض بها أصحابه إلی جهاد أهل الشام قال بعد تقاعد أکثرهم عن نصرته .استشهد فیه اللّه تعالی و ملائکته و عباده علی من سمع مقالته العادله المستقیمه الّتی هی طریق اللّه القایده للناس إلی الرشاد فی دینهم و

۱- ۱) ۲۵-۳۵.

دنیاهم المصلحه غیر المفسده لهم و هی دعوته إیّاهم إلی جهاد أعداء الدین و البغاه علیه.ثمّ أعرض عنها و قعد عن نصرته و تباطیء عن إعزاز دینه و أبی إلاّ التأخّر عن طاعته،و فی ذلک الاستشهاد ترغیب إلی الجهاد و تنفیر عن التأخّر عنه.إذ کان کأنّه إعلام للّه بحال المتخاذلین عن نصره دینه و قعودهم عمّا أمرهم به من الذبّ عنه فتتحرّک أوهامهم لذلک بالفزع إلی طاعته،و کذلک فی وصفه لمقالته بالعدل و الإصلاح ترغیب فی سماعها و جذب إلیها.و فی قوله:ثمّ أنت بعد:أی بعد تلک الشهاده علیه المغنی لنا عن نصرته تنبیه علی عظمه ملک اللّه،و تحقیر للنفوس المتخاذله عن نصره الدین،و فی ذلک الأخذ بالذنب تذکیر بوعید اللّه و أنّ فی ذلک التخاذل ذنب عظیم یؤخذ به العبد.و باللّه التوفیق.

۲۰۴-و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِیِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِینَ- الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِینَ- الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِیرِهِ لِلنَّاظِرِینَ- وَ الْبَاطِنِ بِجَلاَلِ عِزَّتِهِ عَنْ فِکْرِ الْمُتَوَهِّمِینَ- الْعَالِمِ بِلاَ اکْتِسَابٍ وَ لاَ ازْدِیَادٍ- وَ لاَ عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ- الْمُقَدِّرِ لِجَمِیعِ الْأُمُورِ بِلاَ رَوِیَّهٍ وَ لاَ ضَمِیرٍ- الَّذِی لاَ تَغْشَاهُ الظُّلَمُ وَ لاَ یَسْتَضِیءُ بِالْأَنْوَارِ- وَ لاَ یَرْهَقُهُ لَیْلٌ وَ لاَ یَجْرِی عَلَیْهِ نَهَارٌ- لَیْسَ إِدْرَاکُهُ بِالْإِبْصَارِ وَ لاَ عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ

أقول:حمد اللّه تعالی باعتبارات إضافیّه و سلبیّه:

أولها:العلیّ عن شبه المخلوقین

:أی فی ذاته و صفاته و أفعاله و أقواله،و قد علمت کیفیّه ذلک من غیر مرّه.

الثانی:الغالب لمقال الواصفین

،و ذلک الغلب إشاره إلی تعالیه عن إحاطه الأوصاف به و فوته لها و عدم القدره علی ذلک منه،و قد أشرنا إلی ذلک مرارا.

الثالث:الظاهر بعجائب تدبیره للناظرین

بأعین بصایرهم و أبصارهم.

الرابع:الباطن بجلال عزّته عن فكر المتوهّمين.

و قد مرّ بيان هذين الوصفين و فايده قوله:بجلال عزّته تنزيه بطونه عن الفكر باعتبار جلالته و عزّته عن أن تناله لا باعتبار حقاره و صغر،و إنّما قال:فكر المتوهّمين لأنّ النفس الإنسانيّه حال التفاتها إلى استلاحه الامور العلويّه المجردّه لا بدّ أنّ يستعين بالقوّه المتخيّله بباعث الوهم فى أن تصوّر تلك الامور بصور خياليّه مناسبه لتشبيهها بها و تحطّها إلى الخيال،و قد علمت أنّ الوهم إنّما يدرك ما كان متعلّقا بمحسوس أو متخيّل من المحسوسات فكلّ أمر يتصوّره الإنسان و هو فى هذا العالم سواء كان ذات اللّه سبحانه أو صفاته أو غير ذلك فلا بدّ أن يكون مشوبا بصوره خياليّه أو معلّقا بها و هو تعالى منزّه بجلال عزّته عن تكيّف تلك الفكر له و باطن عنها .

الخامس:العالم المنزّه فى كيفيّه علمه عن اكتساب له بعد جهل أو ازدياد

منه بعد نقصان أو استفاده له عن غير كما عليه علم المخلوقين.

السادس:المقدّر لجميع الامور

:أى الموجد لجميع الامور على وفق قضائه كلاّ بمقدار معلوم تنزّه فيه عن التفكّر و الضمير،و أراد بالضمير ما اضمر من الرويّه .

السابع:الّذى لا تغشاه الظلم،و لا يستضىء بالأنوار

لتنزّهه عن الجسميّه و لواحقها.

الثامن:و لا يرهقه

:أى لا يدركه ليل.و لا يجرى عليه نهار،و ذلك لتنزّهه عن إحاطه الزمان.

التاسع:ليس إدراكه بالأبصار

لتقدّس ذاته عن الحاجه إلى الآله فى الإدراك و غيره.

العاشر:و لا علمه بالأخبار

:أى كما عليه كثير من علومنا لتقدّسه عن حاسّه السمع.و باللّه التوفيق.

القسم الثانی و منها فی ذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

اشاره

أَرْسَلَهُ بِالضِّیَاءِ وَ قَدَّمَهُ فِی الِاصْطِفَاءِ- فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ وَ سَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ- وَ ذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَهَ وَ سَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَهَ- حَتَّی سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ یَمِینٍ وَ شِمَالٍ

اللغه

أقول: المساوره : المواثبه .و سرّح : فرّق .

و قد أشار إلی بعض فضائل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بعض فوایده

استعاره فمن فضائله إرساله بالضیاء ،و لفظ الضیاء مستعار لأنوار الإسلام الهادیه فی سبیل اللّه إلیه ،و منها تقدیمه علی سائر الأنبیاء فی الفضیله و إن کان الکلّ منهم مصطفی،و ذکر من فوایده استعاره بالکنایه کونه رتق به المفاتق ،و کنّی بها عن امور العالم المتفرّقه و تشتّت مصالحه زمان الفتره،و رتقها به کنایه عن نظمها به بعد تفرّقها کنایه بالمستعار ،و منها مجاز کونه ساور به المغالب ،و أسند المساوره إلی اللّه مجازا باعتبار بعثه للنبیّ بالدین عن أمره لمواثبه مغالبه من المشرکین و غیرهم ،و منها کونه ذلّل به الصعوبه:أی صعوبه أهل الجاهلیّه و أعداء دین اللّه، استعاره و منها کونه سهّل به الحزونه :أی حزونه طریق اللّه بهدایته فیها إلی غایه أن سرّح الضلال و الجهل عن یمین النفوس و شمالها،و هو إشاره إلی إلقائه رذیلتی التفریط و الإفراط عن ظهور النفوس کسریح جنبتی الحمل عن ظهر الدابه،و هو من ألطف الاستعارات و أبلغها ،و باللّه التوفیق.

۲۰۵-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

وَ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَ حَکَمٌ فَصَلَ- وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ سَیِّدُ عِبَادِهِ- کُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَیْنِ جَعَلَهُ فِی خَیْرِهِمَا- لَمْ یُسْهِمْ فِیهِ عَاهِرٌ وَ لاَ ضَرَبَ فِیهِ فَاجِرٌ- أَلاَ وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَیْرِ أَهْلاً- وَ لِلْحَقِّ دَعَائِمَ وَ لِلطَّاعَهِ- عِصَماً- وَ إِنَّ

لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَهٍ عَوْناً مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ- يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَهِ وَ يُثَبِّتُ الْأَفْئِدَهَ- فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ وَ شِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ- يَصُونُونَ مَصُونَهُ وَ يُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ- يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلاَيَهِ- وَ يَتَلاَقَوْنَ بِالْمَحَبَّهِ وَ يَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّهٍ- وَ يَصْدُرُونَ بِرِيَّهٍ لاَ تَشُوبُهُمُ الرِّيبَهُ- وَ لاَ تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَهُ- عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَ أَخْلاَقَهُمْ- فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَ بِهِ يَتَوَاصَلُونَ- فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَى فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَ يُلْقَى- قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ وَ هَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَهً بِقَبُولِهَا- وَ لْيَحْذَرْ قَارِعَهً قَبْلَ حُلُولِهَا- وَ لْيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ وَ قَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ- حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً- فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ وَ مَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ- فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ- أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ وَ تَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ- وَ أَصَابَ سَبِيلَ السَّلاَمَهِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ- وَ طَاعَهِ هَادٍ أَمَرَهُ وَ بَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ- وَ تُقْطَعَ أَسْبَابُهُ وَ اسْتَفْتَحَ التَّوْبَهَ وَ أَمَاطَ الْحَوْبَهَ- فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ وَ هُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ

اللغه

أقول: نسخ : أزال و غيّر .و العاهر : الزانى و يصدق على الذكر و الانثى، و كذلك الفاجر .و الكفاء : الكفايه و المكافاه .و الريّه بالكسر : الفعله منه الرى و هى الهيئه الّتى عليها المرتوى .و الريبه الدغل و الغلّ .و التمحيص : الابتلاء و الاختبار .و القارعه : الشديده من شدائد الدهر .و يرديه : يوقعه فى الردى و .

ص:۳۱

أماط : أزال .و الحوبه : الإثم .

المعنی

مجاز من باب إطلاق اسم اللازم علی ملزومه و أطلق لفظ العدل علی العادل مجازا إطلاقا لاسم اللازم علی ملزومه،و الباری تعالی عادل بالنظر إلی علمه و قضائه:أی لا یقضی فی ملکه بأمر إلّا و هو علی وفق النظام الکلّیّ و الحکمه البالغه،و یدخل فی ذلک جمیع أقواله و أفعاله فإنّه لا یصدر منها شیء إلّا و هو کذلک،و أمّا الجزئیّات المعدوده شرورا و صوره جور فی هذا العالم فإنّها إذا اعتبرت کانت شرورا بالنسبه و مع ذلک فهی من لوازم الخیر و العدل لا بدّ منها و لا یمکن أن یکون العدل و الخیر من دونها کما لا یمکن أن یکون الإنسان إنسانا إلّا و هو ذو شهوه و غضب تلزمها الفساد و الشرّ الجزئیّ،و لمّا کان الخیر أکثر و کان ترک الخیر الکثیر لأجل الشرّ القلیل شرّا کثیرا فی الجود و الحکمه وجب وجود تلک الشرور الجزئیّه لوجود ملزوماتها ، و أشار بقوله:عدل إلی إیجاد العدل بالفعل ،و بقوله فی وصف الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:سیّد عباده إلی قوله:أنا سیّد ولد آدم و لا فخر.

و قوله:کلّما نسخ اللّه الخلق فرقتین.

فنسخ الخلق قسمه کلّ قرن و فرقه إلی خیار و أشرار،و القسمه یغیّر للمقسوم و إزاله عن حال إتحاده.

و قوله:جعله فی خیرهما.

إشاره إلی ما روی عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال المطّلب بن أبی وداعه:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:أنا محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطّلب إنّ اللّه خلق الخلق فجعلنی فی خیرهم.ثمّ جعلهم فرقتین فجعلنی فی خیرهم.ثمّ جعلهم قبایل فجعلنی فی خیرهم.ثمّ جعلهم بیوتا فجعلنی فی خیرهم فأنا خیرکم بیتا و خیرکم نفسا .

و قوله:لم یسهم فیه عاهر،و لا ضرب فیه فاجر.

أی لم یضرب فیه العاهر بسهم و لم یکن للفجور فی أصله شرکه یقال:ضرب فی کذا بنصیب إذا کان له فیه شرک،و هو إشاره إلی طهارته من قبل أصله عن الزنا کما روی عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم یزل ینقلنی اللّه تعالی من أصلاب الطاهرین إلی أرحام

الطاهرات،و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:لمّا خلق اللّه آدم أودع نورى فى جبينه فما زال ينقله من الآباء الأخاير إلى الامّهات الطواهر حتّى انتهى إلى عبد المطّلب،و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

ولدت من نكاح لا من سفاح .

و قوله:ألا و إنّ اللّه.إلى قوله:عصما.

ترغيب للسامعين أن يكونوا أهل الجنّه و دعائم الحقّ و عصم الطاعه،و كذلك قوله:و إنّ لكم.إلى قوله:من اللّه.جذب لهم إلى طاعته بذكر العون منه و كأنّه عنّى بالعون القرآن الكريم.

و قوله:يقول على الألسنه،و يثبّت الأفئده.

تفصيل لوجوه العون منه تعالى،و عونه من جهه القول على الألسنه وعده المطيعين بالثواب العظيم على الطاعه،و مدحه لهم،و تبشيرهم بالجنّه و الرضوان منه على ألسنه الرسل فإنّ كلّ ذلك مقوّ على الطاعه و معين عليها،و أمّا تثبيت الأفئده فمن جهه الاستعداد لطاعه اللّه و استلاحه أنواره من كتابه العزيز و استكشاف أسراره كما قال تعالى «أَلا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (1)و قوله «كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤٰادَكَ وَ رَتَّلْنٰاهُ تَرْتِيلاً» (2)و إنّ فى القرآن الكريم من المواعظ و الزواجر المخوّفه ما يوجب الفزع إلى اللّه و تثبت القلوب على طاعته للخلاص منها.

و قوله:فيه كفاء لمكتف.

أى فى ذلك القول كفايه لطالبى الاكتفاء:أى من الكمالات النفسانيّه،و شفاء لمن طلب الشفاء من أمراض الرذائل الموبقه .ثمّ نبّه على عباد اللّه الصالحين و صفاتهم ليقتفوا آثارهم و يكونوا منهم فأعلمهم أنّهم هم الّذين استحفظهم علمه و أسرار خلقه.

فمن صفاتهم امور:

أحدها:أنّهم يصرفون ما وجب صرفه من غير أهله،و لا يضعون أسراره إلاّ فى أهله.

الثانى: استعاره يفجّرون عيونه ،و لفظ العيون مستعار إمّا لمعادنه و هى أذهان

۱- ۱) ۲۸-۱۳.

۲- ۲) ۳۴-۲۵.

الأنبياء و الأولياء و أئمّه العلماء،و إمّا لاصوله الطيّبه و حملته الّتی علموها،و یکون لفظ التفجیر مستعار لإفادتها و تفریقها و تفصیلها.

الثالث:و یتواصلون بالولایه الّتی نصره بعضهم لبعض فی دین اللّه و إقامه ناموس شریعته.

الرابع:و یتلاقون بالمحبّه فیه الّتی هی مطلوب الشارع من شریعته حتّی یصیروا کنفس واحده.

الخامس: استعاره مرشحه و یتساقون بکأس رویّه .و استعار لفظ الکأس للعلم:أی تستفید بعضهم من بعض.و رشّح بذکر الرویّه،و أراد بها تمام الإفاده.

السادس: استعاره و یصدرون بریّه :أی یصدر کلّ منهم عن الآخر بفایده قد ملأت نفسه کمالا.و لفظ الریّه مستعار.

السابع :کونهم لا تشوبهم الریبه:أی لا یتداخل بعضهم شکّ فی بعض،و لا یهمّه بنفاق أو بسوء باطن له من غلّ أو حسد.

الثامن:و لا تسرع فیهم الغیبه.و إنّما نفی عنهم سرعه الغیبه لأنّ فیهم من لیس بمعصوم فلم یکن نفیها عنهم بالکلّیّه بل استبعد وقوعها منهم،و یحتمل أن یرید أنّهم لقلّه عیوبهم لا یکاد أحد یتسرّع فیهم بغیبه.

التاسع:کونهم علی ذلک عقد اللّه خلقهم:أی علی ذلک الوصف و الکمال قد خلقهم علی وفق قضائه لهم بذلک و أوجدهم.فعلیه:أی فعلی ما عقد خلقهم علیه من الکمال یتحابّون،و به یتواصلون.

العاشر: تشبیه کونهم فی ذلک کتفاضل البذر .أی فکانوا فی فضلهم بالقیاس إلی الناس کتفاضل البذر،و أشار إلی وجه الشبه بقوله:ینتقی.إلی قوله:التمحیص، و تقریره أنّهم خلاصه الناس و نقاوتهم الّذین صفاهم منهم و میّزهم عنهم تخلیص عنایه اللّه لهم بإفاضه رحمته و هدایته إلی طریقه،و خلّصهم ابتلاؤه و اختباره بأوامره.

و قوله :فلیقبل امرء کرامه بقبولها.إلی آخره.

عود إلی النصیحه و الموعظه،و أراد کرامه اللّه بطاعته و ما استلزمه من

المواهب الجليله،و أراد بقبولها قبولها الحقّ التامّ على الوجه الّذى ينبغى من مراعاه مصلحتها و مراقبتها عن آثار النفاق كما قال تعالى «فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ» (۱)و بالقارعه الّتى حذّر منها قبل حلولها قارعه الموت.ثمّ أمر أن يعتبر المرء قصر أيّام حياته و قلّه مقامه فى منزل يستلزم الإقامه القليله فيه هذه العنايه و هى أن يستبدل به منزلا آخر:أى يحلّ محلّ عبرته إقامته القصيره فى الدنيا المستلزمه لانتقاله منها إلى الآخره فإنّ فى تصوّره قلّه المقام فى هذا المنزل للعبور إلى منزل آخر عبره تامّه،و يحتمل أن تكون حتّى غايه من أمره بالنظر فى الاعتبار:

أى فلينظر فى ذلك المنزل يستبدل به غيره،و إذا كان كذلك فينبغى أن يعمل لذلك المنزل المتحوّل إليه،و لمعارف منتقله:أى لمواضع الّتى يعرف انتقاله إليها .و طوبى فعلى من الطيب قلّبوا ياءها واو للضمّه قبلها،و قيل:هى اسم شجره فى الجنّه، و قلب سليم:أى لم يتدنّس برذيله الجهل المركّب و لا بنجاسات الأخلاق الرديئه، و من يهديه إشاره إلى نفسه عليه السّلام و أئمّه الدين،و من يرديه فى مهاوى الهلاك المنافقون و أئمّه الضلاله،و إصابته لسبيل السلامه وقوفه على سبيل اللّه عند حدوده بهدايه من هداه و طاعته لها و أمره بسلوكها، استعاره مرشحه و مبادرته للهدى مسارعته إليه قبل غلق أبوابه ،و استعار لفظ الأبواب له و لأئمّه الدين من قبله،و رشّح بذكر الغلق و أراد به عدمهم أو موت الطالب،و كذلك استعار لفظ الأسباب لهم،و وجه الاستعاره كونهم وصلا إلى المراد كالجبال،و رشّح بذكر القطع و أراد به أيضا موتهم، و استفتاح التوبه استقبالها و الشروع فيها،و إماطه الحوبه إزاله الإثم عن لوح نفسه بتوبته .

و قوله:فقد اقيم.إلى آخره.

إشعار منه بإقامه أعلام اللّه و هم العلماء و الكتاب المنزل و السنّه النبويّه و الهدايه بها إلى واضح سبيله ليقتدى الناس بها و يسلكوا على بصيره.و باللّه التوفيق و العصمه.

ص:۳۵

۱- ۱) ۳-۴۲.

۲۰۶-و من دعائه له علیه السّلام

اشاره

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی» لَمْ یُصْبِحْ بِی مَیِّتاً وَ لاَ سَقِیماً- وَ لاَ مَضْرُوباً عَلَی عُرُوقِی بِسُوءٍ- وَ لاَ مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِی وَ لاَ مَقْطُوعاً دَابِرِی- وَ لاَ مُرْتَدّاً عَنْ دِینِی وَ لاَ مُنْکِراً لِرَبِّی- وَ لاَ مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِیمَانِی وَ لاَ مُلْتَبِساً عَقْلِی- وَ لاَ مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِی- أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوکاً ظَالِماً لِنَفْسِی- لَکَ الْحُجَّهُ عَلَیَّ وَ لاَ حُجَّهَ لِی- وَ لاَ أَسْتَطِیعُ أَنْ آخُذَ إِلاَّ مَا أَعْطَیْتَنِی- وَ لاَ أَتَّقِیَ إِلاَّ مَا وَقَیْتَنِی- اللَّهُمَّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِی غِنَاکَ- أَوْ أَضِلَّ فِی هُدَاکَ أَوْ أُضَامَ فِی سُلْطَانِکَ- أَوْ أُضْطَهَدَ وَ الْأَمْرُ لَکَ- اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِی أَوَّلَ کَرِیمَهٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ کَرَائِمِی- وَ أَوَّلَ وَدِیعَهٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِکَ عِنْدِی- اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِکَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِکَ- أَوْ أَنْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِینِکَ- أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَی الَّذِی جَاءَ مِنْ عِنْدِکَ

اللغه

أقول: الدابر : بقیّه الرجل و ولده و نسله .و الدابر : الظهر .و الالتباس:

الاختلاط .و اضطهد : أظلم .و التتابع : التهافت فی الشرّ و إلقاء النفس فیه .

المعنی

و قد حمد اللّه تعالی باعتبار ضروب من النعم اعترف بها و عدّ منها عشره:و هی الحیاه،و الصحّه،و السلامه من آفات العروق و أمراضها.و من الأخذ بالجریمه.

ص:۳۶

و قطع النسل،و يحتمل أن يريد بالدابر الظهر،و كنّى بالقطع عن الرمى بالدواهى العظيمه الّتى من شأنها قصم الظهر و قطع القوّة.ثمّ عن الارتداد.ثمّ عن جحود ربوبيّه اللّه.ثمّ عن الاستيحاش من الإيمان استثقاله و النفره عنه.ثمّ من اختلاط العقل.

ثمّ من التعذيب بعذاب الامم السالفه بالصواعق و الخسف و نحوها .و عقّب ذلك الحمد بالإقرار على نفسه و صفات الخضوع و الذلّه المستلزمه لاستنزال الرحمه و عدّ منها خمسه:و هى كونه عبدا مملوكا للّه تعالى.ثمّ كونه ظالما لنفسه.ثمّ كونه معترفا بحجّه اللّه عليه مقطوع الحجّه فى نفسه.ثمّ كونه معترفا بعدم استطاعه أن يأخذ إلاّ ما قسّم اللّه له و سبّب له الوصول إليه،و أنّه لا يقدر أن يتّقى من المضارّ إلاّ ما وقاه اللّه إيّاه .ثمّ لمّا أعدّ نفسه بهذه الإقرارات بقبول الرحمه من اللّه استعاذ به من اموره:و هى أن يفتقر فى غناه تعالى:أى أن يفتقر مع أنّه الغنىّ المطلق،و أن يضلّ فى هداه:أى مع أنّ له الهدى الّذى لا اختلال معه، و أن يظلم فى سلطانه:أى مع أنّ له السلطان الظاهر،و أن يضطهد و له الأمر القاهر .

ثمّ سأله أن يجعل نفسه أوّل كريمه ينتزعها من كرائمه.و أراد بكرائمه قواه النفسانيّه و البدنيّه و أعضاه،و غرض السؤال تمتّعه بجميعها سليمه من الآفات إلى حين الممات فتكون نفسه أوّل منتزع من كرائمه قبل أن يفقد شىء منها.و نحوه قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:اللّهمّ متّعنى بسمعى و بصرى و اجعلهما الوارث منى:أى اجعلهما باقيين صحيحين إلى حين وفاتى. استعاره و استعار لفظ الوديعه للنفس باعتبار أنّها فى معرض الاسترجاع كالوديعه .ثمّ استعاذ به من الذهاب عن قوله تعالى:و الافتنان عن دينه.و قد روى الرضى-رضوان اللّه عليه-يفتتن بالبناء للفاعل على أن يكون الفتنه من النفس الأمّاره.و روى و يفتتن بالبناء للمفعول فيكون المستعار منه الفتنه بالغير.ثمّ من الانخراط فى سلك الأهواء و تتابعها به فى مرامى الشقاوه دون الهدى الّذى جاءت به الكتب الإلهيّه من عند اللّه.و باللّه التوفيق.

ص:٣٧

۲۰۷–و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

خطبها بصفین

أَمَّا بَعْدُ- فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِی عَلَیْکُمْ حَقّاً بِوِلاَیَهِ أَمْرِکُمْ- وَ لَکُمْ عَلَیَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِی لِی عَلَیْکُمْ- فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْیَاءِ فِی التَّوَاصُفِ- وَ أَضْیَقُهَا فِی التَّنَاصُفِ- لاَ یَجْرِی لِأَحَدٍ إِلاَّ جَرَی عَلَیْهِ- وَ لاَ یَجْرِی عَلَیْهِ إِلاَّ جَرَی لَهُ- وَ لَوْ کَانَ لِأَحَدٍ أَنْ یَجْرِیَ لَهُ وَ لاَ یَجْرِیَ عَلَیْهِ- لَکَانَ ذَلِکَ خَالِصاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ- لِقُدْرَتِهِ عَلَی عِبَادِهِ- وَ لِعَدْلِهِ فِی کُلِّ مَا جَرَتْ عَلَیْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ- وَ لَکِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَی الْعِبَادِ أَنْ یُطِیعُوهُ- وَ جَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَیْهِ مُضَاعَفَهَ الثَّوَابِ- تَفَضُّلاً مِنْهُ وَ تَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِیدِ أَهْلُهُ ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً- افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَی بَعْضٍ- فَجَعَلَهَا تَتَکَافَأُ فِی وُجُوهِهَا- وَ یُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً- وَ لاَ یُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ-.وَ أَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْکَ الْحُقُوقِ- حَقُّ الْوَالِی عَلَی الرَّعِیَّهِ وَ حَقُّ الرَّعِیَّهِ عَلَی الْوَالِی- فَرِیضَهٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِکُلٍّ عَلَی کُلٍّ- فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَ عِزّاً لِدِینِهِمْ- فَلَیْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِیَّهُ إِلاَّ بِصَلاَحِ الْوُلاَهِ- وَ لاَ تَصْلُحُ الْوُلاَهُ إِلاَّ بِاسْتِقَامَهِ الرَّعِیَّهِ- فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِیَّهُ إِلَی الْوَالِی

ص:۳۸

حَقَّهُ- وَ أَدَّى الْوَالِی إِلَیْهَا حَقَّهَا- عَزَّ الْحَقُّ بَیْنَهُمْ وَ قَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّینِ- وَ اعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَ جَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ- فَصَلَحَ بِذَلِکَ الزَّمَانُ- وَ طُمِعَ فِی بَقَاءِ الدَّوْلَهِ وَ یَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ-.وَ إِذَا غَلَبَتِ الرَّعِیَّهُ وَالِیَهَا- أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِی بِرَعِیَّتِهِ- اخْتَلَفَتْ هُنَالِکَ الْکَلِمَهُ- وَ ظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَ کَثُرَ الْإِدْغَالُ فِی الدِّینِ- وَ تُرِکَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَى- وَ عُطِّلَتِ الْأَحْکَامُ وَ کَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ- فَلَا یُسْتَوْحَشُ لِعَظِیمِ حَقٍّ عُطِّلَ- وَ لَا لِعَظِیمِ بَاطِلٍ فُعِلَ- فَهُنَالِکَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ وَ تَعِزُّ الْأَشْرَارُ- وَ تَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ عِنْدَ الْعِبَادِ-.فَعَلَیْکُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِی ذَلِکَ وَ حُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَیْهِ- فَلَیْسَ أَحَدٌ وَ إِنِ اشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ حِرْصُهُ- وَ طَالَ فِی الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ- بِبَالِغٍ حَقِیقَهَ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَهِ لَهُ- وَ لَکِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ- النَّصِیحَهُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ- وَ التَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَهِ الْحَقِّ بَیْنَهُمْ- وَ لَیْسَ امْرُؤٌ وَ إِنْ عَظُمَتْ فِی الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ- وَ تَقَدَّمَتْ فِی الدِّینِ فَضِیلَتُهُ- بِفَوْقِ أَنْ یُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ- وَ لَا امْرُؤٌ وَ إِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ- وَ اقْتَحَمَتْهُ الْعُیُونُ- بِدُونِ أَنْ یُعِینَ عَلَى ذَلِکَ أَوْ یُعَانَ عَلَیْهِ فَأَجَابَهُ ع رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ- بِکَلَامٍ طَوِیلٍ یُکْثِرُ فِیهِ الثَّنَاءَ عَلَیْهِ-

وَ یَذْکُرُ سَمْعَهُ وَ طَاعَتَهُ لَهُ فَقَالَ ع إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِی نَفْسِهِ- وَ جَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ- أَنْ یَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِکَ کُلُّ مَا سِوَاهُ- وَ إِنَّ أَحَقَّ مَنْ کَانَ کَذَلِکَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَهُ اللَّهِ عَلَیْهِ- وَ لَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَیْهِ فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَهُ اللَّهِ عَلَی أَحَدٍ- إِلاَّ ازْدَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَیْهِ عِظَماً- وَ إِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاَتِ الْوُلاَهِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ- أَنْ یُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ- وَ یُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَی الْکِبْرِ- وَ قَدْ کَرِهْتُ أَنْ یَکُونَ جَالَ فِی ظَنِّکُمْ أَنِّی أُحِبُّ الْإِطْرَاءَ- وَ اسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ وَ لَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ کَذَلِکَ- وَ لَوْ کُنْتُ أُحِبُّ أَنْ یُقَالَ ذَلِکَ- لَتَرَکْتُهُ انْحِطَاطاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ- عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَهِ وَ الْکِبْرِیَاءِ- وَ رُبَّمَا اسْتَحْلَی النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاَءِ- فَلاَ تُثْنُوا عَلَیَّ بِجَمِیلِ ثَنَاءٍ- لِإِخْرَاجِی نَفْسِی إِلَی اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ إِلَیْکُمْ مِنَ التَّقِیَّهِ- فِی حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وَ فَرَائِضَ لاَ بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا- فَلاَ تُکَلِّمُونِی بِمَا تُکَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَهُ- وَ لاَ تَتَحَفَّظُوا مِنِّی بِمَا یُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَهِ- وَ لاَ تُخَالِطُونِی بِالْمُصَانَعَهِ وَ لاَ تَظُنُّوا بِی اسْتِثْقَالاً فِی حَقٍّ قِیلَ لِی- وَ لاَ الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِی- فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ یُقَالَ لَهُ- أَوِ الْعَدْلَ أَنْ یُعْرَضَ عَلَیْهِ کَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَیْهِ- فَلاَ تَکُفُّوا عَنْ مَقَالَهٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَهٍ بِعَدْلٍ-

فَإِنِّی لَسْتُ فِی نَفْسِی بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ- وَ لاَ آمَنُ ذَلِکَ مِنْ فِعْلِی- إِلاَّ أَنْ یَکْفِیَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِی مَا هُوَ أَمْلَکُ بِهِ مِنِّی- فَإِنَّمَا أَنَا وَ أَنْتُمْ عَبِیدٌ مَمْلُوکُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَیْرُهُ- یَمْلِکُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِکُ مِنْ أَنْفُسِنَا- وَ أَخْرَجَنَا مِمَّا کُنَّا فِیهِ إِلَی مَا صَلَحْنَا عَلَیْهِ- فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَهِ بِالْهُدَی وَ أَعْطَانَا الْبَصِیرَهَ بَعْدَ الْعَمَی

اللغه

أقول: أذلالها : وجوهها و طرقها .و أجحف بهم : ذهب بأصلهم .و الإدغال:

الإفساد .و اقتحمته : دخلت فيه بالاحتقاد و الازدراد .و أسخف : أضعف و أصغر .و البادره : الحدّه .

و غرض الفصل جمع كلمتهم و اتّفاقهم على أوامره

فأشار أوّلا إلى أنّ لكلّ

منه و منهم على الآخر حقّ يجب أن يخرج إليه منه

فحقّه عليهم هو حقّ ولايته لأمرهم،و حقّهم عليه حقّ الرعيّه على الوالى،و هو مثله فى وجوب مراعاته و فى استلزامه اللوازم الّتى سيذكرها .

و قوله: فالحقّ أوسع .إلى قوله: قضائه .

تقرير لوجوب حقّه عليهم،و كالتوبيخ لهم على قلّه الإنصاف فيه.و معناه أنّه إذا أخذ الناس فى وصف الحقّ و بيانه كان له فى ذلك مجال واسع لسهولته على ألسنتهم،و إذا حضر الناصف بينهم و طلب منهم ضاق عليهم المجال لشدّه العمل بالحقّ و صعوبه الانصاف لاستلزامه ترك بعض المطالب المحبوبه لهم، استعاره و إطلاق السعه و الضيق على الحقّ استعاره ملاحظه لتشبيه ما يتوهّم فيه من اتّساعه للقول و ضيقه عن العمل بالمكان الّذى يتّسع لشىء أو يضيق عمّا هو أعظم منه.

و قوله:لا يجرى لأحد إلاّ جرى عليه.

تقرير للحقّ عليهم و توطين لنفوسهم عليه،و لا يجرى عليه إلاّ جرى له تسكين لنفوسهم بذكر الحقّ لهم.ثمّ أعاد تقرير الحقّ عليهم بحجّه فى صوره

متّصله،و هی لو کان لأحد أن یجری له الحقّ و لا یجری علیه لکان اللّه تعالی هو الأولی بخلوص ذلک له دون خلقه.ثمّ بیّن الملازمه بقوله:لقدرته.إلی قوله:

صروف قضائه:أی لکونه قادرا علی عباده و علی الانتصاف منهم مع کونه لا یستحقّ علیه شیء لهم لعدله فیهم فی کلّ ما جرت به مقادیره الّتی هی صروف قضائه فکان أولی بخلوص ذلک دونهم،و بیّن استثناء نقیض التالی باستثناء ملزومه و هو قوله :و لکنّه تعالی جعل.إلی قوله:أهله،و معناه لکنّه تعالی جعل لنفسه علی عباده حقّا هو طاعتهم له لیثبت لهم بذلک حقّا یکون جزاء طاعتهم له فقد ثبت أنّه لم یخلص ذلک للّه تعالی بل کما أوجب علی عباده حقّا له أوجب لهم علی نفسه بذلک حقّا.فإذن لا یجری لأحد حقّ إلاّ جری علیه و هو نقیض المقدّم،و فی قوله:

مضاعفه الثواب.إلی قوله:أهله تنبیه لهم علی أنّ الحقّ الّذی أوجبه علی نفسه أعظم ممّا أوجب لها مع أنّه لیس بحقّ وجب علیه بل بفضل منه علیهم ممّا هو أهله من مزید النعمه لیتخلّقوا بأخلاق اللّه فی أداء ما وجب علیهم من الحقّ بأفضل وجوهه و یقابلوا ذلک التفضّل بمزید الشکر،و تلک المضاعفه کما فی قوله تعالی «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» (1)و نحوه.

و قوله :ثمّ جعل سبحانه.إلی قوله:ببعض.

کالمقدّمه لما یرید أن یتبه من کون حقّه علیهم واجبا من قبل اللّه تعالی و هو حقّ من حقوقه لیکون أدعی لهم إلی أدائه.و بیّن فیها أنّ حقوق الخلق بعضهم علی بعض من حقّ اللّه تعالی من حیث إنّ حقّه علی عباده هو الطاعه،و أداء تلک الحقوق طاعات للّه کحقّ الوالد علی ولده و بالعکس،و حقّ الزوج علی الزوجه،و حقّ الوالی علی الرعیّه و بالعکس.

و قوله:فجعلها تتکافأ فی وجوهها.

أی جعل کلّ وجه من تلک الحقوق مقابلا لمثله فحقّ الوالی و هو الطاعه من الرعیّه مقابل لمثله منه و هو العدل فیهم و حسن السیره،و لا یستوجب کلّ من

1- 1) 161-6.

الحقّين إلاّ بالآخر .ثمّ قال:و أعظم ما افترض اللّه من تلك الحقوق حقّ الوالى على الرعيّه و حقّ الرعيّه على الوالى لأنّ هذين الحقّين أمرين كلّيّين تدور عليها أكثر المصالح فى المعاش و المعاد،و أكّد ذلك بقوله:فريضه فرضها اللّه سبحانه لكلّ على كلّ:أى ذلك فريضه.

و قوله:فجعلها نظاما.إلى قوله:عند العباد.

إشاره إلى لوازم حقّ الوالى على الرعيّه و حقّ الرعيّه على الوالى:

(ا)إنّ اللّه تعالى جعل تلك الحقوق سببا لالفتهم إن أدّى كلّ إلى كلّ حقّه،و قد بيّنا فيما سلف غير مرّه أنّ الفتهم من أعزّ مطالب الشارع،و أنّها مطلوبه من اجتماع الخلق على الصلاه فى المساجد:فى كلّ يوم خمس مرّات،و فى كلّ اسبوع مرّه فى الجمعه،و فى كلّ سنه مرّتين فى الأعياد.و التناصف و الاجتماع فى طاعه الإمام العادل من موجبات الانس و الالفه و المحبّه فى اللّه حتّى يكون الناس كلّهم كرجل واحد عالم بما يصلحه و متّبع له و بما يفسده و مجتنب عنه.

(ب)أنّه جعل تلك الحقوق عزّا لدينهم،و ظاهر أنّ الاجتماع إذا كان سببا للالفه و المحبّه كان سببا عظيما للقوّه و لقهر الأعداء و إعزاز الدين .ثمّ أكّد القول فى أنّ صلاح الرعيّه منوط بصلاح الولاه،و هو أمر قد شهدت به العقول و توافقت عليه الآراء الحقّه،و إليه أشار القائل:تهدى الرعيّه ما استقام الرئيس.

و قول الآخر:

تهدى الامور بأهل الرأى ما صلحت فإن تولّت فبا لأشرار تنقاد

و كذلك صلاح حال الولاه منوط بصلاح الرعيّه و استقامتهم فى طاعتهم،و فساد أحوالهم بعصيانهم و مخالفتهم .فإذا أدّى كلّ من الوالى و الرعيّه الحقّ إلى صاحبه عزّ الحقّ بينهم و لم يكن له مخالف.

(ج)من لوازم ذلك قيام مناهج الدين و طرقه بالاستقامه على قوانينه و العمل بها.

(د)و اعتدال معالم العدل و مظانّه بحيث لاجور فيها.

(ه)و جریان السنن علی وجوهها و مسالکها بحیث لا تحریف فیها.

(و) مجاز صلاح الزمان بذلک .و نسبه الصلاح إلیه مجاز.إذ الصلاح فی الحقیقه یعود إلی حال أهل الزمان و انتظام امورهم فی معاشهم و معادهم،و إنّما یوصف بالصلاح و الفساد باعتبار وقوعهما فیه و کونه من الأسباب المعدّه لهما.

(ز)من لوازم ذلک الطمع فی بقاء الدوله و یأس مطامع الأعداء فی فسادها و هدمها.

و قوله :فإذا غلبت.إلی قوله:عند العباد.

إشاره إلی ما یلزم عصیان الرعیّه للإمام أو حیفه هو علیهم و إجحافه بهم فی الفساد:

(ا) کنایه اختلاف الکلمه ،و کنّی به عن اختلاف الآراء و التفرّق بسببه.

(ب)ظهور معالم الجور و علاماته،و هو ظاهر لعدم العدل بعدم أسبابه.

(ج)کثره الفساد فی الدین،و ذلک لتبدّد الأهواء و تفّرقها عن رأی الإمام العادل الجامع لها،و أخذ کلّ فیما یشتهیه ممّا هو مفسد للدین و مخالف له.

(د)ترک محاجّ السنن و طرقها.فمن الإمام لجوره،و من الرعیّه لتبدّد نظام آرائها.

(ه)العمل بالهوی.و علّته ما مرّ.

(و)تعطیل الأحکام الشرعیّه،و هو لازم للعمل بالهوی.

(ز)و کثره علل النفوس،و عللها أمراضها بملکات السوء کالغلّ و الحسد و العداوات و العجب و الکبر و نحوها،و قیل:عللها وجوه ارتکابها للمنکرات فیأتی فی کلّ منکر بوجه و علّه و رأی فاسد.

(ح)فلا یستوحش بعظیم حقّ عطّل،و ذلک للانس بتعطیله،و لا بعظیم باطل فعل،و ذلک لاعتیاده و الاتّفاق علیه و کونه مقتضی الأهویه.

(ط)فهنالک تذلّ الأبرار لذلّه الحقّ المعطّل الّذی هم أهله و کان غیرهم بغیره.

ص:۴۴

(ی)و تعزّ الأشرار لعزّه الباطل الّذی هم علیه بعد ذلّهم بعزّه الحقّ.

(یا)و تعظم تبعات اللّه علی العباد:أی عقوباته بسبب خروجهم عن طاعته.و لمّا بیّن لوازم طاعته و عصیانه قال :فعلیکم بالتناصح فی ذلک:أی فی ذلک الحقّ، و حسن التعاون علیه.

و قوله:فلیس أحد.إلی قوله:من الطاعه له.

تأکید لأمره بالمبالغه فی طاعه اللّه:أی قلیل من الناس یبلغ بطاعته للّه تعالی ما هو أهله منها و إن اشتدّ حرصه علی إرضائها بالعمل و طال فیه اجتهاده ،و لکن علی العباد من ذلک مبلغ جهدهم فی النصیحه و التعاون علی إقامه حقّ اللّه بینهم بقدر الإمکان لا بقدر ما یستحقّه هو تعالی فإنّ ذلک غیر ممکن.

و قوله :و لیس امرؤ و إن عظمت.إلی قوله:حمّله اللّه تعالی من حقّه.

أی أنّه و إن بلغ المرء أیّ درجه کانت من طاعه اللّه فهو محتاج إلی أن یعان علیها،و لیس هو بأرفع من أن یعان علی ما حمّله اللّه منها،و ذلک أنّ تکلیف اللّه تعالی بطاعته بحسب وسع المکلّف،و الوسع فی بعض العبادات قد یکون مشروطا بمعونه الغیر فیها فلا یستغنی أحد منها.

و قوله:و لا امرء و إن صغّرته النفوس.إلی قوله:أو یعان علیه.

إشاره إلی أنّه لا ینبغی أن یزدری أحد عن الاستعانه فی طاعه اللّه أو أن یعان

علیها

فإنّه و إن احتقرته النفوس فلیس بدون أن یعین علی طاعه اللّه و أداء حقّه و لو بقبول الصدقات و نحوها أو تعاونوا علیها بإعطاء ما یسدّ خلّتهم أو یدفع عنهم ضررا کالجاه، استعاره و لفظ الاقتحام استعاره،و وجهها أنّ الّذی تحتقره النفوس تجبّرا علیه و تعبره العیون عبور الاحتقار فکأنّها قد اقتحمته .و غرض هذا الکلام الحثّ علی استعانه بعض ببعض و علی الالفه و الاتّحاد فی الدین،و أن لا یزدری فقیر لفقره و لا ضعیف لضعفه،و أن لا یستغنی غنیّ عن فقیر فلا یلتفت إلیه و لا قویّ عن ضعیف فیحتقره بل أن یکون الکلّ کنفس واحده.و أمّا قوله لمن أکثر علیه الثناء فحاصله التأدیب علی الإطراء أو النهی عن الغلوّ فی الثناء علی الإنسان فی وجهه

بالفضائل و إن كانت حقّه،و سرّه أنّ ذلک یستلزم فی کثیر من الناس الکبر و العجب بالنفس و العمل.

فقوله :إنّ من حقّ من عظم.إلی قوله:إحسانه إلیه.

مقدّمه فی الجواب بیّن فیها أنّ من عظمت نعمه اللّه علیه و لطف إحسانه إلیه فحقّه أن یصغر عنده کلّ ما سواه بقیاس من الشکل الأوّل،و تقدیر صغراه أنّ من عظمت نعم اللّه علیه و لطف إحسانه إلیه فهو أحقّ الناس بتعظیم جلال اللّه فی نفسه و إجلال موضعه من قلبه،و تقدیر کبراه و کلّ من کان أحقّ بذلک فمن حقّه أن یصغر کلّ ما سواه عنده،و دلّ علی الکبری بقوله:لعظم ذلک:أی لعظم جلال اللّه فی قلبه یجب أن یصغر عنده کلّ شیء سواه،و هذه المقدّمه و إن کانت عامّه إلاّ أنّ الإشاره الحاضره بها إلی نفسه،و ذلک أنّ أعظم نعمه اللّه فی الدنیا خلافه المسلمین،و فی الآخره ما هو علیه من الکمالات النفسانیّه فکان أحقّ الناس بتعظیم جلال اللّه فی نفسه،و کان بذلک من حقّه أن یصغر کلّ ما سوی اللّه فی قلبه .ثمّ قال:و من أسخف حالات الولات.إلی قوله:و الکبریاء.فکأنّه قال:و من کان من حقّه أن یصغر کلّ ما سوی اللّه فی قلبه فکیف یلیق به أن یحبّ الفخر أو یصنع أمره علی الکبر الذین لا یلیقان إلاّ بعظمه اللّه،أو یظنّ به ذلک و یعامل بما یعامل به الجبابره من الخطاب به،و صرّح بأنّ المراد نفسه فی قوله :و قد کرهت،إلی آخره.

و قوله:و لو کنت احبّ أن یقال فیّ ذلک.

یجری مجری تسلیم الجدل:أی وهب إنّی احبّ أن یقال ذلک فیّ باعتبار ما فیه اللذّه لکنّی لو کنت کذلک لترکته باعتبار آخر،و هو الانحطاط و التصاغر عن تناول ما هو اللّه أحقّ به من العظمه و الکبریاء،و نبّه فی ذلک علی أنّ الإطراء یستلزم التکبّر و التعظیم فکان ترکه له و کراهته لکونه مستلزما لهما.

و قوله :و ربّما استحلی الناس الثناء بعد البلاء.

یجری مجری تمهید العذر لمن أثنی علیه فکأنّه یقول:و أنت معذور فی

ذلک حیث رأیتنی اجاهد فی اللّه و أحثّ الناس علی ذلک،و من عاده الناس أن یستحلوا الثناء عند أن یبلوا بلاء حسنا فی جهاد أو غیره من سایر الطاعات.ثمّ أجاب عن هذا العذر فی نفسه بقوله:فلا تثنوا علیّ بجمیل ثناء،إلی قوله:من إمضائها، و أراد فلا تثنوا علیّ لأجل ما ترونه منّی من طاعه اللّه فإنّ ذلک إنّما هو إخراج لنفسی إلی اللّه من الحقوق الباقیه علیّ لم أفرغ بعد من أدائها و هی حقوق نعمه،و من فرائضه الّتی لا بدّ من المضی فیها،و کذلک إلیکم من الحقوق الّتی أوجبها اللّه علیّ لکم من النصیحه فی الدین و الارشاد إلی الطریق الأقصد و التعلیم لکیفیّه سلوکه،و فی خطّ الرضی-رحمه اللّه-من التقیّه بالتاء،و المعنی فإنّ الّذی أفعله من طاعه اللّه إنّما هو إخراج لنفسی إلی اللّه و إلیکم من تقیّه الحقّ فیما یجب علیّ من الحقوق إذ کان علیه السّلام إنّما یعبد اللّه للّه غیر ملتفت فی شیء من عبادته و أداء واجب حقّه إلی أحد سواء خوفا منه أو رغبه إلیه،و کأنّه قال:لم أفعل شیئا إلاّ و هو ذا حقّ وجب علیّ و إذا کان کذلک فکیف أستحقّ أن یثنی علیّ لأجله بثناء جمیل و اقابل بهذا التعظیم،و هو من باب التواضع للّه و تعلیم کیفیّته و کسر النفس عن محبّه الباطل و المیل إلیه.

و قوله :فلا تکلّمونی.إلی قوله:بعدل.

إرشاد لهم إلی ما ینبغی أن یکونوا علیه من السیره عنده و نهاهم من امور:

(ا)أن لا یکلّموه بکلام الجبابره لما فیه من إغراء النفس،و لأنّه علیه السّلام لیس بجبّار فیکون ذلک منهم وصفا للشیء فی غیر موضعه.

(ب)أن لا یتحفّظوا منه بما یتحفّظ به عند أهل البادره و سرعه الغضب من الملوک و غیرهم،و ذلک التحفّظ کتکلّف ترک المساوره و الحدیث إجلالا و خوفا منه أو کترک مشاورته أو إعلامه ببعض الامور أو کالقیام بین یدیه فإنّ ذلک التحفّظ قد یفوت به مصالح کثیره،و لأنّه ممّا یغری النفس بحبّ الفخر و العجب،و لأنّه وضع للشیء فی غیر موضعه.

(ج)أن لا تخالطوه بالمصانعه و النفاق لما فیه من فساد الدین و الدنیا.

(د) استعاره أن لا يظنّوا به استثقالا لحقّ يقال له و إن كان فيه مراره ،و استعار لفظ المرار لشدّه الحقّ و صعوبته فإنّ عدله عليه السّلام و ما يستلزمه من قبول الحقّ كيف كان يرشد إلى أن لا يظنّوا به أنّه يلتمس الإعظام لنفسه،و ذلك لمعرفته بمن هو أهله دونه و هو اللّه تعالى.

و قوله:فإنّه من استثقل.إلى قوله:أثقل.

قياس ضمير من الشكل الثانى بيّن فيه أنّه لا يستثقل قول الحقّ له و عرض العدل عليه ليزول ظنّ من ظنّ ذلك به،و المذكور هو صغرى القياس و تلخيصها أنّ من استثقل قول الحقّ له و عرض العدل عليه كان العمل الحقّ و العدل عليه ثقيلا بطريق أولى،و تقدير الكبرى و لا شىء من العمل بهما بثقيل علىّ أمّا الصغرى فظاهره لأنّ تكلّف فعل الحقّ أصعب على النفس من سماع وصفه،و أمّا الكبرى فلأنّه عليه السّلام يعمل بهما من غير تكلّف و استثقال كما هو المعلوم من حاله فينتج أنّه لا شىء من قول الحقّ له و عرض العدل عليه بثقيل.

(ه)أن لا يكفّوا عن قول حقّ و مشوره بعدل لما فى الكفّ عن ذلك من المفسده.

و قوله:فإنّى لست.إلى قوله:منّى.

من قبيل التواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ،و فى قوله:

إلاّ أن يكفى اللّه من نفسى:أى من نفسى الأمّاره بالسوء ما هو أقوى منّى على دفعه و كفايته من شرورها،و هو إسناد العصمه إلى اللّه تعالى.

و قوله :فإنّما أنا و أنتم.إلى آخر.

تأديب فى الانقياد للّه و تذليل لعظمته،و ظاهر كونه تعالى يملك من أنفسنا و ميولها و خواطرها.إذ الكلّ منه و هو مبدء فيضه و الاستعداد له.

و قوله:و أخرجنا ممّا كنّا فيه.

أى من الضلاله فى الجاهليّه و عمى الجهل فيها عن إدراك الحقّ و سلوك

سبیل اللّه إلی ما صلحنا علیه:أی من الهدی بسبیل اللّه و البصیره لما ینبغی من مصالح الدارین،و ذلک ببعثه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ظهور نور النبوّه عنه.

۲۰۸-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

اَللَّهُمَّ إِنِّی أَسْتَعْدِیکَ عَلَی؟قُرَیْشٍ؟ وَ مَنْ أَعَانَهُمْ- فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِی وَ أَکْفَئُوا إِنَائِی- وَ أَجْمَعُوا عَلَی مُنَازَعَتِی حَقّاً کُنْتُ أَوْلَی بِهِ مِنْ غَیْرِی- وَ قَالُوا أَلاَ- إِنَّ فِی الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ- وَ فِی الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً- فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَیْسَ لِی رَافِدٌ وَ لاَ ذَابٌّ وَ لاَ مُسَاعِدٌ- إِلاَّ أَهْلَ بَیْتِی فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِیَّهِ- فَأَغْضَیْتُ عَلَی الْقَذَی وَ جَرِعْتُ رِیقِی عَلَی الشَّجَا- وَ صَبَرْتُ مِنْ کَظْمِ الْغَیْظِ عَلَی أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ- وَ آلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ قال الرضی:و قد مضی هذا الکلام فی أثناء خطبه متقدمه إلا أنی کررته ههنا لاختلاف الروایتین.

اللغه

أقول: أستعدیک : أستعینک.و الاسم العدی و هی الإعانه ،و أکفأت الإناء و کفأته : کببته .و الرافد : المعاون .و القذی : ما یسقط فی العین فیؤذیها .و الشجی:

ما یعرض فی الحلق عند الغمّ و الحزن من الأثر فیکون الإنسان کالمغتصّ بلقمه و نحوها .و العلقم : شجر مرّ .و الشفار : جمع شفره و هی السکّین .

المعنی

کنایه و غرض الفصل التظلّم و التشکّی و الاستعانه باللّه علی قریش فیما دفعوه عنه من حقّ الإمامه الّذی هو أولی به،و کنّی عن ذلک بقطع الرحم ،و کذلک کنّی بقلب إنائه عن إعراضهم و تفرّقهم عنه فإنّ ذلک من لوازم قلب الإناء کما أنّ من لوازم نصبهم له و تعدیله إقبالهم و اجتماعهم علیه .

و قوله:و أجمعوا.إلى قوله:غيرى.

قالت الشيعه:الإشاره بالمجتمعين إلى قريش حين وفات الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و ذلك الغير الّذى كان هو أولى منه هم الخلفاء الثلاثه قبله،و قال غيرهم:بل أشار بالمجمعين إليهم وقت الشورى و اتّفاقهم بعد الترديد الطويل على عثمان فلا يدخل الشيخان الأوّلان فى هذه الشكايه،و القول الثانى ضعيف.إذ صرّح بمثل هذه الشكايه من الأئمّه الثلاثه قبله فى الخطبه الشقشقيّه كما بيّناه،و بالجمله مراده من هذا الكلام و أمثاله بعد استقراء أقواله و تصفّح أحواله لا يخفى على عاقل، و يشبه أن يكون صدور هذا الكلام منه حين خروج طلحه و الزبير إلى البصره تظلّما عليهما فيكون المفهوم من قوله:و أجمعوا على منازعتى حقّا كنت أولى به من غيرى إنكارا لإجماعهم منازعته ذلك الحقّ فإنّه إذا كان أولى به ممّن سبق من الأئمّه على جلاله قدرهم و تقدّمهم فى الإسلام فكيف بهؤلاء مع كونهم أدون حالا منهم،و هو كقوله فياللّه و للشورى متى اعترض الريب فىّ مع الأوّل منهم حتّى صرت اقرن إلى هذه النظائر .

و قوله: و قالوا:ألا إنّ فى الحقّ.إلى قوله:متأسّفا .

حكايه لقولهم بلسان حال فعلهم لا أنّهم قالوا له ذلك .

قوله: فنظرت .إلى آخره.

قد مضى تفسير من الآلام الحسيّه من حرّ السكين و غيره.

و من طالع الفصلين المتقدّمين علم التفاوت فى الروايه لهما و لهذا الفصل.

۲۰۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى ذكر السائرين إلى البصره لحربه عليه السّلام

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وَ خُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ- وَ عَلَى أَهْلِ؟مِصْرٍ؟ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَ عَلَى بَيْعَتِي- فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وَ أَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ- وَ وَثَبُوا

ص:۵۰

عَلَى شِيعَتِى فَقَتَلُوا طَائِفَهً مِنْهُمْ غَدْراً- وَ طَائِفَهٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ- فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ

اللغه

أقول: عضّوا على أسيافهم : أى لزموها

المعنى

،و أشار بالمصر إلى البصره،و بالّذين قدموا على عمّاله إلى طلحه و الزبير و عايشه و أتباعهم فأمّا حالهم مع عمّاله و ما فعلوا بهم و بخزّان بيت المال بالبصره فقد مرّ ذكره مستوفى،و باللّه التوفيق.

۲۱۰-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما مر بطلحه و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما قتيلان يوم الجمل

لَقَدْ أَصْبَحَ؟أَبُو مُحَمَّدٍ؟ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيباً- أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ؟قُرَيْشٌ؟ قَتْلَى- تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ- أَدْرَكْتُ وَتْرِى مِنْ؟بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ؟- وَ أَفْلَتَنِى أَعْيَانُ؟بَنِى جُمَحَ؟- لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ- لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ أقول:هو عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن اميّه شهد واقعه الجمل و قتل بها،و روى أنّ عقابا احتمل كفّه فاصيب باليمامه فى ذلك اليوم، و عرفت بخاتمه و كان يدعى يعسوب قريش.

اللغه

و أعيان : جمع عين:هم سادات القوم و أوتادهم .و جمح : قبيله ،و أتلعوا : مدّوا أعناقهم كالمتطلّعين إلى الأمر .و وقصوا:

كسرت أعناقهم .

المعنى

اشاره

و أبو محمّد كنيه طلحه.

و فى الفصل إشارات:

فالاولى:أنّ قتله عليه السّلام لمن قتل من مخالفيه

و من قتل من عسكره لم يكن إلاّ إقامه للدين و نظام العالم.

فإن قلت:إنّ قتل هؤلاء على كثرتهم فساد حاضر.

ص:۵۱

قلت:إنّه و إن كان فساد إلّا أنّه جرى بالنسبه إلى صلاح جمع المسلمين فى مصر جزئيّه بالنسبه إلى صلاح أكثر بلاد المسلمين،و فعل ما هو بصوره جزئيّه من الفساد لمصلحه كلّيّه واجب فى الحكمه فهو كقطع عضو فاسد لإصلاح باقى البدن.

الثانيه:

كنايه قوله: تحت بطون الكواكب كنايه لطيفه عن الفلوات،و أراد أنّى كنت أكره أن يكونوا بهذه الحاله فى الفلوات بحيث لا كنّ و لا ظلّ يواريهم.

الثالثه:لقائل أن يقول:لم قال عليه السّلام:أدركت و ترى من بنى عبد مناف؟

و الوتر الحقد و هو رذيله فكيف يجوز منه عليه السّلام أن ينسبه إلى نفسه و يقول:قد أدركته.و الجواب أنّ الحقد تعود حقيقته إلى ثبات الغضب و بقائه ببقاء صوره الموذى فى الخيال،و من حيث إنّ ثبات ذلك الغضب بتصوّر الموذى فى الدين لا يكون رذيله،فلا يكون أخذ الحقّ به و نصرته مكروهه.

الرابعه:أنّ طلحه و الزبير كانا من بنى عبد مناف من قبل الامّ دون الأب

فإنّ أبا الزبير من بنى عبد العزّى بن قصى بن كلاب،و أمّا طلحه من بنى جعد بن تميم بن مرّه،و كان فى زمن أمير المؤمنين عليه السّلام من بنى جمح عبد اللّه بن صفوان بن اميّه بن خلف،و عبد الرحمن بن صفوان،و قيل:كان مروان بن الحكم منهم اخذ أسيرا يوم الجمل و استشفع بالحسين إلى أبيه عليهم السّلام،و روى عوض أعيان أغيار بنى جمح و هم السادات أيضا .

و الخامسه:

استعاره بالكنايه إتلاع رقابهم استعاره كنّى بها عن تطاولهم لأمر الخلافه مع كونهم ليسوا أهلا لها.و وقصهم كنايه عن قتلهم دون ذلك الأمر و قصورهم عنه .

۲۱۱-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وَ أَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ- وَ لَطُفَ غَلِيظُهُ وَ بَرَقَ لَهُ لاَمِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ- فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَ سَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ- وَ تَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى

بَابِ السَّلاَمَهِ وَ دَارِ الْإِقَامَهِ- وَ ثَبَتَتْ رِجْلاَهُ بِطُمَأْنِينَهِ بَدَنِهِ فِی قَرَارِ الْأَمْنِ وَ الرَّاحَهِ- بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَ أَرْضَی رَبَّهُ

أقول:هذا الفصل من أجلّ کلام له فی وصف السالک المحقّق إلی اللّه،

و فی کیفیّه سلوکه المحقّق و أفضل اموره

.فأشار بإحیاء عقله إلی صرف همّته فی تحصیل الکمالات العقلیّه من العلوم و الأخلاق و إحیاء عقله النظری و العملی بها بعد الریاضه بالزهد و العباده،و أشار بإماته نفسه إلی قهر نفسه الأمّاره بالسوء،و تطویعها بالعباده للنفس المطمئنّه بحیث لا یکون لها تصرّف علی حدّ طباعها إلاّ بإرسال العقل و باعثه فکانت فی حکم المیّت عن الشهوات و المیول الطبیعیّه الّذی لا تصرّف له من نفسه.

کنایه و قوله: حتّی دقّ جلیله .

أی حتّی انتهت به إماته لنفسه الشهویّه إلی أن دقّ جلیله،و کنّی بجلیله عن بدنه فإنّه أعظم ما یری منه ،و لطف غلیظه إشاره إلی لطف بدنه أیضا،و یحتمل أن یشیر به إلی لطف قواه النفسانیّه بتلک الریاضه و کسر الشهوه فإنّ إعطاء القوّه الشهویّه مقتضی طباعها من الانهماک فی المآکل و المشارب ممّا یثقل البدن و یکدّر الحواسّ،و لذلک قیل:البطنه تذهب الفطنه و تورث القسوه و الغلظه.

فإذا قصرت علی حدّ العقل لطفت الحواسّ عن قلّه الأبخره المتولّده عن التملّؤ بالطعام و الشراب،و لطف بلطف ذلک ما غلظ من جوهر النفس بالهیئات البدنیّه المکتسبه من متابعه النفس الأمّاره بالسوء کلطف المرآه بالصقال حتّی یصیر ذلک اللطف مسبّبا لاتّصالها بعالمها و استشراقها بأنوار من الملأ الأعلی.

تشبیه-استعاره و قوله: و برق له لا مع کثیر البرق .

أشار باللامع إلی ما یعرض للسالک عند بلوغ الإراده بالریاضه به حدّا ما من الخلسات إلی الجناب الأعلی فیظهر له أنوار إلهیّه لذیذه شبیهه بالبرق فی سرعه

ص:53

لمعانه و اختفائه،و تلك اللوامع مسمّاه بالأوقات عند أهل الطريقه،و كلّ وقت فإنّه محفوف بوجد إليه قبله و وجد عليه بعده لأنّه لمّا ذاق تلك اللذّه ثمّ فارقها وصل فيه حنين و أنين إلى ما فات منها.ثمّ إنّ هذه اللوامع فى مبدء الأمر تعرض له قليلا فإذا أمعن فى الارتياض كثرت،فأشار باللامع إلى نفس ذلك النور، و بكثره برقه إلى كثره عروضه بعد الإمعان فى الرياضه.و يحتمل أن يكون قد استعار لفظ اللامع للعقل الفعّال،و لمعانه ظهوره للعقل الإنسانىّ،و كثره بروقه إشاره إلى كثره فيضان تلك الأنوار الشبيهه بالبروق عند الإمعان فى الرياضه، و قوله :فأبان له الطريق.

أى ظهر له بسبب ذلك أنّ الطريق الحقّ إلى اللّه هى ما هو عليه من الرياضه، و سلك به السبيل:أى كان سببا لسلوكه فى سبيل اللّه إليه.

و قوله:و تدافعته الأبواب.

أى أبواب الرياضه،و هى أبواب الجنّه أعنى تطويع النفس الأمّاره،و الزهد الحقيقىّ،و الأسباب الموصله إليهما كالعبادات و ترك الدنيا فإنّ كلّ تلك أبواب يسير منها السالك حتّى ينتهى إلى باب السلامه و هو الباب الّذى إذا دخله السالك تيقّن فيه السلامه من الانحراف عن سلوك سبيل اللّه بمعرفته أنّ تلك هى الطريق و ذلك الباب هو الوقت الّذى أشرنا إليه،و هو أوّل منزل من منازل الجنّه العقليّه.

و قوله:و ثبتت رجلاه.إلى قوله:و الراحه.

ففى قرار الأمن متعلّق ثبتت،و هو إشاره إلى الطور الثانى للسالك بعد طور الوقت و يسمّى طمأنينه و ذلك أنّ السالك ما دام فى مرتبه الوقت فإنّه يعرض لبدنه عند لمعان تلك البروق فى سرّه اضطراب و قلق يحسّ بها خلسه لأنّ النفس إذا فاجأها أمر عظيم اضطربت و تقلقلت فإذا كثرت تلك الغواشى ألفتها بحيث لا تنزعج عنها و لا تضطرب لورودها عليها بل تسكن و تطمئنّ لثبوت قدم عقله فى درجه أعلى من درجات الجنّه الّتى هى قرار الأمن و الراحه من عذاب اللّه.

ص:۵۴

و قوله:بما استعمل.إلى آخره.

فالجار و المجرور متعلّق بثبتت أيضا:أى و ثبتت رجلاه بسبب استعمال قلبه و نفسه فى طاعه اللّه و إرضائه بذلک الاستعمال،و باللّه التوفيق.

۲۱۲-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قاله بعد تلاوته:(«أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ حَتّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ»)

يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ وَ زَوْراً مَا أَغْفَلَهُ- وَ خَطَراً مَا أَفْظَعَهُ- لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ وَ تَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ- أَ فَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ- أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ وَ حَرَكَاتٍ سَكَنَتْ- وَ لَأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً- وَ لَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّهٍ- أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّهٍ- لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَهِ- وَ ضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَهِ جَهَالَهٍ- وَ لَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَهِ- وَ الرُّبُوعِ الْخَالِيَهِ لَقَالَتْ- ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَّالاً وَ ذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً- تَطَئُونَ فِي هَامِهِمْ وَ تَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ- وَ تَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا وَ تَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا- وَ إِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَ نَوَائِحُ عَلَيْكُمْ- أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ وَ فُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ- الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ-

ص:۵۵

وَ حَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكاً وَ سُوَقاً سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ- فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَ شَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ- فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لاَ يَنْمُونَ- وَ ضِمَاراً لاَ يُوجَدُونَ- لاَ يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ- وَ لاَ يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ- وَ لاَ يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ وَ لاَ يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ- غُيَّباً لاَ يُنْتَظَرُونَ وَ شُهُوداً لاَ يَحْضُرُونَ- وَ إِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا وَ أُلاَّفاً فَافْتَرَقُوا- وَ مَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَ لاَ بُعْدِ مَحَلِّهِمْ- عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَ صَمَّتْ دِيَارُهُمْ- وَ لَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً- وَ بِالسَّمْعِ صَمَماً وَ بِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً- فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَهِ صَرْعَى سُبَاتٍ- جِيرَانٌ لاَ يَتَأَنَّسُونَ وَ أَحِبَّاءُ لاَ يَتَزَاوَرُونَ- بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَارُفِ- وَ انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ- فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَ هُمْ جَمِيعٌ- وَ بِجَانِبِ الْهَجْرِ وَ هُمْ أَخِلاَّءُ- لاَ يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَ لاَ لِنَهَارٍ مَسَاءً- أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً- شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا- وَ رَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا- فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ- إِلَى مَبَاءَهٍ فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَ الرَّجَاءِ- فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا- لَعَيُّوا بِصِفَهِ مَا شَاهَدُوا وَ مَا عَايَنُوا- وَ لَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَ انْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ- لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ- وَ سَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ- وَ تَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ- فَقَالُوا كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ وَ خَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ- وَ لَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى وَ تَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ- وَ تَوَارَثْنَا الْوَحْشَهَ وَ تَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ- فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا وَ تَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا- وَ طَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَهِ إِقَامَتُنَا- وَ لَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً وَ لاَ مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً- فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ- أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ- وَ قَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ- وَ اكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ- وَ تَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَهُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلاَقَتِهَا- وَ هَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا- وَ عَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَهٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا- وَ سَهَّلَ طُرُقَ الْآفَهِ إِلَيْهَا- مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلاَ أَيْدٍ تَدْفَعُ وَ لاَ قُلُوبٌ تَجْزَعُ- لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وَ أَقْذَاءَ عُيُونٍ- لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَهٍ صِفَهُ حَالٍ لاَ تَنْتَقِلُ- وَ غَمْرَهٌ لاَ تَنْجَلِي- فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَ أَنِيقِ لَوْنٍ- كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ وَ رَبِيبَ شَرَفٍ- يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَهِ حُزْنِهِ- وَ يَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَهِ إِنْ مُصِيبَهٌ نَزَلَتْ بِهِ- ضَنّاً بِغَضَارَهِ عَيْشِهِ وَ شَحَاحَهً بِلَهْوِهِ وَ لَعِبِهِ فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَ تَضْحَكُ إِلَيْهِ- فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ- وَ نَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ- وَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ- فَخَالَطَهُ بَثٌّ لاَ يَعْرِفُهُ وَ نَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ- وَ تَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ- فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ- مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ وَ تَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ- فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلاَّ ثَوَّرَ حَرَارَهً- وَ لاَ حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلاَّ هَيَّجَ بُرُودَهً- وَ لاَ اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ- إِلاَّ أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ- حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ وَ ذَهَلَ مُمَرِّضُهُ- وَ تَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَهِ دَائِهِ- وَ خَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ- وَ تَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ- فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ وَ مُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ- وَ مُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ- يُذَكِّرُهُمْ أُسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ- فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا- وَ تَرْكِ الْأَحِبَّهِ- إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ- فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ وَ يَبِسَتْ رُطُوبَهُ لِسَانِهِ- فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ- وَ دُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ- مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ- وَ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَهٍ- أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا

اللغه

أقول: المرام: المطلوب .و الزور : الزائرون .و الخطر : الإشراف على الهلاك .و الفظيع : الشديد الّذى جاوز الحدّ فى شدّته .و استحلوا : أى اتّخذوا تحليه الذكر و أبهم و شأنهم،و قيل:استخلوا:أى وجدوه خاليا .و التناوش :

التنازل .و أحجى : أولى بالحجى و هو العقل .و العشوه : ركوب الأمر على جهل به .و ترتعون : يتنعمون .و لفظوا : أرموا و تركوا .و الفارط : السابق إلى الماء و المورد .و حلبات الفخر : جماعاته .و السوق : جمع سوقه و هى الرعيّه .و البرزخ : ما بين الدنيا و الآخره من وقت الموت إلى البعث .و الفجوات : جمع فجوه و هى المتّسع من الأرض .و الضمار : الغايب الّذى لا يرجى إيابه .و يحفلون:

يبالون .و الرواجف : الزلازل .و يأذنون : يسمعون .و ارتجال الصفه : انتشاؤها .

و السبات : النوم،و أصله الراحه .و أفظع : أشدّ .و المباءه : الموضع يبوء الإنسان إليه:أى يرجع .و عيّ عن الكلام : أى عجز عنه .و الكلوح : تكشّر فى عبوس .و الأهدام : جمع هدم،و هو الثوب البالى .و تكاءدنا : شقّ علينا و صعب .

و تهكّعت : تهدّمت .و ارتسخت : ثبتت فى قرارها الهوام .و استكّت : انسدّت .

و ذلاقه اللسان : حدّته و سهوله الكلام به .و همدت : سكنت و بليت .و عاث:

انسدّ .و سمّجها : قبّحها .و الأشجان : الأحزان .و الأنيق : العجب للناظر .

و غضاره العيش : طيّبه .و الكثب : القرب .و البثّ : الحال من همّ و حزن .

و القارّ و القرور : الماء البارد .

المعنى

و فى الفصل فوائد:

فالاولى:اللام فى قوله:يا له.لام الجرّ للتعجّب كقولهم:يا للدواهى،و الجارّ و المجرور فى محلّ النصب لأنّه المنادى و يروى:يا مراما.و مراما و زورا و خطرا منصوبات على التميز لمعنى التعجّب من بعد ذلك المرام و هو التكاثر فإنّ الغايه المطلوبه منه لا يدركها الإنسان لأنّ كلّ غايه بلغها ففوقها غايه اخرى قد أدركها غيره فنفسه تطمح إليها،و ذلك التعجّب من شدّه غفله الزور:

أى الزائرين للمقابر لأنّ الكلام خرج بسبب الآيه،و ظاهر أنّ غفله الإنسان عمّا يزور و يقدم بعد تلك الزياره عليه غفله عظيمه و هى محلّ التعجّب،و كذلك التعجّب من فظاعه الخطر و الإشراف على شدائد الآخره فإنّ كلّ خطر دنيائى يستحقر فى جنبه،و الضمير فى قوله:استحلوا للأحياء،و فى منهم

للأموات،و عنّى بالذكر عمّا خلّفوه من الآثار الّتى هى محلّ العبره.

استفهام على سبيل التعجّب و قوله: أيّ مدّكر .

استفهام على سبيل التعجّب من ذلك المدّكر فى أحسن إفادته للعبر لاولى الأبصار ، كنايه استفهام انكارى و تناوشوهم من مكان بعيد :أى تركهم ما ينتفعون به و هو المدّكر من جهه الاعتبار به و تناولوهم من جهه بعيده،و الّذى تناولوه هو افتخار كلّ منهم بأبه و قبيلته،و مكاثرته بالماضين من قومه الّذينهم بعد الموت أبعد الناس عنه أو الّذين كمالاتهم أبعد الكمالات عنه،و كنّى بالمكان البعيد عن ذلك الاعتبار فإنّ الأموات و كمالاتهم فى أبعد الاعتبارات عن الأحياء و الأبناء ،و لذلك استفهم عن ذلك استفهام إنكار و توبيخ فقال: أ فبمصارع آبائهم يفخرون.إلى قوله:

سكنت ،و ذلك الارتجاع بالمفاخره بهم فكأنّهم بذكرهم لهم فى الفخر قد ارتجعوهم بعد موتهم،و يحتمل أن يكون ذلك مستفهما عنه أيضا على سبيل الإنكار و إن لم يكن حرف الاستفهام،و التقدير أ يرتجعون منهم بفخرهم لهم أجسادا خوت .

و قوله: و لأن يكونوا عبرا أحقّ من أن يكونوا مفتخرا .

مؤكّد لتوبيخه لهم ترك العبره بالمدّكر الّذى هو وجه النفع و أخذهم بالوجه البعيد و هو الافتخار،و كشف لمعناه.و كذلك قوله:لأن يهبطوا بهم جناب ذلّه:أى بالاعتبار بمصارعهم فإنّه يستلزم الخشوع لعزّه اللّه و الخشيه منه.و ذلك أولى بالعقل و التدبير من أن يقوموا بهم مقام عزّه بالمفاخره و المكاثره،و أضاف الأبصار إلى العشوه لنسبتها إليها:أى نظروا إليها بأبصار قلوب غطّى عليها الجهل بأحوالهم فساروا فى تلك الأحوال بجهاله غامره لهم.

و قوله :و لو استنطقوا.إلى قوله:لقالت.

أى لو طلبت منها النطق لقالت بلسان حالها كذا و كذا.إلى قوله:و تسكنون فيما خرّبوا،و يحتمل أن يكون باقى الفصل كلّه مقولا بلسان حال تلك الديار،و النصب فى قوله:ضلّالا و جهّالا-على الحال:أى ذهبوا فى الأرض هالكين و ذهبتم بعدهم جاهلين بأحوالهم تطئون رؤسهم و تستنبتون الأشجار فى

أجسادهم و ذلک فی المواضع الّتی بلیت فیها الأجساد، استعاره و استعار لفظ البواکی و النوائح لأيّام الحياه ملاحظه لشبهها فی مفارقتهم لها بالامّهات الّتی فارقها أولادها بالموت.

و قوله :اولئک سلف غایتکم و فرّاط مناهلکم.

السابقون لکم إلی غایتکم و هی الموت و ما بعده،و إلی مناهلکم و هی تلک الموارد أیضا،و مقاوم:جمع مقام لأنّ ألفه عن واو،و ملوکا و سوقا نصب علی الحال،و بطون البرزخ ما غاب و بطن منه عن علومنا و مشاهداتنا،و السبیل فیه هی مسلک القدر بهم إلی غایاتهم الاخرویّه من سعاده أو شقاوه، مجاز و نسبه الأکل و الشرب إلی الأرض مجاز یقارب الحقیقه فی کثره الاستعمال ،و إنّما سلب عنهم النموّ و الفزع من ورود أهوال الأرض علیهم،و الحزن من تغیّر الأحوال بهم، و الحفله بزلازل الأرض و سماع الریاح القاصفه،لکون انتظار ذلک من توابع الحیاه و صفاتها.

فإن قلت:فهذا ینافی ما نقل من عذاب القبر فإنّه یستلزم الفزع و الحزن.

قلت:إنّما سلب عنهم الفزع و الحزن من أحوال الدنیا المشاهده لنا،و کذلک الحفله بأهوالها و سماعها.و عذاب القبر لیس من ذلک القبیل بل من أحوال الآخره و أهوالها،و لا یلزم من سلب الفزع الخاصّ سلب العامّ،و نبّه علی أنّ غیبتهم و شهودهم لیس کغیبه أهل الدنیا و شهودهم.إذ کان الغائب فی الدنیا من شأنه أن ینتظر و الشاهد فیها حاضر و هم شاهدون بأبدانهم مع صدق الغیبه علیهم عنّا:أی بأنفسهم،و لمّا امتنع ذلک العود لا جرم صدق أنّهم غیّب لا ینتظرون و شهود لا یحضرون.

و قوله :و ما عن طول عهدهم.إلی قوله:سکونا.

أی عدم علمنا بأخبارهم و صمم دیارهم عند ندائنا لیس لأجل طول عهد بیننا و بینهم و لا بعد محلّتهم و مستقرّهم فإنّ المیّت حال موته و هو بعد مطروح الجسد مشاهد لنا تعمی علینا أخباره و لا یسمع نداءنا دیاره،و لکن ذلک لأجل أنّهم سقوا

كأس المنيّه فبدّلتهم بالنطق خرسا و بالسمع صمما و بالحركات سكونا و إسناد العمى إلى الأخبار و الصمم إلى الديار مجاز كقولهم:نهاره صائم و ليله قايم.

و قوله:فكأنّهم.إلى قوله:سبات.

أى إذا أراد أحد ينشىء صفه حالهم،شبّههم بالصرعى عن النوم،و وجه الشبه عدم الحركات و السماع و النطق مع الهيئه المشاهده من المستغرق فى نومه .ثمّ نبّه على أنّهم فى أحوالهم الاخرويّه من تجاورهم مع وحدتهم و تهاجرهم ليس كتلك الأحوال فى الدنيا.إذ من شأن الجيران فيها أن يأنس بعضهم ببعض،و الأحياء أن تزاوروا،و الواحد أن لا يكون فى جماعه.و أشار بالجوار إلى تقارب أبدانهم فى القبور،و بالمحابّه إلى ما كانوا عليه من التحابّ فى الدنيا،و بهجرهم إلى عدم تزاورهم،و كذلك خلالهم إلى ما كانوا عليه من المودّه فى الدنيا،و كونهم لا يتعارفون لليل صباحا و لا لنهار مساء لكون الليل و النهار من لواحق الحركات الدنيويّه الفانيه عنهم فتساوى الليل و النهار بالنسبه إليهم،و كذلك قوله:أىّ الجديدين.إلى قوله:سرمدا،و الجديدان الليل و النهار لتجدّد كلّ منهما أبدا. استعاره و استعار وصف الظعن لانتقالهم إلى الدار الآخره،و كون ذلك الجديد الّذى ظعنوا فيه سرمدا عليهم ليس حقيقه لعدم عوده بعينه بل إسناد السرمديّه إليه لكونه جزء من الزمان الّذى يلزمه السرمديّه لذاته حقيقه.

و قوله :شاهدوا.إلى قوله:عاينوا.

إشاره إلى صعوبه أهوال الآخره و عظمه أحوالها بالنسبه إلى ما يخاف منها فى الدنيا،و ذلك أمر عرف بأخبار الشريعه الحقّه و تأكّد باستقراء اللذّات و الآلام العقليّه و نسبتها إلى الحسيّه.ثمّ إنّ الخوف و الرجاء لامور الآخره إنّما يبعثان منّا بسبب وصف تلك الامور،و إنّما يفعل من تلك الأوصاف ما كان فيه مناسبه و تشبّه بالامور المخوفه و المرجّوه فى الدنيا فنحن نتصوّر تلك على قياس هذه فذلك سبب سهولتها علينا و ضعف خوفنا منها و رجائنا لها حتّى لو شاهدنا أخطار تلك الدار لشاهدنا أشدّ ممّا نخافه الآن و نتصوّره و نقدّره بأوهامنا.فلا جرم لمّا

وصل السابقون شاهدوا أفظع ممّا خافوا،و لو أمكنهم النطق لعيّوا بصفه ما شاهدوا منها و عجزوا عن شرحها.

و قوله:فكلتا الغايتين.

أی غایه المؤمنين و الكافرين من سعاده و شقاوه مدّت:أی مدّ لهم أجل ينتهون فيه إلى غايه و مرجع و هو الجنّه أو النار،و ذلک المرجع يفوت مبالغ خوفنا و رجاءنا:أی هو أعظم ممّا نخافه و نرجوه، مجاز و أسند المدّ إلى الغايه مجازا .

و قوله: لقد رجعت .إلى قوله. النطق .

من أفصح الكلام و أبلغه،و أبصار العبر أبصار البصائر الّتى يعتبر بها، مجاز من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب و آذان العقول مجاز فى علمها بأحوالهم الّتى من شأنها أن تسمع إطلاقا لاسم السبب على المسبّب.

و قوله:و تكلّموا من غير جهات النطق.

أی من غير أفواه و ألسنه لحمانيّه و لكن بألسنه أحواليّه.

و قوله :فقالوا.إلى قوله:متّسعا.

إشاره إلى ما تنطق به ألسنه أحوالهم و تحكيه منها فى القبور،و روى عوض خلت خوت، استعاره و استعار لفظ الأهدام للتغيّر و التقشّف و التمزيق العارض لجسم الميّت لمشابهتها العظم البالى ،و يحتمل أن يريد بها الأكفان،و المضجع:

القبر.و توارث الوحشه:أی وحشه القبر،و استعار لفظ التوارث لكون تلک الوحشه كانت لآبائهم قبلهم فحصلت لهم بعدهم،و الربوع الصموت:أيضا القبور.

و كذلک مساكن الوحشه.و معارف صورهم:ما كان معروفا منها فى الدنيا.

و قوله :فلو مثّلتهم بعقلک.

أی تخيّلت صورهم و استحضرتها فى خيالک و كشف عنهم محجوب الغطاء لک:أی ما حجب بأغطيه التراب و السواتر لأجسادهم عن بصرک.و الواو فى قوله:

و قد ارتسخت.للحال، استعاره و يقظه قلوبهم استعاره لحياتهم و حركاتها ، مجاز و إسناد العبث إلى جديد البلى مجاز ،و مستسلمات حال للجوارح و العامل عاث و سهل ،و

اللام فی قوله:لرأیت.جواب لو،و أحسن بقوله:لهم فی کلّ فظاعه صفه حال لا تنتقل و غمره لا تنجلی.وصفا إجمالیّا.فإنّه لا مزید علیه فی البلاغه اللذیذه،و أراد بالغمره من الفظاعه ما یغمرهم من الشدائد،و الغذیّ فعیل بمعنی مفعول:

أی مغذی بالترف.

و قوله:و یفزع إلی السلوه.

أی عن المصیبه النازله له إلی المسرّات و المتنزّهات، کنایه-مجاز من باب إطلاق اسم السبب الغائی علی مسبّبه و ضحکه إلی الدنیا کنایه عن ابتهاجه بها و ما فیها من القینات و غایه إقباله علیه لأنّ غایه المبتهج بالشیء أن یضحک له،و کذلک ضحک الدنیا مجاز فی إقبالها علیه إطلاقا لاسم السبب الغائی علی مسبّبه ،و أصل بینا بین و الألف عن إشباع الفتحه،و العیش الغفول الّذی یکثر الغفله فیه لطیبه. استعاره مرشحه و استعار لفظ الحسک للآلام و الأمراض و مصائب الدهر،و وجه المشابهه استلزامها للأذی کاستلزام الحسک له،و رشّح بذکر الوطی استعاره ،و کذلک استعار وصف النظر لإقبال الحتوف إلیه لاستعداد لها فشابهت فی ذلک الراصد للشیء المصوب إلیه نظره لیقتنصه ،و البثّ و النجیّ من الهمّ الحال الّتی یجدها الإنسان عند و هم الموت من الوسواس و التخیّلات و الغموم و الأحزان الّتی عند و هم الموت من الوسواس و التخیّلات و الغموم و الأحزان الّتی لم تکن تعرض له.

و قوله:فتولّدت فیه فترات علل آنس ما کان بصحّته.

و انتصاب آنس علی الحال،و ما بمعنی الزمان،و کان تامّه،و بصحّته متعلّق بآنس:أی حال ما هو آنس زمان مدّه صحّته،و قیل:ما مصدریّه،و التقدیر آنس کونه علی أحواله لصحّته.

و قوله ،فلم یطفیء ببارد إلّا ثوّر حراره.إلی قوله:ذات داء.

إشاره إلی لوازم العلاج عند سقوطه العلّه من المرض الحارّه و البارد المقاوم لها،و لیس العلاج بالبارد هو المثوّر للحراره و لا بالعکس لأنّ الدواء معین للطبیعه علی مقاومه المرض فلا یکون مثوّرا له،و لکن ما کان مع ذلک العلاج و تلک الإعانه لغلب الحراره و البروده و یظهر بسبب ذلک:أی الدواء،و کذلک

قوله:و لا اعتدل بممازج لتلك الطبايع إلاّ أمدّ منها كلّ ذات داء:أى و لا اعتدل المريض فى علاجه نفسه بما يمازج تلك الطبايع من الحراره و البروده و الرطوبه و اليبوسه إلاّ كان مادّه لداء،و ليس مادّه على الحقيقه و لكن لمّا كان يغلب معه المرض على القوّه فكأنّه مادّه له فنسب إليه و هى امور عرفيّه يقال كثيرا،و الكلام فيها على المتعارف.

و قوله :حتّى فتر معلّله.

غايه تلك اللوازم.و معلّله:طبيبه و ممرّضه. استعاره و خرس أهله عن جواب السائل :

إشاره إلى سكوتهم عند السؤال من حاله،و ذلك أنّهم لا يخبرون عن عافيه لعدمها، و تكره نفوسهم الإخبار عنه بما هو عليه من الحال لشدّتها عليهم،فيكون شأنهم فى ذلك السكوت عن حاله المشبه للخرس فى جوابه.فذلك استعاره له.

و قوله :و تنازعوا.إلى قوله:من قبله.

إشاره إلى ما يتحاوره أهل المريض المشرف على الموت من أحواله و صوره بما العاده جاريه أن يقولوه.

و قوله :فبينا هو كذلك.

صفه حال الأخذ فى الموت المعتاد للناس.

و قوله :إنّ للموت.إلى آخره.

تلك الغمرات و كونها،أفظع من أن يحيط بها وصف الإنسان أو يستقيم شرحها على الإنسان كما يخبر عليه السّلام.و يعلم ذلك على سبيل الجمله و بالحدس و القياس إلى الأمراض الصعبه الّتى يمارسها الناس و يشتدّ عليهم فيعرف عند مقاساتها و معاناه شدايدها.و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول فى سكرات موته:اللّهمّ أعنّى على سكرات الموت.و ما يستعين عليه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مع كمال اتّصاله بالعالم الأعلى فلا شكّ فى شدّته.و باللّه التوفيق.

ص:۶۵

۲۱۳–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قاله عند تلاوته: «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ»

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً لِلْقُلُوبِ- تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَهِ وَ تُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَهِ- وَ تَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَهِ- وَ مَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ آلاؤُهُ فِي الْبُرْهَهِ بَعْدَ الْبُرْهَهِ- وَ فِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ- وَ كَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ- فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَهٍ فِي الْأَبْصَارِ وَ الْأَسْمَاعِ وَ الْأَفْئِدَهِ- يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَ يُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ- بِمَنْزِلَهِ الْأَدِلَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ- مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَ بَشَّرُوهُ بِالنَّجَاهِ- وَ مَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَ شِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ- وَ حَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَهِ- وَ كَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ- وَ أَدِلَّهَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ- وَ إِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً- فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَهٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْهُ- يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاهِ- وَ يَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ- وَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَ يَأْتَمِرُونَ بِهِ- وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ- فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَهِ وَ هُمْ فِيهَا- فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ- فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَهِ فِيهِ- وَ حَقَّقَتِ الْقِيَامَهُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا- فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا- حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لا

يَرَى النَّاسُ وَ يَسْمَعُونَ مَا لاَ يَسْمَعُونَ- فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِى مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَهِ- وَ مَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَهِ- وَ قَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ- وَ فَرَغُوا لِمُحَاسَبَهِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَهٍ وَ كَبِيرَهٍ- أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا وَ حَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ- فَضَعُفُوا عَنِ الاِسْتِقْلاَلِ بِهَا- فَنَشَجُوا نَشِيجاً وَ تَجَاوَبُوا نَحِيباً- يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَ اعْتِرَافٍ- لَرَأَيْتَ أَعْلاَمَ هُدًى وَ مَصَابِيحَ دُجًى- قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَهُ- وَ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَهُ- وَ فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَ أُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ- فِى مَقْعَدٍ اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ- فَرَضِىَ سَعْيَهُمْ وَ حَمِدَ مَقَامَهُمْ- يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ- رَهَائِنُ فَاقَهٍ إِلَى فَضْلِهِ وَ أُسَارَى ذِلَّهٍ لِعَظَمَتِهِ- جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ وَ طُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ- لِكُلِّ بَابِ رَغْبَهٍ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَهٌ- يَسْأَلُونَ مَنْ لاَ تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ- وَ لاَ يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ- فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ

اللغه

أقول: الوقره : الغفله من الوقر و هو الصمم .و العشوه : الغفله من العشاء و هو ظلمه العين بالليل دون النهار .و البرهه : المدّه الطويله من الزمان .و يهتفون : يصيحون .و البرزخ : ما بعد الموت من مكان و زمان .و النشج: الصوت فى ترديد النفس عند البكاء .و المنادح : جمع مندح و هو المتّسع .

ص:۶۷

المعنى

فقوله: إنّ اللّه سبحانه .إلى قوله: بعد المعانده .

إنّما يتّضح بالإشاره إلى الذكر و فضيلته و فائدته:الذكر هو القرآن الكريم لقوله تعالى «وَ هذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ» (۱)و نحوه،و قيل:هو إشاره إلى تحميده تعالى و تسبيحه و تكبيره و تهليله و الثناء عليه و نحو ذلك،و أمّا فضيلته فمن القرآن قوله تعالى «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» (۲)و قوله «اذْكُرُوا اللّهَ ذِكْراً كَثِيراً» (۳)و قوله «فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللّهَ» (۴)الآيه،و قوله «فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللّهَ» (۵)الآيه.و أمّا من الأخبار فقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

ذاكر اللّه فى الغافلين كالمقاتل فى الفارّين،و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:يقول اللّه:أنا مع عبدى ما ذكرنى و تحرّكت بى شفتاه،و قوله:ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب اللّه من ذكر اللّه.قالوا:يا رسول اللّه و لا الجهاد فى سبيل اللّه.قال:و لا الجهاد فى سبيل اللّه إلّا أن تضرب بسيفك إلى أن ينقطع ثمّ تضرب به حتّى ينقطع-ثلاثا-و قوله:من أحبّ أن يرتع فى رياض الجنّه فليكثر منه ذكر اللّه.و نحو ذلك.فأمّا فائدته:فاعلم أنّ المؤثّر من الذكر و النافع منه ما كان على الدوام أو فى أكثر الأوقات مع حضور القلب،و بدونهما فهو قليل الجدوى.و بذينك الاعتبارين هو المقدّم على ساير العبادات بل هو روح العبادات العمليّه و غايه ثمرتها،و له أوّل يوجب الانس باللّه و آخر يوجبه الانس باللّه،و ذلك أنّ المريد فى مبدء أمره قد يكون متكلّفا لذكر أمر ليصرف إليه قلبه و لسانه عن الوسواس فإن وفّق للمداومه أنس به و انغرس فى قلبه حبّ المذكور،و ممّا يتبّه على ذلك أنّ أحدنا يمدح بين يديه شخص و يذكر بحميد الخصال فيحبّه و يعشقه بالوصف و كثره الذكر ثمّ إذا عشق بكثره الذكر اضطرّ إلى كثره الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فإنّ من أحبّ شيئا أكثر ذكره و من أكثر من ذكر شيء و إن كان متكلّفا أحبّه،و قد شاهدنا ذلك كثيرا.كذلك أوّل ذكر اللّه متكلّف إلى أن يثمر الانس به و الحبّ له.

۱- ۱) ۵۱-۲۱.

۲- ۲) ۱۴۷-۲.

۳- ۳) ۴۱-۳۳.

۴- ۴) ۱۹۴-۲.

۵- ۵) ۱۹۶-۱۲.

ثمّ يمتنع الصبر عنه آخرا فيثمر الثمره،و لـذلك قال بعضـهم:كابـدت القرآن عشـرين سـنه.ثمّ تنعّمت به عشـرين سـنه.و لا يصدر التنعّم إلاّ عن الانس و الحبّ و لا يصدر الانس إلاّ من المداومه على المكابده حتّى يصير التكلّف طبعا.ثمّ إذا حصل الانس باللّه انقطع عن غير اللّه،و مـا سوى اللّه يفـارقه عنـد الموت فلاـ تبقى معه فى القبر أهـل و لاـ مـال و لاـ ولـد و لاـ ولاـيه و لا تبقى إلاّ المحبوب المذكور فيتمتّع به و يتلذّذ بانقطاع العوائق الصارفه عنه من أسباب الدنيا و محبوباتها.

إذا عرفت ذلك استعاره فقوله: جعله جلاء .إشاره إلى فائـدته و هى اسـتعداد النفوس بمـداومته على الوجه الّذى ذكرناه لمحبّه المـذكور و الإـعراض عمّا سواه،و اسـتعار لفظ الجلاء لإزاله كلّ ما سوا المـذكور عن لوح القلب بالـذكر كما يزال خبث المرآه بالصـقال ، مجاز من باب اطلاق اسم السـبب على المسبّب و تجوّز بلفظ السمع فى إقبالها على ما ينبغى أن يسمع من أوامر اللّه و نواهيه و ساير كلامه،و الوقره لإعراضـها عنها،و كذلك بلفظ البصر فى إدراكها للحقايق و ما ينبغى لها،و لفظ العشوه لعدم ذلك الإـدراك إطلاقـا فى المجـازات الأربعه لاسم السبب على المسبّب .و انقياد هاله:أى للحقّ،و سـلوك طريقه بعـد المعانـده فيه و الانحراف عنه .

و قوله: و ما برح .إلى قوله: عقولهم .

إشـاره إلى أنّه لم يخلو المـدد و أزمـان الفترات قـطّ من عبـاد اللّه و أوليـاء له و ألهمهم معرفته و أفاض على أفكارهم و عقولهم صور الحقّ و كيفيّه الهدايه إليه مكاشفه،و تلك الإفاضه و الإلهام هو المراد بالمناجات و التكلّم منه.

و قوله:فاستصبحوا.إلى قوله:و الأفئده.

أى اسـتضاءوا بمصباح نور اليقظه،و اليقظه فى الافئده فطانتها و استعدادها الكامل لما ينبغى لها من الكمالات العقليّه،و نور تلك اليقظه هو مـا يفاض عليها بسـبب اسـتعدادها بتلك الفطانه و يقظه الأبصار و الأسـماع بتتّبعها لإبصار الامور النافعه المحصّـِله منها عبره و كمالا نفسانيّا و سـماع النافع من الكلام،و أنوار اليقظه فيهما ما يحصل بسـبب ذلك الإبصار و السماع من أنوار الكمالات النفسانيّه.

ص:۶۹

كنـايه-مجاز من بـاب إطلاـق اسم المحلّ على الحالّ ثمّ شـرع فى وصف حالهم فى هـديهم لسبيل اللّه بأيّامه ،و هى كنايه عن شدايده النازله بالماضـين من الامم،و أصله أنّها يقع فى الأيّام،و يحتمل أن يكون مجازا إطلاقا لاسم المحلّ على الحالّ ، كنايه و مقام اللّه كنايه عن عظمته و جلالته المسـتلزمه للهيبه و الخوف . تشبيه و شـبّههم بالأدلّه فى الفلوات ،و وجه الشـبه كونهم هادين لسبيل اللّه كما تهـدى الأدلّه،و كما أنّ الأدلّه تحمـد من أخذ القصد فى الطريق طريقه و تبشّـره بالنجاه و من انحرف عنها يمينا و شمالا ذمّوا إليه طريقه و حذّروه من الهلكه كذلك الهداه إلى اللّه من سـلك سبيل اللّه العدل إليه و قصد فيها حمدوا إليه طريقه و بشّـروه بالنجـاه من المهالـك ،و من انحرف عنهـا يمينـا و شـمالا:أى سـلك أحـد طرفى الإفراط و التفريط ذمّوا إليه مسـلكه و حذّروه من الهلاك الأبدىّ.

و قوله :و كانوا كذلك.

أى كما و صفناهم، استعاره و استعار لفظ المصابيح باعتبار إضاءتهم بكمالاتهم بطريق اللّه،و لفظ الأدلّه باعتبار هداهم إلى الحقّ و تمييزه عن شبهاب الباطل.

و قوله :و إن للذكر لأهلا.إلى قوله:أيّام الحياه.

فـأهله هو من ذكرنا أنّهم اشـتغلوا به حتّى أحبّوا المـذكور و نسوا ما عـداه من المحبوبات الـدنيويّه،و إنّ من حبّ محبّه المـذكور محبّه ذكره و ملازمته حتّى اتّخذوه بدلا من متاع الدنيا و طيّباتها و لم يشغلهم عنه تجاره و لا بيع و قطعوا به أيّام حياتهم الدنيا.

و قوله :و يهتفون.إلى قوله:و يتناهون عنه.

إشـاره إلى وجوه طـاعتهم للّه و عبـادتهم له و هى من ثمرات الـذكر و محبّه المـذكور لأنّ من أحبّ محبوبا سـلك مسـلكه و لم يخالف رسمه و كان له فى ذلك الابتهاج و اللذّه.

تشبيه و قوله : فكأنّما قطعوا.إلى قوله:عداتها .

تشبيه لهم فى ثقتهم باللّه و بما جاءت به كتبه و رسله،و تحقّقهم لأحوال القيامه و وعدها و وعيدها بعين اليقين عن قطع الدنيا من أحوال أهل البرزخ و

طول إقامتهم فيه فكشفوا غطاء تلك الأحوال لأهل الدنيا بالعبادات الواضحه و البيانات اللايحه حتّى كأنّهم فى وصفهم لها عن صفاء سرائرهم و صقال جواهر نفوسهم بالرياضه التامّه يرون بأبصارهم ما لا يرى الناس،و يسمعون بآذانهم ما لا يسمعون الناس.إذ يخبرون عن مشاهدات و مسموعات لا يدركها الناس،و لمّا كان السبب فى قصور النفوس عن إدراك أحوال الآخره هو تعلّقها بهذه الأبدان و اشتغالها بتدبيرها و الانغماس فى الهيئات الدنيويّه المكتسبه عنها،و كان هؤلاء الموصوفون قد غسلوا درن تلك الهيئات عن ألواح نفوسهم بمداومه ذكر اللّه و ملازمه الرياضه التامّه حتّى صارت نفوسهم كمرأى مجلوّه حوذى بها شطر الحقائق الإلهيّه فتجلّت و انتقشت بها لا جرم شاهدوا بعين اليقين سبيل النجاه و سبيل الهلاك و ما بينهما فسلكوا على بصيره و هدوا الناس على يقين و أخبروا عن امور شاهدوها بأعين بصائرهم و سمعوا بآذان عقولهم فكأنّهم فى وضوح ذلك لهم و ظهوره و إخبارهم عنه قد شاهدوا ما شاهده الناس بحواسّهم فشاهدوا ما لم يشاهده الناس و سمعوا ما لم يسمعوه.

و قوله :فلو مثّلتهم بعقلك.

أى استحضرت صورهم و أعمالهم فى مقاومهم المحموده و مجالسهم المشهوده و هى مقامات العباده و مجالسها.و دواوين أعمالهم:أذهانهم و ما ثبت فيها من أفعالهم.و نشرها:تتّبع نفوسهم بأفكارها و تخيّلاتها لصور تلك الأعمال و تصفّحها لها المشبّهه لتصفّح الأوراق.و الواو فى قوله:و فرغوا لمحاسبه أنفسهم على كلّ صغيره و كبيره للبيان.ليستدعى بيان معنى المحاسبه،و لمّا كان معناها ليستدعى محاسبا حتّى يكون النظر معه فى رأس المال فى الربح و الخسران ليبيّن له الزياده و النقصان، و إن كان من فضل حاصل استوفاه و إن كان من خسران طالبه بضمانه و كلّفه تداركه فى المستقبل فكذلك العبد معامله نفسه الأمّاره بالسوء،و رأس ماله الفرائض و ربحه النوافل و الفضائل،و الخسران المعاصى،و موسم هذه التجاره جمله النهار فينبغى أن يكون للعبد فى آخره ساعه يطالب بها نفسه و يحاسبها على جميع حركاتها و سكاناتها

فإن کان قد أدّى الفرائض على وجهها شكر اللّه تعالى عليه و رغّبها فى مثلها،و إن فوّتها من أصلها كلّفها بالقضاء،و إن أدّتها ناقصه كلّفها بالجبران بالنوافل،و إن ارتكب معصيه اشتغل بعقابها و تعذيبها و معاتبتها و استوفى منها ما يتدارک به تفريطها كما يصنع التاجر بشريكه.و كما أنّه ينقش فى حساب الدنيا عن الحبّه و القيراط فيحفظ مداخل الزياده و النقصان كذلک ينبغى أن تتّقى خدعه النفس و مكرها فإنّها مخادعه مكّاره فليطالبها أوّلا بتصحيح الجواب عمّا تكلّم به طول نهاره و ليتولّى من حسابها بنفسه ما سيتولّاه غيره فى محفل القيامه،و كذلک عن نظره و خواطره و أفكاره و قيامه و قعوده و أكله و شربه،و حتّى عن سكونه و سكوته.فإذا عرف أنّها أدّت الحقّ فى الجميع كان ذلک القدر محسوبا له فيظهر بها الباقى و يقرّره عليها و يكتبه على صحيفه قلبه.ثمّ إنّ النفس غريم يمكن أن يستوفى منه الديون أمّا بعضها فبالغرامه و الضمان و بعضها بردّ عينها بالعقوبه لها على ذلک و لا يمكن شىء من ذلک إلّا بعد تحقّق الحساب و تميّز باقى الحقّ الواجب عليه.

ثمّ يشتغل بعده بالمطالبه.و ينبغى أن يحاسب الإنسان النفس على جميع العمر يوما يوما و ساعه فى جميع الأعضاء الظاهره و الباطنه كما نقل عن توبه بن الصمه و كان بالرقّه و كان محاسبا لنفسه فحسب يوما فإذا هو ستّين سنه فحسب أيّامها فإذا أحد و عشرون ألف يوم و خمس مائه يوم فصرخ فقال:يا ويلتى ألقى الملک بأحد و عشرين ألف ذنب.ثمّ خرّ مغشيّا عليه فإذا هو ميّت فسمعوا قائلا يقول:يا لک ركضه إلى الفردوس الأعلى.فهكذا ينبغى أن تكون المحاسبه،و لو رمى العبد بكلّ معصيه حصاه فى داره لامتلأت داره فى مده يسيره من عمره و لكنّه يتساهل فى حفظها و الملكان يحفظان عليه كما قال تعالى «أَحْصاهُ اللّهُ وَ نَسُوهُ» (١).

إذا عرفت ذلک فقوله :و فرغوا لمحاسبه أنفسهم.إلى قوله:ندم و اعتراف.

إشاره إلى حال وجدانهم عند محاسبه أنفسهم لتقصيرها و الخسران فى رءوس

ص:٧٢

١- ١) ٧-٥٨.

أموالهم الّتى هى الطاعات و نشيجهم و نحيبهم و عجّهم فى الندم و الاعتراف بالذنب إشاره إلى حالهم فى تدارک ذلک الخسران بالشروع فى الجبران.فأوّل مقاماته التوبه و لوازمها المذکوره،ثمّ العمل .

استعاره و قوله: لرأيت.إلى قوله:الراغبون .

صفات أحوالهم المحموده،و اللام فى قوله:لرأيت.جواب لو فى قوله:فلو مثّلهم،و استعار لهم لفظه الأعلام و المصابيح باعتبار کونهم أدلّه إلى طريق اللّه و ذوى أنوار يستضاء بها فيها ، کنايه و حفوف الملائکه بهم کنايه عن إحاطه عنايتهم به،و ذلک لکمال استعدادهم لقبول الأنوار عن اللّه بواسطه الملائکه الکروبيّه و وجوب فيضها عليهم عنهم،و فى ذلک الإشاره إلى إکرامهم بذلک.

و قوله:و تنزّلت عليهم السکينه.

إشاره إلى بلوغ استعداد نفوسهم لإفاضه السکينه عليها و هى المرتبه الثالثه من أحوال السالک بعد الطمأنينه،و ذلک أن تکثّر تلک البروق و اللوامع الّتى کانت تغشيه حتّى يصير ما کان مخوفا منها مألوفا،و کانت تحصل لا لمشيئه السالک فيصير حصولها بمشيئته و إرادته.و فتح أبواب السماء لهم إشاره إلى فتح أبواب سماء الجود الإلهىّ بإفاضه الکمالات عليهم کما قال تعالى «فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ» (۱)و مقاعد الکرامات مراتب الوصول إليه.و تلک المقاعد الّتى اطّلع اللّه تعالى عليهم فيها فرضى سعيهم بالأعمال الصالحه المبلّغه إليها،و حمد مقامهم فيها.

و قوله :يتنسّمون بدعائه روح التجاوز.

أى يدعونه و يتوقّعون بدعائه تجاوزه عن ذنوبهم،و أن لا يجعل تقصيرهم فيما عساهم قصّروا فيه سببا لانقطاع فيضه،و قد علمت أنّ سيّئات هؤلاء يعود إلى ترک الأولى بهم. استعاره ثمّ استعار لهم لفظ الرهائن لکونهم فى محلّ الحاجه إلى فضله لا معدول و لا ملجأ لهم عنه کالرهائن فى يد المسترهن،و کذلک لفظ الاسارى ،

ص:۷۳

۱- ۱) ۱۱-۵۴.

و وجه المشابهه كونهم فى مقام الذلّه بحسب عظمته كالأسير بالنظر إلى عظمه من أسرّه.

و قوله:جرح.إلى قوله:عيونهم.

فذلک الجرح من لوازم اطّلاعهم على خيانه أنفسهم و خسرانهم فى معاملتهم لها بعد محاسبتها.

و قوله :لکلّ باب.إلى قوله:يد قارعه.

أشار بقرعهم لکلّ باب من أبواب الرغبه إلى اللّه إلى توجيه أسرارهم و عقولهم إلى القبله الحقيقيّه استشراقا لأنوار اللّه و استسماحا لجوده.

و قوله:يسألون.إلى قوله:المنادح.

إشاره إلى سعه جوده و فضله و أنّه أکرم الأکرمين ليتبيّن أنّه أحقّ مسئول بإعطاء سؤل و أولى مرغوب إليه بإسداء مرغوب.

و قوله :فحاسب نفسک.إلى آخره.

أى فتولّ أنت حساب نفسک.فإنّ حساب غيرها من النفوس و هى الّتى لم يحاسبها صاحبها يتولّاه غيرک و هو أسرع الحاسبين،و ذلک فى معنى تهديد الإنسان على ترک محاسبه نفسه.و باللّه التوفيق.

۲۱۴-و من کلام له عليه السّلام

اشاره

قاله عند تلاوته «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِيمِ»

أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّهً وَ أَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَهً- لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَهً بِنَفْسِهِ- «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ» مَا جَرَّأَکَ عَلَى ذَنْبِکَ- وَ «ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ» وَ مَا أَنَّسَکَ بِهَلَکَهِ نَفْسِکَ- أَ مَا مِنْ دَائِکَ بُلُولٌ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمِکَ يَقَظَهٌ- أَ مَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِکَ

مَا تَرْحَمُ مِنْ غَیْرِکَ- فَلَرُبَّمَا تَرَی الضَّاحِیَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ- أَوْ تَرَی الْمُبْتَلَی بِأَلَمٍ یُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْکِی رَحْمَهً لَهُ- فَمَا صَبَّرَکَ عَلَی دَائِکَ وَ جَلَّدَکَ عَلَی بِمُصَابِکَ وَ عَزَّاکَ عَنِ الْبُکَاءِ عَلَی نَفْسِکَ- وَ هِیَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَیْکَ- وَ کَیْفَ لَا یُوقِظُکَ خَوْفُ بَیَاتِ نِقْمَهٍ- وَ قَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِیهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ- فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَهِ فِی قَلْبِکَ بِعَزِیمَهٍ- وَ مِنْ کَرَی الْغَفْلَهِ فِی نَاظِرِکَ بِیَقَظَهٍ- وَ کُنْ لِلَّهِ مُطِیعاً وَ بِذِکْرِهِ آنِساً- وَ تَمَثَّلْ فِی حَالِ تَوَلِّیکَ عَنْهُ- إِقْبَالَهُ عَلَیْکَ یَدْعُوکَ إِلَی عَفْوِهِ- وَ یَتَغَمَّدُکَ بِفَضْلِهِ وَ أَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَی غَیْرِهِ- فَتَعَالَی مِنْ قَوِیٍّ مَا أَکْرَمَهُ- وَ تَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِیفٍ مَا أَجْرَأَکَ عَلَی مَعْصِیَتِهِ- وَ أَنْتَ فِی کَنَفِ سِتْرِهِ مُقِیمٌ- وَ فِی سَعَهِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ- فَلَمْ یَمْنَعْکَ فَضْلَهُ وَ لَمْ یَهْتِکْ عَنْکَ سِتْرَهُ- بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَیْنٍ- فِی نِعْمَهٍ یُحْدِثُهَا لَکَ أَوْ سَیِّئَهٍ یَسْتُرُهَا عَلَیْکَ- أَوْ بَلِیَّهٍ یَصْرِفُهَا عَنْکَ فَمَا ظَنُّکَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ- وَ ایْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَهَ کَانَتْ فِی مُتَّفِقَیْنِ فِی الْقُوَّهِ- مُتَوَازِیَیْنِ فِی الْقُدْرَهِ- لَکُنْتَ أَوَّلَ حَاکِمٍ عَلَی نَفْسِکَ بِذَمِیمِ الْأَخْلَاقِ- وَ مَسَاوِئِ الْأَعْمَالِ- وَ حَقّاً أَقُولُ مَا الدُّنْیَا غَرَّتْکَ وَ لَکِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ- وَ لَقَدْ کَاشَفَتْکَ الْعِظَاتِ وَ آذَنَتْکَ عَلَی سَوَاءٍ- وَ لَهِیَ بِمَا تَعِدُکَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِکَ- وَ النَّقْصِ فِی قُوَّتِکَ أَصْدَقُ وَ أَوْفَی مِنْ أَنْ

ص:۷۵

تَكْذِيبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ- وَ لَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ- وَ صَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ- وَ لَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَهِ وَ الرُّبُوعِ الْخَالِيَهِ- لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ- وَ بَلاَغِ مَوْعِظَتِكَ- بِمَحَلَّهِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَ الشَّحِيحِ بِكَ- وَ لَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً- وَ مَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلاًّ- وَ إِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ- إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَهُ وَ حَقَّتْ بِجَلاَئِلِهَا الْقِيَامَهُ- وَ لَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ وَ بِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ- وَ بِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ- فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَ قِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ- وَ لاَ هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ بِحَقِّهِ- فَكَمْ حُجَّهٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَهٌ- وَ عَلاَئِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَهٌ- فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ وَ تَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ- وَ خُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لاَ تَبْقَى لَهُ- وَ تَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ وَ شِمْ بَرْقَ النَّجَاهِ وَ ارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ

اللغه

أقول: حجّه داحضه : باطله .و أبرح جهاله بنفسه : أى بالغ فى تحصيل جهالتها و أعجبه ذلك .و البلول : الصحّه .و الضاحى : البارز للشمس .و الممضّ:

المؤلم .و السطوه : البطش و القهر،و السطوه المرّه منه و الجمع سطوات .و التجلّد : التقوّى و التصبّر .و الورطه : الهلاك .و تعمّدك : قصدك .و الكنف:

الحياطه .و الكنف : الجانب .و آذنك : أعلمك .و المنسك : موضع العباده،و أصله كلّ موضع يتردّد إليه و يقصد .و التحرّى : طلب الأحرى و الأولى .و شم

ص:۷۶

برق النجاه : أی أنظر إلیه .

المعنی

فقوله: أدحض .

خبر مبتداء محذوف و التقدیر الإنسان عند سؤال ربّه له ما غرّک بربّک الکریم أدحض مسئول حجّه،و أشدّه انقطاعا فی عذره.و مبالغته فی تجهیل نفسه:

کثره إمهالها فی متابعه هواها و ترکها عن الإصلاح،و المنصوبات الثلاثه ممیّزات .

استفهام توبیخی تجاهل العارف و قوله: «یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ» .إلی قوله:بهلکه نفسک.

استفهامات عن أسباب جرأته علی الذنوب و أسباب غرّته بربّه و غفلته عن شدّه بأسه و عن أسباب انسه بهلکه نفسه بتوریطها فی المعاصی معها استفهاما علی سبیل التقریع و التوبیخ،و یحتمل أن یکون قوله:ما آنسک.تعجّبا ،و کذلک الاستفهام عن بلوله من داء الجهل و یقظته من نوم الغفله و رحمته لنفسه کما یرحم غیرها إلاّ أنّ الاستفهامات الثلاثه الأولی یطلب فیها تصوّر تلک الأسباب و فهم حقیقتها علی سبیل تجاهل العارف،و فی هذه الثلاثه الأخیره یطلب فیها التصدیق .

ثمّ نبّه علی وجوب رحمته لنفسه کما یرحم غیرها بقوله:فلربّما تری الضاحی.

إلی قوله:رحمه له،و هی فی قوّه صغری قیاس احتجّ به،و وجه ذلک أنّک قد ترحم من تراه فی حرّ الشمس فتظلّه أو مبتلی بألم فتبکی رحمه له،و کلّ من کان کذلک فأولی أن یرحم لنفسه بانقاذها من بلاء تقع فیه.ینتج إنّک أولی أن ترحم نفسک من دائها.

استفهام توبیخی و قوله: فما صبّرک.إلی قوله:الأنفس علیک .

استفهام عن أسباب صبره علی دائه و تجلّده علی مصائبه الّتی تلحقه بسبب ذلک الداء و تعزیّه عن البکاء علی نفسه و علی أعزّ الأنفس علیه استفهام توبیخ و لائمه حسنها بعد ذلک الاحتجاج ظاهر ،و نبّه بقوله:و کیف لا یوقظک.إلی قوله:سطواته.علی بعض أسباب الیقظه لعظمه اللّه عن الغفله عنها و هی خوف بیات نقمه أن یوقعها به لیلا.کقوله تعالی «أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُری أَنْ یَأْتِیَهُمْ بَأْسُنا بَیاتاً وَ هُمْ»

«نائِمُونَ» (۱)و مدارج سطواته مجاری بطشه و قهره و هی محالّ المعاصی و أسبابها.

و التورّط فیها:الحصول فیها المستلزم للهلاک الاخرویّ.

و قوله:فتداو.إلی قوله:بیقظه.

تنبیه علی الدواء من الفتره فی القلب عن ذکر اللّه و هو العزیمه علی طاعته و الإجماع علی ملازمه ذکره،و من نوم الغفله فی ناظر القلب عن ذلک بالیقظه له .ثمّ أمر بما ینبغی أن یکون تلک العزیمه علیه و تلک الیقظه له و هما طاعه اللّه و تحصیل الانس بدوام ذکره.

و قوله:و تمثّل.إلی قوله:یصرفها عنک.

تنبیه له علی ضروب نعم اللّه علیه و مقابلته لها بالکفران و المعصیه لعلّه یتذکّر أو یخشی فأمره أن یتمثّل فی ذهنه فی حال إعراضه عن ربّه و انهما که فی معصیته إقباله علیه بضروب نعمه من دعوته له بکلامه علی ألسنه خواصّ رسله إلی عفوه و تعمّده إیّاه بفضله و إقامته فی کنف ستره و تقلّبه فی سعه فضله لم یمنعه فضله و لاهتک عنه ستره لمقابلته تلک النعم بالکفران و المعصیه بل لم یخل من لطفه مقدار طرفه عین،و ذلک الطف فی نعمه یحدثها له أو سیّئه یسترها علیه أو بلیّه یصرفها عنه.فأحسن بهذا التنبیه فإنّ استحضار ذهن العاقل بضروب هذه النعم فی حال الإقبال علی المعصیه من أقوی الجواذب إلی اللّه عنها،و إنّما قال:و تمثّل.لأنّ الحاضر فی الذهن لیس هو نفس إقبال اللّه علی العبد بل معناه و مثاله.و یدعوه:فی موضع الحال،و کذلک الواو فی قوله:و أنت.و الملازمه أنّ فضله کان علیک حال معصیتک له کثیرا کما تقدّم بیانه فبالطریق الأولی أن یتمّ فضله علیک حال طاعتک إیّاه و حسن ظنّک به.

و قوله :و أیم اللّه.إلی قوله:الأعمال.

أی لو کان هذا الوصف الّذی ذکرناه من إقبال اللّه علیک بضروب نعمه و

۱- ۱) ۹۵-۷.

مقابلتک له بالإعراض عنه و الإقبال علی معاصیه وصف مثلین من الناس فی القوّه و القدره و المنزله و کنت أنت المسیء منهما لکان فیما ینبغی لک من الحیاء و الأنفه أن تکون أوّل حاکم علی نفسک بتقصیرها و ذمیم أخلاقها و مقابح أعمالها.و هو صوره احتجاج یقرّر علیه مساوی أعماله و یجذبه بذلک إلی تبدیلها بمحاسنها فی قیاس ضمیر من الشکل الأوّل ذکر فی الکلام صغراه.تلخیصها:أنّک أوّل حاکم علی نفسک بتقصیرها علی تقدیر أن یکون مولیک هذه النعم مثلا لک،و تقدیر الکبری و کلّ من کان کذلک فأولی به أن یکون أوّل حاکم علیها بتقصیرها علی تقدیر أن یکون مولیه تلک النعم خالقه و مالک رقّه،و ینتج أنّ الأولی بک أن یکون أوّل حاکم علی نفسک بتقصیرها علی تقدیر أن یکون مولی تلک النعم خالقک و مالک رقّک.

مجاز و قوله : و حقّا أقول:ما الدنیا غرّتک و لکن بها اغتررت .

تقدیر منع لما عساه أن یجیب به الناس سؤاله تعالی إیّاهم بقوله: «ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ» ،و هو کثیر فی کلامهم:إنّ الدنیا هی الغارّه،و کما نسب القرآن الکریم إلیها ذلک بقوله «وَ غَرَّتْهُمُ الْحَیاةُ الدُّنْیا» و کلامه علیه السّلام حقّ من وجهین:أحدهما:

أنّ الاستغرار من لواحق العقل و لیست الدنیا لها العقل،و الثانی:أنّها لم تخلق لأنّ یستغرّ بها.إذ کان مقصد العنایه الإلهیّه بوجود الإنسان فیها فلا یجوز أن ینسب إلیها الاستغرار حقیقه لکن لمّا کانت سببا مادیّا للاغترار بها جاز أن ینسب إلیها الاستغرار مجازا ،و صدق قوله أیضا:و لکن بها اغتررت.

و قوله:و لقد کاشفتک العظات.

تقریر لمنع نسبه الاستغرار إلیها بنسبه ضدّه إلیها و هو النصیحه له بما کاشفته بالمواعظ و هی محالّ الاتّعاظ من تصاریفها و عبرها،و بمجاهرتها و إعلامها علی عدل منها.إذ خلقت لذلک التغییر و الإعلام و علی ذلک التصریف و لم یمکن أن یکون إلاّ کذلک فلم یکن تصاریفها بک جورا علیک.

و قوله:و لهی بما تعدک.إلی قوله:تغرّک.

زياده تأكيد لنصيحتها و تخويف منها، استعاره-مجازا إطلاقا لاسم أحد الضدّين على الآخر و استعار لفظ الوعد لإشعارها فى تغييراتها بما يتوقّع من مصائبها كما أنّ الوعد إشعار بإعطاء مطلوب،و استعمل الوعد فى مكان الوعيد مجازا إطلاقا لاسم أحد الضدّين على الآخر كتسميه السيّئه جزاء،و كذلك استعار لها لفظ الصدق و الوفاء ملاحظه لشبهها بالصادق الوفّى فى أنّه لا بدّ من إيقاع ما وعد به.

و قوله:أصدق و أوفى.مع قوله:من أن تكذبك أو تغرّك.

من باب اللفّ و النشر و فيه المقابله.

مجاز من باب إطلاق اسم ذى الغايه على غايته و قوله : و لربّ.إلى قوله:مكذّب .

تقرير لبعض لوازم الغفله عليه و هى تهمته للمناصح منها و تكذيبه لصادق خبرها،و أطلق لفظ التهمه و التكذيب مجازا فى عدم الالتفات إلى نصيحتها بتصاريفها و ما يعلم من صادق تغيّراتها و عدم اعتبار ذلك منها إطلاقا لاسم ذى الغايه على غايته،و كانت غايه التهمه و التكذيب عدم الالتفات إلى المتّهم و المكذّب و الإعراض عنها .

تشبيه و قوله: و لئن تعرّفتها.إلى قوله.الشحيح بك ، صوره احتجاج نبّه فيه على صدقها فى نصيحتها كى تستنصح و لا تتّهم،و هو بقياس شرطىّ متّصل،و تقريره و لئن تعرّفتها:أى طلبت معرفه حالها فى نصيحتها و غشّها من الديار الخاويه و الربوع الخاليه للامم السالفه و القرون الماضيه لتعرّفتها بمنزله الشفيق عليك و الشحيح بك،و وجه شبهها بذلك حسن تذكّرها لك و بلاغ موعظتك و عبرتك منها كما أنّ الناصح الشفيق عليك،و بيان الملازمه بحال الوجدان بعد تعرّفها .و الاستثناء فى هذه المتّصله لعين المقدّم لينتج عين التالى.

و قوله :و لنعم.إلى قوله:محلاّ.

مدح للدنيا باعتبار استعمالها على الوجه المقصود بالعنايه الإلهيّه و هو الاعتبار بها دون الرضا بها لذاتها و اتّخاذها وطنا و دار إقامه،و اسم نعم هو دار

من لم يرض،و المخصوص بالمدح هو الدنيا،و دارا و محلا منصوبان على التميز يقومان مقام اسم الجنس الّذى هو اسم نعم إذا حذف،و هاهنا مسئلتان:

إحداهما:أنّ اسم الجنس الّذى هو اسم نعم و بئس تضاف فى العاده إلى ما فيه الألف و اللام كقولك:نعم صاحب القوم،و قد أضافه هاهنا إلى ما ليس فيه الألف و اللام،و قد جاء مثله فى الشعر كقوله:فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم.

الثانيه:أنّه جمع بين اسم الجنس و النكره الّتى تبدل منه،و قد جاء مثله فى قوله:فنعم الزاد زاد أبيك زادا،و إنّما أضاف دارا إلى من لم يرض بها،و محلاّ إلى من لم يوطّنها لأنّ الدنيا إنّما يكون دارا ممدوحه باعتبار كونها دار من لم يرض بها و لم يوطّنها لاستلزام عدم رضاهم بها الانتفاع بالعبر بها و اتّخاذ زاد التقوى،و اولئك هم المتّقون السعداء بها.و يحتمل أن يكون دارا و محلاّ منصوبين على التميز عن قوله:لم يرض بها و لم يوطّنها.

كنايه و قوله: و إنّ السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم .

فوجه سعادتهم بها استثمارهم للكمالات المسعده فى الآخره منها،و لن يحصل ذلك إلاّ بالهرب منها اليوم،و كنّى بالهرب منها عن الإعراض الحقيقى عن لذّاتها، و التباعد من اقتنائها و لذّاتها لاستلزام الهرب عن الشىء التباعد عنه و الزهد فيه، و ظاهر أنّ التباعد منها بالقلوب إلاّ ما دعت الضروره إليه و اتّخاذها مع ذلك سببا إلى الآخره من أسباب السعاده و مستلزماتها كما أشار إليه سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من حاله فيها بقوله:ما أنا و الدنيا إنّما مثلى فيها كمثل راكب سار فى يوم صايف فرفعت له شجره فنزل فقعد فى ظلّها ساعه ثمّ راح و تركها .و دلّ بقوله:إذا رجفت.على الوقت المذكور المدلول عليه بقوله:غدا.و هو يوم القيامه لقوله تعالى «يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ» (1)قال المفسّرون:الراجفه:هى النفخه الاولى فى الصور و هى صيحه عظيمه فيها تردّد و اضطراب كالرعد يصعق فيها الخلايق و «تَتْبَعُهَا الرّادِفَةُ» و هى النفخه الثانيه تردف الأوّل.و جلائل القيامه:محنها الجليله

1- 1) 6-79.

العظيمه.

و قوله:و لحق بكلّ منسک أهله.

إشاره إلى لحقوق كلّ نفس يوم القيامه لعبودها و مطاعها و ما ألفته و أحبّته من أمر دنيوىّ أو اخروىّ فأقبلت عليه و عملت له،و نحوه أشار الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

يحشر المرء مع من أحبّ،و لو أحبّ أحدكم حجرا لحشر معه.

و قوله :فلم يجز.إلى قوله:بحقّه.

تقرير لعدله تعالى فى ذلك اليوم.و المعنى أنّ كلّ حركه و لو طرفه عين فى الهواء أو همس قدم فى الأرض فإنّها لا تجرى فى عدله إلاّ بحقّها لا يزاد عليه و لا ينقص عنه .ثمّ أشار إلى كثره الحجج الباطله يومئذ و الأعذار المنقطعه ترغيبا فى تحصيل الكمالات البرهانيّه و لزوم آثار المرسلين و الأولياء الأبرار فى سلوك سبيل اللّه،و إنّما ذكر مخاوف ذلك اليوم و أهواله بعد ذكر السعداء فيه و تعيين أنّهم هم الهاربون من الدنيا اليوم ليرغّب إلى الاقتداء بهم فى ذلك الهرب لغايه تلك السعاده.ثمّ أمر أن يطلب الإنسان من اموره و أحواله أحراها و أولاها ممّا يقوم به عذره فى ذلك اليوم و تثبت به حجّته فى محفل القيامه،و ذلك الأمر هو ما أشرنا إليه من البرهان و اقتفاء أثر المرسلين،و كذلك أمره أن يأخذ ما يبقى له من الكمالات المسعده فى الآخره ممّا لا يبقى له و هو الدنيا و متاعها،و قد بيّنا كيفيّه ذلك الأخذ غير مرّه،و أن تيسّر لسفره:أى يستعدّ لسفره إلى اللّه بالرياضه بالزهد و العباده،و أن يشيم برق النجاه:أى يوجّه سرّه إلى اللّه تعالى بعد الزهد الحقيقى و العباده الكاسره للنفس الأمّاره بالسوء لتشرق لوامع الأنوار الإلهيّه و بروقها الّتى هى بروق النجاه و أبواب السلامه كما أشار إليه فيما قبل هذا الفصل بفصلين بقوله:و تدافعته الأبواب إلى باب السلامه،و أن يرحل مطايا التشمير و هو إشاره إلى الجدّ فى سلوك سبيل اللّه و الاجتهاد فى العمل لما بعد الموت، استعاره و استعار لفظ المطايا لآلات العمل،و لفظ الإرحال لإعمالها ،و باللّه التوفيق.

۲۱۵-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

وَ اللَّهِ لَأَنْ أَبِیتَ عَلَی حَسَکِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً- أَوْ أُجَرَّ فِی الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً- أَحَبُّ إِلَیَّ مِنْ أَنْ أَلْقَی اللَّهَ وَ رَسُولَهُ یَوْمَ الْقِیَامَهِ ظَالِماً- لِبَعْضِ الْعِبَادِ- وَ غَاصِباً لِشَیْءٍ مِنَ الْحُطَامِ- وَ کَیْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ یُسْرِعُ إِلَی الْبِلَی قُفُولُهَا- وَ یَطُولُ فِی الثَّرَی حُلُولُهَا- وَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَیْتُ؟عَقِیلاً؟ وَ قَدْ أَمْلَقَ- حَتَّی اسْتَمَاحَنِی مِنْ بُرِّکُمْ صَاعاً- وَ رَأَیْتُ صِبْیَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ- کَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ- وَ عَاوَدَنِی مُؤَکِّداً وَ کَرَّرَ عَلَیَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً- فَأَصْغَیْتُ إِلَیْهِ سَمْعِی فَظَنَّ أَنِّی أَبِیعُهُ دِینِی- وَ أَتَّبِعُ قِیَادَهُ مُفَارِقاً طَرِیقَتِی- فَأَحْمَیْتُ لَهُ حَدِیدَهً ثُمَّ أَدْنَیْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِیَعْتَبِرَ بِهَا- فَضَجَّ ضَجِیجَ ذِی دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا- وَ کَادَ أَنْ یَحْتَرِقَ مِنْ مِیسَمِهَا- فَقُلْتُ لَهُ ثَکِلَتْکَ الثَّوَاکِلُ یَا؟عَقِیلُ؟- أَ تَئِنُّ مِنْ حَدِیدَهٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ- وَ تَجُرُّنِی إِلَی نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ- أَ تَئِنُّ مِنَ الْأَذَی وَ لَا أَئِنُّ مِنْ لَظَی- وَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِکَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَهٍ فِی وِعَائِهَا- وَ مَعْجُونَهٍ شَنِئْتُهَا- کَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِیقِ حَیَّهٍ أَوْ قَیْئِهَا- فَقُلْتُ أَ صِلَهٌ أَمْ زَکَاهٌ أَمْ صَدَقَهٌ- فَذَلِکَ مُحَرَّمٌ عَلَیْنَا؟أَهْلَ الْبَیْتِ؟- فَقَالَ لَا ذَا وَ لَا ذَاکَ وَ لَکِنَّهَا

ص:۸۳

هَدِيَّهُ- فَقُلْتُ هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ أَ عَنْ دِينِ اللَّهِ أَتَيْتَنِی لِتَخْدَعَنِی- أَ مُخْتَبِطٌ أَمْ ذُو جِنَّهٍ أَمْ تَهْجُرُ- وَ اللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَهَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا- عَلَى أَنْ أَعْصِیَ اللَّهَ فِی نَمْلَهٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَهٍ مَا فَعَلْتُهُ- وَ إِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِی لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَهٍ فِی فَمِ جَرَادَهٍ تَقْضَمُهَا- مَا؟لِعَلِیٍّ؟ وَ لِنَعِيمٍ يَفْنَى وَ لَذَّهٍ لَا تَبْقَى- نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وَ قُبْحِ الزَّلَلِ وَ بِهِ نَسْتَعِينُ

اللغه

أقول: السعدان : نبت شوکیّ ذو حسک لها ثلاث أرؤس محدّده علی أیّ وجه وقعت من الأرض کان لها رأسان قائمان .و المصفّد : الموثوق شدّا بغلّ أو قید و نحوهما .و القفول : الرجوع من السفر .و الإملاق : الافتقار .و الاستماحه:

طلب المنح و هو العطاء .و العظلم : نبت و هو بالعربیّه النیل،و قیل:نبت آخر یصبغ به .و الدنف : شدّه المرض .و المیسم : المکواه .و سجّرها : وقدها و أحماها .و شنئتها : أبغضتها .و هبلته الهبول : ثکلته الثواکل .و الخباط : مرض کالجنون و لیس به ،و المختبط : الّذی یطلب معروفک من غیر سبب سابق بینکما من رحم أو معروفه سابقه أو سابقه معروف لک عنده .و الجنّه : الجنون .و الهجر:

الهذیان .و جلب الشعیره : قشرها .

و غرض الفصل التبرّی من الظلم

،و ذلک أنّ أحدهم کان یأتیه فیسأله العطاء و هو علیه السّلام لم یکن لیستبقی لنفسه شیئا و لا یری أن یعطی من بیت المال أحدا دون غیره.فیحرمه،و ربّما کان فی غایه الحاجه فینسبه إلی الظلم و التخصیص بالمال دونه.فتبرّأ بهذا الکلام ممّا نسب إلیه من ذلک.

فقوله: و اللّه .إلی قوله: الحطام .

ص:۸۴

بیان لمقـدار نفرته عن الظلم و غایتها.و علّه ترجیحه أو اختیاره لأحـد الأمرین المذکورین علی الظلم مع ما یسـتلزمانه من التألّم و العـذاب أنّ ما یستلزمه الظلم من عـذاب اللّه أشـدّ خصوصا فی حقّ من نظر بعین بصـیرته تفاوت العـذابین،مؤکّدا لـذلک البیان بالقسم البارّ. اسـتعاره و لفظ الحطام مستعار لمتاع الدنیا باعتبار حقارته،و أصله ما تکسر من نبت الأرض .و ظالما و غاصبا حالان .

استفهام انکاری و قوله: و کیف.إلی قوله:حلولها .

استفهام عن وجه ظلمه لأحد استفهام إنکار علی من نسب إلیه ذلک مع ذکر سـببین یمنعان العاقل من الظلم،و هما الرجوع إلی البلی من السفر فی الدنیا،و طول الحلول فی الثری .

و قوله: و اللّه لقد رأیت .إلی قوله: لظی .

تنبیه لنفی الظلم عنه ببلوغه فی المحافظه علی بیت المال و مراعاه العدل إلی الحدّ الّذی فعله مع أخیه عقیل علی شدّه فاقته و فاقه عیـاله و کونه ذا حقّ فی بیت المـال، و معلوم أنّ من لم تـدعه هـذه الأسـباب الثلاثه،و هی الاخوّه و الفاقه و الحقّ الموجود لـذی الفاقه.إلی أن یدفعه إلیه أو بعضه خوفا من شـبهه الظلم فهو أنزه الناس أن یظلم أو یحوم حول الظلم بوجه، استعاره و استعار لفظ السـمع لما یوهم من اسـتعاضه لذّه العطاء للأخ الفقیر بما یفوت من الدین لسـبب الظلم فی عطیّته علی غیر الوجه الشرعیّ،و قیاده ما یقوده به من الاستعطاف و الرحم عن طریقه العدل ،و إنّما أحمی له الحدیده لیتنبّهه بها علی النار الاخرویّه،و لذلک احتجّ عند أنینه من حرّهـا بقوله:أتئنّ من حدیـده.إلی قوله:لغضـبه،و وجه الاحتجـاج أنّک إذا کنت تئنّ من هـذه فبالأولی أن تئنّ من تلک النـار،و غـایه ذلـک أن تترک الظلم بطلب مـا لاـ تسـتحقّه لاسـتلزام الأـنین من نار اللّه ترک الظلم،و لمّا أثبت علیه وجوب ترک الظلم بـذلک الطلب أعقبه بالاحتجـاج لنفسه علی وجـوب ترکهـا للظلم بإعطـائه بقوله:أتئنّ من الأـذی و لاـ أئنّ من لظی:أی إذا کنت تئنّ من الأذی فبالأولی أن أئنّ من لظی.و إنّما قال:

و لا أئنّ من لظی مع أنّ لظی غیر حاصله الآن تنزیلا للمتوقّع الّذی لا بدّ منه

بسبب الظلم منزله الواقع ليكون أبلغ فى الموعظه،و إنّما أضاف الإنسان إلى الحديده لأنّه أراد إنسانا خاصّا هو المتولّى لأمر تلك الحديده فعرّفه بإضافته إليها،و كذلك الإضافه فى جبّارها،و إنّما قال:للعبه.استسهالا و تحقيرا لما فعل لغرض أن يكبّر فعل الحارّ من سجر النار،و كذلك جعل العلّه الحامله على سجر النار هو غضب الجبّار تعظيما لشأنه.

و قوله :و أعجب من ذلك.إلى قوله:أم تهجر.

أى و أعجب من عقيل و حاله طارق طرقنا.و الطارق:الآتى ليلا، كنايه و كنّى بالملفوفه فى وعائها عن الهديّه .و قيل:كان شيئا من الحلواء كالفالوذج أو الحنبص و نحوه،و نبّه بقوله:شنئتها.على بغضه للامور اللذيذه الدنيويّه و نفرته عنها زهدا فيها، تشبيه و وجه تشبيهها بما عجن بريق الحيّه أوقيئها هو ما فى تصوّره فى قبولها من الفساد و ما قصد بها مهديها فى طلب الميل إليه المستلزم للظلم و الجور عن سبيل اللّه فإنّ القصد الّذى اشتمل عليه كالسمّ المهلك ،و أمّا كون وجه كون المهدى أعجب من عقيل فلأنّ عقيلا جاء بثلاث وسايل كلّ منها يستلزم العاطفه عليه:و هى الأخوّه و الفاقه و كونه ذا حقّ فى بيت المال،و هذا المهدى إنّما أدلى بهديّته.فأمّا قوله فى جوابه :فقلت له.إلى قوله:أهل البيت.فإنّه أراد به حصر وجوب البرّ فى العرف لأنّ التقرّب إلى اللّه ببذل المال لعباده إمّا صله رحم أولا،و الثانى فإمّا على وجه الصدقه أو الزكاه الواجبه و لم يذكر الهديّه لأنّه لم يكن فى وهم عاقل قبول علىّ عليه السّلام لها خصوصا زمان خلافته،و ذلك أنّ مطلوب العاقل منه بالهديّه إمّا حقّ أو باطل،و الحقّ لا يحتاج فيه إلى الهديّه و الباطل لا يفعله بوجه،و لذلك لمّا قال له الطارق:إنّها هديّه.دعا عليه و نسبه إلى الجنون و الهذيان،و لمّا قسّم عليه وجوب البرّ أبطل قسمين منها بقوله:فذلك محرّم علينا أهل البيت.و أراد الصدقه و الزكاه.

و أمّا صله الرحم فلم يحتجّ إلى إبطالها لأنّ الطارق لم يكن ذا رحم له، و قول الطارق:لا هذا و لا ذاك.يجرى فى مجرى إبطال الحصر بإبراز قسم رابع

هو الهديّه.

استعاره و قوله: هبلتک الهبول.إلی قوله:تهجر .

جواب لقوله:و لکنّها هدیّه.قرّر علیه فیه ما فهمه من غرضه بالهدیّه،و هو خداعه عن دینه.إذا الهدیّه لغرض حرام صوره استغرار و خداع،و ذکر الخداع عن الدین تنفیرا لصاحب الهدیه عن فعله ذلک،و لمّا کان ذلک الأمر لو تمّ الغرض به استلزم نقصان الدین کالخداع عن الدین فأطلق علیه لفظه الخداع استعاره.

استفهام علی سبیل الإنکار و قوله: أ مختبط أم ذو جنّه أم تهجر .

استفهام علی سبیل الإنکار و التوبیخ علی ذلک الخداع بعد تقریره علیه.

إذ کان المخادع لمثله علیه السّلام عن دینه لا یکون إلاّ علی أحد الوجوه المذکوره غالبا و لا یتصوّر أن یصدر منه ذلک الخداع عن رویّه صحیحه،و قد ذکر وجوه الخروج عن الصواب ممّا یتعلّق بالعقل .

و قوله: و اللّه .إلی قوله: ما فعلت .

یحتمل أن یکون ردّا لوهم الطارق فیه أنّه یفعل مطلوبه الحرام بتلک الهدیّه، و إبطال لذلک الوهم عنه.و الأقالیم السبعه:أقسام الأرض،و هو دلیل منه علی غایه العدل.

و قوله:و إنّ دنیاکم.إلی قوله:تقضمها.

دلیل علی غایه الزهد منه فی الدنیا کقوله فی الشقشقیّه:و لألفیتم دنیاکم هذه أهون عندی من عفطه عنز .

استفهام علی سبیل الإنکار و قوله: ما لعلیّ و لنعیم یفنی و لذّه لا تبقی .

استفهام إنکار لملامته نعیم الدنیا و لذّاتها الفانیه،و المعنی أنّ حال علیّ ینافی ذلک النعیم،و اختیاره یضادّ تلک اللذّه .ثمّ تعوّذ باللّه من سبات العقل و هی اختیاراته لتلک اللذّات و لذلک النعیم و میله فی مطاوعه النفس الأمّاره بالسوء،و من قبح الزلل و هو الانحراف عن سبیل اللّه الموقع فی مهاوی الهلاک،و استعان به علی دفع ما تعوّذ به منه.و باللّه التوفیق و العصمه.

ص:۸۷

۲۱۶-و من دعاء له علیه السّلام

اشاره

اَللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِی بِالْیَسَارِ وَ لاَ تَبْذُلْ جَاهِیَ بِالْإِقْتَارِ- فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِی رِزْقِکَ وَ أَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِکَ- وَ أُبْتَلَی بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِی وَ أُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِی- وَ أَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِکَ کُلِّهِ وَلِیُّ الْإِعْطَاءِ وَ الْمَنْعِ- «إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ»

اللغه

أقول: الیسار بالفتح : الغنی .و الإقتار : ضیق الرزق و الفقر .

و حاصل الفصل التجاء إلی اللّه فی طلب الغنی و عدم الابتلاء بالفقر و لوازمه.

و اعلم أنّ الغنی المطلوب لمثله علیه السّلام هو ما دفع ضروره حاجته بحسب الاقتصاد و القناعه لا المفهوم المتعارف بین أرباب الدنیا من جمع المال و ادّخاره و الاتّساع به فوق الحاجه،و طلب الغنی علی ذلک الوجه محمود،و علی الوجه الثانی هو المذموم،و الفقر هو ما احتاج الإنسان معه إلی سؤال الناس و یلزمه بذلک الاعتبار لوازم صارفه عن وجه اللّه و عبادته:

أوّلها:ابتذال الجاه و نقصان الحرمه،و لمّا کان الجاه و الغنی کالمتلازمین لا یلیق أحدهما إلّا بالآخر جعل مزیل الجاه الفقر لأنّه مزیل الغنی،و إلی وجوب تلازمهما أشار ابو الطیّب بقوله:

فلا مجد فی الدنیا لمن قلّ ماله و لا مال فی الدنیا لمن قلّ مجده

و الجاه أیضا له اعتبارات فما ارید للّه منه کان شرفا به و اعتزازا بدینه،و ما ارید الاستعانه به علی أداء حقوق اللّه و طاعته فهو الوجه المحمود الّذی سأل اللّه حفظه علیه بالغنا عن الناس،و هو الّذی امتنّ اللّه تعالی به علی الأنبیاء فی قوله «یا مَرْیَمُ إِنَّ اللّهَ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَهٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ وَجِیهاً فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ» (۱)و ما ارید به الفخر و الترؤّس فی الدنیا فهو المذموم.

۱- (۱) ۴۰-۳.

الثانی:من لوازمه استرزاق الخلق الّذین من شأنهم أن یسألوا الرزق لا أن یطلب منهم و فی ذلک من الذلّ و الخضوع للمطلوب منه و مهانه النفس و اشتغالها عن التوجّه إلی المعبود ما یجب أن یستعاذ باللّه منه،و من أدعیه زین العابدین علیه السّلام:تمدّحت بالغنی عن خلقک و أنت أهل الغنی عنهم،و نسبتهم إلی الفقر و هم أهل الفقر إلیک فمن حاول سدّ خلّته من عندک ورام صرف الفقر عن نفسه بک فقد طلب حاجته من مظانّها و أتی طلبته من وجهها،و من توجّه بحاجته إلی أحد من خلقک أو جعله سبب نجحها دونک فقد تعرّض للحذمان و استحقّ من عندک فوت الإحسان.و إنّما حکم علیه باستحقاق فوت الإحسان لعدم استعداده لنفحات اللّه بالتوجّه إلی غیره و اشتغال نفسه بذلک الغیر،و نبّه بقوله:طالبی رزقک علی عدم أهلیّتهم لأن یطلب منهم.

الثالث:استعطاف شرار خلقه،و ظاهر أنّ الحاجه قد تدعو إلی ذلک،و التجربه تقضی بأنّ طلب العاطفه من الأشرار و الحاجه إلیهم یستلذّ معه ذو المروّه طعم العلقم و یستحلی مذاق الصبر.

الرابع:الابتلاء بحمد المعطی و الافتنان بذمّ المانع،و ذلک مستلزم للصرف عن اللّه و التوجّه إلی القبله الحقیقیّه ،و الواو فی قوله:و أنت.للحال:أی لا تبذل جاهی بالإقتار فیلحقنی بسببه ما یلحقنی من المکاره المعدودات و أنت من وراء ذلک کلّه أولی من أعطی و منع بأن تعطی و تمنع لقدرتک علی کلّ شیء،و مفهوم کونه وراء ذلک کلّه إحاطته و کونه مستند الغنی و أهله المحتاج إلیهم من الخلق و أولی بإزاله الفقر و لوازمه لقدرتک علی صرفه و الأغنیاء عن الخلق لأنّ کونه محیطا و کونه مستندا مستلزمان للورائیّه فالمستند الوراء المعقول للمعقول و المحسوس للمحسوس،و باللّه التوفیق.

۲۱۷-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

دَارٌ بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَهٌ وَ بِالْغَدْرِ مَعْرُوفَهٌ- لاَ تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَ لاَ تسْلَمُ

ص:۸۹

نُزَّالُهَا- أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَهٌ وَ تَارَاتٌ مُتَصَرِّفَهٌ- الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَ الْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ- وَ إِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَهٌ- تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا وَ تُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا- وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا- عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ- مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَ أَعْمَرَ دِيَاراً وَ أَبْعَدَ آثَاراً- أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَهً وَ رِيَاحُهُمْ رَاكِدَهً- وَ أَجْسَادُهُمْ بَالِيَهً وَ دِيَارُهُمْ خَالِيَهً وَ آثَارُهُمْ عَافِيَهً- فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمَشَيَّدَهِ وَ النَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَهِ- الصُّخُورَ وَ الْأَحْجَارَ الْمُسْنَدَهَ وَ الْقُبُورَ اللَّاطِئَهَ الْمُلْحَدَهَ- الَّتِی قَدْ بُنِیَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا- وَ شُیِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ وَ سَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ- بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّهٍ مُوحِشِينَ وَ أَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ- لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ وَ لَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ- عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ وَ دُنُوِّ الدَّارِ- وَ كَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَ قَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَى- وَ أَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَ الثَّرَى- وَ كَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ- وَ ارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ وَ ضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ- فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ- وَ بُعْثِرَتِ الْقُبُورُ «هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ»

ص:۹۰

«وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ»

اللغه

أقول: التاره : المرّه .و المستهدفه : الّتى جعلت هدفا نصبت لترمى .و عفت الآثار : انمحت .و النمارق : جمع نمرق و نمرقه،و هى وساده صغيره .و الكلكل الصدر .و بعثرت القبور،و بعثرتها : إخراج ما فيها و نبشها.يقال:بعثر الرجل متاعه إذا فرّقه و قلّب أعلاه أسفله .

و غرض الفصل التحذير من الدنيا و الاشتغال بها عن اللّه،و التنفير عن

ذلك بذكر معايبها،و الجذب به إلى استعمالها على الوجه المطلوب الّذى لأجله

وجدت.

فقوله:دار.

خبر مبتداء محذوف هو الدنيا،و ذكر من معايبها عدّه:

كنايه أحدها: كونها مقرونه بالبلاء ملازما لها فكنّى عن ذلك بالحفوف الّذى هو الإحاطه من الجوانب لأنّه أبلغ.

استعاره الثانى:كونها معروفه بالغدر،و استعار لفظ الغدر لغيرهما عمّا يتوهّم الإنسان دوامها عليه فى حقّه من أحوالها المعجبه له كالمال و الصحّه و الشباب فكأنّه فى مدّه بقاء تلك الأحوال عليه قد أخذ منها عهدا فكان التغيّر العارض لها المستلزم لزوال تلك الأحوال عنه أشبه شيء بالغدر و لمّا كان كثر منها ذلك صارت معروفه به.

و ثالثها:كونها لا تدوم أحوالها.

و رابعها:لا تسلم نزّالها من آفاتها.

و خامسها:اختلاف أحوالها،و أحوال خبر مبتدأ محذوف تقديره:أحولها أحوال كذلك.

و سادسها:تصرّف تاراتها،و هو تغيّر أحوالها تاره بعد اخرى.

كنايه و سابعها: كون العيش فيها مذموما ،و لمّا كان العيش فيها كنايه عن الالتذاذ بها و التنعّم فيها و استلزم ذلك العاقبه المهلكه لا جرم لزم الذمّ،و لأنّه

مشوب بتكدير الأمراض و الأعراض فلا يزال مذموما فى الألسنه حتّى فى لسان صاحبه و المستريح إليه عند معاناته بعض مراتب الكدر.

و ثامنها.عدم الأمان فيها:أى من مخاوفها،و ما يلزم تصرّفاتها من البلاء و كلّ ذلك من ضرورتها و اختلاف استعدادات القوابل فيها عن حركات الأفلاك و كواكبها،و كون المبادى المفارقه مفيضه على كلّ قابل منها ما استعدّ له.

استعاره مرشحه و تاسعها : كون أهلها فيها أغراضا مستهدفه ،و استعار لفظ الأغراض،و رشّح بذكر الاستهداف،كذلك استعار لفظ الرمى لإيقاع المصايب بهم و رشّح بذكر السهام.

و عاشرها :كونها معهم على سبيل من قد مضى من القرون الخاليه ممّن كان أطول أعمارا و أعمار ديارا و أبعد آثارا:أى كانت آثارهم لا يقدر عليها و لا تنال لعظمها،و كونها معهم على ذلك السبيل إشاره إلى إقبالها لهم كإفناء اولئك و إلحاقهم بأحوالهم.

كنايه و قوله : أصبحت أصواتهم.إلى قوله:و الثرى.

تفصيل لأحوال اولئك و وعيد للسامعين بلحوقها لهم.إذ كان سبيل الدنيا مع الجمع واحدا،و ركود رياحهم كنايه عن سكون أحوالهم و خمول ذكرهم بعد العظمه فى الصدور.

و قوله :قد بنى بالخراب فناؤها.

أى على خراب ما كان معمورا من الأبدان و المساكن،و ظاهر أنّ القبور اسّست على ذلك و بنيت عليه، السجع المتوازى-المطابقه و راعى فى قوله: فناؤها و بناؤها و مغترب و مقترب السجع المتوازى مع المطابقه فى القرينتين الاخريين،و أراد أنّ ساكنها و إن اقترب محلّه فهو غريب عن أهله ،و نبّه بقوله :موحشين و متشاغلين و كونهم لا يستأنسون بالأوطان و لا يتواصلون تواصل الجيران على أنّ أحوالهم من تجاورهم و فراغهم ليس كأحوال الدنيا المألوفه لهم ليخوّف بها و ينفرّ عنها .ثمّ أشار إلى عدم علّه المزاوره، استعاره مرشحه و استعار لفظ الطحن لإفساد البلى لأجسادهم و

رشّح بلفظ الكلكل ، استعاره و كذلک استعار لفظ الأكل لإفنائها.

تشبيه و قوله : و كأن قد صرتم.إلى قوله:المستودع.

فكأن المخفّفه من الثقيله،و اسمها ضمير الشأن،و التقدير فيشبه أنّكم قد صرتم إلى مصيرهم و أحوالهم و يقرب من ذلک لأنّ مشابهه الأحوال يستلزم قرب بعضها من بعض ،و ارتهنكم ذلک المضجع:أی صار لكم دار إقامه و اتّخذكم سكّانه المقيمين به،و أطلق عليه لفظ المستودع باعتبار كونهم سيخرجون منه يوم القيامه.

و قوله :فكيف بكم.إلى قوله:القبور.

سؤال لهم عن كيفيّه حالهم عند تناهی امورهم و أحوالهم فی يوم البعث سؤالا-على سبيل التذكير بتلک الأحوال و التخويف بتلک الأهوال ليذكروا شدّتها فيفزعوا إلى العمل،و ذكر منها أمرا واحدا و هو اطّلاع النفوس على ما قدّمت و أسلفت فی الدنيا من خير و شرّ و الردّ إلى المولى الحقّ الّذی ضلّ مع الرجوع إليه كلّ ما كان يفترى من دعوى حقيقه ساير الأباطيل المعبوده.و باللّه التوفيق.

۲۱۸-و من دعاء له عليه السّلام

اشاره

اَللَّهُمَّ إِنَّکَ آنَسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِکَ- وَ أَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَهِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْکَ- تُشَاهِدُهُمْ فِی سَرَائِرِهِمْ وَ تَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِی ضَمَائِرِهِمْ- وَ تَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ- فَأَسْرَارُهُمْ لَکَ مَكْشُوفَهٌ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَيْکَ مَلْهُوفَهٌ- إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَهُ آنَسَهُمْ ذِكْرُکَ- وَ إِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَئُوا إِلَى الاِسْتِجَارَهِ بِکَ- عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّهَ الْأُمُورِ بِيَدِکَ- وَ مَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِکَ

اللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِی أَوْ عَمِیتُ عَنْ طِلْبَتِی- فَدُلَّنِی عَلَی مَصَالِحِی- وَ خُذْ بِقَلْبِی إِلَی مَرَاشِدِی- فَلَیْسَ ذَلِکَ بِنُکْرٍ مِنْ هِدَایَاتِکَ- وَ لاَ بِبِدْعٍ مِنْ کِفَایَاتِکَ- اللَّهُمَّ احْمِلْنِی عَلَی عَفْوِکَ وَ لاَ تَحْمِلْنِی عَلَی عَدْلِکَ

اللغه

أقول: الفهاهه : العیّ .و العمه : التحیّر .

المعنی

و قد ضرع إلی اللّه تعالی باعتبارات من الصفات الإضافیّه و الحقیقیّه:

الأوّل:کونه آنس الآنسین لأولیائه.و قد علمت أنّ أولیائه هم السالکون لطریقه عن المحبّه الصادقه له و الرغبه التامّه عمّا عداه،و لمّا کان الأنیس هو الّذی یرفع الوحشه و تسکن إلیه النفس فی الوحده و الغربه و کانت أولیاء اللّه فی الحیاه الدنیا غریبا فی أبنائها منفردین عنهم فی سلوک سبیل اللّه مولّین وجوههم شطر کعبه وجوب وجوده مبتهجین بمطالعه أنوار کبریائه لا جرم کان أشدّ الآنسین لهم انسا.إذ ما من عبد تعبّد لغیر اللّه و استأنس به کالولد بوالده و بالعکس إلاّ کان لکلّ واحد منهما مع صاحبه نفره من وجه و استیحاش باعتبار.فلم یکن لهم أنیس فی الحقیقه إلاّ هو إن کانوا فی الالتفات إلیه منقطعین عمّا عداه مستوحشین من غیره.

الثانی:کونه تعالی أحضرهم بالکفایه للمتوکّلین علیه.إذ کان تعالی هو الغنیّ المطلق و الجواد الّذی لا بخل من جهته و لا منع،و العالم المطلق بحاجّه المتوکّلین و حسن استعدادهم فإذا استعدّ المتوکّلون علیه لحسن توکّلهم لقبول رحمته أفاض علی کلّ منهم قدر کفایته من الکمالات النفسانیّه و البدنیّه بلا تعویق عائق أو تردّد فی استحقاق مستحقّ أو مقدار کفایته أو حاجه إلی تحصیل ذلک المقدار.إلی غیر ذلک ممّا هو منسوب إلی غیره تعالی من سلوک الدنیا.فلا جرم

أقوم من توكّل عليه بكفايه المتوكّلين و أسرعهم إحضارا لما استعدّ كلّ منهم له من الكمال.

الثالث:كونه تعالى يشاهدهم.إلى قوله:مكشوفه.إشاره إلى علمه تعالى بأحوالهم الباطنه الّذى هو من لوازم كونه أحضر لكفايتهم كما بيّناه.و اطّلاعه عليهم فى ضمائرهم اعتبار لكمال علمه تعالى و براءته عن النقصان،و كذلك علمه بمبلغ بصائرهم:أى بمقادير عقولهم و تفاوت استعداد نفوسهم لدرك الكمالات،و أكّد بقوله:فأسرارهم لك مكشوفه.ما سبق من الإشاره إلى إحاطه علمه تعالى بأحوالهم الباطنه فى معرض الإقرار بكمال العبوديّه و الخضوع له و الاعتراف بأنّه لا يخفى عليه منهم شىء،و لهف قلوبهم إليه تحسّرها على الوصول إليه و الحضور بين يديه، و هو اعتبار لكمال محبّتهم له و رغبتهم فيما عنده.

و قوله :إن أوحشتهم الغربه آنسهم ذكرك.

أى الغربه فى هذه الدار كما هنا،و هو اعتبار لحصول الاستيناس من جهتهم به،و الأوّل اعتبار لكونه تعالى أنيسا لهم.

و قوله:و إن صبّت.إلى قوله:بك.

اعتبار لتحقّق توكّلهم عليه تعالى فى دفع ما يكرهون من مصائب الدنيا عند نزولها بهم.إذ سبق اعتبار كونه تعالى أحضر من توكّل عليه لكفايه المتوكّلين.و لجئوهم إلى الاستجاره به يعود إلى توجيه وجوه نفوسهم إليه تعالى فى دفع ذلك المكروه دون غيره و هو التوكّل الخالص.

و قوله:علما.إلى قوله:قضائك.

فعلما مفعول له:أى لأجل علمهم بأنّ الامور كلّها مربوطه بأسبابها تحت تصريف قدرتك،و أنّ مصادرها و هى أسبابها القريبه منتهيه إلى قضائك،و هو حكم علمك.إذ به و منه كانت أسبابا و مصادر لتلك المصايب كان لجئوهم فى الاستجاره بك.و يحتمل أن يكون علما مصدرا سدّ مسدّ الحال،و هو يستلزم كونهم فى عباداتهم و أحوالهم مقطوعى النظر عن غيره تعالى، استعاره و لفظ الأزمّه مستعار

ص:٩٥

لأسباب الأمور،و وجه المشابهه كونها ضابطه لها و بها يحرز نظام وجودها كالأزمّه،و لفظ اليد مجاز فى القدره.

و قوله .اللّهمّ.إلى آخره.

شروع فى المطلب على وجه كلّىّ،و هو طلب دلالته على مصالحه فى أىّ أمر كان و جذب قلبه بالهدايه إلى مواضع رشده من العقائد و الآراء الصحيحه التامّه على تقدير إن عىّ عن مسئلته أو تحيّر فى وجه معرفه مصالحه.

و قوله:فليس ذلك.إلى قوله:كفاياتك.

استعطاف بما فى العاده أن يستعطف به أهل العواطف و الرحمه من الكلام:

أى أنّ هداياتك لخلقك إلى وجوه مصالحهم و كفاياتك لهم ما يحتاجون إليه امور متعارفه جرت عادتك بها،و ألفها منك عبادك.

و قوله :اللّهمّ احملنى.إلى آخره.

سؤال أن تحمله تعالى على عفوه عمّا عساه صدر عنه من ذنب،و لا يحمله على عدله فيحرمه بما فعل حرمانا أو عقوبه،و هو من لطيف ما تستعدّ به النفس لاستنزال الرحمه الإلهيّه،و باللّه التوفيق.

۲۱۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لِلَّهِ بِلاَدُ فُلاَنٍ فَلَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ وَ دَاوَى الْعَمَدَ- وَ أَقَامَ السُّنَّهَ وَ خَلَّفَ الْفِتْنَهَ- ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ قَلِيلَ الْعَيْبِ- أَصَابَ خَيْرَهَا وَ سَبَقَ شَرَّهَا- أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ وَ اتَّقَاهُ بِحَقِّهِ- رَحَلَ وَ تَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَهٍ- لاَ يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ وَ لاَ يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي

اللغه

أقول: الأود : العرج .و العمد : مرض،و هو انسداخ داخل سنام البعير من الحمل و نحوه مع صحّه ظاهره .

المعنی

و قوله: للّه بلاد فلان .

لفظ یقال فی معرض المدح کقولهم:للّه درّه،و للّه أبوه.و أصله أنّ العرب إذا أرادوا مدح شیء و تعظیمه نسبوه إلی اللّه تعالی بهذا اللفظ،و روی:للّه بلاء فلان:أی عمله الحسن فی سبیل اللّه،و المنقول أنّ المراد بفلان عمر، و عن القطب الراوندی أنّه إنّما أراد بعض أصحابه فی زمن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ممّن مات قبل وقوع الفتن و انتشارها،و قال ابن أبی الحدید-رحمه اللّه-:إنّ ظاهر الأوصاف المذکوره فی الکلام یدلّ علی أنّه أراد رجلا ولّی أمر الخلافه قبله.

لقوله:قوّم الأود و داوی العمد.و لم یرد عثمان لوقوعه فی الفتنه و تشعّبها بسببه،و لا أبا بکر لقصر مدّه خلافته و بعد عهده عن الفتن فکان الأظهر أنّه أراد عمر،و أقول:إرادته لأبی بکر أشبه من إرادته لعمر لما ذکره فی خلافه عمر و ذمّها به فی خطبتها المعروفه بالشقشقیّه کما سبقت الإشاره إلیه.

و قد وصفه بامور:

أحدها:تقویمه للأود،و هو کنایه عن تقویمه لا عوجاج الخلق عن سبل اللّه إلی الاستقامه فیها.

استعاره الثانی: مداواته للعمد ،و استعار لفظ العمد للأمراض النفسانیّه باعتبار استلزامها للأذی کالعمد،و وصف المداواه لمعالجه تلک الأمراض بالمواعظ البالغه و الزواجر القارعه القولیّه و الفعلیّه.

الثالث:إقامته للسنّه و لزومها.

الرابع:تخلیفه للفتنه.أی موته قبلها.و وجه کون ذلک مدحا له هو اعتبار عدم وقوعها بسببه و فی زمنه لحسن تدبیره.

استعاره الخامس : ذهابه نقّی الثوب ،و استعار لفظ الثوب لعرضه،و نقاه لسلامته عن دنس المذامّ.

السادس:قلّه عیوبه.

السابع:إصابه خیرها و سبق شرّها،و الضمیر فی الموضعین یشبه أن یرجع

إلى المعهود ممّا هو فيه من الخلافه.أى أصاب ما فيها من الخير المطلوب و هو العدل و إقامه دين اللّه الّذى به يكون الثواب الجزيل فى الآخره و الشرف الجليل فى الدنيا،و سبق شرّها:أى مات قبل وقوع الفتنه فيها و سفك الدماء لأجلها.

الثامن:إدّاؤه إلى اللّه طاعته.

التاسع:اتّقاه بحقّه.أى أدّى حقّه خوفا من عقوبته.

العاشر :رحيله إلى الآخره تاركا للناس بعده فى طرق متشعّبه من الجهالات لا يهتدى فيها من ضلّ عن سبيل اللّه و لا يستيقن المهتدى فى سبيل اللّه أنّه على سبيله لاختلاف طرق الضلال و كثره المخالف له إليها.و الواو فى قوله:و تركتم.للحال.

و أعلم أنّ الشيعه قد أوردوا هنا سؤالا فقالوا:إنّ هذه الممادح الّتى ذكرها عليه السّلام فى حقّ أحد الرجلين تنافى ما أجمعنا عليه من تخطئتهم و أخذهما لمنصب الخلافه.فإمّا أن لا يكون هذا الكلام من كلامه عليه السّلام أو أن يكون إجماعنا خطأ.

ثمّ أجابوا من وجهين:

أحدهما:لا نسلّم التنافى المذكور فإنّه جاز أن يكون ذلك المدح منه عليه السّلام على وجه استصلاح من يعتقد صحّه خلافه الشيخين و استجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام.

الثانى:أنّه جاز أن يكون مدحه ذلك لأحدهما فى معرض توبيخ عثمان بوقوع الفتنه فى خلافته و اضطراب الأمر عليه و استئثاره ببيت مال المسلمين هو و بنو أبيه حتّى كان ذلك سببا لثوران المسلمين من الأمصار إليه و قتلهم له،و نبّه على ذلك بقوله:و خلّف الفتنه و ذهب نقىّ الثوب قليل العيب أصاب خيرها و سبق شرّها.

و قوله:و تركهم فى طرق متشعّبه.إلى آخره.

فإنّ مفهوم ذلك يستلزم أنّ الوالى بعد هذا الموصوف قد اتّصف بأضداد هذه الصفات،و اللّه أعلم.

۲۲۰-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فی وصف بیعته بالخلافه

،و قد تقدم مثله بألفاظ مختلفه وَ بَسَطْتُمْ یَدِی فَکَفَفْتُهَا وَ مَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا- ثُمَّ تَدَاکَکْتُمْ عَلَیَّ تَدَاکَّ الْإِبِلِ الْهِیمِ- عَلَی حِیَاضِهَا یَوْمَ وِرْدِهَا- حَتَّی انْقَطَعَتِ النَّعْلُ- وَ سَقَطَ الرِّدَاءُ وَ وُطِئَ الضَّعِیفُ- وَ بَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَیْعَتِهِمْ إِیَّایَ- أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِیرُ وَ هَدَجَ إِلَیْهَا الْکَبِیرُ- وَ تَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِیلُ وَ حَسَرَتْ إِلَیْهَا الْکِعَابُ

اللغه

أقول: التداکّ : الازدحام القویّ .و الهیم : العطاش .و التحامل : تکلّف المشی مع مشقّه .و الکعاب : الجاریه نهد ثدیها .و حسرت : کشفت وجهها .

و حاصل الفصل الاحتجاج علی من خالفه من أهل البغی

فذکر حال الناس فی بیعتهم له و کیفیّتها الدالّه علی شدّه حرصهم علیه و اجتماعهم عن رضی و اختیار علی تسلیم الأمر إلیه، تشبیه و شبّه ازدحامهم علیه بازدحام الإبل العطاش یوم ورودها علی الحیاض ،و وجه الشبه شدّه الازدحام،و یمکن أن یلاحظ فی وجه هذا الشبه کون ما عنده من الفضائل الجمّه العلمیّه و العملیّه تشبه الماء و کون المزدحمین علیه فی حاجتهم و تعطّشهم إلی استفاده تلک الفضائل النافعه لغلیلهم کالعطاش من الإبل حین ورودها.

و قوله :حتّی.إلی قوله:وطیء الضعیف.

کقوله:فی الشقشقیّه حتّی لقد وطیء الحسنان و شقّ عطفای.و باقی الفصل ظاهر.و هو فی قوّه صغری قیاس ضمیر من الشکل الأوّل،و تلخیصها أنّکم بلغتم فی طلبکم لی و حرصکم علی بیعتی إلی هذه الغایه حتّی أجبتکم.و تقدیر الکبری و کلّ من کان کذلک فلیس له أن ینکث و یغدر،و باللّه التوفیق.

ص:۹۹

۲۲۱-و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ- وَ ذَخِيرَهُ مَعَادٍ وَ عِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَهٍ- وَ نَجَاهٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَهٍ بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ- وَ يَنْجُو الْهَارِبُ وَ تُنَالُ الرَّغَائِبُ فَاعْمَلُوا وَ الْعَمَلُ يُرْفَعُ- وَ التَّوْبَهُ تَنْفَعُ وَ الدُّعَاءُ يُسْمَعُ- وَ الْحَالُ هَادِئَهٌ وَ الْأَقْلَامُ جَارِيَهٌ- وَ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً- أَوْ مَرَضاً حَابِساً أَوْ مَوْتاً خَالِساً- فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ- وَ مُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ وَ مُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ- زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ وَ قِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ- وَ وَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ- قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ- وَ تَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ وَ أَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ- وَ عَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ وَ تَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ- وَ قَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ- فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ- وَ احْتِدَامُ عِلَلِهِ وَ حَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ- وَ غَوَاشِي سَكَرَاتِهِ وَ أَلِيمُ إِرْهَاقِهِ- وَ دُجُوُّ أَطْبَاقِهِ وَ جُشُوبَهُ مَذَاقِهِ- فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَهً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ- وَ فَرَّقَ نَدِيَّكُمْ وَ عَفَّى آثَارَكُمْ- وَ عَطَّلَ دِيَارَكُمْ وَ بَعَثَ وُرَّاثَكُمْ- يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ- وَ قَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ- وَ آخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ فَعَلَيْكُمْ بِالْجَدِّ وَ الِاجْتِهَادِ وَ التَّأَهُّبِ وَ الِاسْتِعْدَادِ- وَ التَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ- وَ لَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاهُ الدُّنْيَا- كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَهِ- وَ الْقُرُونِ

الْخَالِيَهِ الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا- وَ أَصَابُوا غِرَّتَهَا وَ أَفْنَوْا عِدَّتَهَا- وَ أَخْلَقُوا جِدَّتَهَا وَ أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً- وَ أَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً لاَ يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ- وَ لاَ يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ وَ لاَ يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ- فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَهٌ غَرَّارَهٌ خَدُوعٌ- مُعْطِيَهٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَهٌ نَزُوعٌ- لاَ يَدُومُ رَخَاؤُهَا- وَ لاَ يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا وَ لاَ يَرْكُدُ بَلاَؤُهَا

اللغه

أقول: الحابس : المانع .و الخالس : المختطف .و التكنّف : الإحاطه .

و الطيّات : جمع طيّه بالكسر،و هى منزل السفر .و الواتر : الّذى يوجب لغيره الوتر و هو الذحل و الحقد .و الغوائل : المصايب يأتى على غرّه، جمع غايله .و المعابل : جمع معبل بكسر الميم و هى نصل طويل عريض .و عدوته بفتح العين : ظلمه .و نبا السيف : إذا لم يؤثّر فى الضربه .و الظلل : جمع ظلّه،و هو السحاب .و الاحتدام : شدّه الحدّه و الغيظ .و الإرهاق : الإعجال،و يروى بالزاى .

و الجشوبه بالجيم : غلظ الطعام .و النجىّ : القوم يتناجون .و الندىّ : القوم يجتمعون فى النادى،و هو المجتمع .و لا يحفلون : لا يبالون،و الاحتفال بالشىء:

الاعتناء به .

المعنى

و فى الفصل مقاصد:

الأوّل.التنبيه على فضيله تقوى اللّه بأوصاف:

الأوّل:كونها مفتاح سداد،

و لمّا كان السداد هو الصواب و العدل فى القول و العمل،و كان ذلك هو غايه الدين و الطريق المسلوك إلى اللّه،و كانت تقوى اللّه تعود إلى خشيته المستلزمه للإعراض عن مناهيه استعار لها لفظ المفتاح باعتبار كونها سببا للاستقامه على الصواب و القصد فى صراط اللّه المستقيم إلى ثوابه المقيم الّذى أفضل المطالب كما أنّ المفتاح سبب الوصول إلى ما يخزن من

الأموال النفيسه.

الثانی:کونها ذخیره معاد

،و ظاهر أنّ الاستعداد لخشیه اللّه و ما یستلزمه من الکمالات النفسانیّه من أنفس الذخائر المشفّع بها فی المعاد.

الثالث:

استعاره کونها عتقا من کلّ ملکه .استعار لفظ العتق لخلاص النفس العاقله من استیلاء حکم شیاطینها المطیفه بها کخلاص العبد من استیلاء سیّده.ثمّ جعل التقوی نفسها عتقا مجازا إطلاق لاسم السبب علی المسبّب.إذ کانت التقوی سببا لذلک الخلاص المستعار له لفظ العتق .

الرابع:

مجاز و نجاه من کلّ هلکه .أطلق علیها لفظ النجاه مجازا کالعتق لکونها سببا لنجاه الناس من الهلکات الاخرویّه و عقوبات الآثام،و ربّما کانت التقوی سببا للنجاه من مخاوف دنیویّه لولاها لحقت .

الخامس:بها ینجح الطالب.

أمّا لثواب اللّه فی الآخره فظاهر،و أمّا فی الدنیا فلما نشاهده من اتّخاذ کثیر من الناس شعار المتّقین ذریعه إلی مطالبها و نجاح مساعیهم و إقبال الدنیا علیهم،

السادس:

و ینجو الهارب:أی من عذاب اللّه و هو ظاهر.

و السابع:

السجع المتوازی و تنال الرغائب ،و هو کقوله:و ینجح الطالب،و فی کلّ قرینتین من القرائن الستّ من أوّل الفصل السجع المتوازی .

المقصد الثانی:التنبیه علی وجوب العمل الصالح المطلوب للّه

.و مبادرته باعتبارات:

الأوّل:أنّهم فی وقت العمل و إمكان رفعه إلی اللّه دون ما بعد الموت

،و الواو فی قوله:و العمل.للحال.

الثانی:فی وقت قبول التوبه

منهم و الإقلاع من موبقات الآثام.

الثالث:فی وقت استماع الدعاء

و قبوله فإنّ شیئا من ذلک لا ینفع بل لا یمكن بعد الموت.

الرابع:و الحال هادئه.

أی حال الإنسان فی الدنیا فإنّ حاله حین الموت

ص:۱۰۲

و ما بعده فی غایه الاضطراب.

الخامس:و الأقلام جاریه

:أی أقلام الحفظه،و فائده الإعلام بالعمل فی حال جریان الأقلام التنبیه علی وقت الأعمال الخیریّه و إمکانها حین تکتب و ترفع إلی اللّه:أی فاعملوا فی الحال المذکوره ما دامت أقلام الکرام الکاتبین جاریه لتکتب أعمالکم .

المقصد الثالث:حثّهم علی المبادره إلی الأعمال الخیریّه باعتبارات:

أحدها:أنّ أعمارهم الّتی هی محل الأعمال فی معرض الانتکاس

و الرجوع إلی الحاله المنافیه للتکلیف و هی الهرم المستلزم لضعف العقل و البنیه و نقصانهما و الرجوع إلی حال الطفل فی ذلک کقوله تعالی «وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَکِّسْهُ فِی الْخَلْقِ» (۱)فینبغی أن یبادر ذلک بالأعمال الصالحه الممکنه فیه.

الثانی:أنّ أبدانهم فی معرض التغییر و التبدیل بالصحه الّتی هی مظنّه

العمل مرضا

و هو مظنّه بطلان العمل و امتناعه فینبغی أن یبادر الصحّه بالعمل قبل الحبس عنه بالمرض.

الثالث:أن یبادر ما هو أعظم من ذلک و هو الموت

الّذی لا بدّ منه، استعاره و استعار لفظ الخالس له باعتبار أخذه للأعمار علی غرّه و غفله من أهلها کالمختلس للشیء عن ید غیره .

ثمّ نبّه علی وجوب العمل للموت و لما بعده بأوصافه المخوّفه:

أحدها:کونه هادم لذّاتهم الدنیویّه

و هو ظاهر،و نحوه قول الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

أکثروا من ذکر هادم اللذّات.

الثانی

:کونه مکدّر شهواتهم.

الثالث: کونه مباعد طیّاتهم ،

استعاره و استعار لفظ الطیّات لمنازل السفر إلی الآخره بالموت عن الدنیا و أهلها فإنّ الآخره أبعد منزل عن الدنیا .

الرابع:

استعاره استعار لفظ الزائر باعتبار هجومه علی الإنسان،و لمّا کان من شأن الزائر أن یکون محبوبا میّزه بکونه غیر محبوب لتحصل النفره عنه و تفرغ

ص:۱۰۳

۱- ۱) ۶۸-۳۶.

إلى العمل له.

الخامس

: استعاره استعار له لفظ القرن بوصف كونه غير مغلوب ليهتّم بالاستعداد له .

السادس:

استعاره استعار لفظ الواتر بوصف كونه غير مطلوب:أى من شأنه أن يوتر القلوب و لا يمكن أن يطلب بوتر و لا ينتصف منه ملاحظه لشبهه بالرجل البالغ فى الشجاعه بحيث لا يغلب .

السابع

: استعاره مرشحه استعار لفظ الحبائل للأوصاب و الأمراض البدنيّه الّتى هى داعيه الموت و مؤدّيه إليه كحباله الصايد،و رشّح بوصف الإعلاق .

الثامن

:و تكنّفتكم غوائله:أى أحاطت بكم مصائبه.

التاسع

: استعاره مرشحه استعار لفظ المعابل للآفات الداعيه إلى الموت أيضا باعتبار كونها موذيه أو قاتله كالنصال،و رشّح بذكر الإقصاد .

العاشر

: استعاره-السجع المتوازى استعار لفظ السطوه له ملاحظه لشبهه بالسلطان القاهر أو السبع الضارى فى قوّه أخذه و شدّه بطشه.

الحادى عشر

: استعاره-السجع المتوازى كذلك لفظ العدوه له باعتبار كون أخذه على غير حقّ له كالظالم.

فان قلت:إذا كانت حقيقه الظلم هى الأخذ بغير حقّ و هذا الحدّ صادق فى محلّ الموت فوجب أن يكون لفظ العدوه هنا حقيقه لا استعاره.

قلت:لفظ الأخذ إنّما يصدق حقيقه على ذى الحياه و إن سلّمنا صدقه على غيره لكنّ الأخذ بغير حقّ ليس هو حقيقه الظلم بل الأخذ بغير حقّ لمن يكون من شأنه أن يكون له حقّ،و ذلك مختصّ بالعقلاء فسلب الحقّ عمّن له اللفظ حقيقه هو سلب الملكه.و عمّاله اللفظ مستعارا هو السلب المطلق.

الثانى عشر

: استعاره-السجع المتوازى و كذلك لفظ النبوه لعدم تأثيره ملاحظه لشبهه بالسيف القاطع و وصفها بالقلّه.و راعى فى كلّ ثلاث قرائن من هذه التسع السجع المتوازى .

الثالث عشر

. استعاره استعار لفظ الظلّ للأمراض و العلل الداعيه إلى الموت استعاره لفظ المحسوس بالبصر للمتخيّل ملاحظه لشبهها بالسحاب المظلّ واصفا بالدواجى.

ص:۱۰۴

إذ كان الكلام فی معرض التخویف،و السحاب المظلم أشدّ رهبه فی القلوب من غیره و یقرب منه قوله تعالی «وَ إِذا غَشِیَهُمْ مَوْجٌ کَالظُّلَلِ دَعَوُا اللّهَ» (۱)و هو شروع فی التخویف بنزول الموت.

الرابع عشر

: استعاره و کذلک استعار وصف الاحتدام لعلله ملاحظه لشبهها فی نزولها بالرجل المستشیط غضبا فی قوّه الأخذ.

الخامس عشر

: استعاره استعار لفظ الحنادس لما یتوهّمه الإنسان من الظلم فی غمرات الموت و سکراته.

السادس عشر

: استعاره و کذلک لفظ الغواشی لما یعرض عند سکرات الموت من العوارض المانعه من الإدراک،المغشیه لآلاته .

السابع عشر

:و ألیم إرهاقه:أی إعجاله المؤلم.

الثامن عشر

: استعاره و دجّو إطباقه .استعار لفظ الإطباق لحالاته المتزایده و سکراته المتضاعفه الّتی بتضاعفها یزداد آلات إدراکه بعدا و انقطاعا عن المدرکات الدنیویّه،و باعتبار انقطاع الإدراک بسبب تلک الحالات وصفها بالدجوّ و شدّه الظلمه،و یحتمل أن یرید بإطباقه إطباق القبور .

التاسع عشر

: استعاره استعار لفظ مذاقه لوجدانه باعتبار المشارکه فی الإدراک،و باعتبار شدّه ایلامه وصفه بالجشوبه .

العشرون:

تشبيه التخويف بإتيـانه بغته، و كـأن هى المخفّفه من كـأنّ و الاـسم ضـمير الشـأن،و لمّا كانت كأنّ للتشبيه و كان التشبيه يسـتلزم المقاربه بين المشبّه و المشبّه به فى وصف ما و هو وجه الشـبه كان المشـبّه هنا هو حال الموت من جهه ما هو منتظر لا بدّ منه،و المشبّه به هو باعتبار إتيانه و موافاته لهم،و وجه الشبه هو القرب:أى قرب المنتظر الّذى لا بدّ منه من الواقع الموجود.إذ كلّ ما هو آت قريب .ثمّ أردف التخويف منه بـذكر لوازمه المخوّفه،و هى إسـكات المتنـاجين،و تفريق المجتمعين،و تعفيه الآثـار.و تعطيل الديار،و بعث

١- ١) ٣١-٣١.

الوارث لاقتسام التراث.و أسند إليه البعث باعتبار أنّه سبب يلزمه انبعاث دواعى الورثه إلى اقتسام التراث لزوما عرضيّا.

و قوله:بين حميم.

متعلّق بأتاكم بغته مع ما بعده من الأفعال:أى كأنّه قد أتاكم بغته ففعل بكم ما فعل من إسكات المتناجين و غيره بين صديق خاصّ لأحدكم لا ينفع صداقته حينئذ،و قريب محزون لا ينفع حزنه و لا يقدر على المنع عنه،و آخر عدوّ شامت لا يجزع عليه .ثمّ أردف ذكر الموت و لوازمه بالحثّ على العمل و الجدّ فيه و التأهّب و الاستعداد لنزول الموت و ما بعده و التزوّد:أى بالتقوى فى منزل الزاد و هو الدنيا لأنّها المنزل الّذى لا يمكن تحصيل الزاد إلى الآخره إلاّ فيه،و لذلك أضافه إليه ،ثمّ بالنهى عن الانخداع لغرور الدنيا كانخداع السابقين و القرون الماضين، استعاره و استعار لفظ الدرّه لمنافع الدنيا و خيراتها،و لفظ الاحتلاب لجمعها و اقتنائها:أى الّذين فازوا بخيراتها و حصلوا عليها،و لذلك استعار لفظ الغرّه لعدم وصول حوادثها إليهم فى مدّه استمتاعهم بها فكأنّها غافله عنهم لا ترميهم بشىء من المصائب فلمّا وجدوا ذلك منها أخذوا ما أخذوا و حصّلوا على ما حصّلوا .و إفناؤهم لما تعدّد فيها من مأكول و ملبوس و غيرهما ممّا يستمتع به فيغنى، كنايه و كذلك إخلاقهم لجدّتها كنايه عن استمتاعهم بما أخذوا منها من صحّه و مال و غيرهما إلى انقضائه و انتهاء مدّته حتّى كأنّهم لم يبقوا من محاسنها شيئا إلاّ أخلقوه .و لمّا وصف حالهم فيها بما وصف أردف ذلك بذكر غايتهم منها و هى الأحوال المذكوره بقوله:أصبحت مساكنهم أجداثا.إلى قوله:دعاهم.و خلاصه الكلام أنّكم لا تغترّوا بالدنيا كما اغترّ بها من كان قبلكم فإنّ اولئك مع أنّهم كانوا قد صادفوا غرّتها و حصّلوا منها على ما حصّلوا من خيراتها كانت غايتهم منها أن و صلوا إلى ما وصلوا من العدم فكذلك أنتم بطريق أولى . استعاره ثمّ أكّد التحذير منها بذكر أوصافها المنفّره عنها فاستعار لها لفظ الغراره باعتبار كونها سببا مادّيا للاغترار كما سبق،و لمّا كان الخداع هو المشوره بأمر ظاهره مصلحه و باطنه مفسده و كان

ظهور زينه الحياه الدنيا للناس يشبه الرأى المحمود فى الظاهر اتّباعها،و كانت تلك الزينه و اتّباعها لما فيها من الفتنه بها عن سبيل اللّه الّذى هو عين المفسده تشبه المفسده فى باطن الرأى لا جرم أشبه ظهور زينتها الخداع فاستعار لها لفظ الخدوع بذلك الاعتبار ، استعاره-المقابله و كذلك استعار لفظ المعطيه ،و لفظ المنوع باعتبار كونها سببا ماديّا للانتفاع بما فيها من خيراتها و سببا ماديّا لمنعه،و كذلك لفظ الملبسه النزوع ، و راعى فى هاتين القرينتين المقابله،و فايدتها ههنا التنفير عمّا يتوهّم فيها خيرا ممّا تعطيه و تلبسه بذكر استعقابها لمقابلتهما من منعها لما تعطيه و نزعها ممّا تلبسه،و لذلك أكّده بقوله:لا يدوم رخاؤها.إلى آخره ،و لمّا كان رخاؤها من صحّه و شباب و مال و جاه و نحوها من سائر الملذّات البدنيّه حوادث مشروطه باستعدادات سابقه عليها و معدّات غير مضبوطه كثيره حادثه و غير حادثه سريعه التغيّر أو بطيئه لا- جرم كان من شأن ذلك الرخاء التغيّر و الانقطاع،و ظاهر أنّ انقطاع رخائها حالا فحالا مستلزم لعدم انقضاء عنائها و متاعبها،و تواتر بلائها. استعاره و استعار لبلاء الدنيا وصف عدم الركود ملاحظه لشبهه بالريح دائمه الحركه لكونه دايما .

القسم الثانى منها فى صفه الزهاد.

اشاره

كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا- فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ- وَ بَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ- تَقَلَّبُ أَبْدَانِهِمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الْآخِرَهِ- وَ يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ- وَ هُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ

اللغه

أقول: ظهرانى:بفتح النون . و الإشاره إلى بعض أصحابه الّذين درجوا قبله .

المعنى

و قوله: كانوا قوم ا.إلى قوله: أهلها .

ص:۱۰۷

قضیّتان ظاهرهما التناقض لکن قد علمت أنّ المطلقتین لا یتناقضان،و اختلافهما یحتمل أن یکونا بالموضوع أو بالإضافه فإنّهم من أهل الدنیا بأبدانهم و مشارکاتهم الضروریّه لأهلها فی الحاجه إلیها و لیسوا من أهلها بقلوبهم.إذ خرجوا عن ملاذّها و نعیمها و استغرقوا فی محبّه اللّه و ما أعدّ لأولیائه الأبرار فی دار القرار فهم أبدا متطلّعون إلیه و شاهدون لأحوال الآخره بعیون بصائرهم کما قال علیه السّلام فیما قبل فی صفتهم:فهم و الجنّه کمن قد رآها فهم فیها متنعّمون،و هم و النار کمن قد رآها فهم فیها معذّبون.و من کان کذلک فحضوره القلبیّ إنّما هو فی تلک الدار فکان بالحقیقه من أهلها.

و قوله:عملوا فیها بما یبصرون.

أی کان سعیهم و حرکاتهم البدنیّه و النفسانیّه فی سبیل اللّه ببصیره و مشاهده لأحوال تلک الطریق و ما تفضی إلیه من السعاده الباقیه،و علم بما یستلزمه الانحراف عنها من الشقاوه اللازمه الدائمه،و الباء للتسبّب.و ما مصدریّه،و یحتمل أن تکون بمعنی الّذی:أی بالّذی یبصرونه و یشاهدونه من تلک الأحوال فإنّ علمهم الیقین بها هو السبب القائد و الحامل لهم فی تلک الطریق و علی سلوکها.

و قوله:و بادروا فیها ما یحذرون.

و المبادره المسابقه و المعاجله و هی مفاعله من الطرفین،و المراد أنّهم سابقوا ما یحذرون من عذاب اللّه المتوعّد فی الآخره کأنّه سابق لهم إلی أنفسهم و هم مسابقوه إلی خلاصها فسبقوه إلی النجاه.إذ کانوا راکبین لمطایاها،و متمسّکین بعصمها و هی أوامر اللّه و حدوده.

و قوله :تقلّب.إلی قوله:الآخره.

أی تتقلّب.فحذف إحدی التائین تخفیفا.فالمعنی أنّ دأبهم معاشره أهل الآخره و العاملین لها دون أهل الدنیا،و قیل:یحتمل أن یرید بأهل الآخره سائر الناس لأنّ مستقرّهم الأصلی و دار قرارهم هی الآخره کما قال تعالی «وَ إِنَّ» ّ

ص:۱۰۸

«الْآخِرَهَ هِيَ دارُ الْقَرارِ» (١)و المعنى على هذا الوجه أنّهم مع الناس بأبدانهم فقط تتقلّب بينهم و أرواحهم فى مقام آخر.

و قوله:يرون.إلى آخره.

الغرض الفرق بينهم و بين أهل الدنيا.إذ كان أهل الدنيا لا يرون أنّ وراء أبدانهم كمالا آخر فكانوا غافلين عن أحوال الآخره من سعاده أو شقاوه فكان أعظم محبوباتهم بقاء أجسادهم و تكميلها،و أعظم منفور عنه لهم نقصانها مجاز و موتها :أمّا المتّقون فهم و إن كانوا يرونهم بتلك الحال إلّا أنّهم يرون أفضل ممّا يرون، و هو أنّ موت قلوبهم و فقدانها للحياه بالعلم و الحكمه أعظم من موت أجسادهم، و ذلك لعلمهم بفساد الحياه البدنيّه و انقطاعها و كدرها بعوارض الأمراض و ساير المغضبات الدنيويّه،و بقاء الحياه النفسانيّه و شرف كمالها و صفاء لذّاتها عن الأقدار و الأكدار.و إنّما قال:قلوب أحيائهم،و لم يقل:قلوبهم لأنّ موت القلوب قد يكون حقيقه بموت الأجساد،و قد يكون مجازا و هو موتها بفقدان العلم و نور الحكمه مع حياه أجسادها فكان ذكر الأحياء كالقرينه المعيّنه لمراده بذلك الموت مجازا، و الضمير فى قوله:أحيائهم يعود إلى أهل الدنيا لأنّ موت القلوب هو الواقع بهم حال حياه أبدانهم،و يحتمل عوده إلى قوله:و هم.الّذى هو ضمير المتّقين.و باللّه التوفيق.

۲۲۲-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

خطبها بذى قار و هو متوجه الى البصره

ذكرها الواقدى فى كتاب الجمل فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ وَ بَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ- فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ وَ رَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ- وَ أَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ- بَعْدَ الْعَدَاوَهِ الْوَاغِرَهِ فِي الصُّدُورِ- وَ الضَّغَائِنِ الْقَادِحَهِ فِي الْقُلُوبِ

١- ١) ۴۲-۴۰.

اللغه

أقول: ذوقار : موضع قريب من البصره،و فيه كانت وقعه العرب مع الفرس قبل الإسلام .و الصدع : الشقّ .و الواغره : ذات الوغره:و هى شدّه توقّد الحرّ،و فى صدره وغر:أى عداوه و ضغن توقد من الغيظ.و عداوه واغره:شديده .و الضغائن الأحقاد .

و الإشاره إلى أوصاف الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم :

فالأوّل:

استعاره استعار له لفظ الصدع بما امر به من تبليغ الوحى،و وجه المشابهه أنّه شقّ بما جاء به الرساله عصا الكفر و كلمه أهله،و فرّق ما اتّصل من أغشيه الجهل على رءوس الكافرين و حجب الغفله الّتى رانت على قلوبهم كما يصدع الحجر بالمعول و نحوه .

الثانى:ذكر تبليغه لرساله ربّه

فى معرض مدحه لكونه أداء أمانه عظم تبليغها و قدرها،و ذلک فضيله تحت ملكه العفّه .

الثالث:

استعاره كونه قد لمّ اللّه به الصدع،و رتق به الفتق ،و استعار لفظى الصدع و الرتق لما كان بين العرب من الافتراق و تشتّت الأهواء و اختلاف الكلمه و العداوات و الأحقاد حتّى أنّ أحدهم كان يقتل أباه و ابنه و ذوى رحمه لهوى يقوده أو ضغن يحمله فجمع اللّه بمقدمه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أشتاتهم و «وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ» حتّى جعل ذلک فى معرض امتنانه عليه.إذ يقول: «وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ» ،و كذلک استعار لفظ القادحه للضغائن لاستلزامها إثاره الغضب و الفتن و الشرور كما يثير القادح النار .و باللّه التوفيق.

۲۲۳-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

كلم به عبد اللّه بن زمعه،و هو من شيعته، و ذلک أنه قدم عليه فى خلافته يطلب منه مالا،فقال عليه السّلام:

إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِى وَ لاَ لَکَ- وَ إِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَ جَلْبُ أَسْيَافِهِمْ-

فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِی حَرْبِهِمْ کَانَ لَکَ مِثْلُ حَظِّهِمْ- وَ إِلاَّ فَجَنَاهُ أَیْدِیهِمْ لاَ تَکُونُ لِغَیْرِ أَفْوَاهِهِمْ أقول:هو عبد اللّه ابن زمعه بفتح المیم ابن أسود بن المطّلب بن أسود بن عبد العزّی بن قصّی بن کلاب.و کان من أصحاب علیّ و شیعته.

اللغه

و الجلب : المال المجلوب،و روی بالخا .و جناه الثمر : ما یجنی منه .

المعنی

و ظاهر الکلام یقتضی أنّه استماحه علیه السّلام مالا فاعتذر إلیه،و وجه العذر أنّه لم یکن لیجمع لنفسه مالا یخصّه و إنّما یجمع له معه ما کان لبیت مال المسلمین من فیئهم، و هو جلبه أسیافهم من مال الکفّار غنیمه،و نطق القرآن الکریم بقسمه خمسه بین من ذکر فی قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ» (1)و الأقسام الأربعه الباقیه للقائمین الّذین باشروا القتال.فعند الشافعی للفارس ثلاثه أسهم و للراجل سهم،و عند أبی حنیفه للفارس سهمان و للراجل سهم،و هو مذهب أهل البیت علیهم السّلام.و یحمل منعه علیه السّلام له من الخمس علی أنّه طلب من مال المقاتله أو علی أنّ الخمس کان قد قسّم أو علی أنّه لم یکن من المساکین و هم أهل الفاقه و الفقر و لا ابن السبیل و هو المنقطع فی سفره،و أمّا سهم اللّه فأجمع المفسّرون علی أنّ ذکر اللّه هنا للتعظیم و إن اختلفوا فی قسمه الخمس.فمنهم من قال:یقسّم خمسه أقسام لأنّ سهم اللّه و سهم الرسول للرسول فهو قسم واحد،و هو المرویّ عن ابن عبّاس و قتاده و جماعه من أهل التفسیر،و منهم من قال:یقسّم أربعه أقسام،و منهم من قال:ثلاثه أقسام، و المرویّ عن أهل البیت علیه السّلام أنّه ینقسم ستّه أقسام فسهم اللّه و سهم رسوله للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هما بعده مع سهم ذوی القربی للقائم مقامه ینفقها علی نفسه و أهل بیته من بنی هاشم،و الثلاثه الأسهم الباقیه للیتامی و المساکین و أبناء السبیل من أهل

1- 1) 8-24.

بيت الرسول لا يشركهم فيها باقى الناس عوضا من الصدقات المحرّمه عليهم.و الأئمّه الأربعه على أنّ سهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان تصرف بعد عهده إلى ما أهمّ به من مصالح المسلمين من السلاح و الكراع.فإذن لم يكن أن يعطيه من سهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و ظاهر أنّه ليس من اولى القربى و لا ـ اليتامى،و أمّا منعه من الأخماس الأربعه فلأنّها كانت للمقاتله خاصّه و لم يكن هو منهم،و لذلك قال له:و إنّما هو فىء للمسلمين و جلب أسيافهم فإن شركتهم فى حربهم كان لك مثل حظّهم،و قد نطق كلامه عليه السّلام هنا بأنّ الفىء و الغنيمه واحد و إن كان قد يختصّ الفىء عند بعضهم بما اخذ من مال الكفّار بغير قتال و هو قول الشافعى و المروىّ فى أخبار الإماميه.

و قوله:و إلّا:أى و إن لا تكن قد شركتهم، استعاره و استعار لفظ الجناه لما اكتسبوه بأيديهم من ذلك المال ملاحظه لمشابهته باقتطاف الثمره و اجتنائها و هو من أفصح الاستعارات،و يجرى مجرى المثل يضرب لمن يطلب مشاركه غيره فى ثمره فعل فعله ذلك الغير و تعب فيه ،و لمّا كان قوله:و إلّا.دالاّ ـ على مقدّم شرطيّه متّصله تقديره و إلاّ ـ تكن قد شركتهم فى حربهم.و نبّه بقوله:فجناه أيديهم.إلى آخره على تاليها.إذ كان مفهوم هذا القول دالاّ على عدم استحقاق غير الجانى نصيبا ممّا جنّته يد الجانى فكأنّه قال:و إلّا شركتهم فى حربهم فلا يكون لك نصيب فيما كسبته أيديهم.و الفاء لجواب الشرط المقدّر.و باللّه التوفيق.

۲۲۴–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

:أَلاَ ـ وَ إِنَّ اللِّسَـانَ بَضْـعَهٌ مِنَ الْإِنْسَـانِ- فَلاَ ـ يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ- وَ لاَ ـ يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ- وَ إِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلاَمِ وَ فِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ- وَ عَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ وَ اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّكُمْ فِى زَمَانٍ- الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ- وَ اللِّسَانُ عَنِ

ص:۱۱۲

الصِّدْقِ كَلِيلٌ- وَ اللاَّزِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ- أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ- مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِدْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ- وَ شَائِبُهُمْ آثِمٌ وَ عَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ- وَ قَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ لاَ يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ- وَ لاَ يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ أقول:روى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال هذا الكلام فى واقعه اقتضت ذلك، و هى أنّه أمر ابن اخته جعده بن هبيره المخزومى يوما أن يخطب الناس فصعد المنبر فحصر فلم يستطع الكلام فقام عليه السّلام:و تسنّم ذروه المنبر.ثمّ خطب خطبه طويله.ذكر الرضى-رحمه اللّه-منها هذا الفصل.

اللغه

و البضعه : القطعه .و نشبّت : تعلّقت .و تهدّلت : تدلّت .و العارم : الشرس سىّء الأخلاق .و المماذق : الّذى يمزج الودّ و لا يخلصه،و هو نوع من النفاق .

المعنى

و الضمير فى يسعده و يمهله للسان،و فى امتنع و اتّسع للإنسان.

و المعنى أنّ اللسان لمّا كان آله للإنسان يتصرّف بتصريفه إيّاه فإذا امتنع الإنسان عن الكلام لشاغل أو صارف لم يسعد اللسان القول و لم يواته،و إذا دعاه الداعى إلى الكلام و حضره و اتّسع الإنسان له لم يمهله النطق بل يسارع إليه،و يحتمل أن يعود الضمير فى امتنع إلى القول،و فى اتّسع إلى النطق:أى فلا يسعد القول اللسان إذا امتنع القول من الإنسان و لم يحضره لوهم أو نحوه أوجب حصره وعيّه و لم يمهله النطق إذا اتّسع عليه و حضره.

استعاره و قوله : و إنّا لامراء الكلام .

استعار لفظ الامراء لنفسه و أهل بيته ملاحظه لكونهم مالكين لأزمّه الكلام يتصرّفون فيه تصرّف الامراء فى ممالكهم،و استعار لفظ العروق لموادّ الكلام و اصوله و ملكاته المتمكّنه فى قلوبهم،و استعار لفظ التنشّب ، استعاره مرشحه و كذلك استعار لفظ الغصون لما أمكنهم من تناوله رشّح بذكر التهدّل لأنّ من شأن الغصن ذلك .ثمّ عقّب بذكر الزمان و أهله،و يشبه أن يكون هذا فصلا منقطعا

ص:١١٣

عمّا قبله،و ذكر أوصافا:

أحدها:قلّه القائلين فيه بالحقّ،و ذلك من الشرور اللاحقه لأهل الزمان فيه،و قد علمت ما قلناه فى وصف كون الزمان سببا ما للشرّ و الخير عند قوله:

أيّها الناس إنّا قد أصبحنا فى دهر عنود و زمن كنود.

الثانى:كون اللسان فيه كليلا عن الصدق،و السبب القريب للوصفين استيلاء الجهل و الظلم على أكابره و أهل الدنيا فيه.

الثالث:ذلّ اللازمين للحقّ فيه،و هو لازم عن قلّتهم و ضعفهم بالنسبه إلى الباقين.

الرابع :كون أهله معتكفين على العصيان،و أراد الأكثرين من الناس.

الخامس:كونهم مصطلحين على الإدهان:أى المصانعه باللسان دون الإتّفاق بالقلوب،و يحتمل أن يريد بالإدهان الغشّ،و هو لغه قوم.

السادس:وصفهم بحسب أصنافهم:فشابهم شرس الأخلاق لنشوه على غير أدب،و شائبهم آثم لجهله و غفلته عمّا يراد به،و عالمهم منافق لاستعماله فطنته فى طرف الشرّ و إعراضه عن أوامر اللّه و طريق الآخره،و قارئهم مماذق يظهر التودّد إلى الناس و ليس به.

السابع:كونهم لا يعظّم صغيرهم كبيرهم،و ذلك لنشوهم على قلّه الآداب الشرعيّه و عدم التفاتهم إليها.

الثامن:و لا يعول غنيّهم فقيرهم وصف لهم بالجفاوه و البخل.و باللّه التوفيق.

۲۲۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

روى ابو محمـد اليمانى عن أحمد بن قتيبه عن عبد اللّه بن يزيد عن مالك بن دحيه قال:كنا عند أمير المؤمنين عليه السّـلام و قد ذكر عنده اختلاف الناس فقال إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ- وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ

وَ عَذْبِهَا- وَ حَزْنِ تُرْبَتِهِ وَ سَهْلِهَا- فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ- وَ عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ- فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ- وَ مَادُّ الْقَامَهِ قَصِيرُ الْهِمَّهِ- وَ زَاكِی الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ- وَ قَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ- وَ مَعْرُوفُ الضَّرِيبَهِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَهِ- وَ تَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ- وَ طَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ أبو محمّد ذعلب اليمانیّ و أحمد و عبد اللّه و مالک من رجال الشيعه و محدّثيهم.

اللغه

و الفلقه:

القطعه،و الشقّ من الشیء .و الرواء : المنظر الجميل .و سبرت الرجل أسبره:

اختبرت باطنه و غوره .و الضريبه : الخلق و الطبيعه .و الجليبه : ما يجلبه الإنسان و يتكلّفه .

و الكلام إشاره إلی السبب المادیّ لاختلاف الناس فی الصور و الأخلاق .

كنايه فقوله: إنّما فرّق بينهم.إلی قوله:يتفاوتون.

فطينهم إشاره إلی التربه الّتی أشار إلی جمع اللّه لها فی قوله:فی الخطبه الاولی:ثمّ جمع سبحانه من سهل الأرض و حزنها و سبخها و عذبها تربه.إلی قوله:و أصلدها حتّی استمسكت.و المعنی أنّ تقاربهم فی الصور و الأخلاق تابع لتقارب طينهم و تقارب مباديه و هی السهل و الحزن و السبخ و العذب،و تفاوتهم فيها تابع لتفاوت طينهم و مباديه المذكوره.قال أهل التأويل:إضافه المبادی هنا إلی الطين إضافه بمعنی اللام:أی المبادی لطينهم،و الإشاره بطينهم إلی اصولهم، و هی الممتزجات المنتقله فی أطوار الخلقه كالنطفه و ما قبلها من موادّها و ما بعدها من العلقه و المضغه و العظم،و المزاج الإنسانیّ القابل للنفس المدبّره.قالوا:و لمّا كانت مبادی ذلک الطين فی ظاهر كلامه عليه السّلام هی السبخ و العذب و السهل و الحزن كان ذلک كنايه عن الأجزاء العنصريّه الّتی هی مبادی الممتزجات ذوات الأمزجه كالنبات و الغذاء و النطفه و ما بعدها.إذ كلّ ممتزج منها لا بدّ فيه من أجزاء

متفاعل فيحصل بواسطتها استعداداتها،و تفاعلها ذو مزاج هو نطفه و غيرها فتلك الأجزاء المتفاعله المستعدّه لمزاج مزاج هى مبادى تلك الأمزجه و الممتزجات و لمّا كانت السبخيّه و العذوبه و السهوله و الحزونه امورا تلحق الممتزجات الأرضيّه الّتى هى مبادئ الطين و لها أثر فى اختلاف مزاجه و ساير الأمزجه المركّبه منه، و كان اختلاف استعدادات تلك الامور الممتزجه لقبول الأمزجه الّتى هى السبب فى اختلاف الأمزجه و استعداداتها لقبول الأخلاق و الصور هو السبب فى اختلاف الأخلاق و الصور لا جرم كان السبب فى تفرّق الناس فى أخلاقهم و خلقهم إنّما هو اختلاف مبادئ طينهم،و قد علمت ممّا سلف فى الخطبه الاولى لميّه تخصيصه عليه السّلام بعض الأجزاء العنصريّه بالتركّب عنها،و يحتمل أن يشير بالسبخ و العذب و السهل و الحزن إلى الأجزاء الأرضيّه من حيث هى ذوات أمزجه متعادله الكيفيّات.فالسبخ كنايه عن الحارّ اليابس منها،و العذب كنايه عن الحارّ الرطب،و السهل كنايه عن البارد الرطب،و الحزن كنايه عن البارد اليابس قالوا:و على هذا حمل قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ اللّه سبحانه لمّا أراد خلق آدم أمر أن يؤخذ قبضه من كلّ أرض فجاء بنو آدم على قدر طينها الأحمر و الأبيض و السهل و الحزن و الطيّب و الخبيث.فالقبضه من كلّ أرض إشاره إلى الأجزاء الأرضيّه المذكوره،و كون الناس مختلفين عنها بالأبيض و الأحمر إشاره إلى اختلاف خلقهم،و كونهم مختلفين بالسهوله و الحزونه و الطيّب و الخبيث إشاره إلى اختلاف تلك الاستعدادات السابقه على كلّ مزاج فى أطوار خلقهم قالوا:و قد بان بذلك معنى قوله:فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون:أى على حسب قرب مبادى طينهم المذكوره و تشابهها فى استعداداتها و إعدادها يتقاربون و يتشابهون فى الصور و الأخلاق،و على قدر اختلاف تلك المبادى و تباينها فى ذلك يتفاوتون و تتضادّ أخلاقهم و تتباين خلقهم.قالوا:و يجب التأويل هنا لأنّا لو حملنا الكلام على ظاهره لاقتضى أنّ كلاّ منهم قد خلق من الطين.

قوله :فتامّ الرواء.إلى آخره.

تفصيل لهم فى تفاوتهم.و ذكر أقساما سبعه فبدء بالأقسام الّتى تضادّ خلقها لأخلاقها أو بعض أخلاقها لبعض و هى خمسه:

الأوّل:من استعدّ مزاجه لقبول صوره كامله حسنه و عقل ناقص فهو داخل فى رذيله الغباوه.

الثانى:المستعدّ لامتداد القامه و حسنها أيضا لكنّه ناقص فى همّته فهو داخل فى رذيله الجبن،و كلاهما يشتركان فى مخالفه ظاهرهما لباطنهما،و يتفاوتان فى الاستعداد الباطن.

الثالث:المستعدّ لقبح صورته الظاهره و حسن باطنه باعتدال مزاج ذهنه المستلزم للأعمال الذاكيه.

الرابع:قريب القعر:أى قصير بعيد السبر:أى داهيه ببعد اختيار باطنه و الوقوف على أسراره،و مخالفه ظاهر هذين القسمين لباطنهما ظاهر.

الخامس.معروف الضريبه منكر الجليبه:أى يكون له خلق معروف يتكلّف ضدّه فيستنكر منه،و يظهر عليه تكلّفه كأن يكون مستعدّا للجبن فيتكلّف الشجاعه أو بخيلا فيتكلّف السخاوه فيستنكر منه ما لم يكن معروفا منه.فهذه هى الأقسام الخمسه،و القسم الأوّل و الثالث قليلان فإنّ الأغلب على المستعدّ لحسن الصوره و جمالها و اعتدال الخلقه أن يكون فطنا ذكيا لدلاله تلك العوارض على استواء التركيب و اعتدال المزاج،و الأغلب على المستعدّ لقبح الصوره عكس ذلك،و أما القسم الثانى و الرابع فهو أكثر فإنّ الأغلب على طويل القامه نقصان العقل و البلاده و يتبع ذلك فتور العزم و قصور الهمه،و على القصير الفطنه و الذكاء و حسن الآراء و التدابير،و قد نبّه بعض الحكماء على علّه ذلك فقال حين سئل ما بال القصار من الناس أدهى و أحذق؟:لقرب قلوبهم من أدمغتهم.و مراده أنّ القلب لمّا كان مبدء للحار الغريزىّ و كان الأعراض النفسانيّه من الفطنه و الفهم و الإقدام و الوقاحه و حسن الظنّ و جوده الرأى و الرجاء و النشاط و رجوليّه الأخلاق و قلّه الكسل و قلّه الانفعال عن الأشياء كلّ ذلك يدلّ على الحراره

ص:١١٧

و توفّرها،و أضداد هذه الامور يدلّ على البروده لا جرم كان قرب القلب من الدماغ فى القصير لكونه سببا لتوفّر الحراره فى الدماغ وجوده استعداد القوى النفسانيّه فيه للأعراض المذكوره،و كان بعده منه فى الطويل سببا لقلّه الحراره فيه و ضعف استعداد القوى النفسانيّه فيه للأعراض المذكوره، و استعدادها لأضدادها و إن كانت الحراره ليست هى كمال السبب المادىّ،و القسم الخامس أكثرى و ذلك لمحبّه النفوس للكمالات فترى البخيل يحبّ أن يعدّ كريما فيتكلّف الكرم،و الجبان يحبّ أن يعدّ شجاعا فيتكلّف الشجاعه، المطابقه و قد راعى فى هذه القرائن المطابقه فالتامّ بإزاء الناقص ،و مادّ القامه بإزاء القصير ، و الذكىّ بإزاء القبيح ،و القريب بإزاء البعيد ،و المعروف بإزاء المنكر ،و أمّا القسمان الباقيان فأحدهما:تائه القلب متفرّق اللبّ،و هم العوامّ.و العامّه أتباع كلّ ناعق التائهون فى تيه الجهل المتفرّقه أهواؤهم بحسب كلّ سانح من المطالب الدنيويّه و الخواطر الشيطانيّه، السجع المتوازى و الثانى: طليق اللسان حديد الجنان ،و هو اللسن الزكىّ،و هذان القسمان مخالفان للأقسام الاولى فى مناسبه ظاهرهما لباطنهما،و راعى فى كلّ قرينتين من هذين القسمين السجع المتوازى .و باللّه التوفيق.

۲۲۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

و هو يلى غسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تجهيزه

بِأَبِى أَنْتَ وَ أُمِّى يَا؟رَسُولَ اللَّهِ؟- لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِکَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِکَ- مِنَ النُّبُوَّهِ وَ الْإِنْبَاءِ وَ أَخْبَارِ السَّمَاءِ- خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاکَ- وَ عَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيکَ سَوَاءً- وَ لَوْ لاَ أَنَّکَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَ نَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ- لَأَنْفَدْنَا عَلَيْکَ مَاءَ الشُّئُونِ-

وَ لَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً وَ الْكَمَدُ مُحَالِفاً- وَ قَلَّا لَکَ وَ لَكِنَّهُ مَا لاَ يُمْلَکُ رَدُّهُ- وَ لاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ- بِأَبِی أَنْتَ وَ أَمِّی اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّکَ وَ اجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ

اللغه

أقول:روی عوض الأنباء الأنبياء،و هی الأخبار .و الشئون : مواصل قطع الرأس المشعوب بعضها مع بعض،و ملتقاها.و العرب تقول:إنّ الدموع يجیء منها.و قال ابن السکّيت:الشأنان:عرقان ينحدران من الرأس إلی الحاجبين ثمّ إلی العينين .و الكمد : الحزن المكتوم .و المحالف : الملازم .و البال . القلب .

المعنی

و قوله: بأبی أنت و امّی يتعلّق بمحذوف تقديره أفديک.و إنّما قال له:

استعاره لقد انقطع بموتک.إلی قوله:السماء لأنّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم خاتم الأنبياء،و أراد بأخبار السماء الوحی،قال أهل التأويل:و لفظ السماء مستعار لما علا فی المعنی من سماء عالم الغيب و مقامات الملأ الأعلی.

و قوله:خصصت.إلی قوله:سواء.

أی خصصت فی مصيبتک من حيث إنّها مصيبه خاصّه عظيمه لا يصاب الناس فی الحقيقه بمثلها فلذلک كانت مسلّيه لهم عن المصائب بمن سواک و عمّتهم بمصيبتک حتّی استووا فيها.و أضاف الخصوص و العموم إليه و إن كانا للمصيبه لكونها بسببه.

و قوله:و لولا.إلی قوله:و قلّالک.

إشاره إلی العذر فی ترک البكاء الكثير و مماطله الداء و ملازمه الحزن،و هو أمره صلّی اللّه عليه و آله و سلّم بالصبر فی مواطن المكروه و النهی عن الجزع عند نزول الشدائد. كنايه و كنّی عن كثره البكاء بإنفاد ماء الشئون ، كنايه-استعاره و بالداء عن ألم الحزن بفقده صلّی اللّه عليه و آله و سلّم، و استعار له لفظ المماطله كأنّ الحزن و ألمه لثباته و تمكّنه لا يكاد يفرق مع أنّ من عادته أن يفارق فهو كالمماطل بالمفارقه ،و الضمير فی قوله:و قلّالک يعود إلی إنفاد ماء الشئون الّذی دلّ عليه أنفدنا،و إلی الكمد المخالف.و لمّا كان هو الداء المماطل أتی بضمير الإثنين،و يحتمل أن يعود إلی الداء المماطل و الحزن الملازم

ترجیحا للقرب،و الضمیر فی قوله:و لکنّه ما لا یملک.یعود إلی الموت فی قوله:

بموتک،و تقدیره و لکنّ الموت الّذی لأجله البکاء و الحزن ما لا یملک ردّه و لا یستطاع دفعه فلم یکن فی البکاء و الجزع فایده و کان لزوم الصبر أولی.ثمّ عاد إلی التفدیه و هی کلمه معتاده للعرب تقال لمن یعزّ علیهم.

فإن قلت:کیف تحسن التفدیه هنا بعد الموت و هی غیر ممکنه.

قلت:إنّه لا یشترط فی إطلاقها فی عرفهم إمکان الفدیه.إذ لیس الغرض منها تحقیق الفدیه بل تخییل الفدیه و إیهامها للاسترقاق و تخییل المقول له أنّه عزیز فی نفس القائل إلی غایه أنّه أرجح من أبیه و امّه بحیث یفدیه بهما،و ظاهر أنّها ممّا یعقل [أنّها ممّا یفعل خ]فی الطبع میلا من المقول .ثمّ سأله أن یذکره عند ربّه و أن یجعله من باله.إذ هو السابق إلیه مع کونه رئیس الخلق و مقدّمهم فکان أولی من سئل ذلک منه،و أراد:اذکرنا عنده بما نحن علیه من طاعته.فهو کأمیر بعثه الملک إلی أهل مدینه لیصلح حالهم و ینظّمهم فی سلک طاعه الملک بالترهیب من وعیده و الترغیب فیما عنده من الکرامه فلا بدّ أن یعلمه طاعه المطیع و عصیان العاصی إذا حان رجوعه إلی خدمه الملک،أحبّ عقلاؤهم و أهل الطاعه منهم أن یذکر طاعتهم عند الملک بین یدیه فیتقرّبون إلی قلب أمیرهم و یسألونه أن یجعلهم من باله:

أی من مهمّاته.یقال:هذا من بال فلان:أی مما یبالیه و یهتمّ به،و یحتمل أن یرید من مهمّات بالک فحذف المضاف.و قبض صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعد الهجره بعشر سنین،و کان مولده عام الفیل،و بعث و هو ابن أربعین سنه بعد بنیان الکعبه،و هاجر إلی المدینه و هو ابن ثلاث و خمسین سنه،و کان سنّه یوم قبض ثلاث و ستّین سنه،و یقال:إنّه ولد یوم الإثنین،و دخل المدینه یوم الإثنین،و قبض یوم الإثنین،و دفن لیله الأربعا بحجره عایشه و فیها قبض،و تولّی تغسیله علیّ علیه السّلام و العبّاس بن عبد-المطّلب و ولده الفضل.و قد أشرنا إلی ذلک فی کیفیّه دفنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی قوله:و لقد علم المستحفظون،و باللّه التوفیق.

ص:۱۲۰

Z۲۲۷–و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی» لاَ تُدْرِکُهُ الشَّوَاهِدُ- وَ لاَ تَحْوِیهِ الْمَشَاهِدُ- وَ لاَ تَرَاهُ النَّوَاظِرُ- وَ لاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ- الدَّالِّ عَلَی قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ- وَ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَی وُجُودِهِ- وَ بِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَی أَنْ لاَ شَبَهَ لَهُ- الَّذِی صَدَقَ فِی مِیعَادِهِ- وَ ارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ- وَ قَامَ بِالْقِسْطِ فِی خَلْقِهِ- وَ عَدَلَ عَلَیْهِمْ فِی حُکْمِهِ- مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْیَاءِ عَلَی أَزَلِیَّتِهِ- وَ بِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَی قُدْرَتِهِ- وَ بِمَا اضْطَرَّهَا إِلَیْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَی دَوَامِهِ- وَاحِدٌ لاَ بِعَدَدٍ وَ دَائِمٌ لاَ بِأَمَدٍ وَ قَائِمٌ لاَ بِعَمَدٍ- تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لاَ بِمُشَاعَرَهٍ- وَ تَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِی لاَ بِمُحَاضَرَهٍ- لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّی لَهَا بِهَا- وَ بِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا وَ إِلَیْهَا حَاکَمَهَا- لَیْسَ بِذِی کِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَایَاتُ فَکَبَّرَتْهُ تَجْسِیماً- وَ لاَ بِذِی عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَایَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِیداً- بَلْ کَبُرَ شَأْناً وَ عَظُمَ سُلْطَاناً وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ الصَّفِیُّ- وَ أَمِینُهُ الرَّضِیُّ ص أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ وَ ظُهُورِ الْفَلَجِ وَ إِیضَاحِ الْمَنْهَجِ- فَبَلَّغَ الرِّسَالَهَ صَادِعاً بِهَا- وَ حَمَلَ عَلَی الْمَحَجَّهِ دَالاًّ عَلَیْهَا- وَ أَقَامَ أَعْلاَمَ الاِهْتِدَاءِ وَ مَنَارَ الضِّیَاءِ- وَ جَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلاَمِ مَتِینَهً- وَ عُرَی الْإِیمَانِ وَثِیقَهً

ص:۱۲۱

اللغه

أقول: المشاهد : المحاضر و المجالس .و المرائى : جمع مرآه بفتح الميم و هى المنظر يقال:فلان حسن فى مرآه العين و فى رأى العين:أى فى المنظر .و الفلج : الظفر و أصله بسكون اللام .و الأمراس : جمع مرس بفتح الراء و هى جمع مرسه و هى الحبل .

المعنى

و قد حمد اللّه تعالى باعتبارات من التنزيه :

الأوّل:كونه لا تدركه الشواهد

،و أراد الحواسّ،و سمّاها شواهد لكونها تشهد ما تدركه و تحضر معه،و قد علمت تنزيهه عن إدراك الحواسّ غير مرّه.

الثانى:و لا تحويه المشاهد

،و قد علمت تنزيهه تعالى عن الأمكنه و الأحياز.

الثالث:و لا تراه النواظر

:أى نواظر الأبصار،و إنّما خصّص البصر بالذكر بعد ذكر الشواهد لظهور تنزيهه تعالى عن ساير الحواسّ و وقوع الشبهه و قوّتها فى أذهان كثير من الخلق فى جواز إدراكه تعالى بهذه الحاسّه حتّى أنّ مذهب كثير من العوامّ أن تنزيهه تعالى عن ذلك ضلال بل كفر تعالى اللّه عمّا يقول العادلون.

الرابع:و لا تحجبه السواتر

،و قد علمت أنّ السواتر الجسمانيّه إنّما تعرض للأجسام و عوارضها،و علمت تنزيهه تعالى عن ذلك .

الخامس:كونه دالاّ على قدمه بحدوث خلقه

،و اعلم أنّه عليه السّلام جعل حدوث خلقه هنا دالاّ على الأمرين:

أحدهما:قدمه تعالى.

و الثانی:وجوده.و قـد سـبق تقریر ذلک فی قوله علیه السّلام:الحمـد للّه الدالّ علی وجوده بخلقه و بحدوث خلقه علی أزلیّته.غیر أنّه جعـل هناک الـدلیل علی الوجود هو نفس الخلق و جعله هنا هو الحـدوث،و لمّا کان مجرّد الوجود للممکنات و خلقها یـدلّ علی وجود صانع لها فأولی أن یدلّ حدوثها علیه.و قدمه و أزلیّته واحد .

السادس

:و کذلک مرّ تقریر قوله:و باشتباههم علی أن لا شبیه له.فی الفصل المذکور .

ص:۱۲۲

السابع:الّذی صدق فی میعاده،

و صدقه تعالی یعود إلی مطابقه ما نطقت به کتبه علی ألسنه رسله الصادقین علیهم السّلام للواقع فی الوجود ممّا وعد به أمّا فی الدنیا کما وعد به رسوله و المؤمنین بالنصر أو الاستخلاف فی الأرض کقوله تعالی «وَعَدَکُمُ اللّهُ مَغانِمَ کَثِیرَهً تَأْخُذُونَها» (۱)الآیه و قوله «وَعَدَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ» (۲)و أمّا فی الآخره کما وعد عباده الصالحین بما أعدّ لهم فی الجنّه من الثواب الجزیل،و الخلف فی الوعد کذب و هو علی اللّه سبحانه محال،و هو کقوله تعالی «إِنَّ اللّهَ لا یُخْلِفُ الْمِیعادَ» (۳).

الثامن:و ارتفع عن ظلم عباده

و هو تنزیه له عن حال ملوک الأرض الّذین من شأنهم ظلم رعیّتهم إذا رأوا أنّ ذلک أولی بهم،و أنّ فیه منفعه ولدّه أو فی ترکه ضرر و تألّم،و کلّ ذلک من توابع الأمزجه و عوارض البشریّه المحتاج إلی تحصیل الکمال الحقیقی أو الوهمیّ.و جناب الحقّ تعالی منزّه عن ذلک.

التاسع:و قام بالقسط فی خلقه

فقیامه بالقسط و هو العدل فیهم و إجراؤه لأحکامه فی مخلوقاته علی وفق الحکمه و النظام الأکمل و هو أمر ظاهر و کذلک عدله علیهم فی حکمه .

العاشر:کونه یستشهد بحدوث الأشیاء علی أزلیّته.

و الاستشهاد الاستدلال،و کرّره هنا تأکیدا باختلاف العباره.

الحادی عشر:و بما و سمها به من العجز عن قدرته.

العجز عباره عن عدم القدره عمّا من شأنه أن یقدر.إذ لا یقال مثلا للجدار:إنّه عاجز،و قد علمت أنّ کلّ موجود سواه فهو موصوف و موسوم بعدم القدره علی ما یختصّ به قدرته تعالی من الموجودات بل بعدم القدره علی شیء أصلا.إذ کلّ موجود فهو منته فی سلسله الحاجه إلیه و هو تعالی مبدء وجوده.و سایر ما یعدّ سببا له فإنّما هو واسطه معدّه کما علم تحقیقه فی موضع آخر فإذن لا قدره فی الحقیقه إلاّ له و منه.و وجه الاستدلال أنّه لو کان موسوما بالعجز عن شیء لما کان مبدء له لکنّه مبدء

۱- ۱) ۲۰-۴۸.

۲- ۲) ۵۴-۲۴.

۳- ۳) ۷-۶.

لكلّ موجود فهو ثابت القدره تامّها.

الثانى عشر:و بما اضطرّها إليه من الفناء دوامه.

و اضطراره لها إلى الفناء حكم قدرته القاهره على ما استعدّ منها للعدم بإفاضه صوره العدم عليه حين استعداده لذلك على وفق قضائه تعالى بذلك،و هو المشار إليه بقوله تعالى «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ» (۱)و وجه الاستدلال أنّه تعالى لو كان مضطرّا إلى الفناء كساير الأشياء لكان جايز الفناء فكان ممكنا لكن التالى باطل فهو واجب الوجود دائما .

الثالث عشر،كونه تعالى واحدا لا بعدد

:أى أنّه ليس واحدا بمعنى أنّه مبدء لكثره يكون عادّا لها و مكيالا،و قد سبق بيان ذلك،و بيان إطلاق وجه الوحده عليه،و بأىّ معنى هو غير مرّه.فلا معنى لإعادته.

الرابع عشر:كونه دائما لا بأمد

،و قد سبق أيضا بيان أنّ كونه دائما بمعنى أنّ وجوده مساوق لوجود الزمان.إذ كان تعالى هو موجد الزمان بعد مراتب من خلقه،و مساوقه الزمان لا يقتضى الكون فى الزمان،و لمّا كان الأمد هو الغايه من الزمان و منتهى المدّه المضروبه لذى الزمان من زمانه،و ثبت أنّه تعالى ليس بذى زمان يعرض له الأمد ثبت أنّه دائم لا أمد له.

الخامس عشر:كونه قائما لا بعمد

:أى بعمد ثابت الوجود من غير استناد إلى سبب يعتمد عليه و يقيمه فى الوجود كساير الموجودات الممكنه،و ذلك هو معنى كونه واجب الوجود،و قد أشرنا إلى برهان ذلك فى قوله:الحمد للّه الدالّ على وجوده بخلقه.و كثير من قرائن هذا الفصل موجود هناك .

السادس عشر:كونه تتلقّاه الأذهان لا بمشاعره،

و تلقّى الأذهان له يعود إلى استقبالها و تقبّلها لما يمكنها أن يتصوّره به من صفاته السلبيّه و الإضافيّه، و كون ذلك لا بمشاعره:أى ليس تلقّيها لتلك التصوّرات من طريق المشاعره و هى الحواسّ،و لا على وجه شعورها بما يشعر به منها،بل تتلقّاها على وجه أعلى

۱- ۱) ۶۸-۳۹.

و أشرف بتعقّل صرف برىّ عن علايق الموادّ مجرّد عن إدراک الحواسّ و توابع إدراکاتها من الوضع و الأين و المقدار و الکون و غير ذلک.

السابع عشر:کونه و تشهد له المرائى لا بمحاضره.

إشاره إلى کون المرائى و النواظر طرقا للعقول إلى الشهاده بوجوده تعالى فى آثار قدرته و لطايف صنعته و ما يدرک بحسّ البصر منها،و لوضوح العلم به تعالى و شهاده العقول بوجوده فى المدرکات بهذه الآله صار کأنّه تعالى مشاهد مرئىّ فيها و إن لم تکن هذه الآله محاضره له و لا يتعلّق إدراکها به،و يحتمل أن يريد بالمرائى المرئيّات الّتى هى مجال أبصار الناظرين و مواقعها.و ذلک أنّ وجودها و ما اشتملت عليه من الحکمه شاهد بوجود الصانع سبحانه من غير حضور و محاضره حسيّه کما عليه الصنّاع فى صنايعهم من محاضرتها و مباشرتها .

الثامن عشر:کونه تعالى لم تحط به الأوهام.

لمّا کان تعالى غير مرکّب لم يمکن الإحاطه به بعقل أو وهم البتّه،و الأوهام أولى بذلک.إذ کانت إنّما يتعلّق بالمعانى الجزئيّه المتعلّقه بالمحسوسات و الموادّ الجسمانيّه فيترتّب فى تنزيهه تعالى عن إحاطه الأوهام به قياس هکذا:لا شىء من مسمّى واجب الوجود بمدرک بمادّه و وضع.و کلّ مدرک للوهم فهو متعلّق بذى مادّه و وضع.ينتج لا شىء ممّا هو واجب الوجود بمدرک للأوهام أصلا فضلا أن يحيط به و يطّلع على حقيقته.

و قد مرّ ذلک مرارا.

التاسع عشر:کونه تعالى تجلّى لها

.و لمّا ثبت أنّها لا تدرک إلّا ما کان معنى جزئيّا فى محسوس فمعنى تجلّيه لها هو ظهوره لها فى صوره وجود ساير مدرکاتها من جهه من هو صانعها و موجدها.إذ کانت الأوهام عند اعتبارها لأحوال أنفسها من وجوداتها و عوارض وجوداتها و التغيّرات اللاحقه لها مشاهده لحاجتها إلى موجد و مقيم و مغيّر و مساعده للعقول على ذلک،و أنّ إدراکها لذلک فى أنفسها على وجه جزئىّ مخالف لإدراک العقول،و کانت مشاهده له بحسب ما طبعت عليه و بقدر إمکانها و هو متجلّى لها کذلک.و الباء فى-بها-للسببيّه.إذ وجودها

هو السبب المادىّ فى تجلّيه لها،و يحتمل أن يكون بمعنى فى:أى تجلّى لها فى وجودها.و بل هنا للإضراب عمّا امتنع منها من الإحاطه به،و الإثبات لما أمكن و وجب فى تجلّيه لها.

العشرون:و بها امتنع منها

:أى لمّا خلقت قاصره عن إدراك المعانى الكليّه و عن التعلّق بالمجرّدات كانت بذلك مبدء الامتناعه عن إدراكها له و إن كان لذلك الامتناع أسباب اخر اوليها:كونه بريئا عن أنحاء التراكيب،و يحتمل أن يريد بقوله:بها:أى أنّها لمّا خلقت على ذلك القصور و كان هو تعالى ممتنع الإدراك بالكنه اعترفت عند توجّهها إليه و طلبتها لمعرفته بالعجز عن إدراكه و أنّه ممتنع عنها فيها:أى باعترافها امتنع منها.

الحادى و العشرون:

مجاز كونه إليها حاكمها :أى جعلها حكما بينها و بينه عند رجوعها من توجّهها فى طلبه منجذبه خلف العقول حسره معترفه بأنّه لا تنال بجود الاعتساف كنه معرفته،و لا يخطر ببال اولى الرويّات خاطر من تقدير جلاله مقرّه بحاجتها و استغنائه و نقصانها و كماله و مخلوقيتها و خالقيّته.إلى غير ذلك بما لها من صفات المصنوعيّه،و له من صفات الصانعيّه موافقه للعقول فى تلك الأحكام.

و استناد المحاكمه إليها مجاز لمناسبته ما ذكرناه ،و قال بعض الشارحين:أراد بالأوهام هاهنا العقول،و ظاهر أنّها لا تحيط به لكونه غير مركّب محدود.و تجلّيه لها هو كشف ما يمكن أن يصل إليه العقول من صفاته الإضافيّه و السلبيّه.

و قوله:و بها امتنع منها.

أى بالعقول و نظرها علم أنّها لا تدركه.

و قوله:إليها حاكمها:أى جعل العقول المدّعيه أنّها أحاطت به و أدركته كالخصوم له سبحانه.ثمّ حاكمها إلى العقول السليمه الصحيحه.فحكمت له العقول السليمه على المدّعيه لما ليست أهلا له.و ما ذكره هذا الفاضل محتمل إلاّ أنّ إطلاق لفظ الأوهام على العقول إن صحّ فمجاز بغير قرينه و عدول عن الحقيقه من غير ضروره،و قال غيره:أراد لم تحط به أهل الأوهام.فحذف المضاف

و عنـد تأمّل ما بيّناه يلوح أنّه هو مراده عليه السّلام أو قريب منه،و هذه الألفاظ اليسيره من لطائف إشاراته عليه السّلام و إطلاقه على أسرار الحكمه .

الثانى و العشرون:كونه تعالى ليس بذى كبر.إلى قوله:تجسيما.

الكبير يقال لعظيم الحجم و المقدار،و يقال لعالى السنّ من الحيوان،و يقال لعظيم القدر و رفيعه.و مراده نفى الكبر عنه بالمعنى الأوّل.إذ من لوازم ذلك كون الكبر ممتدّا فى الجهات الثلاث طولا و عرضا و عمقا فيحصل الكبير الجسميّ،و قد تقدّس تعالى عن ذلك،و تقدّسه عن الكبر بالمعنى الثانى ظاهر.و تجسيما مصدر فى موضع الحال:أى فكبرته مجسّما له أو مجسّما،و إنّما أسند الامتداد به إلى النهايات لأنّها غايه الطبيعه بالامتداد يقف عندها و ينتهى بها فكانت من الأسباب الغائيه فلذلك أسند إليها،و كذلك إسناد التكبير إليها.إذ كان التكبير من لوازم الامتداد إليها.

الثالث و العشرون:و لا بذى عظم،إلى قوله:تجسيدا،

و العظيم يقال على الكبير بالمعنى الأوّل و الثالث دون الثانى،و مراده سلب العظيم عنه بالمعنى الأوّل لما مرّ،و إسناد التناهى إلى الغايات ظاهر.إذ كانت سببا لوقوفه و بها انقطع و إليها يبلغ،و كذلك إسناد التعظيم إليها كإسناد التكبير و إن أسند التناهى إليه بها جاز.

الرابع و العشرون

:كونه كبر شأنا.

الخامس و العشرون:كونه عظم سلطانا.

لمّا سلب الكبر و العظم عنه بالمعنيين الأوّلين أشار إلى أنّ إطلاقهما عليه بالمعنى الثالث.و نصب شأنا و سلطانا على التميز.فهو الكبير شأنا إذ لا شأن أعلى من شأنه،و العظيم سلطانا إذ لا سلطان أرفع من سلطانه،و هو مبدء شأن كلّ ذى شأن،و منتهى سلطان كلّ ذى سلطان «لا إِلهَ إِلاّ هُوَ» الكبير المتعال ذو الكبرياء و العظمه و الجلال .ثمّ أردف تمجيده تعالى بما هو أهله بالكلمه المتمّمه لكلمه الإخلاص و الشهاده الّتى هى مبدء لكمال القوّه العلميّه من النفوس البشريّه بعد كمال قوّتها النظريّه بالشهاده الاولى.

و ظاهر كونه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم صفيّا للّه و أمينا على وحيه و مرتضى لذلك .ثمّ أردف ذلك بالإشاره إلى كونه رسولا-و إلى وجوه ما ارسل به و هو وجوب الحجج،و أراد بها إمّا المعجزات أو ما هو أعمّ من ذلك و هو ما يكون حجّه للّه على خلقه فى تكليفهم أن يقولوا لو لا-أرسلت إلينا رسولا-فنتّبع آياتك.و يدخل فى ذلك دلائل الأحكام و طرق الدين التفصيليّه.و كونه ارسل بوجوبها:أى وجوب قبولها على الخلق و وجوب العمل على وفقها ،و ظهور الفلج و هو الظهور على سائر الأديان و الظفر بأهلها و بالعادلين باللّه و الجاحدين له،و إيضاح المنهج و هى طريق اللّه و شريعته.و ظاهر كونه موضحا لها و مبيّنا،و إلى ذلك الإشاره بقوله تعالى «هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ» (۱)فالهدى هو إيضاح المنهج،و قوله: «لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ» إشاره إلى بعض غايات بعثته و هى المراد بظهور الفلج،و روى بضمّ الفاء و اللام و هو بضمّ الفاء و سكون اللام للفوز،و يجوز ضمّ اللام للشاعر و الخطيب.

و قوله:فبلّغ الرساله.إلى آخره.

و قوله: فبلّغ الرساله. إلى آخره.

إشاره إلى أدائه الأمانه فيما حمّل من الوحى،و صدعه بالرساله إظهارها و المجاهره بها،و قد علمت أن أصل الصدع الشقّ فكأنّه شقّ بالمجاهره بها عصا المشركين و فرّق ما اجتمع من شرّهم،و حمله على المحجّه-و هى طريق اللّه الواضحه و شريعته-دعوته إليها و جذبه للخلق إلى سلوكها «بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ» و المجادله «بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ» .ثمّ بالسيف لمن لم تنفعه المجادله.و أراد بأعلام الاهتداء أدلّته و هى المعجزات و قوانين الدين الكلّيه،و كذلك منار الضياء و إقامته له إظهارها و إلقاؤها إلى الخلق، استعاره و لفظ المحجّه و الأعلام و المنار مستعاره كما سبق غير مرّه .و صادعا و دالاّ نصب على الحال. استعاره مرشحه و استعار لفظ الأمراس و العرى لما يتمسّك به من الدين و الإيمان،و رشّح بذكر المتانه و الوثاقه ،و أشار بجعله كذلك إلى تثبيت قواعد الإسلام و غرسها فى قلوب الخلق واضحه

۱- ۱) ۳۳-۹.

جلیّه بحیث تکون عصمه للتمسّک بها فی طلب النجاه من مخاوف الدارین،و سببا لا ینقطع دون الغایه القصوی.و باللّه التوفیق.

القسم الثانی منها:فی صفه عجیب خلق أصناف من الحیوانات:

اشاره

وَ لَوْ فَكَّرُوا فِی عَظِیمِ الْقُدْرَهِ وَ جَسِیمِ النِّعْمَهِ- لَرَجَعُوا إِلَی الطَّرِیقِ وَ خَافُوا عَذَابَ الْحَرِیقِ- وَ لَكِنِ الْقُلُوبُ عَلِیلَهٌ وَ الْبَصَائِرُ مَدْخُولَهٌ- أَ لاَ یَنْظُرُونَ إِلَی صَغِیرِ مَا خَلَقَ كَیْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ- وَ أَتْقَنَ تَرْكِیبَهُ وَ فَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ- وَ سَوَّی لَهُ الْعَظْمَ وَ الْبَشَرَ- انْظُرُوا إِلَی النَّمْلَهِ فِی صِغَرِ جُثَّتِهَا وَ لَطَافَهِ هَیْئَتِهَا- لاَ تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ وَ لاَ بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ- كَیْفَ دَبَّتْ عَلَی أَرْضِهَا وَ صُبَّتْ عَلَی رِزْقِهَا- تَنْقُلُ الْحَبَّهَ إِلَی جُحْرِهَا وَ تُعِدُّهَا فِی مُسْتَقَرِّهَا- تَجْمَعُ فِی حَرِّهَا لِبَرْدِهَا وَ فِی وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا- مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَهٌ بِوِفْقِهَا- لاَ یُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ وَ لاَ یَحْرِمُهَا الدَّیَّانُ- وَ لَوْ فِی الصَّفَا الْیَابِسِ وَ الْحَجَرِ الْجَامِسِ- وَ لَوْ فَكَّرْتَ فِی مَجَارِی أَكْلِهَا- فِی عُلْوِهَا وَ سُفْلِهَا- وَ مَا فِی الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِیفِ بَطْنِهَا- وَ مَا فِی الرَّأْسِ مِنْ عَیْنِهَا وَ أُذُنِهَا- لَقَضَیْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً وَ لَقِیتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً- فَتَعَالَی الَّذِی أَقَامَهَا عَلَی قَوَائِمِهَا- وَ بَنَاهَا عَلَی دَعَائِمِهَا- لَمْ یَشْرَكْهُ فِی فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ- وَ لَمْ

يُعِنْهُ عَلى خَلْقِهٰا قادِرٌ- وَ لَوْ ضَرَبْتَ فِى مَذاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غاياتِهِ- ما دَلَّتْكَ الدَّلالَهُ إِلاّ عَلى أَنَّ فاطِرَ النَّمْلَهِ- هُوَ فاطِرُ النَّخْلَهِ- لِدَقيقِ تَفْصيلِ كُلِّ شَىْءٍ- وَ غامِضِ اخْتِلافِ كُلِّ حَىٍّ- وَ مَا الْجَليلُ وَ اللَّطيفُ وَ الثَّقيلُ وَ الْخَفيفُ- وَ الْقَوِىُّ وَ الضَّعيفُ فِى خَلْقِهِ إِلاّ سَواءٌ- وَ كَذلِكَ السَّماءُ وَ الْهَواءُ وَ الرِّياحُ وَ الْماءُ- فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ النَّباتِ وَ الشَّجَرِ- وَ الْماءِ وَ الْحَجَرِ وَ اخْتِلافِ هذَا اللَّيْلِ وَ النَّهارِ- وَ تَفَجُّرِ هذِهِ الْبِحارِ وَ كَثْرَهِ هذِهِ الْجِبالِ- وَ طُولِ هذِهِ الْقِلالِ وَ تَفَرُّقِ هذِهِ اللُّغاتِ- وَ الْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفاتِ- فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وَ جَحَدَ الْمُدَبِّرَ- زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّباتِ ما لَهُمْ زارِعٌ- وَ لا لِاخْتِلافِ صُوَرِهِمْ صانِعٌ- وَ لَمْ يَلْجَئُوا إِلى حُجَّهٍ فِيما ادَّعَوْا- وَ لا تَحْقيقٍ لِما- أَوْعَوْا وَ هَلْ يَكُونُ بِناءٌ مِنْ غَيْرِ بانٍ أَوْ جِنايَهٌ مِنْ غَيْرِ جانٍ وَ إِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِى الْجَرادَهِ- إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْراوَيْنِ- وَ أَسْرَجَ لَها حَدَقَتَيْنِ قَمْراوَيْنِ- وَ جَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِىَّ وَ فَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِىَّ- وَ جَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِىَّ وَ نابَيْنِ بِهِما تَقْرِضُ- وَ مِنْجَلَيْنِ بِهِما تَقْبِضُ- يَرْهَبُهَا الزُّرّاعُ فِى زَرْعِهِمْ- وَ لا يَسْتَطيعُونَ ذَبَّها وَ لَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ- حَتّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِى نَزَواتِها وَ تَقْضِىَ مِنْهُ شَهَواتِها- وَ خَلْقُها كُلُّهُ لا يُكَوِّنُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّهً-

فَتَبَارَکَ اللَّهُ الَّذِی یَسْجُدُ لَهُ «مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ کَرْهاً» وَ یُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً وَ وَجْهاً- وَ یُلْقِی إِلَیْهِ بِالطَّاعَهِ إِلَیْهِ سِلْماً وَ ضَعْفاً- وَ یُعْطِی لَهُ الْقِیَادَ رَهْبَهً وَ خَوْفاً- فَالطَّیْرُ مُسَخَّرَهٌ لِأَمْرِهِ- أَحْصَی عَدَدَ الرِّیشِ مِنْهَا وَ النَّفَسِ- وَ أَرْسَی قَوَائِمَهَا عَلَی النَّدَی وَ الْیَبَسِ- وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَ أَحْصَی أَجْنَاسَهَا- فَهَذَا غُرَابٌ وَ هَذَا عُقَابٌ- وَ هَذَا حَمَامٌ وَ هَذَا نَعَامٌ- دَعَا کُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَ کَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ- وَ أَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ فَأَهْطَلَ دِیَمَهَا- وَ عَدَّدَ قِسَمَهَا فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا- وَ أَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا

اللغه

أقول: الدخل : العیب .و البشره: ظاهر الجلد .و الجامس : الجامد .

و الشراسیف : أطراف الأضلاع المشرفه علی البطن .و الضرب فی الأرض : السیاحه فیها .و الحدقه : سواد العین .و القمر : بیاضها و ضیاؤها،یقال:حدقه قمراء:

مضیئه .و أجلبوا : جمعوا .و النزوات : الوثبات .و التعفیر : التمریغ فی العفر و هو التراب .

المعنی

و قوله: و لو فکّروا .إلی قوله: مدخوله .

وضع حرف لو لیدلّ علی امتناع الشیء لامتناع غیره لکن الأغلب علیه أن یستعمل للدلاله علی امتناع اللازم لامتناع ملزومه،و ذلک علی وجهین:

أحدهما:أن یکون ذلک اللازم مساویا لملزومه إمّا حقیقه أو وضعا.

و الثانی:أن یکون الملزوم علّه لذلک لیلزم من رفع الملزوم رفع اللازم و یمکن الاستدلال به فأمّا إذا لم یکونا کذلک جاز أن یدلّ به علی امتناع الملزوم

لامتناع لازمه کما فی قوله تعالی «لَوْ کانَ فِیهِما آلِهَهٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا» (۱)و قد استعمله علیه السّلام هنا بالوجه الثانی من الوجهین الأوّلین،و استدلّ علی أنّ الخلق لم یرجعوا إلی طریق اللّه عن غیّهم و جهالاتهم و لم یخافوا من وعیده بعذاب الحریق فی الآخره لأنّهم لم یفکّروا فیما عظم من قدرته فی خلق مخلوقاته و عجائب مصنوعاته و ما جسم من نعمته علی عباده، مجاز و یحتمل أن یرید بالقدره المقدور مجازا إطلاقا لاسم المتعلّق علی المتعلّق،و کان ذلک من باب الاستدلال بعدم العلّه علی عدم المعلول.إذ کان الفکر فی ذلک سببا عظیما فی الجذب لهم إلی اتّباع شریعته و سلوک سبیله إلیها،و إلیه الإشاره بقوله تعالی «أَ وَ لَمْ یَنْظُرُوا فِی مَلَکُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَیْءٍ» (۲)و قوله «أَ فَلَمْ یَنْظُرُوا إِلَی السَّماءِ فَوْقَهُمْ کَیْفَ بَنَیْناها» (۳)الآیه و نحوه .

و قوله: و لکنّ القلوب .إلی قوله: مدخوله .

بیان لعدم العلّه المذکوره منهم و هو الفکر،و أشار إلی عدمها بوجود ما ینافی وجود شرطها.إذ کان کون القلوب علیله و کون الأبصار معیبه ینافیان صحّتها و سلامتها الّذین هما شرطان فی وجود الفکر الصحیح،و مع وجود المنافی لصحّه قلوبهم و سلامه أبصار بصائرهم لا یحصل الصحّه الّتی هی شرط الفکر فلا یحصل الفکر فلا یحصل معلوله و هو الرجوع إلی اللّه،و علل القلوب و ما یلحق إبصار البصائر من العیوب یعود إلی الجهل و أغشیه الهیئات البدنیّه و الأخلاق الردیئه المکتسبه من جواذب الشهوات إلی خسایس اللذّات المغطّیه لأنوار البصائر الحاجبه عن إدراک واضح الطریق الحقّ .

و قوله: أ لا ینظرون .إلی قوله: البشر .

تنبیه لهم علی بعض مخلوقاته تعالی و مقدوراته الّتی أشار إلی عظمه القدره فیها.و أحسن بهذه الترتیب و التدریج الحسن فإنّک علمت من آداب الخطیب إذا أراد القول فی أمر نبّه علیه أوّلا علی سبیل الإجمال بقول کلّیّ لیستعدّ السامعون

۱- ۱) ۲۲-۲۱.

۲- ۲) ۱۸۴-۷.

۳- ۳) ۶-۵۰.

بذلک لما یرید قوله و بیانه.ثمّ یشرع فی تفصیله،و لمّا أراد علیه السّلام أن ینبّه علی عظمه اللّه بتفصیل بعض مخلوقاته کالنمل و الجراد و نحوه أشار أوّلا إلی عظیم القدره،و وبّخ السامعین علی إغفالهم الفکر فیها لیعلم أنّه یرید أن ینبّه علی تفصیل أمر.ثمّ تلاه بالتنبیه علی لطیف الصنع فی صغیر ما خلق و کیف أحکم خلقه و أتقن ترکیبه علی صغره و فلق له البصر و سوّی له العظم و لم یعیّن إلی أن استعدّت بذلک لتعظیم اللّه القلوب و أقبلت بإفهامها النفوس فتلاه بذکر النمله،و ذلک قوله: انظروا إلی النمله إلی قوله: تعبا. و هیئتها:کیفیّتها الّتی علیها صورتها و صوره أعضائها،و ظاهر أنّ الإنسان لا یدرکها بلحظ البصر إلی أن یعید إلیها بعنایه،و لا یکاد عند مراجعه فکره و استدراک أوّله و بادیه یعلم حقیقتها و کیفیّه خلقتها و تشریح أعضائها،بل بإمعان فیه و تدقیق لا بدّ أن ینظر فی ذلک.و الباء فی قوله:بمستدرک یتعلّق بتنال.

و لا ینبغی أن یفهم من قوله:و لا ینال بمستدرک الفکر:أی فی صورتها الظاهره الّتی یدرکها البصر فربّما یسبق ذلک إلی بعض الأفهام لمکان العطف بل ما ذکرناه من شرح حقیقتها فإنّه لیس حظّ الفکر أن یدرک صورتها المحسوسه بالبصر بل أن یبحث عن عجائب صنعتها لیستدلّ بذلک علی حکمه صانعها-جلّت عظمته-و محلّ قوله:لا تکاد تنال یحتمل أن یکون نصبا علی الحال و العامل انظروا،و یحتمل أن یکون مستأنفا،و کیف فی محلّ الجرّ بدل من النمله، و یحتمل أن یکون کلاما مستانفا و فیه معنی التعجّب.و کیف صبّت:أی القیت علی رزقها و بعثت علیه بهدایه و إلهام،و قیل:ذلک علی العکس:أی صبّ علیها رزقها، استعاره و لفظ الصبّ مستعار لحرکتها فی طلبه ملاحظا لشبهها بالماء المصبوب.

فإن قلت:کیف جعل دبیبها علی الأرض محلّ التعجّب و الفکر مع سهولته و وجوده لسائر الحیوان؟.

قلت:لم یجعل محلّ التعجّب هو دبیبها من حیث هو دبیب فقط بل مع الاعتبارات الاخر المذکوره فإنّک إذا اعتبرتها من حیث هی فی غایه اللطافه ثمّ

ص:۱۳۳

اعتبرت قوائمها و حركات مفاصلها و خفضها و رفعها و بعد ذلك من استثبات الحسّ له و نسبتها إلى جرمها و إلى أجزاء المسافه الّتى تقطعها بل جزء من حركتها،و كذلك انصبابها على رزقها بهدايه تامّه إليه و نقلها إلى جحرها و غير ذلك من الاعتبارات المذكوره فإنّك إذا اعتبرت ذلك منها وجدت لنفسك منه تعجّبا و تفكّرا فى لطف جزئيّات صنعتها و حكمه خالقها و مدبّرها.

و قوله :تجمع فى حرّها لبردها:أى فى الصيف للشتاء،و فى ورودها لصدرها:أى فى أيّام ورودها و تمكّنها من الحركه لأيّام صدورها و رجوعها عن الحركه للعجز فإنّها تعجز فى أيّام الشتاء عن ملاقاه البرد فتطلب بطن الأرض لكمون الحراره فيه.

و من العجايب الّتى حكاها أهل التجارب من أفعال النمل و إلهاماتها ما حكاه أبو- عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب«الحيوان»بفصيح عباراته.قال:إنّ النمله تدّخر فى الصيف للشتاء فتقدم فى أيّام المهمله و لا تضيّع أوقات إمكان الحزم،و تبلغ من تفقّدها و صحّه تميزها و النظر فى عواقب امورها أنّها تخاف على الحبوب الّتى ادّخرتها للشتاء أن تعفّن و تسوس فى بطن الأرض،فتخرجها إلى ظهرها لتنشرها و تعيد إليها جفافها و يضربها النسيم فينفى عنها العفن و الفساد.قال:و ربّما تختار فى الأكثر أن يكون ذلك العمل ليلا ليكون أخفى،و فى القمر لأنّها فيه أبصر.فإن كان مكانها نديّا و خافت أن تنبت الحبّه نقرت موضع الطمير من وسطها لعلمها أنّها من ذلك الموضع تنبت،و ربّما فلقت الحبّه بنصفين.فأمّا إن كان الحبّ من الكزبره فإنّها تفلقه أرباعا لأنّ أنصاف حبّ الكزبره ينبت من بين جمع الحبّ.فهى بهذا الاعتبار مجاوزه لفطنه جميع الحيوان.قال:و نقل إلىّ بعض من أثق به أنّه احتفر بيت النمل فوجد الحبوب الّتى جمعتها كلّ نوع وحده.قال:و وجدنا فى بعضها أنّ بعض الحبوب فوق بعض و بينها فواصل حائله من التبن و نحوه.ثمّ إنّ لها مع لطافه شخصها و خفّه حجمها فى الشمّ و الاسترواح ما ليس لسائر الحيوان،و ذلك أنّه ربّما سقط من يد الإنسان جراده أو عضو منها مثلا فى موضع ليس بقربه ذرّ

و لا عهد لذلك المنزل به فلا يلبث أن يقبل ذرّه قاصده إلى تلك الجراده فتروم حملها فإذا أعجزتها بعد أن تبلى عذرا مضت إلى جحرها راجعه فلا يلبث الإنسان أن يجدها و قد أقبلت و خلفها كالخيط الأسود من أخواتها حتّى يتعاونّ عليها ليحملنها فأعجب من صدق شمّها لما يشمّه الإنسان الجائع.ثمّ انظر إلى بعد همّتها فى ذلك و جرأتها على محاوله نقل شىء فى وزن جسمها مائه مرّه و أضعافها،و ليس من الحيوان ما يحمل أضعاف وزنه مرارا كثيره كالنمله.قال:و الّذى يتبّه على إعلامها لأخواتها و إشعارها بمثل ما أشرنا إليه قصّه سليمان عليه السّلام مع النمل حيث حكى القرآن الكريم عنها «قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها» (۱)فإنّ القول المشار إليه منها و إن لم يحمل على حقيقته فهو محمول على مجازه،و هو إشعارها لأخواتها بالحال المخوّفه للنمل من سليمان و جنوده.قال:و من عجيب ما يحكى عن النمل ما حكى عن بعض من يعمل الاصطرلاب أنّه أخرج طوقا من صفر من الكير بحرارته فرمى به على الأرض ليبرد فاشتمل على نمله فكانت كلّما طلبت جانبا منه لتخرج منعتها الحراره فكانت مقتضى هروبها من الجوانب أن استقرّت ثم ماتت فوجدها قد استقرّت فى موضع رجل البركار من نقطه المركز و ما ذاك إلّا للطف حسّها و قوّه و همها أنّ ذلك الموضع هو أبعد الأمكنه عن الخطّ المحيط.قال:و من عجائبها إلهامها أنّها لا تعرض لجعل و لا جراده و لا خنفساء و لا نحوها ما لم يكن بها خبل أو عقر أو قطع يد أو رجل فإذا وجدت شيئا من ذلك و ثبت عليها حتّى لو أنّ حيّه بها ضربه أو خدش ثمّ كانت من ثعابين مصر لو ثبت عليها الذروره حتّى تأكلها،و لا تكاد الحيّه تسلم من الذرّ إذا كان بها أدنى عقر.و كلّ ذلك من الإلهامات الّتى إذا فكّر اللبيب فيها كاد أن يحكم بكونها أعلم بقوانين معاشها و تدبير أحوال وجودها من كثير من الناس فإنّ الإنسان قد تهمل ذلك التدبير فلا يضبطه،و يستمرّ فيه على قانون واحد.

۱- ۱) ۱۸-۲۷.

و قوله :مكفوله و مرزوقه.نصب على الحال.

و قوله:رزقها و وفقها:أى موافق و مطابق لقوّتها و على قدر كفايتها.

و يروى مكفول برزقها مرزوقه لوفقها.ثمّ ذكر نسبه ذلك إلى ربّها.فأشار إلى أنّه لا يغفلها:أى لا يتركها من لطفه و عنايته فإنّه باعتبار ما هو منّان على خلقه لا يجوز فى حكمته إهمال بعضها من رزق يقوم به فى الوجود، و كذلك لا يحرمها باعتبار كونه ديّانا:أى مجازيا،و وجه ذكر المجازاه هنا أنّها حيث دخلت فى الوجود طائعه لأمره و قامت فيه منقاده لتسخيره وجب فى الحكمه الإلهيّه جزاؤها و مقابلتها بما يقوم بوجودها فلا يكون محرومه من مادّه بقائها على وفق تدبيره،و لو كانت فى الصفاء اليابس و الحجر الجامس،بل يفتح لها أبواب معاشها فى كلّ مكان .ثمّ نبّه على محال اخرى للفكر فى النمله:فمنها مجارى أكلها ما تأكله و تلك المجارى كالحلق و الأمعاء،و منها علوها و سفلها و علوها بسكون اللام نقيض سفلها و هو رأسها و ما يليه إلى الجزء المتوسّط منها و سفلها هو ما جاوز الجزء من طرفها الآخر، مجاز و منها ما اشتمل عليه جوفها من شراسيف بطنها أو ما يقوم مقامه فأطلق عليه أنّه شراسيف بالمجاز ،و منها ما فى رأسها من عينها و اذنها و هى محلّ القوّه السامعه منها فإنّ كلّ ذلك على غايه صغره و لطافته محلّ العجب و محلّ النظر اللطيف المستلزم للشهاده بحكمه الصانع و لطف تدبيره الّذى يقضى الإنسان من تأمّله عجبا،و القضاء هاهنا بمعنى الأداء:

أى لأدّيت عجبا،و يحتمل أن يكون بمعنى الموت:أى لقضيت نحبك من شدّه تعجّبك،و يكون عجبا نصب على المفعول له .ثمّ لمّا نبّه على محال الفكر و وجوه الحكمه فيها أردف ذلك بتنزيه صانعها و تعظيمه تعالى،و قرن ذلك التعظيم و التنزيه بنسبته إلى بعض صنعه بها،و هو إقامته لها على قوائمها و بناها على دعائمها،و أراد بدعائمها ما يقوم به بدنها من الامور الّتى مقام العظام و العصب و الأوتار و نحوها ليحصل التنبيه على عظمته من لطف تلك القوائم و اعتبار ضعف تلك الدعائم مع ما ركّب فيها من لطائف الصنعه و أودعها من عجايب الحكمه من غير أن يشركه فى

فطر تلك الفطره فاطر أو يعينه على لطيف خلقها قادر فسبحانه ما أعظم شأنه و أبهر برهانه.

و قوله :و لو ضربت.إلى قوله:النخله.

أى لو سارت نفسك فى طرق فكرها و مذاهب نظرها،و هى الأدلّه و أجزاء الأدلّه من المقدّمات و أجزائها المستنبطه من عالم الخلق و الأمر لتصل إلى غايات فكرك فى الموجودات لم يمكن أن يدلّك دليل إلاّ على أنّ خالق النمله على غايه صغرها و خالق النخله على عظمها و طولها واحد و هو المدبّر الحكيم.

و قوله:لدقيق تفصيل كلّ شىء.إلى قوله:حىّ.

إشاره إلى أوسط الحجّه على ما ادّعاه من اشتراك النمله و النخله فى الاستناد إلى صانع واحد مدبّر حكيم ،و معنى ما ذكر أنّ لكلّ شىء من الموجودات الممكنه تفصيل لطيف دقيق و اختلاف شكل و هيئه و لون و مقدار و وجوه من الحكمه تدلّ على صانع حكيم خصّصه بها دون غيره،و تقرير الحجّه أنّ وجود النمله و النخله اشتمل كلّ منهما على دقيق تفصيل الخلقه و غامض اختلاف شكل و هيئه و كلّ ما اشتمل على ذلك فله صانع مدبّر حكيم خصّصه بذلك فينتج أنّهما يشتركان فى الحاجه إلى صانع مدبّر حكيم خصّ كلاّ منهما بما يشتمل عليه،و هذه الحجّه هى المسمّاه فى عرف المتكلّمين بالاستدلال بإمكان الصفات كما بيّناه قبل فى قوله:الحمد للّه الدالّ على وجوده بخلقه.

و قوله :و ما الجليل و اللطيف.إلى قوله:سواء.

مؤكّد لما سبق من الدعوى،و كاسر لما عساه يعرض لبعض الأوهام من استبعاد نسبه الخلقه العظيمه و الخلقه اللطيفه الحقيره كالنمله إلى صانع واحد.فأشار إلى أنّ كلّ المخلوقات و إن تباينت أوصافها و تضادّت صورها و أشكالها فإنّه لا تفاوت بالنظر إلى قدرته و كمالها بين أن يفيض عنه صوره النخله أو صوره الذرّه،و ليس بعضها بالنسبه إليه أولى و أقرب من بعض،و لا هو أقوى بعضها من بعض و إلاّ لكان ناقصا فى ذاته،و كان بما هو أولى به مستفيدا كما لا يفوته بعدمه عنه،و قد ثبت

تنزيه جنابه المقدّس عن ذلک فی مظانّه من الکتب الحکميّه و الکلاميّه بل إن کان فيهما تفاوت و اختلاف فمن جانب القابل و اختلاف استعدادات الموادّ بالشدّه و الضعف و الأقدم و الأحدث على ما أشرنا إليه غير مرّه،و اللطيف کما يراد به صغر الخلقه کذلک قد يراد به دقيق الصفه،و قد يراد به الشفّاف کالهواء،و الأوّل هو مراده و لذلک جعله مقابلا للجليل.

تشبيه و قوله : و کذلک السماء.إلى قوله:و الماء.

فالمشبّه به هو الامور المضادّه السابقه و المشبّه هو السماء و الهواء و الرياح و الماء،و وجه الشبه هو حاجتها فی خلقها و ترکيبها و أحوالها المختلفه و المتّفقه إلى صانع حکيم ،و أشار إلى الامور الاولى المتضادّه أوّلا و نسبها إلى قدرته تعالى باعتبار کلّيّتها و من جهه تضادّها لأنّها أدلّ على کمال قدرته،و أشار إلى الثانيه و هی السماء و ما عدّده معها لا لاعتبار تضادّها بل باعتبار ما اشتمل عليه کلّ منها من الحکمه و المنفعه و کونها موادّ الأجسام المرکّبات،و الهواء أعمّ من الرياح لتخصيص مسمّى الرياح بالحرکه دون الهواء.

و قوله :فانظروا.إلى قوله:المختلفات.

أمر باعتبار حال ما عدّد من المخلوقات و ما اختصّ به کلّ منها من الصفات و الأشکال و المقادير و الأضواء و الألوان و المنافع إلى غير ذلک ممّا يدلّ على حاجه کلّ منها إلى مخصّص حکيم يخصّصه بما هو أليق به و أوفق للحاجه اللازمه له و أنسب إلى استعداده بعد اشتراک جميعها فی الجسميّه،و هو أمر بتقرير الحجّه الّتی ذکرناها فی کلّ واحد من الامور المذکوره،و لمّا کان حال أکثر هذه الامور المذکوره مفتقرا إلى تقديم النظر البصریّ لغايه التفکّر و الاعتبار فيها أمر به،و أمّا وجوه الاعتبارات فأکثر من أن يحصر فإنّک إذا اعتبرت حال الشمس و القمر فی عظم أجرامهما و الضياء الصادر عنهما و حرکاتهما و تنقّلهما فی منازلهما، و ما تستلزمه تلک الحرکات من التأثيرات و الإعدادات لوجود المرکّبات العنصريّه من المعدن و النبات و الحيوان ثمّ اعتبرت ما ينفصل به أحدهما عن الآخر من

الجرم و زمان السير و كون القمر مستفيدا للنور من الشمس و غير ذلك ممّا لا يعلم تفصيله إلاّ اللّه سبحانه،و كذلك إذا نظرت إلى النبات و الشجر و جواهرهما و أشكالهما و اختلاف أجزائهما فى الألوان و المقادير و الثمار و ما يستلزمه من المنفعه لوجود الحيوان و المضرّه لبعضها إلى غير ذلك ممّا علمته فيما سلف،و كذلك الماء فى كونه على غايه من الرقّه و اللطافه و كون الحجر بعكس الوصفين مع أنّ أكثر المياه إنّما تنبع من الأحجار ثمّ نظرت إلى المنافع الموجوده فيهما و المضارّ العارضه عنهما،و كذلك النظر إلى هذا الليل و النهار و اختلافهما فى هذا العالم و تعاقبهما،و ما يستلزمانه من المنفعه المختصّه بكلّ منهما ممّا امتنّ اللّه تعالى على عباده بها حيث قال «هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ» (۱)و قال «یُنْبِتُ لَکُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّیْتُونَ» (۲)الآیه و قال «قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَکْفَرَهُ» .إلى قوله «مَتاعاً لَکُمْ وَ لِأَنْعامِکُمْ» (۳)إلى غير ذلك من الآيات و قال «أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَکَهُ یَنابِیعَ فِی الْأَرْضِ» (۴)و قال «وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ لِباساً وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً» إلى قوله «أَلْفافاً» (۵)و كذلك إذا اعتبرت تفجير هذه البحار و ما تستلزمه من المنفعه كما قال تعالى «مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیانِ» (۶)و قال «یَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ» (۷)و كذلك إذا اعتبرت كثره الجبال و قلالها و عروضها و أطوالها و ما اشتملت عليه من معادن الجواهر و غيرها،و كذلك تفرّق اللغات و اختلاف الألسنه وجدت ذلك النكر و الاختلاف شاهدا بوجود صانع حكيم.و تقريرها كما علمت أن تقول:إنّ هذه الأجسام كلّها مشتركه فى الجسميّه و اختصاص كلّ منها بما يميّز به من الصفات المتعدّده ليس للجسميّه و لوازمها و إلاّ وجب لكلّ منها ما وجب للآخر ضروره اشتراكها

۱- ۱) ۵۱۰.

۲- ۲) ۱۱-۱۶.

۳- ۳) ۱۷-۸۰.

۴- ۴) ۲۲-۳۹.

۵- ۵) ۱۰-۷۸.

۶- ۶) ۱۹-۵۵.

۷- ۷) ۲۲-۵۵.

فی علّه الاختصاص فلا مميّز له.هـذا خلف،و لا لشـیء من عوارض الجسـميّه لأنّ الكلام فی اختصاص كلّ منها بـذلك العارض كالكلام فی الأوّل و يلزم التسلسل فيبقى أن يكون لأمر خارج عنها هو الفاعل الحكيم المخصّـِص لكلّ منها بحـدّ من الحكمه و المصلحه،و قـد مرّ تقرير هذه الحجّه مرارا .ثمّ لمّا نبّه على وجود الصانع سبحانه أردف ذلك بالدعاء على من جحده،أو الإخبار عن لحوق الويل له.قال سيبويه:

الويل مشترك بين الدعاء و الخبر،و نقل عن عطاء بن يسار أنّ الويل واد فی جهنّم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حرّه.و رفعها بالابتداء،و الخبر لمن أنكر.و المدبّر:هو العالم بعاقبه الأمر و ما يشتمل عليه من المصلحه و يعود إلى القضاء،و القدر هو الموجد على وفق ذلك العلم كما سبق بيانه،و تأخير الدعاء على الجاحدين بعد إيضاح الحجّه عليهم هو الترتيب الطبيعی،و الإشاره بالجاحدين إلى صنف من العرب أنكروا الخالق و البعث،و قالوا:بالدهر المفنی.كما حكيناه عنهم فی الخطبه الاولى،و هم الّذين أخبر القرآن المجيد عنهم بقوله «ما هِيَ إِلاّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما يُهْلِكُنا إِلاَّ الدَّهْرُ» (۱).

و قوله :زعموا.إلى قوله:صانع.

إشاره إلى شبهتهم و هی من باب التمثيل فالأصل فيها هو النبات،و الفرع أنفسهم،و الحكم هو ما تو؟؟؟من كونهم بلا صانع كما أنّ النبات بلا زارع، و لعلّ الجامع فی اعتبارهم هو اختلاف الحياه و الموت عليهم كما أشار إليه القرآن الكريم حكايه عنهم «نَمُوتُ وَ نَحْيا» أو نحوه من الامور المشتركه و إن كانوا لا يلتفتون لفتا إلى هذا الجامع.إذ مراعاه هذه الامور و تحقيق أجزاء التمثيل من صناعه هم عنها بمعزل،و قد علمت أنّ التمثيل بعد تمام أجزائه إنّما يفيد ظنّا يختلف بالشدّه و الضعف،و علمت وجوه الفساد فيه.

و قوله :و لم يلجئوا.إلى قوله:جان.

إنكار و منع لما ادّعوه و أنّهم لم يأتوا فيه بحجّه و لا تحقيق برهان و،

ص:۱۴۰

۱- ۱) ۲۳-۴۵.

یحتمل أن یکون قوله:و هل یکون.إلی قوله:جان.تنبیها علی وجود نقیض الحکم المدّعی،و هو کون خلقهم و خلقه النبات شاهده بوجود صانع لها،و ذلک التنبیه بالإشاره إلی أوسط قیاس من الشکل الأوّل،و کبراه فی صوره الاستفهام.

و تقریر القیاس:أنّهم صنعه و لا شیء ممّا هو صنعه بلا صانع ینتج فلا شیء منها بلا صانع و هو نقیض المدّعی،و لمّا کانت الکبری ضروریّه اقتصر علی التنبیه علیها بامتناع وجود البناء من غیر بان و الجنایه من غیر جان فإنّ ترجیح أحد طرفی الممکن علی الآخر من غیر مرجّح محال بالبدیهه و ممتنع فی فطن الصبیان و البهائم.إذ کان الحمار عند صوت الخشبه یعد و خوفا من الضرب،و ذلک لما تقرّر فی فطرته أنّ حصول صوت الخشبه بدونها محال.ثمّ لو سلّم لهم ثبوت الحکم فی الأصل و هو کون النبات بلا زارع فلم کان عدم الزارع یدلّ علی أنّ النبات لا فاعل له؟.و إنّما یلزم ذلک أن لو کان الفاعل إنّما هو الزارع و ذلک من الأوهام الظاهره کذبها بأدنی تأمّل إذا استعقب بالبذر.إذ کان الزارع لیس إلاّ إعدادا ما للأرض و البذر:و أمّا وجود الزرع و النبات فمستند إلی مدبّر حکیم ٢متعال عن الحسّ و المحسوس لا تدرکه الأبصار و لا تکتنفه الأوهام و الأفکار «سُبْحٰانَهُ وَ تَعالی عَمّا» یقول الظالمون «عُلُوًّا کَبِیراً» .

و قوله :إن شئت قلت فی الجراده.إلی قوله:مستدقّه.

تنبیه آخر علی وجود الصانع الحکیم-جلّت عظمته-فی وجود بعض جزئیّات مخلوقاته و صغیرها و هی الجراده:أی و إن شئت قلت فیها ما قلت فی النمله و غیرها قولا بیّنا کاشفا عن وجوه الحکمه فیها بحیث یشهد ذلک بوجود صانع حکیم لها فتبّه علی بعض دقایق الحکمه فی خلقها و هی خلق العینین الحمراوین مع کون حدقتها قمراوین، استعاره و استعار لفظ السراج للحدقتین باعتبار الحمره الناریه و الإضاءه.

مجازا إطلاقا لاسم المقبول علی قابله ثمّ خلق السمع الخفیّ :أی عن أعین الناظرین،و قیل:أراد بالخفیّ اللطیف السامع لخفیّ الأصوات فوصفه بالخفاء مجازا إطلاقا لاسم المقبول علی قابله .ثمّ فتح الفم السویّ.السویّ:فعیل بمعنی مفعول:أی المسویّ.و التسویه:التعدیل بحسب

المنفعه الخاصّه بها.ثمّ خلق الحسّ القوىّ،و أراد بحسّها قوّتها الوهميّه و بقوّته[بقوّه خ]حذقها فيما الهمت إيّاه من وجوه معاشها و تصرّفها.يقال:لفلان حسّ حاذق إذا كان ذكيّا فطنا درّاكا.ثمّ خلق النابين، استعاره و استعار لفظ المنجلين ليديها،و وجه المشابهه تعوّجهما و خشونتهما ،و قرن بذكر النابين و المنجلين ذكر غايتهما و هما القرض و القبض،و من لطيف حكمته تعالى فى الرجلين أن جعل نصفهما الّذين تقع عليها اعتمادها و جلوسها شوكا كالمنشار ليكون لها معينا على الفحص و وقايه لذنبها عند جلوسها و عمده لها عند الطيران.

و قوله :يرهبها الزرّاع.إلى قوله:شهواتها.

أى أنّها إذا توجّهت بعساكرها من أبناء نوعها إلى بقعه و هجمت على زرعها و أشجارها أمحته و لم يستطع أحد دفعها حتّى لو أنّ ملكا من الملكوت أجلب عليها بخيله و رجله ليحمى بلاده منها لم يتمكّن من ذلك،و فى ذلك تنبيه على عظمه الخالق سبحانه و تدبير حكمته.إذ كان يبعث أضعف خلقه على أقوى خلقه و يهيّىء الضعيف من أسباب الغلبه ما لا يستطاع دفعه معها حتّى ترد ما تريد وروده و تقضى منه شهواته فيحلّ باختيار منه و ترحل باختيار،و من عجايب الخواصّ المودعه فى الجراد أنّها تلتمس لبيضها الموضع الصلد و الصخور الملس ثقه بأنّها إذا ضربت فيها بأذنابها انفرجت لها،و معلوم أنّ ذلك ليس بقوّه إذ ليس فى ذنب الجراده من القوّه أن يخرق الحجر الّذى يعجز عنه المعول بمجرّد قوّته لولا خاصيّه لها هناك.ثمّ إذا ضربت فى تلك البقاع و ألقت بيضها و أنضمّت عليها تلك الأخاديد الّتى أحدثتها و صارت لها كالأفاحيص صارت خاضنه لها و مربّيه و حافظه و واقيه حتّى إذا جاء وقت دبيب الروح خرجت من البيض صهيا إلى البياض.ثمّ تصفرّ و تتلوّن فيه خطوط إلى السواد.ثمّ يصير فيه خطوط سود و بيض،ثمّ يبدو حجم جناحيه.ثمّ يستقلّ فيموج بعضه فى بعض،و قيل:إنّ الجراد إذا أراد الخضره و دونه نهر جار صار بعضه جسر البعض ليعبر إليها فمن الناس من جعل ذلك حيله لها الهمت إيّاها.و أباه قوم و قالوا:بل الزحف الأوّل من الدبى إذا أراد الخضره و لا يقدر عليها إلاّ

بالعبور إليها عبر فإذا صارت تلك القطعه فوق الماء طافيه صارت للزحف الثانى الّذى يريد الخضره كالأرض،و ربّما نقل لها خواصّ اخرى لا تعلّق لها بما نحن بصدده.

و قوله :و خلقها كلّه لا يكون إصبعا مستدقّه.

الواو للحال:أى أنّه تعالى خلقها على ما وصفت و أودعها من عجايب الصنع ما ذكرت بحيث يخاف منها الزرّاع مع أنّ خلقها كلّه دون الإصبع المستدقّه، و هذه الكلمه مستلزمه لتمام التعجّب من خلق اللّه فيها الامور الموصوفه حتّى لو قدّرنا أنّها وصفت لمن لم يرها فربّما اعتقد أنّ لها خلقا عظيما تستند إليه هذه الأوصاف و لم يكن عنده تعجّب حتّى نتبيّن مقدار خلقها و صغر صورتها ثمّ لما بيّن بعض مبدعاته و مكوّناته نوّه بزياده عظمته تعالى و بركته باعتبار كونه معبودا لمن فى السماوات و من فى الأرض فله يسجدون طوعا و كرها كلّ بعباده تخصّه و سجود لا يمكن من غيره مع اشتراك الكلّ فى الدخول تحت ذلّ الحاجه إلى كمال قدرته و خضوع الإمكان بين يدى رحمته.و إليه الإشاره بقوله تعالى «وَ لِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً» (1)استعاره مرشحه و كذلك قوله: و يعفّر له خدّا و وجها .فما كان ذا وجه و خدّ حقيقه فلفظ التعفير صادق عليه حقيقه،و ما لم يكن السجود صادق عليه استعاره لخضوعه الخاصّ به،و لفظ التعفير و الخدّ و الوجه ترشيحات على أنّ موضوع السجود فى اللغه هو الخضوع و كذلك إطلاق إعطاء القياد و وصف الرهبه و الخوف ،و نصبهما على المفعول له .

و قوله: فالطير مسخّره لأمره .

كقوله تعالى «أَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ» (2)و كونها مسخّره يعود إلى دخولها تحت حكم تصرّفه العامّ فيها قدره و علما و الخاصّ تخصيصا و تعيينا،و إحصاء الريش منها و النفس باعتبار تسخيرها تحت تصرّفه العامّ بعلمه تعالى.و إرساؤها:أى تثبتها على قوائمها فى الندى كطير

ص:۱۴۳

۱- ۱) ۱۶-۱۴. [۱]

۲- ۲) ۸۱-۱۶.

الماء و اليبس كطير البرّ باعتبار دخولها تحت قدرته و خلقها كذلك ،و تقديره لأقواتها و ما يصلح منها و ما يكفيه باعتبار دخولها تحت قدرته و علمه معها.إذ كان التقدير هو إنزال تلك المقادير و إعدادها على وفق العلم الإلهىّ،و إحصاء أجناسها باعتبار علمه تعالى.

السجع المتوازى و قوله : فهذا غراب.إلى قوله:نعام.

تفصيل لأنواعها.و لم يرد الجنس بالاصطلاح الخاصّ بل اللغوىّ و هو النوع فى المصطلح العلمىّ،و راعى فى كلّ قرينتين من الأربع السجع المتوازى .

استعاره مرشحه و قوله: دعا كلّ طاير باسمه.

فالدعاء استعاره فى أمر كلّ نوع بالدخول فى الوجود،و قد عرفت أنّ ذلك الأمر يعود إلى حكم القدره الإلهيّه العظيمه عليه بالدخول فى الوجود،و وجه الاستعاره ما يشترك فيه معنى الدعاء،و الأمر من طلب دخول مهيه المطلوب بالدعاء و الأمر فى الوجود و هو كقوله تعالى «فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ اِئْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فَقَضاهُنَّ» (۱)الآيه،و لما استعار لفظ الدعا رشّح بذكر الاسم لأنّ الشىء إنّما يدعى باسمه،و يحتمل أن يريد الاسم اللغوىّ و هو العلامه فإنّ لكلّ نوع من الطير خاصّه و سمه ليست للآخر،و يكون المعنى أنّه تعالى أجرى عليها حكم القدره بمالها من السمات و الخواصّ فى العلم الإلهىّ و اللوح المحفوظ ،و قال بعض الشارحين:أراد أسماء الأجناس،و ذلك أنّ اللّه تعالى كتب فى اللوح المحفوظ كلّ لغه تواضع عليها العباد فى المستقبل،و ذكر الأسماء الّتى يتواضعون عليها،و ذكر لكلّ اسم مسمّاه فعند إراده خلقها نادى كلّ نوع باسمه فأجاب دعواه و أسرع فى إجابته،و اعلم أنّك إذا تأمّلت حكمه الصانع فى خلق الطائر شاهدت عجبا.حين اقتضت الحكمه الإلهيّه أن يكون طائرا فى الجوّ خفّف جسمه و أدمج خلقه فاقتصر من القوائم على اثنتين و من الأصابع على أربع من منفذين للزبل و البول على منفذ.ثمّ خلقه تعالى على جؤجؤ محدّب

۱- ۱) ۱۰-۴۱.

ليسهل عليه خرق الهواء كما يجعل صدر السفينه بهذه الهيئه ليشقّ الماء،و خلق فى جناحيه و ذنبه ريشات طوال لينهض بها إلى الطيران،و كسى جسمه كلّه ريشا ليتداخله الهواء فيقيله،و لمّا كان طعامه الحبّ أو اللحم يبلعه بلعا من غير مضغ نقص من خلقه الأسنان و خلق له منقارا صلبا،و أعانه بفضل حرارته فى جوفه يستغنى بها عن المضغ.ثمّ خلقه تعالى يبيض بيضا و لا يلد لكيلا يثقل بكون الفراخ فى جوفه عن الطيران،و جعل عوض استعداد الولد فى البطن استعداده فى البيضه بحراره الحضن بمشاركه من الذكر و الانثى فى ذلك،و من العنايه اللالهيّه بدوام نسله و بقائه أن ألهمه العطف على فراخه فيلتقط الحبّ فيغذو به فراخه بعد استقراره فى حوصلته ليلين،و إذا فكّرت فى الحوصله وجدتها كالمخلاه المعلّقه أمامه فهو يعبّى فيها ما أراد من الطعم بسرعه ثمّ ينفذ إلى القانصه على مهل،و ذلك أنّ مسلك الطعم إلى القانصه ضيّق لا ينفذ فيه الطعم إلاّ قليلا فلو كان هذا الطائر لا يلتقط حبّه ثانيه حتّى تصير الاولى إلى القانصه لطال ذلك عليه فخلق تعالى له الحوصله لذلك.ثمّ انظر إلى الريش الّذى تراه فى الطواويس و الدراريج و غيرها عن استواء و مقابله على نحو ما يخطّ بالأقلام،و كذلك انظر إلى العمود الجامع للريشه الّذى يجرى مجرى الجدول الممدّ للريشه و المغذّى لها،و خلق عصبيّ الجوهر صلبا متينا ليحفظ الريش و يمسكه لصلابته.ف «سُبْحانَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْواجَ کُلَّها» ، «وَ أَحْصی کُلَّ شَیْءٍ عَدَداً» ،و «أَحاطَ بِکُلِّ شَیْءٍ عِلْماً» .

و قوله :و أنشأ السحاب.إلى آخره.

إشاره إلى كمال قدرته باعتبار خلقه السحاب الثقال بالماء،و إرسال ديمها و هى أمطارها،و تعديد قسمها و هو ما يصيب كلّ بلد و أرض منها من القسم .

و ظاهر أنّه تعالى يعدّ الأرض بتلك البلّه بعد الجفاف لأن يخرج منها النبات بعد الجدب و إليه الإشاره بقوله تعالى «أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَی الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْکُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أَ فَلا یُبْصِرُونَ» (۱)

۱- ۱) ۲۷-۳۲.

و باللّه التوفيق.

۲۲۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فی التوحید،و تجمع هذه الخطبه من أصول العلم ما لا تجمعه خطبه

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ وَ لاَ حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ- وَ لاَ إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ- وَ لاَ صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَ تَوَهَّمَهُ- كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَ كُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ- فَاعِلٌ لاَ بِاضْطِرَابِ آلَهٍ مُقَدِّرٌ لاَ بِجَوْلِ فِكْرَهٍ- غَنِيٌّ لاَ بِاسْتِفَادَهٍ- لاَ تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَ لاَ تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ- سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ- وَ الْعَدَمَ وُجُودُهُ وَ الاِبْتِدَاءَ أَزَلُهُ بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لاَ مَشْعَرَ لَهُ- وَ بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لاَ ضِدَّ لَهُ- وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لاَ قَرِينَ لَهُ- ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَهِ وَ الْوُضُوحَ بِالْبُهْمَهِ- وَ الْجُمُودَ بِالْبَلَلِ وَ الْحَرُورَ بِالصَّرَدِ مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا- مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا- لاَ يُشْمَلُ بِحَدٍّ وَ لاَ يُحْسَبُ بِعَدٍّ- وَ إِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا- وَ تُشِيرُ الْآلاَتُ إِلَى نَظَائِرِهَا مَنَعَتْهَا مُنْذُ الْقِدْمَهَ وَ حَمَتْهَا قَدُ الْأَزَلِيَّهَ- وَ جَنَّبَتْهَا لَوْلاَ التَّكْمِلَهَ بِهَا تَجَلَّى

ص:۱۴۶

صانِعُهَا لِلْعُقُولِ- وَ بِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ- وَ لاَ يَجْرِى عَلَيْهِ السُّكُونُ وَ الْحَرَكَهُ- وَ كَيْفَ يَجْرِى عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ- وَ يَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ وَ يَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ- إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَ لَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ- وَ لاَمْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ- وَ لَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ- وَ لاَلْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ- وَ إِذاً لَقَامَتْ آيَهُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ- وَ لَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ- وَ خَرَجَ بِسُلْطَانِ الِامْتِنَاعِ- مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ الَّذِى لاَ يَحُولُ وَ لاَ يَزُولُ وَ لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُفُولُ- «لَمْ يَلِدْ» فَيَكُونَ مَوْلُوداً «وَ لَمْ يُولَدْ» فَيَصِيرَ مَحْدُوداً- جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَ طَهُرَ عَنْ مُلاَمَسَهِ النِّسَاءِ- لاَ تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ وَ لاَ تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ- وَ لاَ تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ وَ لاَ تَلْمِسُهُ الْأَيْدِى فَتَمَسَّهُ- وَ لاَ يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ وَ لاَ يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ- وَ لاَ تُبْلِيهِ اللَّيَالِى وَ الْأَيَّامُ وَ لاَ يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَ الظَّلاَمُ وَ لاَ يُوصَفُ بِشَىْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ- وَ لاَ بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَعْضَاءِ وَ لاَ بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ- وَ لاَ بِالْغَيْرِيَّهِ وَ الْأَبْعَاضِ- وَ لاَ يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَ لاَ نِهَايَهٌ وَ لاَ انْقِطَاعٌ وَ لاَ غَايَهٌ- وَ لاَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ- أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يَعْدِلَهُ- لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ وَ لاَ عَنْهَا بِخَارِجٍ- يُخْبِرُ لاَ بِلِسَانٍ وَ لَهَوَاتٍ- وَ يَسْمَعُ

لَا بِخُرُوقٍ وَ أَدَوَاتٍ يَقُولُ وَ لَا يَلْفِظُ- وَ يَحْفَظُ وَ لَا يَتَحَفَّظُ وَ يُرِيدُ وَ لَا يُضْمِرُ- يُحِبُّ وَ يَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ- وَ يُبْغِضُ وَ يَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ- يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ «كُنْ فَيَكُونُ» لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَ لَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ- وَ إِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَ مَثَّلَهُ- لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً- وَ لَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ- فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ- وَ لَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ فَصْلٌ- وَ لَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ وَ الْمَصْنُوعُ- وَ يَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ وَ الْبَدِيعُ- خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ- وَ لَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ- وَ أَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ- وَ أَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ وَ أَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ- وَ رَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ- وَ حَصَّنَهَا مِنَ الْأَوَدِ وَ الِاعْوِجَاجِ- وَ مَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَ الِانْفِرَاجِ- أَرْسَى أَوْتَادَهَا وَ ضَرَبَ أَسْدَادَهَا- وَ اسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَ خَدَّ أَوْدِيَتَهَا- فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ وَ لَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَ عَظَمَتِهِ- وَ هُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَ مَعْرِفَتِهِ- وَ الْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَ عِزَّتِهِ- لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ- وَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ

ص:۱۴۸

فَيَغْلِبَهُ- وَ لاَ يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ- وَ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى ذِی مَالٍ فَيَرْزُقَهُ- خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ وَ ذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ- لاَ تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ- فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَ ضَرِّهِ- وَ لاَ كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ- وَ لاَ نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ- هُوَ الْمُفْنِی لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا- حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا- وَ لَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا- بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَ اخْتِرَاعِهَا- وَ كَيْفَ وَ لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَ بَهَائِمِهَا- وَ مَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَ سَائِمِهَا- وَ أَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَ أَجْنَاسِهَا- وَ مُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَ أَكْيَاسِهَا- عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا- وَ لاَ عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا- وَ لَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِی عِلْمِ ذَلِكَ وَ تَاهَتْ- وَ عَجَزَتْ قُوَاهَا وَ تَنَاهَتْ- وَ رَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً- عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا- مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لاَ شَیْ‌ءَ مَعَهُ- كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا- بِلاَ وَقْتٍ وَ لاَ مَكَانٍ وَ لاَ حِينٍ وَ لاَ زَمَانٍ- عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْآجَالُ وَ الْأَوْقَاتُ- وَ زَالَتِ السِّنُونَ وَ السَّاعَاتُ- فَلاَ شَیْ‌ءَ إِلاَّ «الْوٰاحِدُ الْقَهّٰارُ» - الَّذِی إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ- بِلاَ قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا- وَ بِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا- وَ لَوْ قَدَرَتْ عَلَى الاِمْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا-

ص:۱۴۹

لَمْ يَتَكَاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ- وَ لَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَ بَرَأَهُ وَ لَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ- وَ لاَ لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَ نُقْصَانٍ- وَ لاَ لِلِاسْتِعَانَهِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ- وَ لاَ لِلِاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ- وَ لاَ لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِی مُلْكِهِ- وَ لاَ لِمُكَاثَرَهِ شَرِيكٍ فِی شِرْكِهِ- وَ لاَ لِوَحْشَهٍ كَانَتْ مِنْهُ- فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا- ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا- لاَ لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِی تَصْرِيفِهَا وَ تَدْبِيرِهَا- وَ لاَ لِرَاحَهٍ وَاصِلَهٍ إِلَيْهِ- وَ لاَ لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ- لاَ يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَهِ إِفْنَائِهَا- وَ لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ- وَ أَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَ أَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ- ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَهٍ مِنْهُ إِلَيْهَا- وَ لاَ اسْتِعَانَهٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا- وَ لاَ لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَهٍ إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاسٍ- وَ لاَ مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَ عَمًى إِلَى حَالِ عِلْمٍ وَ الْتِمَاسٍ- وَ لاَ مِنْ فَقْرٍ وَ حَاجَهٍ إِلَى غِنًى وَ كَثْرَهٍ- وَ لاَ مِنْ ذُلٍّ وَ ضَعَهٍ إِلَى عِزٍّ وَ قُدْرَهٍ

اللغه

أقول: صمده: أى قصده .و ترفده : تعينه .و الوضوح و الوضح : البياض .

و البهمه : السواد .و الحرور هنا:الحراره .و الصرد : البرد .و الافول:

الغيبه .و الوالج : الداخل .و خلا : مضى و سبق .و الأود : الاعوجاج .و التهافت : التساقط .و الأسداد : جمع سدّ-و قد يضمّ-و هو كلّ ما حال و حجز بين شيئين .و خدّ : شقّ .و مراحها : ما يراح منها فى مرابطها و معاطنها .و سائمها:

ما ارسل منها للرعى .و أسناخها : اصولها .و المتبلّده : ذو البلاده و هى ضدّ الذكاء .

ص:١٥٠

و الأكياس : ذوو الذكاء و الفهم .و تكاءده الأمر : شقّ عليه و صعب .و آده:

أثقله ،و المثاور : المواثب .

و اعلم أنّ مدار هذه الخطبه على التوحيد المطلق و التنزيه المحقّق،

و قد

اشاره

أشار إلى توحيده تعالى و تنزيهه باعتبارات من الصفات الإضافيّه و السلبيّه :

فالأوّل:قوله:ما وحّده من كيّفه.

دلّت هذه الكلمه بالمطابقه على سلب التوحيد له تعالى عمّن وصفه بكيفيّه،و بالالتزام على أنّه لا يجوز تكيّفه لمنافاه ذلك التوحيد الواجب له تعالى.و لنشر إلى معنى الكيفيّه ليتبيّن أنّه لا يجوز وصفه بها.فنقول:أمّا رسمها فقيل:إنّها هيئه قارّه فى المحلّ لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبه إلى أمر خارج عنه و لا قسمه فى ذاته و لا نسبه واقعه فى أجزائه.

و بهذه القيود يفارق سائر الأعراض،و أقسامها أربعه:فإنّها إمّا أن تكون مختصّه بالكمّ من جهه ما هو كمّ كالمثلثيّه و المربعيّه و غيرها من الأشكال للسطوح.و كالاستقامه و الانحناء للخطوط و كالفرديّه و الزوجيّه للأعداد،و إمّا أن لا تكون مختصّه به و هى إمّا أن تكون محسوسه كالألوان و الطعوم و الحراره و البروده، و هذا ينقسم إلى راسخه كصفره الذهب و حلاوه العسل،و تسمّى كيفيّات انفعاليه إمّا لانفعال الحواسّ عنها و إمّا لانفعالات حصلت فى الموضوعات عنها،أو غير راسخه إمّا سريعه الزوال كحمره الخجل و تسمّى انفعالات لكثره انفعالات موضوعاتها بسببها بسرعه،و هذا قسم ثانى،و إمّا أن لا يكون محسوسه،و هى إمّا لاستعدادات ما لكمالات كالاستعداد للمقاومه و الدفع،و إمّا لانفعال و يسمّى قوّه طبيعيّه كالمصحاحيّه و الصلابه،أو لنقائص مثل الاستعداد بسرعه الإدغان و الانفعال،و يسمّى ضعفا و لا قوّه طبيعيّه كالممراضيّه،و إمّا أن لا يكون استعداد لكمالات أو نقايص بل يكون فى أنفسها كمالات أو نقايص،و هى مع ذلك غير محسوسه بذواتها فما كان منها ثابتا يسمّى ملكه كالعلم و العفّه و الشجاعه،و ما كان سريع الزوال يسمّى حالا كغضب الحليم و مرض الصحاح.فهذه أقسام الكيف.إذا عرفت ذلك فنقول:

إنّما قلنا:إنّه يلزم من وصفه بالكيفيّه عدم توحيده لما نبّه فى الخطبه الاولى من

قوله عليه السّلام فى وصف اللّه سبحانه:فقد قرنه و من قرنه فقد ثنّاه.و كما سبق تقريره فينتج أنّ من وصف اللّه سبحانه فقد ثنّاه.و حينئذ تبيّن أنّ من كيفه لم يوحّده لأنّ توحيده و تثنيته ممّا لا يجتمعان.

الثانى:و لا حقيقته أصاب من مثّله

.أى جعل له مثلا،و ذلك أنّ كلّ ماله مثل فليس بواجب الوجود لذاته لأنّ المثليّه إمّا أن يتحقّق من كلّ وجه فلا تعدّد إذن لأنّ التعدّد يقتضى المغايره بأمر ما و ذلك ينافى الاتّحاد و المثليّه من كلّ وجه هذا خلف،و إمّا أن يتحقّق من بعض الوجوه و حينئذ ما به التماثل إمّا الحقيقه أو جزؤها أو أمر خارج عنها فإن كان الأوّل كان ما به الامتياز عرضيّا للحقيقه لازما أو زائلا لكن ذلك باطل لأنّ المقتضى لذلك العرضيّه إمّا المهيّه فيلزم أن يكون مشتركا بين المثلين لأنّ مقتضى المهيّه الواحده لا يختلف فما به الامتياز لأحد المثلين عن الآخر حاصل للآخر هذا خلف.أو غيرها فتكون ذات واجب الوجوده مفتقره فى تحصيل ما تميّزها من غيرها إلى غير خارجى هذا محال،و إن كان ما به التماثل و الاتّحاد جزء من المثلين لزم كون كلّ منهما مركّبا فكلّ منهما ممكن هذا خلف.و بقى أن يكون التماثل بأمر خارج عن حقيقتهما مع اختلاف الحقيقتين لكن ذلك باطل أمّا أوّلا فلامتناع وصف واجب الوجود بأمر خارج عن حقيقته لاستلزام إثبات الصفه له تثنيته و تركّبه على ما مرّ،و أمّا ثانيا فلأنّ ذلك الأمر الخارجى المشترك إن كان كمالا لذات واجب الوجود فواجب الوجود لذاته مستفيد للكمال من غيره هذا خلف،و إن لم يكن كمالا كان إثباته له نقصا لأنّ الزياده على الكمال نقص.فثبت أنّ كلّ ماله مثل فليس بواجب الوجود لذاته فالطالب لمعرفته إذا أصاب ما له مثل فقد أصاب ما ليس بواجب الوجود لذاته فلم يصب صانع العالم،و مقصود الكلمه نفى المثل له تعالى فى مقام التوجّه إليه و النظر لطلب معرفته.

الثالث:و لا إيّاه عنى من شبّهه

،و معنى هذه القرينه كالّتى قبله.

الرابع:و لا صمده من أشار إليه و توهّمه،

و ذلك لأنّ الإشاره إليه إمّا

حسيّه أو عقليّه.و الاولى مستلزمه للوضع و الهيئه و الشكل و التحيّز كما علم فى غير هذا الموضع،و ذلك على واجب الوجود محال،و أمّا الثانيه فقد علمت أنّ النفس الإنسانيّه ما دامت فى عالم الغربه إذا توجّهت لاقتناص أمر معقول من عالم الغيب فلا بدّ أن تستتبع القوّه الخياليّه و الوهميّه للاستعانه بهما على استثبات المعنى المعقول و ضبطه فإذن يستحيل أن يشير العقل الإنسانىّ إلى شىء من المعانى الإلهيّه إلّا بمشاركه من الوهم و الخيال و استثباته حدّا و كيفيّه يكون عليها لكن قد علمت تنزيهه تعالى عن الكيفيّات و الصفات و الحدود و الهيئه فكان المشير إليه و المدّعى لإصابه حقيقته قاصدا فى تلك الإشاره إلى ذى كيفيّه و حال ليس هو واجب الوجود فلم يكن قاصدا لواجب الوجود،و قد بيّنا فيما سلف امتناع الإشاره إليه .

الخامس:قوله:كلّ معروف بنفسه مصنوع.

صغرى ضمير من الشكل الأوّل استغنى معها عن ذكر الدعوى لدلالتها عليها،و هى أنّه تعالى ليس معلوما بنفسه:أى ليس معلوم الحقيقه بالكنه.و تقدير الكبرى:و لا شىء ممّا هو مصنوع بإله للعالم واجب الوجود لذاته دائما.ينتج أنّه لا شىء من المعلوم بنفسه بواجب الوجود و إله العالم دائما،و ينعكس لا شىء من واجب الوجود معلوم بنفسه.أو من الشكل الثانى،و يكون تقدير الكبرى:و لا شىء ممّا هو واجب الوجود بمصنوع.و ينتج النتيجه المذكوره،و ينعكس.و يحتمل أن تكون المقدّمه المذكوره هى الكبرى من الشكل الأوّل و لا حاجه إلى العكس المذكوره.و يحتمل أن يبيّن المطلوب المذكور بقياس استثنائى متّصل،و تكون المقدّمه المذكوره تنبيها على ملازمه المتّصله و بيانا لها و تقديرها:لو كان تعالى معلوما بنفسه لكان مصنوعا لأنّ كلّ معلوم بنفسه مصنوع لكن التالى باطل فالمقدّم كذلك فأمّا بيان أنّ كلّ معلوم بنفسه مصنوع فهو أنّ كلّ معلوم بحقيقته فإنّما يعلم من جهه أجزائه، و كلّ ذى جزء فهو مركّب فكلّ مركّب فمحتاج إلى مركّب يركّبه و صانع يصنعه فإذن كلّ معلوم الحقيقه فهو مصنوع،و أمّا بطلان التالى فلأنّه تعالى لو

كان مصنوعا لكان ممكنا مفتقرا إلى الغير فلا يكون واجب الوجود لذاته هذا خلف.

السادس:و كلّ قائم فى سواه معلول

كالمقدّمه الّتى قبلها فى أنّها يحتمل أن تكون صغرى قياس ضمير من الشكل الأوّل أو الثانى دلّ به على أنّه تعالى ليس بقائم فى سواه:أى ليس لعرض فيحتاج إلى محلّ يقوم.تقديره أنّ كلّ قائم سواه فهو معلول،و لا شىء من المعلول بواجب الوجود أولا شىء من واجب الوجود بمعلول فينتج أنّه لا شىء من القائم فى سواه بواجب الوجود،و ينعكس كنفسها لا شىء من واجب الوجود بقائم فى سواه.و يحتمل أن يكون كبرى القياس و لا حاجه إلى عكس النتيجه،و يحتمل أن يكون ذكرها تنبيها على ملازمه قياس استثنائىّ:أى لو كان قائما فى سواه لكان معلولا و لكن التالى باطل فالمقدّم كذلك،و بيان الملازمه أنّ القائم بغيره مفتقر إلى محلّ و كلّ مفتقر إلى غيره ممكن و كلّ ممكن معلول فى وجوده و عدمه،و أمّا بطلان التالى فلأنّه لو كان معلولا لما كان واجب الوجود .

السابع:فاعل لا باضطراب آله.

أمّا أنّه فاعل فلأنّه موجد العالم،و أمّا أنّه منزّه فى فاعليّته عن اضطراب الآله فلتنزّهه عن الآله الّتى هى من عوارض الأجسام.

و قد سبق بيانه.

الثامن:مقدّر لا بحول فكره،

و معنى كونه مقدّرا كونه معطيا لكلّ موجود المقدار الّذى تستحقّه من الكمال من الوجود و لواحق الوجود كالأجل و الرزق و نحوهما على وفق القضاء الإلهى،و كون ذلك لا بحول فكره لأنّ الفكر من لواحق النفوس البشريّه بآله بدنيّه،و قد تنزّه قدسه تعالى عن ذلك.

التاسع:كونه غنيّا لا باستفاده

،و كونه غنيّا يعود إلى عدم حاجته فى شىء ما إلى شىء ما.إذ لو حصل له شىء باستفاده من خارج كسائر الأغنياء لزم كونه ناقصا بذاته مفتقرا إلى ذلك المستفاد موقوفا على حصول سببه فكان ممكنا هذا خلف و هو تنزيه له عن الغنى المشهور المتعارف.

العاشر:كونه لا تصحبه الأوقات،

و ذلك أنّ الصحبه الحقيقيّه تستدعى

ص:۱۵۴

المعيّه و المقارنه اللذين هما من لواحق الزمان الّذى هو من لواحق الحركه الّتى هى من لواحق الجسم المتأخّر وجوده عن وجوده بعض الملائكه المتأخّر وجوده عن وجود الصانع الأوّل-جلّت عظمته-فكان وجود الزمان و الوقت متأخرا عن وجوده تعالى بمراتب من الوجود فلم تصدق صحبه الأوقات لوجوده و لا-كونها ظرفا له و إلاّ-لكان مفتقرا إلى وجود الزمان فكان يمتنع استغناؤه عنه لكنّه سابق عليه فوجب استغناؤه عنه.نعم قد يحكم الوهم بصحبه الزمان للمجرّدات و معيّته لها حيث تقسمها إلى الزمانيّات.إذ كان لا تعقل المجرّدات إلاّ كذلك.

الحادى عشر:كونه لا ترفده الأدوات

،و ظاهر أنّ المفتقر إلى المعونه بأداه و غيرها ممكن لذاته فلا يكون واجب الوجود لأنّه تعالى خالق الأدوات فكان سابقا عليها فى تأثيره فكان غنيّا عنها فيمتنع عليه الحاجه إلى الاستعانه بها.

الثانى عشر:سبق الأوقات كونه

:أى وجوده.و قد مرّ بيانه.

الثالث عشر:و العدم وجوده

:أى و سبق وجوده العدم،و بيانه أنّه تعالى مخالف لسائر الموجودات الممكنه فإنّها محدثه فيكون عدمها سابقا على وجودها.

ثمّ إن لم تكن كذلك،وجودها و عدمها بالسبه إلى ذواتها على سواء كما بيّن فى مظانّه و لها من ذواتها أنّها لا تستحقّ وجودا و عدما لذواتها و ذلك عدم سابق على وجودها.فعلى كلّ تقدير فوجودها يكون مسبوقا بعدم.بخلاف الموجود الأوّل -جلّت عظمته-فإنّه لمّا كان واجب الوجود لذاته كان لما هو هو موجودا فكان لحوق العدم له محالا فكان وجوده سابقا على العدم المعتبر لغيره من الممكنات، و لأنّ عدم العالم قبل وجوده كان مستندا إلى عدم الداعى إلى إيجاده المستند إلى وجوده فكان وجوده تعالى سابقا على عدم العالم.ثمّ تبيّن.

الرابع عشر.و الابتداء أزله،

و ذلك أنّ الأزل عباره عن عدم الأوّليّه و الابتداء و ذلك أمر يلحق واجب الوجود لما هو هو بحسب الاعتبار العقلىّ و هو ينافى لحوق الابتداء و الأوّليّه لوجوده تعالى فاستحال أن يكون له مبدء لامتناع اجتماع النقيضين بل سبق فى الأزليّه ابتداء ما كان له ابتداء وجود من الممكنات

ص:۱۵۵

إذ هو مبدأها و مصدرها .

الخامس عشر:بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له

،و ذلک أنّه تعالى لمّا خلق المشاعر و أوجدها و هو المراد بتشعيره لها امتنع أن يكون له مشعر و حاسّه و إلّا لكان وجودها له إمّا من غيره و هو محال:أمّا أوّلا فلأنّه مشعّر المشاعر و أمّا ثانيا فلأنّه يكون محتاجا فى كماله إلى غيره فهو ناقص بذاته هذا محال، و إمّا منه و هو أيضا محال لأنّها إن كانت من الكمالات الوهميّه كان موجدا لها من حيث هو فاقد كمالا فكان ناقصا بذاته هذا محال،و إن لم يكن كمالا كان إثباتها له نقصا لأنّ الزياده على الكمال نقصان فكان إيجاده لها مستلزما لنقصانه و هو محال.

السادس عشر:و بمضادّته بين الامور عرف أنّ لا ضدّ له

لأنّه لمّا كان خالق الأضداد فلو كان له ضدّ لكان خالقا لنفسه و لضدّه و ذلک محال،و لأنّک لمّا علمت أنّ المضادّه من باب المضاف و علمت أنّ المضاف ينقسم إلى حقيقيّ و غير حقيقيّ فالحقيقيّ هو الّذى لا تعقل مهيّته إلّا بالقياس إلى غيره،و غير الحقيقيّ هو الّذى له فى ذاته مهيّه غير الإضافه تعرض لها الإضافه و كيف ما كان لا بدّ من وجود الغير حتّى يوجد المضاف من حيث هو مضاف فيكون وجود أحد المضافين متعلّقا بوجود الآخر فلو كان لواجب الوجود ضدّ لكان متعلّق الوجود بالغير فلم يكن واجب الوجود لذاته هذا خلف،و لأنّ الضدّين هما الأمران الثبوتيان اللذان يتعاقبان على محلّ واحد،و يمتنع اجتماعهما فيه فلو كان بينه و بين غيره مضادّه لكان محتاجا إلى محلّ يعاقب ضدّه عليه،و قد ثبت أنّه تعالى غنيّ من كلّ شيء.

السابع عشر:و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له،

و برهانه أمّا أوّلا فلأنّه تعالى خلق المقترنات و مبدء المقارنه بينها فلو كان تعالى مقارنا لغيره لكان خالقا لنفسه و لقرينه و ذلک محال،و لأنّ المقارنه من باب المضاف و يمتنع أن يلحقه.على ما تقدّم .

الثامن عشر:كونه تعالى مضادّا بين الامور.

المضادّه تأكيد لقوله:و

ص:۱۵۶

لمضادّته للأشياء.فمنها النور و الظلمه،و فى كونهما ضدّين خلاف بين العلماء مبنىّ على كون الظلمه أمرا وجوديّا أو عدميّا و الأقرب أنها أمر وجودىّ مضادّ للنور،و قال بعضهم:إنّها عباره عن عدم الضوء عمّا من شأنه أن يضىء و ليست على هذا القول عدما صرفا فجاز أن يطلق عليها أنّها ضدّ مجازا،و منها البياض و السواد و الجمود و البلل:أى اليبوسه و الرطوبه و الحراره و البروده.و مضادّته بينها خلقه لها على ما هى عليه من الطبايع المتضادّه.

التاسع عشر:كونه مؤلّفا بين متعادياتها

فى أمزجه المركّبات من العناصر الأربعه فإنّه جمع بينها فيها على وجه الامتزاج حتّى حصل بينها كيفيّه متوسّطه على ما مرّ بيانه فى الخطبه الاولى.

العشرون

:كونه مقارنا بين متبايناتها.

الحادى و العشرون:كونه مقرّبا بين متباعداتها،

و مرّ نظير هاتين الفقرتين فى الخطبه الاولى.

الثانى و العشرون:

المطابقه كونه مفرّقا بين متدانياتها :أى بالموت و الفناء لهذه المركّبات فى هذا العالم.و أشار إلى استناد فسادها إليه أيضا إذ هو مسبّب الأسباب.

و قد طاوعته عليه السّلام المطابقه فى هذه القرائن فالتأليف بإزاء المعاداه،و المقارنه بإزاء المباينه،و القرب بإزاء البعد،و التفريق بإزاء التدانى .

الثالث و العشرون:كونه تعالى لا يشمله حدّ،

و المراد:إمّا الحدّ الاصطلاحى و ظاهر كونه تعالى لا حدّ له،إذ لا أجزاء له فلا تشمل و تحاط حقيقه بحدّ،و إمّا الحدّ اللغوىّ و هى النهايه الّتى تحيط بالجسم مثلا فيقف عندها و ينتهى بها و ذلك من لواحق الكمّ المتّصل و المنفصل و هما من الأعراض و لا شىء من واجب الوجود سبحانه بعرض أو محلّ له فامتنع أن يوصف بالنهايه.و أمّا وصفه باللانهايه فعلى سبيل سلب النهايه عنه مطلقا بسلب معروضها كالمقدار مثلا لا على سبيل العدول بمعنى أنّه معروض النهايه و اللانهايه لكن ليست النهايه حاصله

له.

ص:۱۵۷

الرابع و العشرون:كونه لا يحسب بعد

:أى لا يلحقه الحساب و العدّ فيدخل فى جمله المحسوبات المعدوده،و ذلك أنّ العدّ من لواحق الكمّ المنفصل الّذى هو العدد كما هو معلوم فى مظانّه و الكمّ عرض،و قد ثبت أنّه تعالى ليس بعرض و لا محلّ له،و استحال أن يكون معدودا.

و قوله:و إنّما تحدّ الأدوات أنفسها.

فالأدوات إشاره إلى الآلات البدنيّه و القوى الجسمانيّه،و قد ثبت أنّها لا يتعلّق إدراكها إلّا بما كان جسما أو جسمانيّا على ما علم فى موضعه فمعنى قوله:

و إنّما تحدّ الأدوات أنفسها.أى إنّما تدرك الأجسام و الجسمانيّات ما هو مثلها من الأجسام و الجسمانيّات،و مثل الشىء هو هو فى النوع أو الجنس،و يحتمل أن يدخل فى ذلك النوع الفكر لامتناع انفكاكه عن الوهم و الخيال حين توجّهه إلى المعقولات لما بيّناه من حاجته إليهما فى التصوير و الشبح فكان لا يتعلّق إلّا بمماثل ممكن،و لا يحيط إلّا بما هو فى صوره جسم أو جسمانىّ،و كذلك قوله:

و يشير الأشياء إلى نظائرها .

و قوله:منعتها منذ القدميّه و حمتها قد الأزليّه و جنّبتها لو لا التكمله.

الضمائر المتّصله بالافعال الثلاثه تعود إلى الآلات و الأدوات و هى مفعولات اولى.و القدميّه و الأزليّه التكمله مفعولات ثانيه،و منذ و قد و لولا محلّها الرفع بالفاعليّه،و معنى الكلمه الاولى أنّ إطلاق لفظه-منذ-على الآلات و الأدوات فى مثل قولنا:هذه الآلات وجدت منذ كذا يمنع كونها قديمه.

إذ كان وضعها لابتداء الزمان و كانت لإطلاقها عليها متعيّنه الابتداء و لا شىء من القديم بمتعيّن الابتداء فينتج أنّه لا شىء من هذه الأدوات و الآلات بقديم،و كذلك إطلاق لفظه-قد-عليها يحميها و يمنعها من كونها أزليّه إذ كانت-قد-تفيد تقريب الماضى من الحال فإطلاقها عليها كما فى قولك:قد وجدت هذه الآله وقت كذا.يحكم بقربها من الحال و عدم أزليّتها و لا شىء من الأزلىّ بقريب من الحال فلا شىء من هذه الآلات بأزلىّ.و كذلك إطلاق لفظ-لولا-على

هـذه الآلات تجنّبها التكمله.إذ كان وضع لولا دالاّ على امتناع الشـيء لوجود غيره فإطلاقها عليها فی مثل قولك عند نظرك إلی بعض الآلات المستحسـنه و الخلقه العجيبه و الأذهان المتوقّده:ما أحسـنها و أكملها لولا أنّ فيها كذا.فيدلّ بها علی امتناع كمالها لوجود نقصـان فيهـا فهی مـانعه لهـا من الكمـال المطلق،و إنّمـا أشـار إلی حـدوثها و نقصانها ليؤكّـد كونها غير متعلّقه بتحديـده سبحانه،و أنّها فی أبعـد بعيـد من تقـديره و الإشاره إليه.إذ كان القديم الكامل فی ذاته التامّ فی صـفاته أبعد الأشـياء عن مناسـبته المحـدث النـاقص فی ذاته فكيف يمكن أن يـدركه أو يليق أن يطمع فی ذلك،و قال بعض الشارحين:المراد بالأدوات و الآلات أهلهـا.و قـد روی برفع القـدميّه و الأزليّه و التكمله علی الفـاعليّه.و الضـمائر المتّصـله بالأفعال مفعولات اولی،و منـذ و قـد و لولا مفعولات ثانيه،و يكون المعنی أنّ قدمه تعالی و أزليّته و كماله منعت الأدوات و الآلات من إطلاق منذ و قد و لو لا عليه سـبحانه لـدلالتها علی الحـدوث و الابتداء المنافيين لقدمه و أزليّته و كماله.و الروايه الاولی أولی لوجودها فی نسـخه الرضـیّ-رضـی اللّه عنه-بخطّه.

و قوله:بها تجلّی صانعها للعقول.

أی بوجود هذه الآلات ظهور وجوده تعالی للعقول.إذ كان وجودها مستلزما لوجود صانعها بالضروره،و إحكامها و إتقانها شاهد بعلمه و حكمته شـهاده تضـطرّ إلی الحكم بها العقول،و كذلك تخصيصها بما تخصّصت به من الكمالات شاهد بإرادته و كمال عنايته فيكون ما شهد به وجودها من وجود صانعها أجلی و أوضح من أن يقع فيه شكّ أو يلحقه شبهه،و يتفاوت ذلك الظهور و التجلّی بحسب تفـاوت صـقال النفوس و جلائها فمنها من يراه بعـد،و منها من يراه مع،و منها من يراه قبل،و منها من يراه لا شـیء معه و «أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» .

و قوله:و بها امتنع عن نظر العيون.

أی بإيجادها و خلقها بحيث تدرك بحاسّه البصر علم أنّه تعالی يمتنع أن

یکون مرئیّا مثلها،و بیانه أنّ تلک الآلات إنّما کانت متعلّقه حسّ البصر باعتبار أنّها ذات وضع و جهه و لون و غیره من شرائط الرؤیه،و لمّا کانت هذه الامور ممتنعه فی حقّه تعالی لا جرم امتنع أن یکون محلاّ لنظر العیون،و قال بعض الشارحین فی بیان ذلک:إنّه لمّا کان بالمشاعر و الحواسّ الّتی هی الآلات المشار إلیها أکملت عقولنا،و بعقولنا استخرجنا الدلیل علی أنّه لا یصحّ رؤیته فإذن بخلق هذه الأدوات و الآلات لنا عرفناه عقلا و عرفناه أنّه یستحیل أن یعرف بغیر العقل .

الخامس و العشرون:کونه تعالی منزّها أن یجری علیه السکون و الحرکه،

و قد أشار علیه السّلام إلی بیان امتناعهما علیه من أوجه:

استفهام علی سبیل الاستنکار أحدها:قوله: و کیف یجری علیه.إلی قوله:أحدثه ،و هو استفهام علی سبیل الاستنکار لجریان ما أجراه علیه و عود ما أبداه و أنشأه إلیه و حدوث ما أحدثه فیه .و بیان بطلان ذلک أنّ الحرکه و السکون من آثاره سبحانه فی الأجسام و کلّ ما کان من آثاره یستحیل أن یجری علیه و یکون من صفاته:أمّا المقدّمه الاولی فظاهره،و أمّا الثانیه فلأنّ المؤثّر واجب التقدّم بالوجود علی الأثر فذلک الأثر إمّا أن یکون معتبرا فی صفات الکمال فیلزم أن یکون تعالی باعتبار ما هو موجد له و مؤثّر فیه ناقصا بذاته مستکملا بذلک الأثر،و النقص علیه تعالی محال،و إن لم یکن معتبرا فی صفات کماله فله الکمال المطلق بدون ذلک الأثر فکان إثباته صفه له نقصا فی حقّه لأنّ الزیاده علی الکمال المطلق نقصان و هو علیه تعالی محال.

الثانی:لو کان کذلک للزم التغیّر فی ذاته تعالی و لحوق الإمکان له،و دلّ علی ذلک بقوله:إذن لتفاوتت ذاته:أی تغیّرت بطریان الحرکه علیها تاره و السکون اخری لأنّ الحرکه و السکون من الحوادث المتغیّره فیکون تعالی بقوله:لتعاقبهما محلاّ للحوادث فی التغیّرات فکان متغیّرا لکن التغیّر مستلزم للإمکان فالواجب لذاته ممکن لذاته هذا خلف.

الثالث:لو کان کذلک للزم حقیقته التجزیه و الترکیب لکنّ التالی باطل

ص:۱۶۰

و المقدّم كـذلك.أمّا الملازمه فلأنّ الحركه و السكون من عوارض الجسم الخاصّه به فلو يوصف تعالى بها لكان جسما و كلّ جسم فهو مركّب قابل للتجزئه،و أمّا بطلان التالى فلأنّ كلّ مركّب مفتقر إلى أجزائه و ممكن فالواجب ممكن.

هذا خلف.

الرابع:أنّه لو كـان كـذلك للزم أن يبطـل من الأـزل معنـاه:أمّا على طريق المتكلّمين فظـاهر لأـنّ الحركه و السكون من خواصّ الأجسام الحادثه فكان الموصوف بهما حادثا فلو كان تعالى موصوفا بهما لبطل من الأزل معناه و لم يكن أزليّا.

و أمّا على رأى الحكماء فلأنّه تعالى لكونه واجب الوجود لـذاته يستحقّ الأزليّه، و لكون الممكن ممكنا لـذاته فهو إنّما يستحقّ الأـزليّه لالـذاته بـل لأـزليّه علّته و تمامها أزلا حتّى لو توقّفت علّته على أمر ما فى مؤثريّتها لزم حـدوث الممكن و لم يكن له من ذاته إلاّـ كونه لاـ يستحقّ لـذاته وجودا و لاـ عـدما و هو معنى الحـدوث الـذاتىّ عنـدهم.فعلى هـذا لو كان تعالى قابلا للحركه و السكون لكان جسما ممكنا لذاته فكان مستحقّا للحدوث الذاتىّ بذاته فلم يكن مستحقّا للأزليّه بذاته فيبطل من الأزليّه معناه و هو استحقاقه الأزليّه بذاته لكن التالى باطل لما مرّ.

الخـامس :أنّه لو كـان كـذلك للزم أن يكون له وراء إذ وجـد له أمـام، و وجه الملاـزمه أنّه لو جرت عليه الحركه لكـان له أمام يتحرّك إليه و حينئـذ يلزم أن يكون له وراء إذ له أمام لأنّهما إضافيّتان لا تنفكّ إحداهما عن الاخرى لكن ذلك محال لأنّ كلّ ذى وجهين فهو منقسم و كلّ منقسم فهو ممكن على ما مرّ.

السادس:لو كان كـذلك لالتمس التمام إذ لزمه النقصان،و بيان الملازمه أنّ جريان الحركه عليه مستلزم لتوجّهه بها إلى غايه إمّا جلب منفعه أو دفع مضرّه.إذ من لوازم حركـات العقلاـء ذلك،و على التقـديرين فهما كمال مطلوب له لنقصان لازم لـذاته لكنّ النقصان بالذات و الاستكمال بالغير مستلزم الإمكان

فالواجب ممكن.هذا خلف.

السابع:لو كان كذلك لقامت آيه المصنوع فيه،و بيان الملازمه أنّه حينئذ يكون قادرا على الحركه و السكون فقدرته عليهما ليست من خلقه و إلاّ لافتقر إيجاده لها إلى قدره اخرى سابقه عليها و لزم التسلسل و كان قادرا قبل أن كان قادرا و هما محالان فهى إذن من غيره فهو إذن مفتقر فى كماله إلى غيره فهو مصنوع و فيه آيات الصنع و علامات التأثير فليس هو بواجب الوجود.هذا خلف.

الثامن:لو كان كذلك لتحوّل دليلا بعد أن كان مدلولا عليه،و ذلك أن يكون مصنوعا على ما مرّ و كلّ مصنوع فيستدلّ به على صانعه كما هو المشهور فى الاستدلال بوجود العالم و حدوثه على وجود صانعه،و لأنّه يكون جسما فيكون مصنوعا فكان دليلا على الصانع لكنّه هو الصانع الأوّل للكلّ و هو المدلول عليه فاستحال أن يكون دليلا من جهه آثار الصنع فيه فاستحال أن يكون قابلا للحركه و السكون فاستحال أن يجريا عليه.فانظر إلى هذه النفس الملكيه له عليه السّلام كيف يفيض عنها هذه الأسرار الإلهيّه فيضا من غير تقدّم مزاوله الصنائع العقليّه و ممارسه البحث فى هذه الدقائق الإلهيّه.و أمّا قوله:و خرج بسلطان الامتناع.

إلى قوله:غيره.فقد يسبق إلى الوهم عطفه على الأدلّه المذكوره،و ظاهر أنّه ليس كذلك،بل هو عطف على قوله:امتنع.أى بها امتنع عن نظر العيون و خرج ذلك الامتناع:أى امتناع أن يكون مثلها فى كونها مرئيّه للعيون و محلاّ للنظر إليها عن أن يؤثّر فيه ما يؤثّر فى غيره من المرئيّات،و هى الأجسام و الجسمانيّات، و ظاهر أنّه تعالى لمّا امتنع عن نظر العيون إذ لم يكن جسما و لا قائما به فخرج بسلطان استحقاق ذلك الامتناع عن أن يؤثّر فيه ما يؤثّر فى غيره من الأجسام و الجسمانيّات و عن قبول ذلك.و قال بعض الشارحين:إنّه عطف على قوله:تجلّى:

أى بها تجلّى للعقول و خرج بسلطان الامتناع كونه مثلا لها:أى يكون واجب الوجود ممتنع العدم عن أن يكون ممكنا فيقبل أثر غيره كما يقبل الممكنات .

السادس و العشرون:كونه تعالى لا يحول

:أى لا ينتقل و يتغيّر من حال

ص:۱۶۲

إلى حال لما علمت من استلزام التغيّر للإمكان الممتنع عليه.

السابع و العشرون

:و كذلك لا يزول.

الثامن و العشرون:و كذلک لا يجوز عليه الافول

و الغيبه بعد الظهور لما يستلزم من التغيّر أيضا.

التاسع و العشرون:كونه «لَمْ يَلِدْ» فيكون مولودا «وَ لَمْ يُولَدْ» فيكون محدودا.

فالجمله الاولى تشتمل على دعوى و الإشاره إلى البرهان،و هو فى صوره قياس استثنائىّ تقديره:لو كان له ولد لكان مولودا و حينئذ يكون الجمله الثانيه و هى قوله: «وَ لَمْ يُولَدْ» .فى قوّه استثناء نقيض التالى،و قوله:فيكون محدودا فى قوّه قياس استثنائىّ يدلّ على بطلان التالى،و تقديره:لأنّه لو كان مولودا لكان محدودا.و اعلم أنّه يحتمل أن يريد بقوله:مولودا.ما هو المتعارف فيكون قد سلك فى ذلك مسلك المعتاد الظاهر فى بادى النظر بحسب الاستقراء أنّ كلّ ماله ولد فإنّه يكون مولودا و إن لم يجب ذلك فى العقل،و قد علمت أنّ الاستقراء ممّا يستعمل فى الخطابه و يحتجّ به فيكون مقنعا.إذ كانت غايتها الاقناع،و يحتمل أن يريد به ما هو أعمّ من المفهوم المتعارف أعنى التولّد عن آخر مثله من نوعه فإنّ ذلك غير واجب كما فى اصول أنواع الحيوان الحادثه،و حينئذ يكون بيان الملازمه الاولى على الاحتمال الأوّل ظاهر،و أمّا على تقدير الثانى فنقول فى بيانها:إنّ مفهوم الولد هو الّذى يتولّد و ينفصل عن آخر مثله من نوعه لكن أشخاص النوع الواحد لا يتعيّن فى الوجود مشخّصا إلّا بواسطه المادّه و علاقتها على ما علم ذلك فى مظانّه من الحكمه،و كلّ ما كان ماديّا و له علاقه بالمادّه كان متولّدا عن غيره و هو مادّته و صورته و أسباب وجوده و تركيبه،و أمّا بيان الملازمه الثانيه فى برهان بطلان التالى فلأنّه لمّا لزم من كونه ذا ولد أن يكون مشاركا فى النوع لغيره ثبت أنّه متولّد من مادّه و صوره و مركّب عنهما و عن جزئين بأحدهما يشارك نوعه و بالآخر ينفصل.فهو إذن منته إلى حدود و هى أجزاؤه الّتى يقف عندها و ينتهى فى التحليل إليها.فثبت أنّه تعالى لو كان مولودا لكان محدودا

لأنّه لو كان مولودا لكان محاطا و محدودا بالمحلّ المتولّد منه لكن كلّ محدود على الاعتبارين مركّب و كلّ مركّب ممكن.هذا خلف.فإذن ليس هو بمحدود فليس هو بمولود فليس هو بذى ولد،و إن شئت أن تجعل المقدّمتين فى قوّه قياس حملىّ مركّب من شرطيّتين متّصلتين و الشركه بينهما فى جزء تامّ،و تقديره:لو كان تعالى ذا ولد لكان مولودا و لو كان مولودا لكان محدودا،و النتيجه لو كان ذا ولد لكان محدودا.ثمّ يستنتج من استثناء نقيض تالى هذه النتيجه عن المطلوب.

و بيان الملازمتين و نقيض تالى النتيجه ما سبق.

الثلاثون:كونه جلّ عن اتّخاذ الأبناء

:أى علا و تقدّس عن ذلك،و هو تأكيد لما سبق.و بيانه أنّه يستلزم لحوق مرتبته بمراتب الأجسام الّتى هى فى معرض الزوال و قبول التغيّر و الاضمحلال.

الحادى و الثلاثون:كونه طهر عن ملامسه النساء

،و ذلك لما يستلزمه الملامسه من الجسميّه و التركيب الّذى تنزّه قدسه عنه،و طهارته تعود إلى تقدّسه عن الموادّ و علائقها من الملامسه و المماسّه و غيرها .

الثانى و الثلاثون:كونه لا تناله الأوهام فيقدّره

:أى لو نالته الأوهام لقدّرته لكنّ التالى باطل فالمقدّم كذلك.بيان الملازمه:أنّك علمت أنّ الوهم إنّما يدرك المعانى المتعلّقه بالمادّه و لا ترتفع إدراكه عن المعانى المتعلّقه بالمحسوسات،و شأنه فيما يدركه أن يستعمل المتخيّله فى تقديره بمقدار مخصوص و كميّه معيّنه و هيئه معيّنه و يحكم بأنّها مبلغه و نهايته.فلو أدركته الأوهام لقدّرته بمقدار معيّن و فى محلّ معيّن.فأمّا بطلان التالى فلأنّ المقدار محدود و مركّب و محتاج إلى المادّه و التعلّق بالغير،و قد سبق بيان امتناعه.

الثالث و الثلاثون:و لا يتوهّمه الفطن فتصوّره.

و فطن العقول:سرعه حركتها فى تحصيل الوسط فى المطالب،و إنّما قال:لا يتوهّمه الفطن لأنّ القوّه العقليّه عند توجّهها فى تحصيل المطالب العقليّه المجرّده لا بدّ لها من استتباع الوهم و المتخيّله و الاستعانه بها فى استثباتها بالشبح و التصوير بصوره يحطّها إلى

الخيال على ما علم ذلك فى موضعه.و لذلك ما كانت رؤيتها لجبرئيل فى صوره دحيه الكلبىّ.و كذلك المعانى المدركه للنفوس فى النوم من الحوادث فإنّها لا يتمكّن من استثباتها عند اقتناصها من عالم التجريد و بقائها إلى حال اليقظه فى صوره خياليّه مشاهده كما علمت ذلك فى صدر الكتاب.فظهر إذن معنى قوله:لا يتوهّمه الفطن فتصوّره:أى لو أدركته لكان ذلك بمشاركه الوهم فكان يلزم أن يصوّره بصوره خياليّه لكنّه تعالى منزّه عن الصوره فكان منزّها عن إدراكها.

الرابع و الثلاثون:لا تدركه الحواسّ فتحسّه.

و أراد لو أدركته الحواسّ لصدق عليه أنّها تحسّه و لزم كونه محسوسا،و بيان ذلك أنّ الإدراك و إن كان أعمّ من الإحساس لكن بإضافته إلى الحواسّ صار مساويا و ملازما له.

فإن قلت:إنّه لا معنى للإحساس إلاّ إدراك الحواسّ فيكون كأنّه قال:

لا تحسّه الحواسّ فتحسّه.و ذلك تكرار غير مفيد.

قلت:ليس مقصوده أنّه يلزم من معنى الإدراك معنى الإحساس بل مراده أنّ الّذى يصدق عليه أنّه إدراك الحواسّ هو المسمّى بالإحساس فيكون التقدير أنّ الحواس لو أدركته لصدق أنّها أحسّته أى لصدق هذا الاسم و لزم من صدقه عليها أن يصدق عليه كونه محسوسا،و إنّما ألزم ذلك كون الإحساس أشهر و أبين فى الاستحاله عليه تعالى من الادراك فجعله كالأوسط فى نفى إدراكها عنه لشنعته،و أمّا بيان أنّه تعالى ليس بمحسوس فلأنّه تعالى ليس بجسم و لا جسمانىّ و كلّ محسوس فإمّا جسم أو جسمانىّ فينتج أنّه تعالى ليس بمحسوس.

الخامس و الثلاثون:كونه تعالى لا تلمسه الأيدى فتمسّه

:أى لو صدق عليها أنها تلمسه لصدق أنّها تمسّه و هو ظاهر.إذ كان المسّ أعم من اللمس،و كلاهما ممتنعان عليه لاستلزامهما الجسميّه الممتنعه عليه تعالى.

السادس و الثلاثون:كونه لا يتغيّر بحال

:أى أبدا و البتّه و على وجه من الوجوه.

السابع و الثلاثون و لا يتبدّل فى الأحوال

:أى لا ينتقل من حال إلى حال.

و قد سبق بيان ذلک.

الثامن و الثلاثون:کونه لا تبليه الليالى و الأيّام

:أمّـا أوّلا-فلأنّه تعالى ليس بزمانىّ يدخل تحت تصريف الزمان حتّى تبليه،و أمّا ثانيا فلأنّ لحوق الإبلاء له تغيّر فى ذاته.و قد علمت امتناع التغيّر عليه،و أمّا ثالثا فلأنّ البالى من الامور الماديّه.و كلّ ذى مادّه فهو مركّب على ما مرّ.

التاسع و الثلاثون:کونه لا يغيّره الضياء و الظلام،

و ذلک لامتناع التغيّر عليه .

الأربعون:کونه لا يوصف بشىء من الأجزاء

لأنّ كلّ ذى جزء مفتقر إلى جزء الّذى هو غيره فكان مفتقرا إلى غيره فكان ممكنا فى ذاته.هذا خلف.

الحادى و الأربعون:و لا بالجوارح و الأعضاء

لما يلزم من الجسميّه و التركيب و التجزيه.

الثانى و الأربعون:و لا بعرض من الأعراض

.أقول:الأعراض تنحصر فى تسعه أجناس كما هو معلوم فى مظانّه،و ذلک أنّ كلّ الموجودات سوى اللّه تعالى مقسوم بعشره أقسام واحد منها جوهر و التسعه الباقيه أعراض،و يظهر بتقسيم هكذا:كلّ ما عداه سبحانه فوجوده زايد على مهيّته بالبراهين القاطعه فمهيّته إمّا أن تكون بحيث إذا وجدت كان وجودها لا فى موضوع.و هذا المعنىّ بالجوهر،أو يكون وجودها فى موضوع و هو المعنىّ بالعرض.و نعنى بالموضوع المحلّ الّذى لا يتقوّم بما يحلّ فيه بل يبقى حقيقته كما كانت قبل حلوله كالجسم الّذى يحلّه السواد.ثمّ العرض ينقسم إلى أقسامه التسعه و هى الكم و الكيف و المضاف و أين و متى و الوضع و الملک و أن يفعل و أن ينفعل.و تسمّى هذه الأقسام مع القسم العاشر و هو الجوهر المقولات العشر و الأجناس العاليه،و لنرسم كلّ واحد منها ليظهر أنّه تعالى منزّه عن الوصف بشىء منها.فنقول،أمّا الجوهر فقد عرفت رسمه،و أمّا الكمّ فرسم بأنّه العرض الّذى يقبل لذاته المساواه و اللامساواه و التجزّى.و يقبل الجوهر بسببه هذه الصفات،و أمّا الكيف فقد عرفته و عرفت

أقسامه،و أمّا الإضافه فهى حاله للجوهر تعرض بسبب كون غيره فى مقابلته و لا يعقل وجودها إلاّ بالقياس إلى ذلك الغير كالابّوه و البنوّه و قد عرفتها و عرفت أيضا أقسامها من قبل،و امّا الأين فهى حاله و هيئه تعرض للجسم بسبب نسبته إلى المكان و كونه فيه و ليس مجرّد النسبه إليه،و أمّا متى فهى حاله تعرض للشىء بسبب نسبته إلى زمانه و كونه فيه أو فى طرفه و هو الآن،و أمّا الوضع فهو هيئه يعرض للجسم بسبب نسبه أجزائه بعضها إلى بعض نسبه يختلف الأجزاء لأجلها بالقياس إلى سائر الجهات كالقيام و القعود،و أمّا الملك فقد عرفت بأنّه نسبه إلى ملاصق ينقل بانتقال ما هو منسوب إليه كالتسلّخ و التقمّص،و أمّا أن يفعل فهو كون الشىء بحيث يؤثّر فى غيره ما دام مؤثّرا فيه كالتقطيع حاله التأثير، و أمّا أن ينفعل و هو كون الشىء متأثّرا عن غيره ما دام متأثّرا كالقطيع.

إذا عرفت ذلك فنقول:أمّا البرهان الجملىّ على امتناع اتّصافه تعالى بهذه الأعراض و استحاله كونه موضوعا لها فما سبق بيانه عليه السّلام بقوله:فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثنّاه،و كذلك ما بيّناه من استلزام وصفه بشىء حصول التغيّر فى ذاته و امتناع التغيّر عليه،و أمّا التفصيلىّ فأمّا امتناع وصفه بالكمّ فلأنّه لو صدق عليه الكمّ لصدق عليه قبول المساواه و المقارنه و التجزّى و كلّما قبل التجزيه كان متكثّرا و قابلا للكثره و قد ثبت أنّه تعالى واحد من كلّ وجه فيمتنع عليه الكمّ،و أمّا امتناع وصفه بالكيف فقد علمته فى أوّل الخطبه،و كذلك امتناع وصفه بالمضاف،و أمّا وصفه بالأين فلأنّه يستلزم أن يكون متحيّزا محويّا لكن كونه كذلك محال فكونه فى المكان محال،و أمّا وصفه بمتى فقد عرفته أنّه تعالى ليس بزمانىّ فاستحال أن يوصف بالنسبه إلى زمان يكون له،و أمّا وصفه بالوضع فلأنّ الوضع من خواصّ المحيّزات فإنّ الجسم المتناهى يحيط به سطح لا محاله أو سطوح ينتهى عندها فيكتنف حدّا و حدودا و نهايات و يكون له شكل و هيئه لكنّه تعالى ليس بمتحيّز فاستحال أن يكون ذا وضع،و أمّا الملك فلأنّه أيضا من خواصّ الأجسام المحاط بها إذ ما ليس بجسم و لا يحاط به بشىء

ص:۱۶۷

ينتقل بانتقاله و قد تنزّه تعالى عن الجسميّه و أن يحيط به شيء،و أمّا أن يفعل فلأنّ الفعل لا يصدق عليه إلّا بطريق الإبداع و محض الاختراع و الإبداع هو أن يكون للشيء وجود من غيره متعلّق به فقط دون توسّط مادّه أو آله أو زمان و الفعل أعمّ من الإبداع إذ المفهوم من الفعل هو أن يوجد بسبب وجوده شيء آخر سواء كان ذلك لسبب حركه من الفاعل أو آله أو مادّه أو زمان أو قصد اختيارىّ فيقال للنجّار:إنّه فاعل و للسرير إنّه فعل،و يقال:لا بتوسط شيء من ذلك بل بطبع و تولّد كالشمس فإنّها فاعله للنور و النور فعلها فالفعل إذن ينقسم إلى ما يكون بقصد و اختيار و إلى ما لا يكون كذلك بل يصدر عنه لأنّه ذات تفيض عنها ذلك الشيء.ثمّ إن كان عالما بفيضان الشيء عنه سميّت تلك الإفاضه جودا و الفاعل بذلك الاعتبار جوادا و إن لم يكن عالما به تسمّى تلك الإفاضه طبعا و تولّدا كفيضان النور عن الشمس فالفاعل إمّا أن يفعل بالقصد و الغرض أو بالجود المحض أو بالطبع المحض،و البارى تعالى لا يجوز أن يفعل لغرض لأنّ الغرض و القصد إن كان أولى به لذاته كانت ذاته مستكمله بتلك الأولىّه ناقصه بعدمها هذا محال،و إن لم تكن أولى به كان ترجيحا من غير مرجّح.ثمّ لا يجوز أن يكون أولى بالنظر إلى العبد لأنّ تلك الأولىّه و عدمها إن كانا بالنسبه إليه على سواء فلا ترجيح أولا على سواء فيعود حديث النقصان و الكمال فكان تعالى منزّها عن الفعل بهذا الوجه بل إنّما يصدر منه على وجه الإبداع بجوده المحض.و فى هذه المسأله بحث طويل ليس هذا موضعه،و أمّا وصفه بأن ينفعل فلأنّ الانفعال يستلزم التغيّر فى ذاته المستلزم للإمكان و قد تنزّه قدسه عنه.

الثالث و الأربعون:و لا بالغيريّه و الأبعاض

:أى ليس له أبعاض يغاير بعضها بعضا لأنّ ذلك مستلزم للتجزئه و التركيب الممتنعين عليه و امتناع اللازم يستلزم امتناع الملزوم .

الرابع و الأربعون:و لا يقال له حدّ و لا نهايه

لأنّ الحدود و النهايات من عوارض الأجسام ذوات الأوضاع و لواحقها.على ما سبق.

ص:١٦٨

الخامس و الأربعون:و کذلک و لا انقطاع و لا غایه

:أی لا انقطاع لوجوده و لا غایه له،و ذلک لأنّ الانقطاع عند الغایات من لواحق الامور الزمانیّه المحدثه الکاینه الفاسده،و قد بیّنا امتناع کونه تعالی زمانیّا و کونه مادیّا، و لأنّه تعالی واجب الوجود فیستحیل أن یلحقه العدم أو یتناهی وجوده و ینقطع عند غایه.

السادس و الأربعون.و لا أنّ الأشیاء تحویه فتقلّه أو تهویه

.روی ما بعد الفاء منصوبا و علیه نسخه الرضی-رحمه اللّه-و ذلک بإضمار أن عقیبها فی جواب النفی،و روی مرفوعا علی العطف.و المعنی أنّه لیس بذی مکان یحویه فیرتفع بارتفاعه و ینخفض بانخفاضه لما أنّ ذلک من لواحق الجسمیّه،و کذلک أو أنّ شیئا یحمله فیمیله أو یعدله.

السابع و الأربعون:لیس فی الأشیاء بوالج و لا عنها بخارج

لأنّ الدخول و الخروج من لواحق الأجسام أیضا فما لیس بجسم و لا جسمانیّ فهما مسلوبان عنه سلبا مطلقا لا السلب المقابل للملکه .

الثامن و الأربعون:کونه یخبر بلا لسان و لهوات

لأنّ اللسان و اللهوات من لواحق الأجسام الحیوانیّه المنزّه قدسه عنها،و السلب هاهنا کالّذی قبله.و الأخبار هو النوع الأکثر من الکلام و لذلک خصّه هنا بالذکر،و زعمت الأشعریّه أنّ الخبر هو أصل الکلام کلّه و إلیه یرجع أنواعه کالأمر و النهی و الاستفهام و التمنّی و الترجیّ و غیرها.ثمّ اختلف المتکلّمون فی حقیقه الکلام فاتّفقت المعتزله علی أنّه المرکّب من الحرف و الصوت،و جمهور الأشعریّه علی أنّ وراء الکلام اللسانیّ معنی قائم بالنفس یعبّر عنه بالکلام النفسانیّ و لفظ الکلام حقیقه فیه و فی اللسانیّ مجاز،و منهم من جعله حقیقه فی اللسانیّ مجاز فی النفسانیّ،و منهم من جعله مشترکا فیهما فکون اللّه تعالی متکلّما یعود إلی خلقه الکلام فی جسم الشیء عند المعتزله،و عند الأشعریّه أنّه معنی قائم بذاته و هذه الأصوات و الحروف المسموعه دلالات علیه.و سیفسّر علیه السّلام معنی

كلامه تعالى.

التاسع و الأربعون:يسمع بلا خروق و أدوات

:أى ليس سمعه بأداه هى الاذن و الصماخات كما يسمع الإنسان لتنزّهه تعالى عن الآلات الجسمانيّه، و قد كان هذا البرهان كافيا فى منع إطلاق السميع عليه تعالى لكن لمّا ورد الإذن الشرعىّ بإطلاقه عليه و لم يمكن حمله على ظاهره و حقيقته وجب صرفه إلى مجازه و هو العلم بالمسموعات إطلاقا لاسم السبب على المسبّب.إذ كان السمع من أسباب العلم فإذن كونه تعالى سميعا يعود إلى علمه بالمسموعات.

الخمسون:يقول و لا يلفظ

.و إطلاق لفظ القول عليه كإطلاق الكلام.

و أمّا التلفّظ فلمّا كان عباره عن إخراج الحرف من آله النطق و هى اللسان و الشفه لا جرم لم يصدق فى حقّه لعدم الآله هنالك و كان الشارع لم يأذن فى إطلاقه عليه تعالى لما أنّ دلالته على الآله المذكوره أقوى من الكلام و القول.

الحادى و الخمسون:كونه يحفظ و لا يتحفّظ.

و حفظه يعود إلى علمه بالأشياء،و لمّا كان المعروف من العاده أنّ الحفظ يكون بسبب التحفّظ و كان ذلك فى حقّه تعالى محالا-لاستلزامه الآلات الجسمانيّه لا جرم احترز عنه.و قال بعض الشارحين:إنّما يريد بالحفظ أنّه يحفظ عباده و يحرسهم و لا يتحفّظ منهم:

أى لا يحتاج إلى حراسه نفسه منهم.و هذا بعيد الإراده هنا.

الثانى و الخمسون:

مجاز يريد و لا يضمر فإرادته تعالى تعود إلى اعتبار كونه تعالى عالما بما فى الفعل من الحكمه و المصلحه الّذى هو مبدء فعله،و لا-فرق فى حقّه تعالى بين الإراده و الداعى،و لمّا كان المتعارف من الإراده أنّها ميل القلب نحو ما يتصوّر كونه نافعا و لذيذا و ذلك الميل من المضمرات المستكنّه فى القلب لا جرم كان إطلاق الإراده فى حقّه يستلزم تصوّر الإضمار و لمّا تنزّه سبحانه عن الإضمار لا جرم احترز عنه فى إطلاق المريد عليه تعالى فكان ذلك الاحتراز كالقرينه الصارفه للّفظ عن حقيقته إلى مجازه و هو الاعتبار المذكور .

الثالث و الخمسون:كونه يحبّ و يرضی من غير رقّه

فالمحبّه منه تعالی.

ص:۱۷۰

إراده هی مبدء فعل ما فمحبّته للعبد إرادته لثوابه و تکمیله و ما هو خیر له،و أمّا من العبد فهی إراده تقوی و تضعف بحسب تصوّر المنفعه و اللذّه و اعتقاد کمالها و نقصانها،و محبّته للّه هی إراده طاعته،و أمّا الرضا فقریب من المحبّه و یشبه أن یکون أعمّ منها لأنّ کلّ محبّ راض عمّا أحبّه و لا ینعکس.فرضاه تعالی عن العبد یعود إلی علمه تعالی بموافقته لأمره و طاعته له،و المفهوم منه فی حقّ العبد هو سکون نفسه بالنسبه إلی موافقه و ملایمه عند تصوّر کونه موافقا و ملایما،و لمّا کان الرضا و المحبّه من الإنسان لغیره یستلزم الرقّه القلبیّه له و الانفعال النفسانیّ عن تصوّر المعنی الّذی لأجله حصلت المحبّه و المیل إلیه و الداعی إلی الرضا عنه و کان الباری سبحانه منزّها عن الرقّه و الانفعال لتنزّهه عن قوابلها لا جرم احترز بقوله:من غیر رقّه.

الرابع و الخمسون:

مجاز و یبغض و یغضب من غیر مشقّه .فالبغض منه تعالی للعبد یضادّ محبّته له و یعود إلی کراهته لثوابه،و کراهته یعود إلی علمه بعدم استحقاقه للثواب و أنّه لا مصلحه فی ثوابه و یلزمها إراده إهانته و تعذیبه،و البغض من العبد هو کراهته للغیر و میل نفسه عنه لتصوّر کونه مضرّا و مولما و یلزم ذلک النفره الطبعیّه منه و ثوران القوّه الغضبیّه علیه و إراده إهانته.و أمّا الغضب فیعود من اللّه تعالی إلی علمه بمخالفه أوامره و عدم طاعته له،و المفهوم منه فی حقّ العبد ثوران النفس و حرکه قوّتها الغضبیّه عن تصوّر المؤذی و الضارّ لإراده مقاومته و رفعه.و لمّا کان البغض و الغضب یستلزمان ثوران دم القلب و کان ذی النفس یستلزم مشقّه و کلفه لا جرم احترز عنها فی إطلاق لفظ البغض و الغضب علیه فقال:من غیر مشقّه.و اعلم أنّ إطلاق لفظ المحبّه و الرضا علی ما ذکرناه من الاعتبارات فی حقّه مجاز.إذ کانت حقیقه الرضا هی سکون النفس الإنسانیّه و المحبّه میلها إلی النافع فإطلاقهما علی العلم إطلاق لاسم اللازم علی الملزوم، و کذلک إطلاق لفظی البغض و الغضب فی حقّه تعالی علی علمه المخصوص .

الخامس و الخمسون:یقول لما أراد کونه «کُنْ فَیَکُونُ»

فإرادته لکونه هو.

ص:۱۷۱

عمله بما فی وجوده من الحکمه،و قوله:کن.إشاره إلی حکم قدرته الأزلیّه علیه بالایجاد و وجوب الصدور عن تمام مؤثریّته،و قوله:فیکون.إشاره إلی وجوده.و دلّ علی اللزوم و عدم التأخّر و التراخی بالفاء المقتضیه للتعقیب بلا مهله.

السادس و الخمسون:لا بصوت یقرع

:أی لیس بذی حاسّه للسمع فیقرعها الصوت،و ذلک أنّ الصوت کیفیّه یحدث فی الهواء عن قلع أو قرع وقوعه لما یصل إلیه من الصماخ أو جسم آخر هو وقع علیه بشدّه و عنف،و ذلک حال تعرض الأجسام فلو کان له تعالی آله سمع لکان جسما لکن التالی باطل فالمقدّم کذلک.

السابع و الخمسون:و لا بنداء یسمع

:أی لمّا بیّن فی القرینه الاولی أنّه لا سمع له یقرع بصوت بیّن فی الثانیه أنّه لا یخرج منه الصوت لأنّ النداء صوت مخصوص و الصوت مستلزم المصوّت و هو جسم لما مرّ من استلزام الصوت القرع أو القلع المستلزمین الجسمیّه.

و قوله:و إنّما کلامه تعالی.إلی قوله:کاینا.

فاعلم أنّ هذا الکلام ممّا استفادت المعتزله منه کون کلامه تعالی محدثا،و فیه تصریح بغیر ما ذهبوا إلیه.فمعنی قوله:فعل منه أنشأه:أی أوجده فی لسان النبیّ.فأمّا قوله:و مثله.فأراد صوّره فی لسان النبیّ و سوّی مثاله فی ذهنه.و قال بعض الشارحین:مثله لجبرئیل فی اللوح المحفوظ حتّی بلّغه محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و سایر الرسل علیهم السّلام و دلّ بقوله:لم یکن من قبل ذلک کائنا.علی أنّه محدث مسبوق الوجود بالعدم،و أشار بقوله:و لو کان.إلی قوله:ثانیا،إلی برهان حدوثه و هو قیاس استثنائیّ و تقریره:لو کان کلامه تعالی قدیما لکان کلامه إلها ثانیا لکن التالی باطل فالمقدّم کذلک.فأمّا بیان الملازمه فلأنّه لو کان قدیما لکان إمّا واجب الوجود و إمّا ممکن الوجود.و التالی باطل لأنّه لو کان ممکنا مع أنّه موجود فی الأزل لکان وجوده مفتقرا إلی مؤثّر فذلک المؤثّر إن کان غیر ذاته فهو محال لوجهین:

أحدهما:أنّه يلزم افتقاره تعالى فى تحصيل صفته إلى غيره فهو محال.

الثانى:انّه يلزم أن يكون فى الأزل مع اللّه غيره يكون مستندا إليه فى حصول تلك الصفه فيكون إلها ثانيا بل هو أولى بالإلهيّه هذا محال.و إن كان المؤثّر فى كلامه ذاته فهو محال أيضا لأنّ المؤثّر واجب التقدّم بالوجود على الأثر فالكلام إمّا أن يكون من صفات كماله أولا يكون فإن كان الأوّل فتأثيره فيه إن كان-و كلّ كمال له حاصلا له بالفعل-فقد كان وصف الكلام حاصلا له قبل أن كان حاصلا هذا خلف.و إن كان تأثيره فى حال ما هو خال عن صفه الكلام فقد كان خاليا عن صفه كماله فكان ناقصا بذاته و هذا محال،و أمّا إن لم يكن الكلام من صفات كماله كان إثباته له فى الأزل إثباتا لصفه زائده على الكمال و الزياده على الكمال نقصان.فتعيّن أنّه لو كان قديما لكان واجب الوجود لذاته فكان إلها ثانيا،و أمّا بطلان التالى فلمّا بيّنا من كونه تعالى واحدا.فثبت بهذا الدليل الواضح أنّه لا يجوز أن يكون كلامه قديما .

الثامن و الخمسون:لا يقال.إلى قوله:لم يكن.

إشاره إلى أنّه ليس بمحدث لأنّ كون الشىء بعد أن لم يكن هو معنى حدوثه.

و قوله:فتجرى عليه الصفات المحدثات.

فالفاء فى جواب النفى لتقدير الشرط:أى لو صدق عليه أنّه محدث للحقته الصفات المحدثه و إلّا لكانت صفاته قديمه فكان الموصوف بها قديما.هذا خلف.و التقدير لكن لحوق الصفات المحدثه له باطل فكونه محدثا باطل،و أشار إلى بطلان التالى بقوله:و لا يكون بينها و بينه فصل.إلى قوله:و البديع.و التقدير أنّه لو لحقته الصفات المحدثات و جرت عليه على تقدير كونه محدثا لكانت ذاته مساويه لها فى الحدوث المستلزم للإمكان المستلزم للحاجه إلى الصانع فلم يكن بينها و بينه فصل فى ذلك،و لاله عليها فضل لاشتراكه معها فى الحاجه.

و قوله:فيستوى.إلى قوله:المبتدع.

إشاره إلى ما يلزم تلك المساواه من المحال.إذ كان استواء الصانع و مصنوعه

ص:۱۷۳

ظاهر الفساد.و أصل البديع من الفعل ما لم يسبق فاعله إلى مثله،و سمّى الفعل الحسن بديعا لمشابهته ما لم يسبق إليه فى كونه محلّ التعجب منه،و المبدع هو فاعل البديع،و المصدر الإبداع.و قد عرفت معناه فيما قبل.و فى نسخه الرضى المبدع بفتح الدال،و هو البديع بالمعنى الّذى ذكرناه،و يكون مراده بالبديع الصانع و هو فعيل بمعنى فاعل كقوله تعالى «بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (١)و إذا ثبت أنّه لا يجرى عليه الامور المحدثه و لواحق الحدوث من سبق العدم و التغيّر و الإمكان و الحاجه إلى المؤثّر و غير ذلک و إلّا يلزم المحال المذكور أوّلا.و النسخه الاولى بخط الرضىّ-رضى اللّه عنه -.

التاسع و الخمسون:كونه تعالى خلق الخلق.إلى قوله:غيره،

و قد سبق بيانه فى الخطبه الاولى،و هو تنزيه له عن صفات الصانعين من البشر فإنّ صنايعهم تحذو حذو أمثله سبقت من غيرهم أو حصلت فى أذهانهم.

الستّون:كونه لم يستعن على خلق ما خلق بأحد من خلقه

و إلّا لكان ناقصا بذاته مفتقرا إلى ما كان هو مفتقرا إليه و هو محال .

الحادى و الستّون:كونه أنشأ الأرض فأمسكها

:أى أوجدها فقامت فى حيّزها بمساك قدرته،و لمّا كان شأن من تمسک شيئا و يحفظه من ساير الفاعلين لا يخلو عن كلفه و مشقّه فى حفظه و اشتغال بحفظه عن غيره من الأفعال نزّه حفظه تعالى لها عمّا يلزم حفظ غيره لما يحفظه من تلک الكلفه و الاشتغال بحفظها.

الثانى و الستّون:كونه أرساها

:أى أثبتها فى حيّزها على غير قرار اعتمدت عليه فأمسكها،و كذلک رفعه لها بغير دعائم،بل بحسب قدرته التامّه.

الثالث و الستّون:كونه حصّنها من الأود و الاعوجاج

:أى من الميل إلى أحد جوانب العالم عن المركز الحقيقىّ و ذلک ممّا ثبت فى موضعه من الحكمه.

الرابع و الستّون:كونه منعها عن التهافت و الانفراج

:أی جعلها کره واحده ثابته فی حیّزها،و منعها أن یتساقط قطعا أو ینفرج بعضها عن بعض .

۱- ۱) ۱۰۱-۶.

الخامس و السّتون:كونه أرسى أوتادها

:أى أنبتها فيها.و أوتادها:جبالها.

و قد بيّنا فى الخطبه الاولى معنى كونها أوتادا لها.

السادس و السّتون.كونه ضرب أسدادها

.و أراد بأسدادها ما أحاط بها من الجبال أو الّتى يحجز بين بقاعها و بلادها.

السابع و السّتون:كونه استفاض عيونها.

و استفاض بمعنى أفاض كما قال تعالى «وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً» (۱)و قد سبقت الإشاره إلى ذلك.

الثامن و السّتون:كونه خدّ أوديتها

:أى شقّها و بيّن جبالها و تلالها.

و قوله:فلم يهن ما بناه و لا ضعف ما قوّاه.

بعد تعديد ما عدّد من الآثار العظيمه إشاره إلى كمال هذه المخلوقات و قوّتها ليبيّن عظمه اللّه سبحانه بالقياس إليها .

التاسع و السّتون:كونه هو الظاهر عليها سلطانه و عظمته

.فأشار بقوله:

هو.إلى هويّته الّتى هى محض الوجود الحقّ الواجب،و لمّا لم يكن تعريف تلك الهويّه إلاّ بالاعتبارات الخارجه عنها أشار إلى تعريفها بكونه ظاهرا عليها:أى غالبا قاهرا لها،و لمّا كان الظهور يحتمل الظهور الحسّىّ لا جرم قيّده بسلطانه و عظمته.إذ كان ظهوره عليها ليس ظهورا مكانيّا حسّيا بل بمجرّد ملكه و استيلاء قدرته و عظمه سلطانه.

السبعون:قوله:و هو الباطن لها

:أى الداخل فى بواطنها بعلمه،و لمّا كان البطون يحتمل الحسّىّ قيّده بعلمه تنزيها له عن سوء الأفهام و أحكام الأوهام.و الضمائر

فى قوله:عليها و لها يعود إلى الأرض و ما فيها ممّا بناه و سوّاه.

الحادى و السبعون:كونه عاليا على كلّ شىء

:أى من الأرض و ساير مخلوقاته بها بجلاله و عزّته:فجلاله و عزّته بالنسبه إليها هو اعتبار كونه تعالى منزّها عن كلّ مالها من الصفات المحدثه و الكمالات المستفاده من الغير المستلزمه للنقصان الذاتىّ،و لمّا كانت هذه الاعتبارات الّتى تنزّه عنها فى حضيض النقصان

۱- ۱) ۱۲-۵۴-۵۴.

كـان هو باعتبـار تنزيهه عنها فى أوج الكمال الأعلى فكان عاليا عليها بـذلك الاعتبار و لأنّه تعالى خالقها و موجـدها فعلوّه عليها بجلال سلطان،و عزّته عن خضوع الحاجه و ذلّتها.

الثانى و السبعون:كونه لا يعجزه شىء منها طلبه.إلى قوله:فيسبقه،

و ذلك لكونه تعالى واجب الوجود تامّ العلم و القدره لا نقصان فيه باعتبار،و كون كلّ ما عداه مفتقرا فى وجوده و جميع أحوال وجوده إليه فلاـ جرم لم يتصوّر أن يعجزه شـىء طلبه أو يمتنع عليه شـىء بقوّه فيغلبه،أو يفوته سـريع بحركته فيسـبقه لما يسـتلزمه ذلك العجز عن الحاجه و الإمكان الممتنعين عليه.

الثالث و السبعون:و كذلك كونه لا يحتاج إلى ذى المال فيرزقه

لما يستلزمه الحاجه من الإمكان.و كلّ ذلك نفى الأحوال البشريّه عنه .

الرابع و السبعون:قوله:خضعت له الأشياء.إلى قوله.لعظمته

.فخضوعها و ذلّها يعود إلى دخولها فى ذلّ الإمكان تحت سلطانه و انقيادها فى اسر الحاجه إلى كمال قـدرته،و بذلك الاعتبار لم يسـتطع الهرب من سلطانه للزوم الحاجه لذواتها إليه و اسـتناد كمالاتها إلى وجوده.فهو النافع لها بإفاضه كمالاتها و الضارّ لها بمنع ذلك.

فإن قلت:إنّ النفع لا يهرب منه و لا يمتنع فكيف ذكره هنا.

قلت:المراد منه سلب قـدرته عليها على تقدير امتناعها منه،و هذا كما تقول لمن عجز عنك:إنّ فلانا لا يقدر على نفع و لا ضـرّ،و لأنّ النفع جاز أن يمتنع منه لأنفه و استغناء بالغير،و لا شىء من الموجودات يمتنع من سلطانه و نفعه باستغناء عنه و أنفه و نحوها .

الخامس و السبعون:كونه لا كفء له يكافيه

:أى ليس له مثل فيقابله و يفعل بإزاء فعله،و قد علمت تنزيهه تعالى عن المثل،و كذلك لا نظير له فيساويه.

السادس و السبعون:هو المفنى لها.إلى قوله:كمفقودها

.عرّف هويّته باعتبار كونه معدما للأشياء بعد وجودها،و قد ورد فى القرآن الكريم إشارات

إلى ذلک کقوله تعالی «یَوْمَ نَطْوِی السَّماءَ کَطَیِّ السِّجِلِّ لِلْکُتُبِ کَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِیدُهُ» (۱)و معلوم أنّ الإعاده إنّما تکون بعد العدم،و قوله «إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ وَ إِذَا الْکَواکِبُ انْتَثَرَتْ» (۲)و أمثالها.و قد أجمعت الأنبیاء علی ذلک، و علم التصریح من دین محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بانّه سیکون،و هو الّذی علیه جمهور المتکلّمین و الخلاف فی جواز خراب العالم مع الحکماء فإنّهم اتّفقوا علی أنّ الأجرام العلویّه و العقول و النفوس الملکیّه،و کذلک هیولی العالم العنصریّ و أجرام العناصر،و ما ثبت قدمه امتنع عدمه لا لذاته بل لدوام علّه وجوده،و ما عدا ذلک فهو حادث و لیس کلّه ممّا یعاد بالاتّفاق،بل الخلاف فی المعاد الإنسانی البدنی فأنکره بعضهم.و الإسلامیّون منهم قالوا:لیس للعقل فی الحکم بوجوده أولا-وجوده محال،بل إنّما یعلم بالسمع.هذا مع اتّفاقهم علی القول بامتناع إعاده المعدوم.فإن أمکن الجمع بین القول بجواز المعاد الجسمانیّ مع القول بامتناع إعاده المعدوم فلیکن علی ما ذهب إلیه أبو الحسین البصریّ من المعتزله و هو قوله:إنّ الأجزاء یتشذّب و یتفرّق بحیث یخرج عن حدّ الانتفاع بها و لا تدخل فی العدم الصرف.لکن فی ذلک نظر لأنّ بدن زید مثلا لیس عباره عن تلک الأجزاء المتشذّبه و المتفرّقه فقط فإنّ القول بذلک مکابره للعقل بل عنها مع سائر الأعراض و التألیفات المخصوصه و الأوضاع فإذا شذب البدن و تفرّق فلا بدّ أن یعدم تلک الأعراض و تفنی و حینئذ یلزم فناء البدن من حیث هو ذلک البدن فعند الإعاده إن اعید بعینه وجب إعاده تلک الأعراض بعینها فلزمت إعاده المعدوم،و إن لم یعد بعینه عاد غیره فیکون الثواب و العقاب علی غیره و ذلک مکذّب للقرآن الکریم فی قوله «وَ لا-تَزِرُ وازِرَهٌ وِزْرَ أُخْری» (۳)اللهمّ إلاّ-أن یقال:إنّ الإنسان المثاب و المعاقب إنّما هو النفس الناطقه و هذا البدن کالآله فإذا عدم لم یلزم عوده بعینه بل جاز عود مثله.لکن هذا إنّما یستقیم علی مذهب الحکماء القائلین بالنفس الناطقه،و أمّا علی رأی أبی الحسین البصریّ

ص:۱۷۷

۱- ۱) ۱۰۴-۲۱.

۲- ۲) ۲-۸۲.

۳- ۳) ۱۶۴-۶.

فلا،و مذهب أكثر المحقّقين من علماء الإسلام يؤول إلى هذا القول.

و قوله:و ليس فناء الدنيا.إلى قوله:اختراعها .

و قوله: و ليس فناء الدنيا .إلى قوله: اختراعها .

رفع لما يعرض لبعض الأذهان من التعجّب بفناء هذا العالم بعد ابتداعه و خلقه بالتنبيه على حال إنشائه و اختراعه:أى ليس صيروره ما خلق إلى العدم بقدرته بعد الوجود بأعجب من صيرورته إلى الوجود بعد العدم عنها.إذ كانت كلّها ممكنه قابله للوجود و العدم لذواتها،بل صيرورتها إلى الوجود المشتمل على أعاجيب الخلقه و أسرار الحكمه الّتى لا يهتدى لها و لا يقدر على شىء منها أعجب و أغرب من عدمها الّذى لا كلفه فيه .

و قوله:و كيف لو اجتمع.إلى قوله:إفنائها.

و قوله:و كيف لو اجتمع.إلى قوله:إفنائها.

تأكيد لنفى كون عدمها بعد وجودها أعجب من إيجادها بالتنبيه على عظم مخلوقاته تعالى و مكوّناته و ما اشتملت عليه من أسرار الحكمه المنسوبه إلى قدرته.

و المعنى و كيف يكون عدمها أعجب و فى إيجاده أضعف حيوان و أصغره ممّا خلق كالبعوضه من العجائب و الغرائب و الإعجاز ما يعجز عن تكوينه و إحداثه قدره كلّ من تنسب إليه القدره،و تقصر عن معرفه الطريق إلى إيجادها ألباب الألبّاء، و يتحيّر فى كيفيّه خلقها حكمه الحكماء،و يقف دون علم ذلك و يتناهى عقول العقلاء،و ترجع خاسئه حسيره مقهوره معترفه بالعجز عن الاطّلاع على كنه صنعه فى إنشائها مقرّه بالضعف عن إفنائها.

فإن قلت:كيف تقرّ العقول بالضعف عن إفناء البعوضه مع إمكان ذلك و سهولته؟.

قلت:إنّ العبد إذا نظر إلى نفسه بالنسبه إلى قدره الصانع الأوّل-جلّت عظمته-وجد نفسه عاجزه عن كلّ شىء إلاّ بإذن إلهىّ،و أنّه ليس له إلاّ الإعداد لحدوث ما ينسب إليه من الآثار.فأمّا نفس وجود الأثر فمن واهب العقل-عزّ سلطانه-فالعبد العاقل لما قلناه يعترف بالضعف عن إيجاد البعوضه و إعدامها،و ما هو أيسر من ذلك عند مقايسه نفسه إلى موجده و واهب كماله كما عرفت ذلك فى

موضعه،و أيضا فإنّ اللّه سبحانه كما خلق للعبد قدره على الفعل و الترك و الإيذاء و الإضرار بغيره كذلك خلق للبعوضه قدره على الامتناع و الهرب من ضرره بالطيران و غيره بل أن تؤذيه و لا يتمكّن من دفعها عن نفسه فكيف يستسهل العاقل إفناها من غير معونه صانعها له عليه .

و قوله:و إنّه سبحانه يعود.إلى قوله:الامور.

و قوله:و إنّه سبحانه يعود.إلى قوله:الامور.

إشاره إلى كونه تعالى باقيا أبدا فيبقى بعد فناء الأشياء وحده لا شيء معه منها كما كان قبل وجوده كذلك بريئا عن لحوق الوقت و المكان و الحيّز و الزمان.

و قوله:يعود بعد.

و قوله:يعود بعد.

إشعار بتغيّر من حاله سبقت إلى حاله لحقت،و هما يعودان إلى ما يعتبره أذهاننا له من حاله تقدّمه على وجودها و حاله تأخّره عنها بعد عدمها،و هما اعتباران ذهنيّان يلحقانه بالقياس إلى مخلوقاته .

و قوله:عدمت عند ذلك.إلى قوله:الساعات.

و قوله:عدمت عند ذلك.إلى قوله:الساعات.

ظاهر لأنّ كلّ ذلك أجزاء للزمان الّذى هو من لواحق الحركه الّتى هى من لواحق الجسم فيلزم من عدم الأجسام عدم عوارضه.

و قوله:فلا شيء.إلى قوله:الامور.

و قوله:فلا شيء.إلى قوله:الامور.

أي لا شيء يبقى بعد فناء العالم إلاّ هو،و ذكر الواحد لبقائه كذلك،و القهّار باعتبار كونه قاهرا لها بالعدم و الفناء،و كونه إليه مصير جميع الامور فمعنى مصيرها إليه أخذه لها بعد هبته لوجودها .

و قوله:بلا قدره.إلى قوله:فناؤها.

و قوله:بلا قدره.إلى قوله:فناؤها.

إشاره إلى أنّه لا قدره لشيء منها على إيجاده نفسه،و لا على الامتناع من لحوق الفناء له.

و قوله:و لو قدرت.إلی قوله:بقائها.

و قوله:و لو قدرت.إلی قوله:بقائها.

استدلال بقیاس شرطیّ متّصل علی عدم قدره شیء منها علی الامتناع من

ص:۱۷۹

الفناء،و إنّما خصّ الحكم بالاستدلال دون الأوّل لكون الأوّل ضروريّا.و بيان الملازمه أنّ الفناء مهروب منه لكلّ موجود فإمكان الامتناع منه مستلزم للداعى إلى الامتناع المستلزم للامتناع منه المستلزم للبقاء،و أمّا بطلان التالى فلمّا ثبت أنّه تعالى يفنيها فلزم أن لا يكون لها قدره على الامتناع .

و قوله:لم يتكاءده.إلى قوله:خلفه.

و قوله:لم يتكاءده.إلى قوله:خلفه.

ظاهر لأنّ المشقّه فى الفعل و ثقله إنّما يعرض لذى القدره الضعيفه من الحيوان لنقصانها.و قدرته تعالى بريّه عن أنحاء النقصان لاستلزامه الإمكان و الحاجه إلى الغير .

و قوله:و لم يكوّنها.إلى آخره.

و قوله:و لم يكوّنها.إلى آخره.

إشاره إلى تعديد وجوه الأعراض المتعارفه للفاعلين فى إيجاد ما يوجدونه و إعدامه.و نفى تلك الأعراض عن فعله فى إيجاده ما أوجده و إعدامه ما أعدمه من الأشياء:أمّا الأعراض المتعلّقه بالإيجاد فهو إمّا جلب منفعه كتشديد السلطان و جمع الأموال و القينات و تكثير الجند و العدّه و الازدياد فى الملك بأخذ الحصون و القلاع و مكابره الشريك فى الملك كما يكابر الإنسان غيره ممّن يشاركه فى الأموال و الأولاد أو رفع مضرّه كالتخوّف من العدم و الزوال فخلقها ليتحصّن بها من ذلك أو خوف النقصان فخلقها ليستكمل بها أو خوف الضعف عن مثل تكاثره فخلقها ليستعين بهما عليه أو خوف ضدّ يقاومه فأوجدها ليختزل منه و يدفع مضرّته أو لوحشه كانت له قبل إيجادها فأوجد ليدفع ضرر استيحاشه بالانس بها،و كذلك الأغراض المتعلّقه بعدمها:إمّا إلى دفع المضرّه كرفع السأم اللاحق له من تصريفها و تدبيرها و الثقل فى شىء منها عليه و الملال من طول بقائها فيدعوه ذلك إلى إفنائها،أو جلب المنفعه كالراحه الواصله إليه.فإنّ جلب المنفعه و دفع المضرّه من لواحق الإمكان الّذى تنزّه قدسه عنه .

و قوله:لكنّه سبحانه.إلى قوله:لقدرته.

و قوله:لكنّه سبحانه.إلى قوله:لقدرته.

فتدبيرها بلطفه إشاره إلى إيجاده لها على وجه الحكمه و النظام الأتمّ

الأكمل الّذى ليس فى الإمكان أن يكون جملتها على أتمّ منه و لا ألطف،و إمساكه لها بأمره قيامها فى الوجود بحكم سلطانه،و إتقانها بقدرته إحكامها على وفق منفعتها و إن كان عن قدرته فعلى وفق علمه بوجوه الحكمه.كلّ ذلك بمحض الجود من غير غرض من الأغراض المذكوره تعود إليه .

و قوله:ثمّ يعيدها بعد الفناء.

و قوله:ثمّ يعيدها بعد الفناء.

تصريح بإعاده الأشياء بعد فنائها.و فناؤها إمّا عدمها كما هو مذهب من جوّز إعاده المعدوم،أو تشذّبها و تفرّقها و خروجها عن حدّ الانتفاع بها كما هو مذهب أبى الحسين البصرىّ من المعتزله .

و قوله:من غير حاجه.إلى آخره.

و قوله:من غير حاجه.إلى آخره.

ذكر وجوه الأغراض الصالحه فى الإعاده،و الإشاره إلى نفيها عنه تعالى، و هو أيضا كالحاجه إليها و الاستعانه ببعضها على بعض،أو لانصراف من حال وحشه إلى حال استيناس،أو انصراف من حال جهل و عمى فيه إلى حال علم و بصيره، و كذلك من فقر و حاجه إلى غنى و كثره و من ذلّ وضعه إلى عزّ و قدره.و قد عرفت أنّ كلّ هذه الأغراض من باب دفع المضرّه المنزّه قدسه تعالى عنها،و قد بيّنا فيما سلف البرهان الإجمالىّ على تنزيهه تعالى فى أفعاله من الأغراض بل إيجاده لما يوجد لمحض الجود الإلهىّ الّذى لا بخل فيه و لا منع من جهته.فهو الجواد المطلق و الملك المطلق الّذى يفيد ما ينبغى لا لغرض و يوجد ما يوجد لا لفائده تعود إليه و لا غرض.و هو مذهب جمهور أهل السنّه و الفلاسفه،و الخلاف فيه مع المعتزله.

فإن قلت:ظاهر كلامه عليه السّلام مشعر بأنّ الدنيا كما تفنى تعاد،و الّذى وردت به الشريعه،و فيه الخلاف بين جمهور المتكلّمين و الحكماء هو إعاده الأبدان البشريّه.

قلت:الضمير فى قوله:تعيدها.سواء كان راجعا إلى الدنيا أو إلى الامور فى قوله:مصير جميع الامور.فإنّه مهمل كما يرجع إلى الكلّ جاز أن يرجع إلى البعض و هى الأبدان البشريّه.قال بعضهم:إنّ للسالكين فى هذا الكلام تأويلا

عقليّا و إن جزموا بكون مراده عليه السّلام هو ما ذكرناه من الظاهر فإنّهم قالوا يحتمل أن يشار بقوله: و إنّه يعود سبحانه .إلى قوله: الامور .إلى حال العارف إذا حقّ له الوصول التامّ حتّى غاب عن نفسه فلحظ جناب الحقّ سبحانه بعد حذف كلّ قيد دنياوىّ أو اخروىّ عن درجه الاعتبار فإنّه صحّ كما يفنى هو عن كلّ شىء كذلك يفنى عنه كلّ شىء حتّى نفسه فلا يبقى بعد فنائها عنه إلّا وجه اللّه ذو الجلال و الإكرام فكما كانت الأشياء عند اعتبار ذواتها غير مستحقّه للوجود و لواحقه كذلك يكون عند حذفها عن درجه الاعتبار و ملاحظه جلال الواحد القهّار ليس إلّا هو.

و قوله:ثمّ يعيدها بعد الفناء.

و قوله:ثمّ يعيدها بعد الفناء.

فدلّ عودها إلى اعتبار أذهان العارفين لها عند عوجهم من الجناب المقدّس إلى الجنبه السافله و اشتغالهم بمصالح أبدانهم.و الكلّ منسوب إلى تصريف قدرته تعالى بحسب استعداد الأذهان لقبولها و حذفها.و قد علمت من بيانها لهذه الخطبه صدق كلام السيّد الرضى-رضى اللّه عنه-فى مدحها حيث قال:و تجمع هذه الخطبه من اصول العلم ما لا تجمعه غيرها.فإنّها بالغه فى علم التوحيد كامله فى علم التنزيه و التقديس لجلال الواحد الحقّ-جلّت عظمته-و باللّه التوفيق و العصمه.

۲۲۹-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

يختص بذكر الملاحم

أَلاَ بِأَبِی وَ أُمِّی هُمْ مِنْ عِدَّهٍ- أَسْمَاؤُهُمْ فِی السَّمَاءِ مَعْرُوفَهٌ وَ فِی الْأَرْضِ مَجْهُولَهٌ- أَلاَ فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ- وَ انْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ وَ اسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ- ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَهُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ- أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ-

ص:۱۸۲

ذَاکَ حَیْثُ یَکونُ الْمُعْطَی أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِی- ذَاکَ حَیْثُ تَسْکَرُونَ مِنْ غَیْرِ شَرَابٍ- بَلْ مِنَ النِّعْمَهِ وَ النَّعِیم- وَ تَحْلِفُونَ مِنْ غَیْرِ اضْطِرَارٍ- وَ تَکْذِبُونَ مِنْ غَیْرِ إِحْرَاجٍ- ذَاکَ إِذَا عَضَّکُمُ الْبَلاَءُ کَمَا یَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِیرِ- مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَ أَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ- أَیُّهَا النَّاسُ أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَّهَ- الَّتِی تَحْمِلُ ظُهُورُهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَیْدِیکُمْ- وَ لاَ تَصَدَّعُوا عَلَی سُلْطَانِکُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِکُمْ- وَ لاَ تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَهِ- وَ أَمِیطُوا عَنْ سَنَنِهَا وَ خَلُّوا قَصْدَ السَّبِیلِ لَهَا- فَقَدْ لَعَمْرِی یَهْلِکُ فِی لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ- وَ یَسْلَمُ فِیهَا غَیْرُ الْمُسْلِمِ انِّمَا مَثَلِی بَیْنَکُمْ کَمَثَلِ السِّرَاجِ فِی الظُّلْمَهِ- یَسْتَضِیءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا- فَاسْمَعُوا أَیُّهَا النَّاسُ- وَ عُوا وَ أَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِکُمْ تَفْهَمُوا

اللغه

أقول: أحرجه : ألجأه و ضیّق علیه ،و تصدّعوا: تفرّقوا .و غبّ کلّ شیء:

عاقبته . وفور النار : تلهّبا و شدّه حرّها .و أمطت عن کذا و مطت : تنحّیت عنه .

و السنن : القصد ،و الاقتحام : الدخول فی الشیء بشدّه .

المعنی

فقوله: بأبی و امّی .تسمّی البأبأه،و الجار و المجرور فی تقدیر خبر المبتدأ و هو قوله:هم.و قد سبقت الإشاره إلی مثله فی قوله مخاطبا للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عند تولیه غسله،و الضمیر إشاره إلی أولیاء اللّه فیما یستقبل من الزمان بالنسبه إلی زمانه علیه السّلام و قالت الشیعه:إنّه أراد الأئمّه من ولده علیهم السّلام.

و قوله:أسماؤهم فی السماء معروفه.

ص:۱۸۳

إشاره إلى علوّ درجتهم فى الملأ الأعلى و إثبات أسمائهم و صفاتهم الفاضله فى ديوان الصدّيقين،و فى الأرض مجهولون بين أهل الدنيا الّذين يرون أنّه ليس وراءها كمال.و من سيماء الصالحين بمجرى العاده القشف و الإعراض عن الدنيا و ذلک يستلزم قلّه مخالطه أهلها و مكاثرتهم و هو مستلزم لجهلهم بهم و عدم معرفتهم لهم .ثمّ شرع فى التنبيه على الأحوال الرديئه المستقبله المضادّه لمصالح العالم الّتى يجمعها سوء التدبّر و تفرّق الكلمه و هى إدبار ما أقبل من امورهم و انقطاع ما اتّصل من وصلهم و أسبابهم.و الوصل:جمع وصله و هى الانتظامات الحاصله لأسبابهم فى المعاش و المعاد بوجود الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تدبيره.ثمّ استعمال صغارهم و أراد لهم فإنّه من جمله أسباب الفساد،و من أسباب صلاح العالم استعمال أهل الشرف و أكابر الناس على الأعمال،و من كلامه عليه السّلام فى ذلک قوله لمالک الأشتر فى عهده إليه يشير إلى العمّال:و توخّ منهم أهل التجربه و الحياء من أهل البيوتات الصالحه و القدم فى الإسلام المتقدّمه فإنّهم أكرم أخلاقا و أصحّ أعراضا و أقلّ فى المطامع إشرافا و أبلغ فى عواقب الامور نظرا.و صغار الناس مظنّه أضداد الامور المذكوره و بسببها يكون خراب العالم و فساد نظامه .ثمّ أشار إلى أوقاتها و علامات وقوعها:

فمنها:حيث يكون ضربه السيف على المؤمن أهون و أقلّ عنده مشقّه من المشقّه الحاصله فى اكتساب درهم حلال.و ذلک لأنّ المكاسب حينئذ يكون قد اختلطت و غلب الحرام الحلال فيها،و أراد بقوله:من الدرهم:أى من كسب الدرهم فحذف المضاف.

و منها:حيث يكون المعطى أعظم أجرا من المعطى،و ذلک لأنّ أكثر من يعطى حينئذ و يتصدّق يكون ماله مشوبا بالحرام فيقلّ أجره،و لأنّ أكثرهم يعطى و يقصد بإعطائه الرئاء و السمعه أو لهوى نفسه أو لخطره من خطرات وسواسه من غير خلوص للّه سبحانه فى ذلک،و أمّا المعطى فقد يكون فقيرا مستحقّا للزكاه ذا عيال لا يلزمه أن يبحث عن أصل ما يعطاه فإذا أخذه

لسدّ خلّته كان فی ذلک أعظم أجرا ممّن یعطیه،أو لأنّ المعطی قد یکون أکثر ما ینفق ماله فی غیر طاعه له فی الوجوه المحظوره فإذا أخذ الفقیر منه علی وجه الصدقه فوّت علی المعطی صرف ماله فی تلک الوجوه فکان للفقیر بذلک المنّه علیه.إذ کان سببا فی منعه عن صرف ماله فیما لا ینبغی فکان أعظم أجرا منه.

استعاره و منها:حیث یسکرون من غیر شراب .فاستعار وصف السکر لهم باعتبار غفلتهم عمّا ینبغی لهم اللازمه عن استغراقهم فی اللذّات الحاضره کما یلزم السکر الغفله عن المصالح،و قرینه الاستعاره قوله:من غیر شراب بل من النعمه فإنّ السکر حقیقه إنّما یکون عن الشراب.

و منها:حیث یحلفون من غیر اضطرار إلی الیمین بل غفله عن عظمه اللّه سبحانه حتّی یتوصّلوا بالیمین به إلی أخسّ المطالب.

و منها:حیث یکذبون من غیر إخراج:أی من غیر أن یلجئهم إلی الکذب ضروره،بل یصیر الکذب ملکه و خلقا.

استعاره و منها: إذا عضّکم البلاء ،و استعار لفظ العضّ لإیلام البلاء الّذی ینزل بقلوبهم و شبّهه بعض-القتب لغارب البعیر،و وجه المشابهه هو شدّه الإیلام و هذا الشبه هو وجه استعاره العضّ للبلاء.

و قوله :ما أطول هذا العناء و أبعد هذا الرجاء.

کلام منقطع عمّا قبله کما هو عاده الرضی-رضی اللّه عنه-فی التقاط الوصول و إلحاق بعضها ببعض.و وجدت هذا الفصل بخطّه فی حاشیه نسخه الأصل.و ظاهره یقتضی أنّه ذکر فیما کان متّصلا بالکلام ما ینال شیعته من البؤس و القنوط و مشقّه انتظار الفرج.و أنّ قوله:ما أطول.إلی قوله:الرجاء.کلام شیعته.فعلی هذا یکون المعنی أنّهم یصابون بالبلاء حتّی یقولوا:ما أطول التعب الّذی نحن فیه و ما أبعد رجاءنا للخلاص منه بقیام القایم المنتظر.و یحتمل أن یکون الکلام متّصلا،و یکون قوله:ما أطول هذا العناء.کلاما مستأنفا فی معنی التوبیخ لهم علی إعراضهم عنه و إقبالهم علی الدنیا و إتعابهم أنفسهم فی طلبها.و التنفیر لهم عنها

بـذكر طول العناء فى طلبهم و بعد الرجاء لما يرجى منها:أى ما أطول هذا العناء اللاحق لكم فى طلب الدنيا و ما أبعد هذا الرجاء الّذى يرجونه منهـا،و ظاهر أنّ متـاعب الـدنيا لطالبهـا أطول المتـاعب و مطالبها لراحتها أبعـد المطالب كما قال عليه السّـلام من قبـل:من ساعاها فاتته و كما قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:من جعل الـدنيا أكبرهمّ فرّق اللّه عليه همّه و جعل فقره بين عينيه و لم يأته منها إلاّ ما كتب له.و هذا الكلام يقتضـى أنّ المتجرّد لطلب الدنيا لا يزال ملاحظا لفقره مستحضرا له فهو حامل له على التعب فى تحصيلها و الكدح لها،و يحتمل أن يريد بالعناء المشار إليه عناؤه فى جذبهم إلى اللّه و دعوته لهم إلى الآخره فى أكثر أوقاته فإنّهم لا يرجعون إلى دعوته و لا يتّفقون على كلمته،و ظاهر أنّه عناء طويل و تعب عظيم.و بالرجاء المشار إليه رجاؤه لصلاحهم و استبعده ثمّ أيّد بهم. استعاره مرشحه و استعار لفظ الأزمّه للآراء الفاسده المتّبعه و الأهواء القائده لهم إلى المئاثم.و وجه المشابهه كونها قائـده لهم كما تقود الأزمّه الجمال،و لفظ الإلقاء للأعراض عن تلك الآراء الباطله و ترك العمل لها.و لفظ الظهور لأنفسهم،و لفظ الأثقال للمعقول من أثقال الـذنوب،و وجه المشابهه الاولى كونها حامله لأثقال الخطايا و الأوزار كما يحمل الظهور الأثقال المحسوسه كما قال تعالى «وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ» (۱)و قوله «وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ» (۲)و وجه الاستعاره الثانيه أنّ الملكات الرديئه الحاصله من اقتراف المئاثم تثقّل النفوس عن النهوض إلى حظاير القدس و منازل الأبرار كما تثقّل الأثقال المحسوسه الظهور الحامله لها.و لمّا استعار لفظ الإلقاء و الأزمّه اللـذين من شأنهما أن يكونا باليد و فى اليد رشّح بذكر الأيدى فقال:من أيديكم.و الحاصل أنّه أمرهم بترك الآراء الفاسده و نهاهم عن متابعتها، و نبّه على وجوب تركها بأنّهم إذا ألزموها و عملوا على وفقها قادتهم إلى حمل أثقال الخطايا .ثمّ أردف ذلك بالنهى عن التفرّق عنه بعد تقديم النهى عن اتّباع الآراء الفاسده المستلزمه للهلاك تنبيها على أنّ آراءهم فى التصدّع عنه من تلك

۱- ۱) ۳۱-۶.

۲- ۲) ۱۲-۳۰.

الآراء غير المحموده.

و قوله:فتذمّوا غبّ فعالكم.

تنفير عن التفرّق عنه بذكر ما يلزمه من العاقبه المذمومه،و هى غلبه العدوّ عليهم و استيلاءه على أحوالهم و تعوّضهم عن عزّتهم ذلاّ،و رخائهم و نعمتهم بؤسا و نقمه.و الفاء هى الّتى فى جواب النهى:أى إن تصدّعتم عن سلطانكم ذممتم غبّ فعالكم .ثمّ أردف النهى عن التفرّق عنه بالنهى عن اقتحام ما استقبلوا من الفتنه المنتظره تشبيها على أنّ التفرّق عنه سبب للدخول فى نار الفتنه،و تنفيرا عن مخالفته بكونها اقتحاما لنار الفتنه و تسرّعا إلى دخولها، استعاره مرشحه و لفظ النار مستعار لأحوال الفتنه من الحروب و القتل و الظلم،و وجه المشابهه كونها مستلزمه للأذى كالنار.و وصف الاقتحام لمخالفته و التفرّق عنه،و وجه الاستعاره إسراع تفرّقهم عنه إلى الوقوع فى الفتنه كإسراع المقتحم.و رشّح باستعاره النار بالفور مبالغه فى التنفير.ثمّ أمرهم بالنهى عن قصدها و طريقها و تخليه قصد السبيل لها:

أى خلوّها لقصد سبيلها و لا تتعرّضوا لها و تقتحموها فكونوا حطبا لنارها.ثمّ أقسم ليهلكك فى لهبها المؤمن و يسلم فيها غير المسلم.و ذلك ظاهر الصدق،و هو من كراماته عليه السّلام و إخباره عمّا سيكون فإنّ الدائره فى دوله بنى اميّه كانت على من لزم دينه و اشتغل بعباده ربّه دون من وافقهم على أباطيلهم و أجاب دعوتهم و تقرّب إلى قلوبهم بالكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ظلم العباد كما تقف عليه من أخبارهم فى قتل كثير من أولياء اللّه و ذريّه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و صحابته-رضى اللّه عنهم- و تقريبهم للمنافقين و توليتهم الأعمال.و اعلم أنّه ليس مراده أنّه يهلك فيها كلّ مؤمن و لا يسلم فيها إلاّ غير مسلم،بل القضيّتان مهملتان.و الغرض منهما أنّ أكثر من يهلك فيها المؤمنون و أكثر من سلم فيها المنافقون و من ليس له قوّه فى الإسلام.و لفظ اللهب ترشيح لاستعاره لفظ النار . تشبيه ثمّ مثّل نفسه بينهم بالسراج فى الظلمه .و أشار إلى وجه مشابهته للسراج بقوله:فيستضىء به من ولجها.و تقديره أنّ الطالبين للهدايه منه عليه السّلام و المتّبعين له يستضيئون بنور علومه و هدايته

ص:۱۸۷

إلى الطريق الأرشد كما يهتدى السالكون فى الظلمه بالسراج.و هذا التمثيل يستلزم تشبيه أحوالهم بالظلمه و نسبتهم بالمغمورين فيها لولا وجوده عليه السّلام فيهم.

و قد علمت فى المقدّمات حقيقه التمثيل . استعاره ثمّ لمّا قدّم فضيلته فى التمثيل المذكور أردفه بأمرهم بسماع قوله،و أن يحضروا قلوبهم لفهم ما بلغت إليهم من الحكمه و الموعظه الحسنه كما هو المعلوم من حال الخطيب.و استعار لفظ الآذان هنا للقلوب.

و وجه الاستعاره أنّ الاذن لمّا كانت مدركا للأقوال أشبهتها أفهام القلوب المدركه لأقواله،و طلب إحضارها إذ كان هو المنتفع به دون إحضار الآذان المحسوسه.

و ظاهر أنّ إحضار العقول و توجّهها إلى الفكر فى المسموع مستلزم لحصول الفهم .

و باللّه التوفيق.

۲۳۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أُوصِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْوَى اللَّهِ- وَ كَثْرَهِ حَمْدِهِ عَلَى آلاَئِهِ إِلَيْكُمْ- وَ نَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ وَ بَلاَئِهِ لَدَيْكُمْ- فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَهٍ وَ تَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَهٍ- أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ وَ تَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ- وَ أُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَ إِقْلاَلِ الْغَفْلَهِ عَنْهُ- وَ كَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ- وَ طَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ- فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ- حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبينَ- وَ أُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ- فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً- وَ كَأَنَّ الْآخِرَهَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً- أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ- وَ أَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ- وَ اشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا- وَ أَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا- لاَ عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالاً- وَ لاَ فِى حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً- أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ-

وَ ثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ- الَّتِی أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا- وَ الَّتِی رَغِبْتُمْ فِيهَا وَ دُعِيتُمْ إِلَيْهَا- وَ اسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ- وَ الْمُجَانَبَهِ لِمَعْصِيَتِهِ- فَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ- مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِی الْيَوْمِ- وَ أَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِی الشَّهْرِ- وَ أَسْرَعَ الشُّهُورَ فِی السَّنَهِ- وَ أَسْرَعَ السِّنِينَ فِی الْعُمُرِ

اللغه

أقول: أعورتم : أبديتم عوراتكم .و العوره: السوءه و كلّ ما يستحيى منه .

و الفصل يشتمل على الوصيّه بامور:

أوّلها:تقوى اللّه تعالى

فإنّها العمده الكبرى فيما يوصى به،ثمّ بكثره حمده تعالى على آلائه إليهم و نعمائه عليهم و بلائه لديهم.و قد علمت معنى بلائه و أنّه يكون بالخير و الشرّ كما قال تعالى «وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَهً » (۱)و أردف ذلك بتقرير تخصيصهم بنعمته تعالى عليهم و تذكيرهم برحمته.و الرحمه كما يراد بها صفه اللّه تعالى كذلك يراد بها آثاره الحسنه الخيريّه كما هو مراده هنا فی حقّ عباده.و أتى بلفظ كم للتكثير.ثمّ أردفه بذكر ضروب الرحمه و النعمه فمنها ستره عليهم حيث مجاهرتهم له بالمعصيه الّتی ينبغی أن يستحيوا منها و موافقتهم لها بمرأى منه و مسمع.و منها إمهالهم أن يبادرهم بالنقمه و يعاجلهم بالعقوبه حيث تعرّضوا لأخذه بارتكاب مناهيه و مخالفه أوامره .

الثانی:ممّا أوصاهم به ذكر الموت و إقلال الغفله عنه.

و ذلك لما يستلزم ذكره من الانزجار عن المعاصی،و ذكر المعاد إلى اللّه سبحانه و وعده و وعيده،و الرغبه عن الدنيا و تنقيص لذّاتها كما قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أكثروا من ذكر هادم اللذّات.و إنّما استلزم ذكره ذلك لكونه ممّا يساعد العقل فيه الوهم على

۱- ۱) ۲۱-۳۶.

ضروره وقوعه مع مساعدته على ما فيه من المشقّه الشاقّه.ثمّ استفهمهم عن غفلتهم عنه و طمعهم فيه مع كونه لا يغفلهم و لا يمهلهم استفهام توبيخ على ذلك.و لأجل ما فيه من شدّه الاعتبار قال :فكفى واعظا بموتى عاينتموهم.إلى قوله:فصرعتهم.و فى هذا القول زياده موعظه على ذكر الموت و هى شرح أحوال من عاينوه من الموتى.

و ذكر منها أحوالا:

أحدها:كيفيّه حملهم إلى قبورهم غير راكبين مع كونهم فى صوره ركوب منفور عنه.

تشبيه الثانيه:إنزالهم إلى القبور على غير عاده النزول المتعارف المقصود فكأنّهم فى تلك الحال مع طول مددهم فى الدنيا و عمارتهم لها و ركونهم إليها لم يكونوا لها عمّارا و كان الآخره لم تزل دارا .و وجه التشبيه الأوّل انقطاعهم عنها بالكلّيّه و عدم خيرهم فيها فأشبهوا لذلك من لم يكن فيها.و وجه الثانى كون الآخره هى مستقرّهم الدائم الثابت الّذى لا معدل عنه فأشبهت فى ذلك المنزل الّذى لم يزل له دارا.

الثالثه :ايحاشهم ما كانوا يوطنون من منازل الدنيا و مسالكها.

الرابعه:ايطانهم ما كانوا يوحشون من القبور الّتى هى أوّل منازل الآخره.

الخامسه:اشتغالهم بما فارقوا.و ذلك أنّ النفوس الراكنه إلى الدنيا العاشقه لها المقبله على الاشتغال بلذّاتها يتمكّن فى جواهرها ذلك العشق لها و تصير محبّتها ملكه و خلقا فيحصل لها بعد المفارقه لما أحبّته من العذاب به و الشقا الأشقى بالنزوع إليه و عدم التمكّن من الحصول عليه أعظم شغل و أقوى شاغل و أصعب بلاء هايل بل «تَذْهَلُ» فيه «كُلُّ مُرْضِعَهٍ عَمّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ» فيه «كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى وَ لكِنَّ عَذابَ اللّهِ شَدِيدٌ» .

السادسه:إضاعتهم ما إليه انتقلوا و هى دار الآخره.و معنى إضاعتهم لها تركهم الأسباب الموصله إلى ثوابها و المبعّده من عقابها.

السابعه:كونهم لا يستطيعون الانتقال عمّا حصلوا عليه من الأفعال القبيحه

ص:۱۹۰

الّتی ألزمتهم العذاب و أکسبت نفوسهم ملکات السوء.و ذلک ظاهر.إذا لانتقال عن ذلک لا یمکن إلّا فی دار العمل و هی الدنیا.

الثامنه:و کذلک لا من حسن یستطیعون ازدیادا:أی من الأعمال الحسنه الموجبه للملکات الخیریّه و الثواب الدائم کما قال تعالی حکایه عنهم «قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ کَلاّ إِنَّها» (۱)الآیه.

التاسعه:أنّهم أنسوا بالدنیا حتّی غرّتهم.

العاشره:کونهم وثقوا بها حتّی صرعتهم.و السبب فی الاغترار بها و غرورها هم حصول لذّاتها المحسوسه مع قربهم من المحسوس و هو مستلزم للانس بها المستلزم للغرور بها و الغفله عمّا وراها و هو مستلزم للوثوق و هو مستلزم لصرعتهم فی مهاوی الهلاک حیث لا یقال عثره و لا ینفع ندامه.

و أعلم أنّ ذکر الموت و إن کان یستلزم الاتّعاظ و الانزجار إلّا أنّ شرح الأحوال الّتی تعرض للإنسان فی موته أبلغ فی ذلک لما أنّ کلّ حال فیها منفور عنها طبعا و إن کانت إنّما تحصل النفره عنها لکونها حاله تعرض للمیّت و المقرون بالمولم و المکروه مکروه و مولم و منفور عنه طبعا .

الثالث:ممّا أمرهم به علی طریق الوصیّه أن یسابقوا إلی منازلهم الّتی امروا

أن یعمّروها و الّتی رغّبوا فیها و دعوا إلیها

و هی منازل الجنّه و مراتب الأبرار فیها.و عمارتها بالأعمال الصالحه الموافقه لمقتضی النوامیس الإلهیّه و تحصیل الکمالات النفسانیّه عنها.و المعنی لیسابق بعضکم بعضا إلی منازلکم و مراتب درجاتکم من الجنّه و عمارتها بتحصیل الکمالات النفسانیّه و موافقه الشرع الإلهیّه.

و إلیه الإشاره بقوله تعالی «وَ سارِعُوا إِلی مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ» (۲)و الترغیب فیها لقوله تعالی «وَ لَلدّارُ الْآخِرَهُ خَیْرٌ لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ» (۳)و نحوه.

الرابعه:ممّا أمرهم به الصبر علی طاعه اللّه و علی مجانبه المعصیه.

و رغّب

۱- ۱) ۱۰۱-۲۳.

۲- ۲) ۱۲۸-۳.

۳- ۳) ۳۲-۶.

بکونه سببا یستتمّ به نعمه اللّه علیهم.و لمّا کان استلزامه لها کالثمره له و کانت ثمره الصبر حلاوه قدّمها لیحلو الصبر بذکرها.

و قوله:فإن غدا من الیوم قریب.

و قوله:فإن غدا من الیوم قریب.

تخویف من الساعه و قربها.و لم یرد بغد و لا الیوم حقیقتهما بل أراد بغد القیامه و بالیوم مدّه الحیاه کقوله فیما سبق:ألا و إنّ الیوم المضمار و غدا السباق.

و هو یجری مجری المثل کقولهم:غد ما غدا،قرب الیوم من غد .

و قوله:ما أسرع الساعات فی الیوم.إلی آخره.

کنایه و قوله: ما أسرع الساعات فی الیوم.إلی آخره .

بیان لقرب الغد الّذی کنّی به عن القیامه من الیوم فإنّ الساعات سریعه الإتیان و الانقضاء.و سرعتهما مستلزم لسرعه مجیء الیوم و انقضائه.و سرعتهما مستلزم لسرعه مجیء الشهر و انقضائه المستلزمین لسرعه مجیء السنه و انقضائها المستلزمین لسرعه انقضاء عمر العاملین فیه لکنّ انقضاؤه بالقیامه.فإذن الساعات مستلزمه لسرعه انقضاء العمر و قرب غده من یومه.و أتی فی الکلّ بلفظ التعجّب تأکیدا لبیان تلک السرعه .و هو کلام شریف بالغ فی الفصاحه و الموعظه.و باللّه التوفیق.

۲۳۱-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

فَمِنَ الْإِیمَانِ مَا یَکُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِی الْقُلُوبِ- وَ مِنْهُ مَا یَکُونُ عَوَارِیَّ بَیْنَ الْقُلُوبِ وَ الصُّدُورِ- إِلَی أَجَلٍ مَعْلُومٍ- فَإِذَا کَانَتْ لَکُمْ بَرَاءَهٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ- حَتَّی یَحْضُرَهُ الْمَوْتُ- فَعِنْدَ ذَلِکَ یَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَهِ- وَ الْهِجْرَهُ قَائِمَهٌ عَلَی حَدِّهَا الْأَوَّلِ- مَا کَانَ لِلَّهِ فِی أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَهٌ- مِنْ مُسْتَسِرِّ الْإِمَّهِ وَ مُعْلِنِهَا- لَا یَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَهِ عَلَی أَحَدٍ- إِلَّا بِمَعْرِفَهِ الْحُجَّهِ فِی الْأَرْضِ- فَمَنْ

عَرَفَهَا وَ أَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ- وَ لاَ يَقَعُ اسْمُ الاِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّهُ- فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَ وَعَاهَا قَلْبُهُ إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لاَ يَحْمِلُهُ إِلاَّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ- امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ- وَ لاَ يَعِي حَدِيثَنَا إِلاَّ صُدُورٌ أَمِينَهٌ وَ أَحْلاَمٌ رَزِينَهٌ أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي- فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ- قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَهٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا- وَ تَذْهَبُ بِأَحْلاَمِ قَوْمِهَا

اللغه

أقول: العوارىّ بالتشديد : جمع عاريه قيل:كأنّها منسوبه إلى العار.

إذ فى طلبها عار .و البراءه : التبرّى .و شغرت البلده: إذا خلت عن مدبّرها .

و فى الفصل مسائل :

الاولى:

استعاره مرشحه بالكنايه قوله: فمن الإيمان.إلى قوله:أجل معلوم .قسمه للإيمان إلى قسمين،و وجه الحصر فيهما أنّ الإيمان لمّا كان عباره عن التصديق بوجود الصانع سبحانه و ماله من صفات الكمال و نعوت الجلال،و الاعتراف بصدق الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما جاء به.فتلك الاعتقادات إن بلغت حدّ الملكات فى النفوس فهى الإيمان الثابت المستقرّ فى القلب،و إن لم يبلغ حدّ الملكه بل كانت بعد حالات فى معرض التغيّر و الانتقال فهى العوارىّ المتزلزله.و استعار لها لفظ العوارىّ باعتبار كونها فى معرض الزوال كما أنّ العوارىّ فى معرض الاسترجاع و الردّ.و كنّى بكونها بين القلوب و الصدور عن كونها غير مستقرّه فى القلوب و لا متمكّنه من جواهر النفوس،و قال بعض الشارحين:أراد أنّ من الإيمان ما يكون على سبيل الإخلاص و منه ما يكون على سبيل النفاق.

و قوله:إلى أجل معلوم.

ص:۱۹۳

ترشیح لاستعاره العواریّ.إذ کانت من شأنها أن تستعار إلی وقت معلوم ثمّ ترد فکذلک ما کان بمعرض الزوال و التغیّر من الإیمان .و هذه القسمه إلی هذین القسمین هی الموجوده فی نسخه الرضی بخطّه و فی نسخ کثیر من الشارحین و نسخ کثیره معتبره،و نقل الشارح عبد الحمید بن أبی الحدید-رحمه اللّه-فی النسخه الّتی شرح الکتاب علیها ثلاثه أقسام هکذا:فمن الإیمان ما یکون ثابتا مستقرّا فی القلوب،و منه ما یکون عواریّ فی القلوب،و منه ما یکون عواریّ بین القلوب و الصدور إلی أجل معلوم.ثمّ قال فی بیانها ما هذه خلاصته:إنّ الإیمان إمّا أن یکون ثابتا مستقرّا فی القلوب بالبرهان و هو الإیمان الحقیقیّ، أو لیس بثابت بالبرهان بل بالدلیل الجدلیّ کإیمان کثیر ممّن لم تحقّق العلوم العقلیّه و یعتقد ما یعتقده من أقیسه جدلیّه لا تبلغ درجه البرهان و قد سمّاه علیه السّلام عواریّ فی القلوب:أی أنّه و إن کان فی القلب الّذی هو محلّ الإیمان الحقیقیّ إلاّ أنّ حکمه حکم العاریه فی البیب فإنّها بعرضه الخروج منه،و إمّا أن لا یکون مستندا إلی برهان و لا إلی قیاس جدلیّ بل علی سبیل التقلید و حسن الظنّ بالأسلاف أو بإمام یحسن الظنّ به و قد جعله علیه السّلام عواریّ بین القلوب و الصدور لأنّه دون الثانی فلم یجعله حالاّ فی القلب لکونه أضعف ممّا قبله و أقرب إلی الزوال.ثمّ ردّ قوله:إلی أجل معلوم.إلی القسمین الأخیرین لأنّ من ثبت إیمانه بالقیاس الجدلیّ قد یبلغ إلی درجه البرهان إذا أنعم النظر و رتّب المقدّمات الیقینیّه ترتیبا منتجا،و قد یضعف مقدّماته فی نظره فینحطّ إلی درجه المقلّد فیکون إیمان کلّ منهما إلی أجل معلوم لکونه فی معرض الزوال.و أقول:إن صحّت هذه الروایه فالمعنی یعود إلی ما قلناه من القسمه فإنّ العلم بما یستلزمه البرهان أو غیره من الإیمان إن بلغ إلی حدّ الملکه فهو الثابت المستقرّ،و إلاّ فهو العاریه و الّذی أراه أنّ القسم الثانی تکرار وقع من قلم الناسخ سهوا.و اللّه أعلم.

الثانیه:قوله:فإذا کانت لکم براءه.إلی قوله:حدّ البراءه.

معناه

أنّكم إذا أردتم التبرىّ من أحد من أهل الكباير فقفوه:أى اجعلوه موقوفا إلى حال الموت و لا تسارعوا إلى البراءه منه قبل الموت فإنّ أشدّ الكبائر و أعظمها الكفر و جايز من الكافر أن يسلم فإذا بلغ منتهى الحياه و حدّها و لم يقلع عن كبيرته فذلك الحدّ هو حدّ البراءه الّذى يجوز أن يوقعوها معه.إذ ليس بعد الموت حاله ترجى و تنتظر.قال بعض الشارحين:و البراءه الّتى أشار عليه السّلام إليها هى البراءه المطلقه لا كلّ براءه،إذ يجوز لنا أن نبرء من الفاسق و صاحب الكبيره فى حياته براءه مشروطه:أى ما دام مصرّا على كبيرته .

الثالثه:قوله:و الهجره قائمه على حدّها الأوّل

.لمّا كانت حقيقه الهجره ترك منزل إلى منزل آخر لم تكن تخصيصها عرفا بهجره الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من تبعه و هاجر إليه من مكّه إلى المدينه مخرجا لها عن حقيقتها و حدّها اللغوىّ.إذ كان أيضا كلّ من ترك منزله إلى منزل آخر مهاجرا إذا عرفت ذلك فنقول:إنّ مراده عليه السّلام من بقاء الهجره على حدّها بقاء صدقها على من هاجر إليه و إلى الأئمّه من أهل بيته فى طلب دين اللّه و تعرّف كيفيّه السلوك لصراطه المستقيم كصدقها على من هاجر إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.و فى معناها ترك الباطل إلى الحقّ و بيان هذا الحكم بالمنقول و المعقول:أمّا المنقول فمن وجهين:

أحدهما:قوله تعالى «وَ مَنْ يُهاجِرْ فِی سَبِیلِ اللّهِ یَجِدْ فِی الْأَرْضِ مُراغَماً کَثِیراً وَ سَعَهً» فقد سمّى من فارق وطنه و عشيرته فى طلب دين اللّه و طاعته مهاجرا.

و قد علمت فى اصول الفقه أنّ من للعموم فوجب أن يكون كلّ من سافر لطلب دين اللّه من معادنه مهاجرا.

الثانى:قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:المهاجر من هاجر ما حرّم اللّه عليه.و ظاهر أنّ من هاجر معصيه الأئمّه إلى طاعتهم و الاقتداء بهم فقد هاجر ما حرّم اللّه عليه فكان اسم الهجره صادقا عليه.

و أمّا المعقول فلأنّ المفارق لوطنه إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مهاجر فوجب أن يكون المفارق لوطنه إلى من يقوم مقامه من ذريّته الطاهرين مهاجرا

لصدق حدّ الهجره فی الموضعین،و لأنّ المقصود من الهجره لیس إلاّ اقتباس الدین و تعرّف کیفیّه سبیل اللّه.و هذا المقصود حاصل ممّن یقوم مقام الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من الأئمّه الطاهرین علیهم السّلام بحیث لا فرق إلاّ النبوّه و الإمامه.و لا مدخل لأحد هذین الوصفین فی تخصیص مسمّی الهجره بمن قصد الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دون من قصد الأئمّه فوجب عموم صدقه علی من قصدهم.

فإن قلت:هذا معارض بقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:لا هجره بعد الفتح حتّی شفّع عمّه العبّاس فی نعیم بن مسعود الأشجعی أن یستثناه فاستثناه.

قلت.یحمل ذلک علی أنّه لا هجره من مکّه بعد فتحها إلی المدینه توفیقا بین الدلیلین.و سلب الخاصّ لا یستلزم سلب العامّ.فاعلم أنّ فائده هذا القول الدعوه إلی الدین و اقتباسه منه و من أهل بیته علیهم السّلام بذکر الهجره،و التنبّه بها و ما یستلزمه من الفضیله علی أنّ التارک لأهله و وطنه إلیهم طلبا للدین منهم یلحق بالمهاجرین الأوّلین فی مراتبهم و ثوابهم.

الرابعه:قوله:ما کان فی الأرض.إلی قوله:و معانیها.

قال قطب الدین الراوندی-رحمه اللّه-:ما هاهنا نافیه:أی لم یکن للّه فی أهل الأرض ممّن أسرّ دینه أو أعلنه و أظهره حاجه.و من هنا لبیان الجنس.و أنکر الشارح عبد الحمید بن أبی الحدید کون ما نافیه.و قال:یلزم منه کون الکلام منقطعا بین کلامین متواصلین و جعلها هو بمعنی المدّه:أی و الهجره قائمه علی حدّها ما دام للّه فی أهل الأرض ممّن أسرّ دینه أو اعلنه حاجه:أی ما دامت العباده مطلوبه للّه تعالی من أهل الأرض بالتکلیف و هو کقولک فی الدعاء:اللّهمّ أحینی ما کان الحیاه خیرا لی.

استعاره و یکون لفظ الحاجه مستعارا فی حقّه تعالی باعتبار طلبه للعباده بالأوامر و غیرها کطلب ذی الحاجه لها .و أقول:إنّه غیر بعید أن یکون نافیه مع اتّصال الکلام بما قبله،و وجهه أنّه لمّا رغّب الناس فی طلب الدین و العباده فکأنّه أراد أن یرفع حکم الوهم بما عساه یحکم به عند تکرار طلب اللّه للدین و العباده من حاجته تعالی إلیها من خلقه حیث کرّر طلبه منهم بتواتر الرسل و الأوامر الشرعیّه،و یصیر

معنى الکلام أنّ الهجره باقیه على حدّها الأوّل فی صدقها على المسافرین لطلب الدین فینبغی للناس أن یهاجروا فی طلبه إلى أئمّه الحقّ و لیس ذلک لأنّ للّه تعالى إلى أهل الأرض ممن أسرّ دینه أو أظهره حاجه فإنّه تعالى الغنیّ المطلق الّذی لا حاجه به إلى شیء .

الخامسه:قوله:لا تقع اسم الهجره.إلى قوله:قلبه

.إشاره بالحجّه فی الأرض إلى إمام الوقت لأنّه حجّه اللّه فی أرضه على عباده یوم القیامه و شاهده علیهم.و هذا الکلام تفسیر لمواقع اسم الهجره و بیان لمن تصدق علیه فشرط صدقها على الإنسان بمعرفته لإمام وقته و ذلک لأنّ الإمام هو الحافظ للدین و معدنه الّذی یجب أخذه عنه فیکون قصده لذلک مشروطا بمعرفته فإذن إطلاق اسم الهجره علیه مشروط بمعرفه إمام الوقت فلذلک قال:لا یقع اسم الهجره على أحد إلاّ بعد معرفه الحجّه فی الأرض.

و قوله:فمن عرفها و أقرّ بها فهو مهاجر.

یحتمل أن یرید به أنّ شرط إطلاق اسم المهاجره على الإنسان مشروط بمعرفه إمام الوقت المستلزمه للسفر إلیه کما هو الظاهر من لفظ المهاجره.و یحتمل أن یرید أنّ مجرّد معرفه الإمام و الإقرار بوجوب اتّباعه و الأخذ عنه و إن کان بالإخبار عنه دون المشاهده کاف فی إطلاق اسم الهجره على من عرفه کذلک دون السفر إلیه کما کفى فی إطلاقه على ترک ما حرّم اللّه بمقتضى قول الرسول صلّى اللّه علیه و آله و سلّم:

و المهاجر من ترک ما حرّم اللّه علیه.

و قوله:و لا یصدق[یقع خ]اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّه.

أی أخبار الحجّه فحذف المضاف.و یحتمل أن یرید بالحجّه نفس الأخبار الّتی ینقل عن الإمام و یجب العمل بها قال قطب الدین الراوندی:یمکن أن یشیر بهذا الکلام إلى أحد آیتین:

إحداهما:قوله تعالى «إِنَّ الَّذِینَ تَوَفّاهُمُ الْمَلائِکَهُ ظالِمِی أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِیمَ کُنْتُمْ قالُوا کُنّا مُسْتَضْعَفِینَ فِی الْأَرْضِ قالُوا أَ لَمْ تَکُنْ أَرْضُ اللّهِ واسِعَهً فَتُهاجِرُوا فِیها»

ص:۱۹۷

«فَأُولئِکَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» (۱)فیکون مراده علیه السّلام علی هذا أنّه لا یصدق اسم الاستضعاف علی من عرف الإمام و بلغته أحکامه و وعاها قلبه و إن بقی فی وطنه و لم یتجشّم السفر إلی الإمام کما لا یصدق علی هؤلاء المذکورین فی الآیه.

و الثانیه:قوله تعالی بعد ذلک «إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا یَسْتَطِیعُونَ حِیلَهً وَ لا یَهْتَدُونَ سَبِیلاً فَأُولئِکَ عَسَی اللّهُ أَنْ یَعْفُوَ عَنْهُمْ» (۲)فیکون مراده علی هذا أنّ من عرف الإمام و سمع مقالته و وعاها قلبه لا یصدق علیه الاستضعاف کما صدق علی هؤلاء.إذ کان المفروض علی الموجودین فی عصر الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم المهاجره بالأبدان دون من بعدهم بل یقنع منه بمعرفته و العمل بقوله بدون المهاجره إلیه بالبدن:و أقول:یحتمل أن یرید بقوله ذلک أنّه لا عذر لمن بلغته دعوه الحجّه و سمعها فی تأخّره عن النهوض و المهاجره إلیه مع قدرته علی ذلک و لا یصدق علیه اسم الاستضعاف کما یصدق «الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ» حتّی یکون ذلک عذرا له بل یکون فی تأخّره ملوما مستحقّا للعذاب کالّذین قالوا إنّا کنّا مستضعفین فی الأرض،و یکون مخصوصا بالقادرین علی النهوص کما قلناه دون العاجزین فإنّ اسم الاستضعاف صادق علیهم.و هذا الاحتمال إنّما یکون جایز الإراده من هذا الکلام علی تقدیر أن یکون إطلاق اسم المهاجر علی الإنسان فی الکلام المقدّم مشروطا بمعرفه الإمام بالمشاهده و السفر إلیه.إذ لو جاز علیه أن یطلق علیه المهاجره مع عدم السفر إلی الإمام لما کان ملوما فی تأخّره عنه .

السادسه:قوله:إنّ أمرنا صعب مستصعب.

فأمرهم شأنهم و ما هم علیه من الکمال الخارج عن کمالات من عداهم من الامّه و الأطوار الّتی یختصّ بها عقولهم وراء عقول غیرهم فیکون لهم عن ذلک القدره علی ما لا یقدر علیه غیرهم و الإدراکات الغیبیّه بالنسبه إلی غیرهم و الإخبار عنه کالوقائع الّتی حکی عنها علیه السّلام ثمّ وقعت علی وفق قوله و کالأحکام و القضایا الّتی اختصّ بها و نقلت عنه فإنّ هذا الشأن صعب فی نفسه لا یقدر علیه إلاّ الأنبیاء و أوصیاء الأنبیاء و مستصعب

۱- (۱) ۹۹-۴.

۲- (۲) ۱۰۰-۴.

الفهم على الخلق معجوز عن احتمال ما يلقى منه من الإشارات و الإخبارات عمّا سيكون و القدره على ما يخرج عن وسع مثلهم و لا تحتمله و لا تقبله إلاّ نفس عبد امتحنها اللّه للايمان كقوله تعالى «أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى» (۱)أى أعدّها بالامتحان و الابتلاء بالتكاليف العقليّه و النقليّه لحصول الإيمان الكامل اليقينىّ باللّه و رسوله و كيفيّه سلوك سبيله،و تجلّت بالكمالات العلميّه و الفضايل الخلقيّه حتّى عرفت مبادى كمالاتهم و مقاديرها و كيفيّه صدور مثل هذه الغرايب عنها فلا يستنكر ما يأتون به من قول أو فعل و لا يلقاه بالتكذيب كما كانت جماعه من أصحابه عليه السّلام يفعلون ذلك معه فيما كان يخبر به عن الفتن حتّى فهم ذلك منهم فقال:

يقولون:يكذب.قاتلهم اللّه تعالى فعلى من أكذب؟أ على اللّه و أنا أوّل من آمن به أو على رسوله و أنا أوّل من صدّقه؟كما حكينا ذلك فيما سبق،بل يحتمل كلّ ما يأتون به على وجهه و يستنده إلى مبدئه و يفرح بوصول ما يرد عليها من أسرارهم الإلهيّه.فأولئك و أمثالهم هم أصحاب الصدور الآمنه الّتى تعى ما يلقى إليها من تلك الأسرار و يصونها عن الإذاعه إلى من لا ينتفع بها و ليس بأهل لها فهى مأمونه عليها،و أولو الأحلام الرزينه الّتى لا يستفزّها سماع تلك الغرايب و مشاهدتها منهم فيحملهم ذلك على إذاعتها و استنكارها بل يحملها على الصواب ما وجدت لها محملا فإذا عجزت عن معرفتها ثبتت فيها و آمنت بها على سبيل الإجمال و فوّضت علم كنهها إلى اللّه سبحانه.و أراد قلوب صدور أمينه أو أصحاب صدور أمينه و أصحاب أحلام رزينه فحذف المضاف. مجاز إطلاقا لاسم المتعلّق على المتعلّق و يحتمل أن يكون قد أطلق اسم الصدور و الأحلام مجازا عن أهلها إطلاقا لاسم المتعلّق على المتعلّق و نقل عنه عليه السّلام مثل هذا الكلام فى غير هذا الموضع من جمله خطبه له:أنّ قريشا طلبت السعاده فشقيت.و طلبت النجاه فهلكت.و طلبت الهدى فضلّت ألم يسمعوا و يحهم قوله تعالى «الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» (۲)فأين العدل و النزع عن ذرّيّه الرسول الّذين شيّد اللّه بنيانهم فوق البنيان و أعلى رؤوسهم و اختارهم عليهم؟.ألا إنّ

ص:۱۹۹

۱- ۱) ۳-۴۹.

۲- ۲) ۲۱-۵۲.

الذّريّه أفنان أنا شجرتها و دوحه أنا ساقها.و إنّى من أحمد بمنزله الضوء من الضوء كنّا أظلالا تحت العرش قبل خلق البشر و قبل خلق الطينه الّتى كان منها البشر أشباحا عاليه لا أجساما ناميه.إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يعرف كنهه إلّا ملك مقرّب أو نبىّ مرسل أو عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان فإذا انكشف لكم سرّا و وضح لكم أمر فاقبلوه و إلّا فامسكوا تسلموا و ردّوا علمها إلى اللّه فإنّكم فى أوسع ما بين السماء و الأرض.و فى قوله: و إنّى من أحمد بمنزله الضوء من الضوء ،و قوله: كنّا أظلالا .إلى قوله: ناميه إشاره لطيفه:أمّا الأوّل:فأشار إلى أنّ الكمالات الّتى حصلت لنفسه القدسيّه بواسطه كمالات نفس النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أشبه الأشياء بصدور الضوء عن الضوء كشعله مصباح اقتبست من شعله مصباح أكبر و أعلى.و من العاده فى عرف المجرّدين و أولياء اللّه و كتابه تمثيل النفوس الشريفه و العلوم بالأنوار و الأضواء لمكان المشابهه بينهما فى حصول الهدايه عنها مع لطفها و صفائها،و أمّا الثانى فيحمل أن يكون قد أشار بكونهم أظلّه تحت العرش قبل خلق البشر أشباحا بلا أجسام إلى وجودهم فى العلم الكلّىّ فإنّه قد يعبّر عنه فى بعض المواضع بالعرش.

استعاره و استعار لفظ الأضلال لهم باعتبار كونهم مرجعا للخلق و ملجأ كالأظلال ،و قد سبقت الإشاره إلى ذلك أو ما قرب منها ببيان أوضح فى الخطبه الاولى .

السابعه:أيّه بالناس.

و قال: سلونى قبل أن تفقدونى .إلى قوله: الأرض .

و أجمع الناس على أنّه لم يقل أحد من الصحابه و أهل العلم:سلونى.غير علىّ عليه السّلام ذكر ذلك ابن عبد البرّ فى كتاب الاستيعاب.و أراد بطرق السماء وجوه الهدايه إلى معرفه منازل سكّان السماوات من الملأ الأعلى و مراتبهم من حضره الربوبيّه و مقامات أنبياء اللّه و خلفائه من حظائر القدس،و انتقاش نفسه القدسيّه عنهم بأحوال الفلك و مدبّراتها و الامور الغيبيّه ممّا يتعلّق بالفتن و الوقايع المستقبله إذ كان له عليه السّلام الاتّصال التامّ بتلك المبادىء.فبالحرىّ أن يكون علمه بما هناك أتمّ و أكمل من علمه بطرق الأرض إلى منازلها.و قد سبق مثله لقوله:سلونى قبل أن تفقدونى فو اللّه لا تسألونى عن فئه تضلّ مائه و تهدى مائه إلّا أنبأتكم بسائقها و

قائدها.و قد حمله قوم على وجه آخر و قالوا:أراد بطرق السماء الأحكام الشرعيّه و الفتاوى الفقهيّه:أى أنا أعلم بها من الامور الدنيويّه فعبّر عن تلك بطرق السماء لكونها أحكاما إلهيّه،و عبّر عن هذه بطرق الأرض لأنّها من الأرضيّه.و نحوه ما نقل عن الإمام الوبرىّ:أنّه قال:أراد أنّ علمه بالدين أوفر من علمه بالدنيا.

و قوله:قبل أن تشغر برجلها فتنه.إلى آخره.

أراد فتنه بنى اميّه و أحكامهم العادله عن العدل و ما يلحق الناس فى دولتهم من البلاء. كنايه و كنّى بشغر رجلها عن خلوّ تلك الفتنه عن مدبّر يدبّرها و يحفظ الامور و ينتظم الدين حين وقوع الجور .

قوله:تطأ فى خطامها

استعاره و قوله: تطأ فى خطامها .

استعاره لوصف الناقه الّتى ارسل خطامها و خلت عن القايد فى طريقها فهى تخبط فى خطامها و تعثر فيه و تطأ من لقيت من الناس على غير نظام عن حالها،و هذا هو وجه الاستعاره.إذ كانت هذه الفتنه تقع فى الناس على غير قانون شرعىّ.

و لا طريق مرضىّ.و لا قائد ينتظم امور الخلق فيها.

و قوله: و يذهب بأحلام قومها .

قال بعض الشارحين:أى تحيّر أهل زمانها و تذهلهم بشدّتها حتّى لا يثبتون فيها بل تطيش ألبابهم فلا يهتدون إلى طريق التخلّص عنها و وجه السلامه فيها.

و يحتمل أن يريد بذلك أنّها يستخفّ أهل زمانها فيأتون إليها سراعا و يجيئون الناعق بها و الداعى إليها رغبه و رهبه فلا يبالون فى ذلك و لا يفحّصون عن كونها فتنه لغفلتهم عن وجه الحقّ فيها و شدّه وقوعها على الناس.و باللّه التوفيق.

۲۳۲-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإِنْعَامِهِ- وَ أَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ- عَزِيزَ الْجُنْدِ عَظِيمَ الْمَجْدِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وَ قَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَلَى

دِينِهِ- لاَ- يَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ- وَ الْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ- فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ- وَ مَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ- وَ بَادِرُوا الْمَوْتَ وَ غَمَرَاتِهِ وَ امْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ- وَ أَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ فَإِنَّ الْغَايَهَ الْقِيَامَهُ- وَ كَفَى بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ وَ مُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ- وَ قَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَهِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ- وَ شِدَّهِ الْإِبْلَاسِ وَ هَوْلِ الْمُطَّلَعِ- وَ رَوْعَاتِ الْفَزَعِ وَ اخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ- وَ اسْتِكَاكِ الْأَسْمَاعِ وَ ظُلْمَهِ اللَّحْدِ- وَ خِيفَهِ الْوَعْدِ وَ غَمِّ الضَّرِيحِ وَ رَدْمِ الصَّفِيحِ- فَاللَّهَ اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ- فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَهٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ- وَ أَنْتُمْ وَ السَّاعَهُ فِي قَرَنٍ- وَ كَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا وَ أَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا- وَ وَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا وَ كَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا- وَ أَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا وَ انْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا- وَ أَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا- فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى أَوْ شَهْرٍ انْقَضَى- وَ صَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً وَ سَمِينُهَا غَثّاً- فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ وَ أُمُورٍ مُشْتَبِهَهٍ عِظَامٍ- وَ نَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا عَالٍ لَجَبُهَا- سَاطِعٍ لَهَبُهَا مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا- مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا بَعِيدٍ خُمُودُهَا- ذَاكٍ وُقُودُهَا مَخُوفٍ وَعِيدُهَا- عَمٍ قَرَارُهَا مُظْلِمَهٍ أَقْطَارُهَا- حَامِيَهٍ قُدُورُهَا فَظِيعَهٍ أُمُورُهَا- «وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّهِ»

ص:۲۰۲

«زُمَراً» - قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ وَ انْقَطَعَ الْعِتَابُ- وَ زُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ وَ اطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ- وَ رَضُوا الْمَثْوَى وَ الْقَرَارَ- الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَهً- وَ أَعْيُنُهُمْ بَاكِيَهً- وَ كَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً تَخَشُّعاً وَ اسْتِغْفَارًا- وَ كَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا تَوَحُّشاً وَ انْقِطَاعاً- فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّهَ مَآباً وَ الْجَزَاءَ ثَوَاباً- «وَ كانُوا أَحَقَّ بِها وَ أَهْلَها» - فِي مُلْكٍ دَائِمٍ وَ نَعِيمٍ قَائِمٍ- فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ- وَ بِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ- وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ- فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ- وَ مَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ- وَ كَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ- فَلاَ رَجْعَهَ تَنَالُونَ وَ لاَ عَثْرَهَ تُقَالُونَ- اسْتَعْمَلَنَا اللَّهُ وَ إِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَ طَاعَهِ رَسُولِهِ- وَ عَفَا عَنَّا وَ عَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ- الْزَمُوا الْأَرْضَ وَ اصْبِرُوا عَلَى الْبَلاَءِ- وَ لاَ تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَ سُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ- وَ لاَ تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ- فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ- وَ هُوَ عَلَى مَعْرِفَهِ حَقِّ رَبِّهِ- وَ حَقِّ رَسُولِهِ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً- وَ «وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ» - وَ اسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ- وَ قَامَتِ النِّيَّهُ مَقَامَ إِصْلاَتِهِ لِسَيْفِهِ- فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّهً وَ أَجَلًا

اللغه

أقول: الوظيفه : ما يقدّر للإنسان فی كلّ يوم من طعام أو رزق أو عمل .

ص:۲۰۳

و يثنيه : يصرفه .و المعقل : الملجأ .و ذروته : أعلاه .و مهّدله : أى اتّخذ له مهادا و هو الفراش .و الأرماس : جمع رمس و هو القبر .و الإبلاس : الانكسار و الحزن .

و المطّلع : الاطّلاع من إشراف إلى أسفل .و هوله : خوفه و فزعه .و الروعه:

الفزعه .و استكاك الأسماع : صممها .و الصفيح : الحجاره العراض .و ردمها : سدّ القبر بها .و السنن : الطريقه .و القرن: الحبل يقرن به البعيران .و أشراطها:

علاماتها .و أزفت : دنت .و أفراطها : مقدّماتها.و منه أفراط الصبح أوائل تباشيره .

و الرثّ : الخلق .و الغثّ : المهزول .و الضنك : الضيق .و الكلب: الشرّ .و اللجب:

الصوت .و الساطع: المرتفع .و سعيرها : لهبها .و تأجّجه : اشتداد حرّه و وقودها بضمّ الواو : ايقادها و هو الحدث .و ذكاه-مقصورا- : اشتعاله .و فضاعه الأمر : شدّته و مجاوزته للمقدار .و الزمر : الجماعات،واحدتها زمره .و زحزحوا : بعدوا .و اطمأنّت:

سكنت .و المثوى : المقام .و المآب : المرجع .و المدينون : مجزيّون .و إصلاته بسيفه . تجرّده به .

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام أنشأ حمد اللّه على نعمائه.و نصب شكرا على المصدر عن قوله:

أحمد.من غير لفظه.إذ المراد بالحمد هنا الشكر بقرينه ذكر الإنعام.ثمّ أردفه بطلب المعونه على ما وظّف عليه من حقوقه:واجباتها و نوافلها كالصلوات و العبادات الّتى ارتضاها منهم شكرا لنعمائه،و إذا اعتبرت كانت نعما تستحقّ الشكر لما يستلزمه المواظبه عليها من السعاده الحقيقيّه الباقيه كما سبق بيانه.

و قوله عزيز الجند.

نصب على الحال و الإضافه غير محضه و العامل أستعينه،و كذلك قوله:عظيم المجد:أى أستعينه على أداء حقوقه حال ما هو بذينك الاعتبارين فإنّه باعتبار ما هو عزيز الجند عظيم المجد يكون مالك الملك قديرا على ما يشاء فكان مبدأ استعانه به على أداء وظايف حقوقه .ثمّ أردفه بشهادته برساله نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذكر أحواله الّتى كانت مبادئ لظهور الدين الحقّ ليقتدى السامعون به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى تلك الأحوال.

و هى دعوته إلى الدين و مقاهرته لأعدائه و هم الكفّار على أصنافهم،و نصب جهادا

ص:۲۰۴

على أنّه مصدر سدّ مسدّ الحال،أو نصب المصادر عن قوله:قاهر.من غير لفظه.إذ فى قاهر معنى جاهد.و عن دينه متعلّق بجهادا إعمالا للأقرب،و يحتمل التعلّق بقاهر.

و قوله:لا يثنيه.

أى لا يصرفه عن دعوته و مقاهرته لأعدائه اجتماع الخلق على تكذيبه استعاره و التماسهم لإطفاء نوره ،و لفظ النور مستعار لما جاء به من الكمالات الهاديه إلى سبيل اللّه .

ثمّ لمّا نبّههم على تلك الأحوال الّتى مبدؤها تقوى اللّه تعالى أمرهم بالاعتصام بها بقوله:فاعتصموا بتقوى اللّه كما اعتصم نبيّكم بها فى إظهار دينه و مواظبته على ذلك، و لا تخافوا من عدوّ مع كثرتكم كما لا يخفّ هو مع وحدته فإنّ للتقوى حبلا وثيقا عروته من تمسّك به و اعتصم لم يضرّه عدوّ،و معقلا منيعا ذروته من لجأ إليه لم يصل إليه سوء. استعاره و لفظ الحبل و المعقل مستعاران للتقوى،و قد سبق بيان هذه الاستعارات .ثمّ أكّد ذلك الأمر بالأمر بمبادره الموت و غمراته و معنى مبادرته مسابقته إلى الاستعداد بالأعمال الصالحه كأنّهم يسابقون الموت و غمراته و ما يلحقهم من العذاب فيه و فيما بعده إلى الاستعداد بالأعمال الصالحه فيحصّلوا بها ملكات صالحه يكون مهادا له قبل حلوله بهم كيلا يقدحهم قدحا،و يجعلونها عدّه لأنفسهم قبل نزوله عليهم يلتقونه بها كيلا يؤثّر فى نفوسهم كثير أثر كأنّه يسابقهم إلى أنفسهم لينقطعهم عن ذلك الاستعداد فيكون سببا لوقوع العذاب بهم.

و قوله:فإنّ الغايه القيامه.

تحذير بذكر الغايه و تذكير بأهوالها الموعوده:أى فإنّ غايتكم القيامه لا بدّ لكم منها.و لمّا كانت تلك الغايه هى لازم الموت كما قال عليه السّلام:من مات فقد قامت قيامته.كان أمره بالاستعداد للموت أمر بالاستعداد لها،و لذلك أتى بعد الأمر بالاستعداد له بقوله:فإنّ.متبّها على وجوب ذلك الاستعداد بضمير ذكر صغراه،و تقدير الكبرى:و كلّ من كانت غايته القيامه فواجب أن يستعدّ لها.

و قوله:و كفى بذلك.

أى بذكر الموت و غمراته و القيامه و أحوالها،و خصّص من عقل لكونه

المقصود بالخطاب الشرعیّ،و معتبرا:أی محلاّ للاعتبار و العلم،و ظاهر کون الموت و نزوله بهذه البنیه التامّه الّتی احکم بنیانها و وضعت بالوضع العجیب و الترتیب اللطیف و هدمه لها واعظا بلیغا یزجر النفوس عن متابعه هواها و معتبرا تقف منه علی أنّ وراء هذا الوجود وجود أعلی و أشرف منه لولاه لما عطّلت هذه البنیه المحکمه المتقنه و لکان ذلک بعد إحکامها و إتقانها سفها ینافی الحکمه کما أنّ الإنسان إذا بنی دارا و أحکمها و زیّنها بزینه الألوان المعجبه فلمّا تمّت و حصلت غایتها عمد إلیها فهد مها فإنّه یعدّ فی العرف سفیها عابثا.أمّا لو کان غرضه من ذلک الوصول إلی غایه یحصل بوجودها وقتا ما ثمّ یستغنی عنها جاز هدمها.فکذلک هذه البنیه لمّا کانت الغرض منها استکمال النفوس البشریّه بالکمالات الّتی یستفاد من جهتها و هی العلوم و مکارم الأخلاق ثمّ الانتقال منها إلی عالمها جاز لذلک خرابها و فسادها بعد حصول ذلک الغرض منها.

و قوله :قبل بلوغ الغایه ما تعلمون.

عطف علی قوله:قبل نزوله.

و قوله:من ضیق الأرماس.إلی قوله:الصفیح.

تفصیل لما یعلمونه من أحوال الموت و أهواله،و ظاهر أنّ القبور ضیّقه بالقیاس إلی مواطن الدنیا،و أنّ للنفوس عند مفارقتها غمّا شدیدا و حزنا قویّا علی ما فارقته و ممّا لاقته من الأهوال التی کانت غافله عنها،و أنّ لما أشرفت علیه من أحوال الآخره هولا و فزعا تطیر منه الألباب و فی المرفوع:و أعوذ بک من هول المطّلع.

و إنّما حسن إضافه روعات إلی الفزع و إن کان الروع هو الفزع باعتبار تعدّدها و هی من حیث هی آحاد مجموع أفراد مهیّه الفزع فجازت إضافتها إلیها. کنایه و اختلاف الأضلاع کنایه عن ضغطه القبر.إذ یحصل بسببها تداخل الأضلاع و اختلافها، و استکاک الأسماع ذهابها بشدّه الأصوات الهایله و یحتمل أن یرید ذهابها بالموت.

و إنّما قال:خیفه الوعد،لأنّ الوعد قد یستعمل فی الشرّ و الخیر عند ذکرهما قال:و لا تعدانی،الخیر و الشرّ مقبل.فإذا أسقطوا ذکرهما قالوا فی الخیر:العده

و الوعد،و فى الشرّ الإيعاد و الوعيد.و هاهنا و إن سقط ذكرهما إلاّ أنّ قوله:

خيفه.تدلّ على وجود الشرّ فكان كالقرينه،و غمّ الضريح:الغمّ الحاصل و الوحشه المتوهّمه فيه.إذ كان للنفوس من الهيئات المتوهّمه كونها مقصوره مضيّقا عليها بعد فسح المنازل الدنيويّه و ساير ما ذكره عليه السّلام من الأهوال،و إنّما عدّد هذه الأهوال لكون الكلام فى معرض الوعظ و التخويف و كون هذه الامور مخوفه منفورا عنها طبعا .ثمّ أكّد ذلك التخويف بالتحذير من اللّه و علّل ذلك التحذير بكون الدنيا ماضيه على سنن:أى على طريقه واحده لا يختلف حكمها فكما كان من شأنها أن أهلكت القرون الماضيه و فعلت بهم و بآثارهم ما فعلت و صيّرتهم إلى الأحوال الّتى عدّدناها فكذلك فعلها بكم.

كنايه و قوله: و أنتم و الساعه فى قرن .

كنايه عن قربها القريب منهم حتّى كأنّهم معها فى قرن واحد.

تشبيه و قوله: و كأنّها قد جاءت بأشراطها .

تشبيه لها فى سرعه مجيئها بالّتى جاءت و حضرت.و أكّد ذلك التشبيه بقد المفيده لتحقيق المجىء .و علاماتها كظهور الدجّال،و دابّه الأرض،و ظهور المهدىّ و عيسى عليهما السّلام إلى غير ذلك.و كذلك قوله:و أزفت بأفراطها و وقفت بكم على صراطها.إلى قوله:و سمينها غثّا:أى و تحقّق وقوفها بكم على صراطها و هو الصراط المعهود فيها.

استعاره و قوله: و كأنّها قد أشرفت بزلازلها .

أى أشبهت فيما يتوقّع منها من هذه الأحوال فى حقّكم حالها فى إيقاعها بكم و تحقيقها فيكم،و استعار لفظ الكلاكل لأهوالها الثقيله.و وصف الإناخه لهجومها بتلك الأهوال عليهم ملاحظا فى ذلك تشبّهها بالناقه.و إنّما حسن تعديد الكلاكل لها باعتبار تعدّد أهوالها الثقيله النازله بهم.و لمّا كانت الأفعال من قوله:و أناخت.

إلى قوله:فصار سمينها غثّا.معطوفا بعضها على بعض دخلت فى حكم الشبه:أى و كانت الدنيا قد انصرفت بأهلها و كأنّكم قد أخرجتم من حصنها إلى آخر الأفعال.

ص:۲۰۷

و المشبّه الأوّل:هو الدنيا باعتبار حالها الحاضره و المشبّه به انصرافها بأهلها و زوالهم و وجه الشبه سرعه المضىّ.أى كأنّها من سرعه أحوالها الحاضره كالّتى وقع انصرافها.و كذلك الوجه فى باقى التشبيهات.و استعار لفظ الحضن لها ملاحظه لشبهها بالآم الّتى تحضن ولدها فينتزع من حضنها . حقيقه-كنايه و السمين و الغثّ تحتمل أن يريد بهما الحقيقه و يحتمل أن يكنّى به عن ما كثر من لذّاتها و خيراتها و تغيّر ذلك بالموت و زواله.

و قوله:فى موقف.

يتعلّق بصار و الموقف هو موقف القيامه.و ظاهر أنّ كلّ جديد للدنيا يومئذ رثّ.و كلّ سمين كان بها غثّ.و ضيق الموقف إمّا لكثره الخلق يومئذ و ازدحامهم أو لصعوبه الوقوف به و طولهم مع ما يتوقّع الظالمون لأنفسهم من إنزال المكروه بهم و الامور المشتبهه العظام أهوال الآخره.و اشتباهها كونها ملبسه يتحيّر فى وجه الخلاص منها.و الاعتبار يحكم بكونها عظيمه.و ظاهر كون النار شديده الشرّ و قد نطق القرآن الكريم بأكثر ممّا وصفها عليه السّلام به ههنا من علوّ أصواتها،و سطوح لهبها، استعاره و تغيّظ زفيرها كقوله تعالى «إِذا أُلْقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقاً وَ هِيَ تَفُورُ تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ» (1)و قوله «سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً» (2)و لفظ التغيّظ مستعار للنار باعتبار حركتها بشدّه و عنف كالغضبان أو باعتبار استلزام حركتها ظاهر للأذى و الشرّ.

مجاز و قوله: عم قرارها .

أسند العمى إلى قرارها مجازا باعتبار أنّه لا يهتدى فيه لظلمته أو لأنّ عمقها لا يوقف عليه لبعده ، استعاره مرشحه و لمّا استعار لفظ الحمى رشّح بذكر القدور،و ظاهر فظاعه تلك الامور و شدّتها .و كلّ تلك الامور عدّدها فى معرض التخويف لكونها مخوفه تنفيرا لما يلزم عنه من ترك التقوى و اتّباع الهوى اقتباس ثمّ ساق الآيه اقتباسا و نسق بعدها أحوال المتقّين فى الآخره اللازمه عن تقويهم و هى أمنهم من العذاب و انقطاع

ص:۲۰۸

۱- ۱) ۷-۶۷.

۲- ۲) ۱۳-۲۵.

العقاب عنهم و إبعادهم عن النار و اطمينان الدار الّتى هى الجنّه بهم و رضاهم بها مثوى و قرارا ترغيبا فى التقوى بذكر لوازمها.ثمّ أردف ذلك بصفات المتقيّن أيضا عمّا عساه لا يعرفها فقال:هم الّذين كانت أعمالهم فى الدنيا زاكيه:أى طاهره من الرياء و الشرك الخفىّ،و أعينهم باكيه:أى من خشيه اللّه و خوف عقابه و حرمانه ، استعاره-تشبيه و كان ليلهم فى دنياهم نهارا فى كونه محلّ حركاتهم فى عباده ربّهم و تخشّعهم له و استغفارهم إيّاه فأشبه النهار الّذى هو محلّ حركات الخلق.و لهذا الشبه استعار لفظ النهار للّيل و كذلك استعار لفظ الليل للنهار،و وجه الاستعاره كون النهار محلا لتوحّشهم من الخلق و انقطاعهم عنه و اعتزالهم إيّاهم كالليل الّذى هو محلّ انقطاع الناس بعضهم عن بعض و افتراقهم،و فى نسخه الرضىّ-رحمه اللّه-بخطّه:كأنّ.للتشبيه رفع نهارا فى القرينه الاولى،و رفع ليلا فى الثانيه.و وجه التشبيه هو ما ذكرناه .و كأنّه يقول :فلمّا استعدّوا بتلك الصفات للحصول على الفضائل و الكمالات و استوجبوا رضى اللّه تعالى عنهم جعل اللّه لهم الجنّه مرجعا و مآبا أعدّ فيها من جزاء النعيم ثوابا اقتباس و كانوا أحقّ بها و أهلها .و هو اقتباس.

و قوله: فى ملك .إلى قوله: قائم .

أى مقيم،تفسير للجزاء .ثمّ أكّد الأمر بالتقوى برعايتها فى عباره اخرى نبّه فيها على بعض لوازمها،و ذلك أنّ فوز الفايزين إنّما يكون بالتقوى و لزوم الأعمال الصالحات،و المبطلون هم الّذين لا حقّ معهم فهم الخارجون عن التقوى الحقّه.و إنّما يلحقهم الخسران بالخروج عنها.

و قوله:بادروا آجالكم بأعمالكم.

كقوله:بادروا الموت:أى و سابقوا آجالكم بالأعمال الصالحات إلى الاستعداد بها قبل أن يسبقكم إلى أنفسكم فيقطعكم عن الاستعداد بتحصيل الأزواد ليوم المعاد،و نبّههم بقوله:فإنّكم.إلى قوله:قدّمتم.على ارتهانهم بذنوبهم السالفه و الجزاء عليها فى القيامه ليسارعوا إلى فكاكها بالأعمال الصالحه و السلامه من الجزاء عليها، استعاره و لفظ المرتهن مستعار للنفوس الآثمه باعتبار تقيّدها بالسيّئه و إطلاقها

بالحسنه كتقيّد الرهن المتعارف بما عليه من المال و افتكاكه بأدائه مجاز إطلاقا لاسم أحد الضدّين على الآخر و إطلاق لفظ الجزاء على العقاب مجاز إطلاقا لاسم أحد الضدّين على الآخر .

تشبيه و قوله : و كأن قد نزل .

هى المخفّفه من كأنّ للتشبيه،و اسمها ضمير الشأن،و المقصود تشبيه حالهم و شأنهم الحاضر بحال نزول المخوف و هو الموت بهم و تحقّقه فى حقّهم الّذى يلزمه و يترتّب عليه عدم نيلهم للرجعه و إقالتهم للعثره .ثمّ عقّب بالدعاء لنفسه و لهم باستعمال اللّه إيّاهم فى طاعته و طاعه رسوله،و ذلک الاستعمال بتوفيقهم لأسباب الطاعه و إعدادهم لها و إفاضه صوره الطاعه على قواهم العقليّه و البدنيّه و جوارحهم الّتى بسببها تكون السعاده القصوى،ثمّ بما يلزم ذلک الاستعمال من العفو عن جرائمهم.و إنّما نسبها إلى فضل رحمته لكونه مبدءا للعفو و المسامحه من جهه ما هو رحيم و ذلک من الاعتبارات الّتى تحدثها عقولنا الضعيفه و تجعلها من صفات كماله كما سبق بيانه فى الخطبه الاولى .ثمّ عقّب وعظهم و تحذيرهم و الدعاء لهم بأمرهم أن يلزموا الأرض و يصبروا على ما يلحقهم من بلاء أعدائهم و مخالفيهم فى العقيده كالخوارج و البغاه على الإمام بعده من ولده و الخطاب خاصّ بمن يكون بعده بدلاله سياق الكلام كنايه و لزوم الأرض كنايه عن الصبر فى مواطنهم و قعودهم عن النهوض لجهاد الظالمين فى زمن عدم قيام الإمام الحقّ بعده عليه السّلام .

و قوله:و لا تحرّكوا بأيديكم و سيوفكم فى هوى ألسنتكم.

نهى عن الجهاد من غير أمر أحد من الأئمّه من ولده بعده،و ذلک عند عدم قيام من يقوم منهم لطلب الأمر فإنّه لا يجوز إجراء هذه الحركات إلاّ بإشاره من إمام الوقت.و هوى ألسنتهم ميلها إلى السبّ و الشتم موافقه لهوى النفوس.و الباء فى بأيديكم زائده.و يحتمل أن يكون مفعول تحرّكوا محذوفا تقديره شيئا:

اى و لا تتحرّكوا لهوى ألسنتكم و لا تستعجلوا بما لم يعجّله اللّه لكم من ذلک الجهاد.

و قوله :فإنّه من مات منكم.إلى قوله:لسيفه.

بيان لحكمهم فى زمن عدم قيام الإمام الحقّ بعده لطلب الأمر و تنبيه لهم

على ثمره الصبر،و هو أنّ من مـات منهم على معرفه حقّ ربّه و حقّ رسوله و أهـل بيته و الاـعتراف بكونهم أئمّه الحقّ و الاقتـداء بهم لحق بـدرجه الشـهداء و وقع أجره على اللّه بذلك و اسـتحقّ الثواب منه على ما أتى به من الأعمال و الصبر على المكاره من الأعداء،و قامت نيّته أنّه من أنصار الإمام لو قام لطلب الأمر و أنّه معينه مقام تجرّده بسيفه معه فى استحقاق الأجر.

و قوله:فإنّ لكلّ شىء مدّه و أجلا.

تنبيه على أنّ لكلّ من دوله العدوّ الباطله و دوله الحقّ العادله مدّه تنقضـى بانقضائها و أجل تنتهى به فإذا حضـرت مدّه دوله عدوّ فليس ذلـك وقت قيـامكم فى دفعها فلا تسـتعجلوا به.هـذا هو المتبادر إلى الفهم من هـذا الكلام.و الخطبه من فصـيح خطبه عليه السّلام و قد أخذ ابن نبانه الخطيب كثيرا من ألفاظها فى خطبته كقوله:

شديد كلبها عال لجبها ساطعا لهبها متغيّظ زفيرها متأجّج سعيرها.إلى قوله:

فظيعه امورها،و كقوله:هول المطّلع،و روعات الفزع.إلى قوله:وردم الصفيح.

فانّه أخذ كلّ هذه الألفاظ و رصّع بها كلامه.و باللّه التوفيق و العصمه.

۲۳۳-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

اَلْحَمْـدُ لِلَّهِ الْفَاشِـی فِی الْخَلْقِ حَمْـدُهُ- وَ الْغَالِبِ جُنْدُهُ وَ الْمُتَعَالِی جَدُّهُ- أَحْمَدُهُ عَلَی نِعَمِهِ التُّؤَامِ وَ آلاَئِهِ الْعِظَامِ- الَّذِی عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا وَ عَدَلَ فِی کُلِّ مَا قَضَـی- وَ عَلِمَ مَا یَمْضِـی وَ مَا مَضَـی- مُبْتَدِعِ الْخَلاَئِقِ بِعِلْمِهِ وَ مُنْشِـئِهِمْ بِحُکْمِهِ- بِلاَ اقْتِدَاءٍ وَ لاَ تَعْلِیمٍ- وَ لاَ احْتِـذَاءٍ لِمِثَالِ صَـانِعٍ حَکِیمٍ- وَ لاَـ إِصَابَهِ خَطَإٍ وَ لاَ حَضْـرَهِ مَلَإٍ وَ أَشْـهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْـدُهُ وَ رَسُولُهُ- ابْتَعَثَهُ وَ النَّاسُ یَضْـرِبُونَ فِی غَمْرَهٍ- وَ یَمُوجُونَ فِی حَیْرَهٍ قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّهُ الْحَیْنِ- وَ اسْتَغْلَقَتْ عَلَی

أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ- فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ- وَ الْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ وَ أَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ- وَ تَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ- فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَ الْجُنَّةُ- وَ فِي غَدٍ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ- مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ وَ سَالِكُهَا رَابِحٌ وَ مُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ- لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ وَ الْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً- إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبْدَى- وَ أَخَذَ مَا أَعْطَى وَ سَأَلَ عَمَّا أَسْدَى- فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَ حَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا- أُولَئِكَ الْأَقَلُّونَ عَدَداً- وَ هُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ- «وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ» - فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا وَ أَلِظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا- وَ اعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً- وَ مِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً- أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ وَ اقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ- وَ أَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ وَ ارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ- وَ دَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ وَ بَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ- وَ اعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا وَ لَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا- أَلَا وَ صُونُوهَا وَ تَصَوَّنُوا بِهَا- وَ كُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً- وَ إِلَى الْآخِرَةِ وُلَّاهاً- وَ لَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى- وَ لَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا- وَ لَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا وَ لَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا- وَ لَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا وَ لَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا- وَ لَا تُفْتَنُوا

بِأَعْلاَقِهَا- فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ وَ نُطْقَهَا كَاذِبٌ- وَ أَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ وَ أَعْلاَقَهَا مَسْلُوبَةٌ- أَلاَ وَ هِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ وَ الْجَامِحَةُ الْحَرُونُ- وَ الْمَائِنَةُ الْخَئُونُ وَ الْجَحُودُ الْكَنُودُ- وَ الْعَنُودُ الصَّدُودُ وَ الْحَيُودُ الْمَيُودُ- حَالُهَا انْتِقَالٌ وَ وَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ- وَ عِزُّهَا ذُلٌّ وَ جِدُّهَا هَزْلٌ وَ عُلْوُهَا سُفْلٌ- دَارُ حَرْبٍ وَ سَلَبٍ وَ نَهْبٍ وَ عَطَبٍ- أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَ سِيَاقٍ وَ لَحَاقٍ وَ فِرَاقٍ- قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا وَ أَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا- وَ خَابَتْ مَطَالِبُهَا فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ- وَ لَفَظَتْهُمُ الْمَنَازِلُ وَ أَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ- فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ وَ لَحْمٍ مَجْزُورٍ- وَ شِلْوٍ مَذْبُوحٍ وَ دَمٍ مَسْفُوحٍ- وَ عَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ وَ صَافِقٍ بِكَفَّيْهِ- وَ مُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ وَ زَارٍ عَلَى رَأْيِهِ- وَ رَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ- وَ قَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ وَ أَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ- وَ لاَتَ حِينَ مَنَاصٍ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ- قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ وَ ذَهَبَ مَا ذَهَبَ- وَ مَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا- «فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما كانُوا مُنْظَرِينَ»

اللغه

أقول: الفاشى : الذايع و المنتشر .و الجدّ هاهنا:العظمه،و منه حديث أنس:

كان أحدنا إذا قرء البقره و آل عمران جدّ فينا:أى عظم .و التؤام : جمع توأم،و حقيقته الولد يقارنه ولد آخر فى بطن واحد.قال الخليل:أصله ووءم على وزن فوعل فابدلوا من إحدى الواوين تاء كما قالوا:تولج من و ولج .و الآلاء النعم :

ص:۲۱۳

واحدتها ألى بالفتح،و قد يكسر كحرف الجرّ .و الضرب: السير .و الغمره:

ما يغمر العقل من الجهل،و الغمره:الشدّه أيضا .و الحين بالفتح : الهلاك .و الرين:

الطبع و غلبه الذنوب حتّى تتغطّى عن البصيره .و الغابر : الباقى و للماضى أيضا .

و أسدى : أرسل معروفه .و أهطع : أسرع .و واكظ على كذا : واظب عليه و داوم .

و المواكظه : المداومه.و روى:كظّوا:أى ألزموا،و لزوم الشىء فى معنى المداومه عليه .و الشعار : ما يلى الجسد تحت الدثار،و هو العلامه أيضا .و الرحض:

الغسل .و النزّاه : جمع نازه و هو المباعد عمّا يوجب الذمّ .و الولّاه: جمع واله و هو المتحيّر من شدّه الوجد .و الشيم : النظر إلى البرق أين تمطر سحائبه .و الناعق : الصائح .و أعلاقها : نفايسها،جمع علق و هو الشىء النفيس ،و برق خالب و خلب : لا مطر معه .و مال محروب : مأخوذ بكلّيّته .و المتصدّيه : المتعرّضه .و العنون : كثيره العنن و هو الاعتراض.و العنون أيضا:الدابّه المتقدّمه فى السير .

و الجموح : الدابه الّتى تغلب الفارس فلا يملكها .و الحرون : الّذى إذا اشتدّ به السوق وقف و المائنه : الكاذبه .و الكنود : الكفور للنعمه و العنود : المائله عن الطريق و عن المرعى .و الصدود : المعرضه .و الحيود : أيضا المائله .و الميود:

المتمايله .و الحرب بفتح الحاء : سلب المال .و السلب : ما يسلب من درع و نحوه فى الحرب .و العطب : الهلاك .و الساق : الشدّه .و السياق : نزع الروح ،و السياق مصدر ساقه سوقا و سياقا.و المعاقل : الحصون و ما يلجأ إليه .و لفظتهم: ألقتهم و المحاول:

جمع محاوله و هى الحيله و معقور : مجروح .و المجزور : المقطوع .و الشلو : العضو من اللحم بعد الذبح،و أشلاء الإنسان:أعضاؤه المتفرّقه بعد البلى .و مسفوح:

مسفوك .و الغيله : الأخذ على غرّه .و المناص : مصدر قولك ناص ينوص نوصا، أى فرّ و راغ .و لات : حرف سلب،قال الأخفش:شبّهوها بليس و أضمروا فيها اسم الفاعل،قال:و لا يكون لات إلّا مع حين و قد تحذف حين كما حذفت فى قول مازن بن مالك:حنت و لات حنت.فحذف حين و هو يريده،و قال:قرء بعضهم «وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ» برفع حين و اضمر الخبر.و قال أبو عبيد:هى لا،و التاء

إنّما زيدت فى حين و إن كتب مفرده كما قال أبو وجره:العاطفون تحين ما من عاطف.و قال المورّج:زيدت التاء فى لات كما زيدت فى ثمّت و ربّت .و البال:

الحال و الشأن و الأمر.و البال أيضا:القلب .

المعنى

و قد حمد اللّه سبحانه باعتبارات لا ينبغى إلّا له:

أحدها:الفاشى حمده

:أى فى جميع خلقه و مخلوقاته.إذ كان شىء منها لا يخلو من نعمه له أظهرها وجوده فلا يخلو من حمده بلسان الحال أو المقال.«وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ» .

الثانى:الغالب جنده

،و جند اللّه ملائكته و أعوان دينه من أهل الأرض كقوله تعالى «وَ لِلّٰهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (١)و قوله «وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها» (٢)و ظاهر كونه غالبا لقوله «وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ» (٣)و قوله «فَإِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغالِبُونَ» (۴)و فى هذه القرينه جذب للسامعين إلى نصره اللّه ليكونوا من جنده و تثبيت لهم على ذلك.

الثالث:المتعالى جدّه

:أى علاؤه و عظمته كقوله تعالى «وَ أَنَّهُ تَعالىٰ جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً» (۵)و هذه القرينه تناسب ما قبلها لما فى تلك من إيهام الحاجه إلى الجند و النصره،و فى الثانيه تعاليه و عظمته عن كلّ حال يحكم بها فى حقّه الرافع لذلك الإيهام ،ثمّ عقّب بذكر سبب الحمد و هو نعمه التؤام و آلاؤه العظام،و معنى كونها توأما ترادفها على العبد و تواترها فإنّه ما من وقت يمرّ عليه إلّا و عنده أنواع من نعمه اللّه تعالى لا تكافؤ بحمد.

الرابع:من الاعتبارات الّذى عظم حلمه فعفا.

فالحلم فى الإنسان فضيله تحت الشجاعه يعسر معها انفعال النفس عن الواردات المكروهه الموذيه له،و أمّا فى حقّ اللّه تعالى فتعود إلى اعتبار عدم انفعاله عن مخالفه عبيده لأوامره و نواهيه،و كونه لا يستفزّه عند مشاهده المنكرات منهم غضب و لا يحمله على المسارعه إلى

۱- ۱) ۷-۴۸.

۲- ۲) ۴۰-۹.

۳- ۳) ۱۳۷-۳۷.

۴- ۴) ۶۱-۵.

۵- ۵) ۳-۸۲.

الانتقام منهم مع قدرته التامّه على كلّ مقدور غيظ و لا طيش.و الفرق بينه تعالى و بين العبد فى هذا الوصف أنّ سلب الانفعال عنه سلب مطلق و سلبه عن العبد عمّا من شأنه أن يكون له ذلك الشيء فكان عدم الانفعال عنه تعالى أبلغ و أتمّ من عدمه عن العبد،و بذلك الاعتبار كان أعظم،و لمّا كان الحلم يستلزم العفو عن الجرائم و الصفح عنها سمّى إمهاله تعالى للعبد و عدم مؤاخذته بجرائمه عفوا فلذلك أردف وصفه لعظمه الحلم بذكر العفو،و عطفه بالفاء لاستعقاب الملزوم لازمه بلا مهله.

الخامس:و عدل فى كلّ ما قضى

و لمّا كان العدل عباره عن التوسّط فى الأفعال و الأقوال بين طرفى التفريط و الإفراط،و كان كلّ ما قضاه تعالى و حكم عليه بوقوعه أو عدم وقوعه جاريا على وفق الحكمه و النظام الأكمل لما بيّن ذلك فى مظانّه من العلم الإلهىّ لا جرم لم يكن أن يقع فى الوجود شيء من أفعاله أو أقواله منسوبا إلى أحد طرفى التفريط و الإفراط بل كان على حاقّ الوسط منهما و هو العدل.و قيل:قضى بمعنى أمر كقوله تعالى «وَ قَضى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ» (۱)و هو داخل فيما قلناه فإنّ ما أمر بإيجاده أو نهى عنه داخل فيما حكم عليهم بوقوعه أو عدم وقوعه.

السادس:و علم ما يمضى و ما مضى.

إشاره إلى إحاطه علمه بكلّ الامور مستقبلها و ماضيها و كلّيها و جزئيّها،و قد أشرنا إلى ذلك فيما قبل .

السابع:مبتدع الخلايق بعلمه

ظاهر كلامه عليه السّلام ناطق بأنّ العلم هنا سبب لما ابتدع من خلقه و لا شكّ أنّ السبب له تقدّم على المسبّب من جهه ما هو سبب و هذا هو مذهب جمهور الحكماء،و الخلاف فيه مع المتكلّمين.إذ قالوا:إنّ العلم تابع للمعلوم و التابع يمتنع أن يكون سببا.فالباء على رأيهم إذن للاستصحاب، و على الرأى الأوّل للتسبّب.و نحن إذا حقّقنا القول و قلنا:إنّه لا صفه له تعالى تزيد على ذاته و كانت ذاته و علمه و قدرته و إرادته شيئا واحدا و إنّما تختلف بحسب اعتبارات تحدثها عقولنا الضعيفه بالقياس إلى مخلوقاته كما سبق بيانه

۱- ۱) ۲۴-۱۷.

فى الخطبه الاولى لم يبق تفاوت فى أن يستند المخلوقات إلى ذاته أو إلى علمه أو إلى قدرته أو غيرهما.و أمّا بيان أنّ العلم تابع للمعلوم حتّى يمتنع أن يكون سببا له أو متبوعا حتّى لا يمتنع ذلك فممّا حقّق فى مظانّه.و المسأله ممّا طال الخبط فيها بينهم،و يحتمل أن يريد بالإبداع إحكام الأشياء و إتقانها بحيث يكون محلّ التعجّب يقال:هذا فعل بديع و منظر بديع:أى معجب حسن.فظاهر أنّ ذلك منسوب إلى العلم و لذلك يستدلّ بإحكام الفعل و إتقانه على علم فاعله.

الثامن:و منشئهم بحكمه

:أى بحكمته و هو قريب من الّذى قبله،و يحتمل أن يريد حكم قدرته على الموجودات بالوجود.و هو ظاهر.

و قوله:بلا اقتداء و لا تعليم.

و قوله:بلا اقتداء و لا تعليم.

أى لم يكن إبداعه و إنشاءه للخلق على وجه اقتدائه بغيره ممن سبقه إلى ذلك، و لا على وجه التعلّم منه.و الاقتداء أعمّ من التعلّم.

و قوله:و لا إصابه خطأ.

و قوله:و لا إصابه خطأ.

أى لم يكن إنشاؤه للخلق أوّلا إتّفاقا على سبيل الاضطراب و الخطأ من غير علم منه ثمّ علمه بعد ذلك فاستدرك فعله و أحكمه فأصاب وجه المصلحه فيه.و الإضافه بمعنى اللام لما أنّ الإصابه من لواحق ذلك الخطأ.و بمثل هذا اعترض المتكلّمون على أنفسهم حيث استدلّوا على كونه تعالى عالما بكلّ معلوم فقالوا:إنّه تعالى علم بعض الأشياء لا من طريق أصلا لا من حسّ و لا نظر و استدلال فوجب أن يعلم سائرها كذلك لأنّه لا تخصيص،ثمّ سألوا أنفسهم فقالوا:لم زعمتم ذلك و لم لا يجوز أن يكون قد فعل أفعاله مضطربه ثمّ أدركها فعلم كيفيّه صنعها بطريق كونه مدركا لها فأحكمها بعد اختلافها و اضطرابها؟ثمّ أجابوا عن ذلك بأنّه لا بدّ أن يكون قبل ذلك عالما بمفرداتها من غير طريق فوجب أن يعلمها بأسرها كذلك لعدم التخصيص.

و هذا الجواب فاسد لأنّ مفرداتها إن لم تكن من فعله كالأجزاء الّتى لا يتجزّى على رأى المثبتين فليس كلامنا فى علمه بها بل فيما كان من فعله و لا يلزم من العلم بمفردات الفعل العلم بالفعل،و إن كانت من فعله فقولكم:لا بدّ أن يكون عالما بمفرداتها

قبل فعلها مصادره على المطلوب.و الجواب الحقّ أنّه لو علمها بعد أن لم يعلمها لكان علمه بها حادثا فى ذاته فكان محلّا للحوادث و هو محال لما سبق.

و قوله:و لا حضره ملأ.

و قوله:و لا حضره ملأ.

أى و لم يكن خلقه لما خلق بحضره جماعه من العقلاء بحيث يشير كلّ منهم عليه برأى و يعينه بقول فى كيفيّه خلقه حتّى يكون أقرب إلى الصواب لأنّ كلّ جماعه فرضت فهى من خلقه فلا بدّ أن تصدر عنه الامور لا بحضره أحد،و لأنّ ذلك يستلزم حاجته إلى المعين و الظهير و الحاجه يستلزم الإمكان المنزّه قدسه عنه.و إليه الإشاره بقوله تعالى «ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً» (۱)و كلّ ذلك تنزيه لفعله عن كيفيّات أفعال عباده .ثمّ أردف ذلك باقتصاص أحوال الخلق حال انبعاث اللّه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.و الواو فى قوله:و الناس.للحال:أى و الناس يسيرون عند مقدمه فى جهاله. كنايه و هو كنايه عن تصرّفاتهم على جهل منهم بما ينبغى لهم من وجوه التصرّف،و يحتمل أن يريد و تسيرون فى شدّه و ذلك أنّ العرب كانت حينئذ فى شدائد من ضيق المعاش و النهب و الغارات و سفك الدماء كما قال عليه السّلام فيما قبل:إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نذيرا للعالمين،و أمينا على التنزيل،و أنتم معشر العرب على شرّ دين و فى شرّ دار.الفصل.و كذلك قوله: و يموجون فى حيره .كنايه عن تردّدهم فى حيره الضلال و الجهل أو فى حيره من الشدائد المذكوره .

و قوله:قد قادتهم أزمّه الحين.

استعاره مرشحه و قوله: قد قادتهم أزمّه الحين .

أى قد تداعوا للموت و الفناء من كثره الغارات و شدائد سوء المعاش و ظلم بعضهم لبعض لأنّ الناس إذا لم يكن بينهم نظام عدلىّ و لم يجر فى امورهم قانون شرعىّ أسرع فيهم ظلم بعضهم البعض و استلزم ذلك فناؤهم،و لمّا استعار لفظ الأزمّه رشّح بذكر القود .

و قوله:و استغلقت.إلى قوله:الرين.

استعاره مرشحه و قوله: و استغلقت.إلى قوله:الرين .

أراد رين الجهل و تغطيته لقلوبهم عن أنوار اللّه تعالى و الاستضاء بأضواء

۱- ۱) ۴۹-۱۸.

الشریعه.و استعار لفظ الأقفال لغواشی الجهل و الهیئات الردیئه المکتسبه من الإقبال علی الدنیا،و وجه المشابهه أنّ تلک مانعه للقلب و حاجبه له عن قبول الحقّ و الاهتداء به کما تمنع الأقفال ما یغلق علیه من التصرّف،و رشّح بذکر الاستغلاق و إنّما أتی بلفظ الاستفعال لأنّ ذلک الرین کان أخذ فی الزیاده و منتقلا من حال إلی حال فکأنّ فیه معنی الطلب للتمام .ثمّ عقّب بالوصیّه بتقوی اللّه علی جری عادته لأنّها رأس کلّ مطلوب،و رغّب فیها بکونها حقّ اللّه علیهم:أی الأمر المطلوب له المستحقّ علیهم،و بکونها موجبه علی اللّه حقّهم و هو جزاء طاعتهم له الّذی أوجبه علی نفسه و لزم عن کمال ذاته الفیّاضه بالخیرات بحسب استعدادهم له بالتقوی.ثمّ أشار إلی ما ینبغی للمتصدّی إلی التقوی و هو أن یستعین علی قطع عقباتها باللّه و الانقطاع إلیه أن یعینه علیها و یوفّقه بها فإنّ الانقطاع إلی معونته و الالتفات إلیه مادّه کلّ مطلوب.ثمّ إلی فائدتها و هی الاستعانه بها علی اللّه تعالی.و لمّا کان المطلوب منه الوصول إلی ساحل عزّته و النظر إلی وجهه الکریم و السلامه من غضبه و نقاش حسابه إذ هو تعالی الحاکم الأوّل کانت التقوی أجلّ ما یستعدّ به لحصول تلک المطالب، و کان السعید من استعان بها علی دفع شدائده تعالی فی الآخره من المناقشه فإنّه لاخلاص منها إلاّ بها .ثمّ عقّب ذکرها ببیان ما یستلزمه من الامور المرغوب فیها:

منها کونها فی الیوم:أی فی مدّه الحیاه حرزا و جنّه:أی من المکاره الدنیویّه لقوله تعالی «وَ مَنْ یَتَّقِ اللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ» -من أمره- «مَخْرَجاً وَ یَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لا یَحْتَسِبُ وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (1)و فی غد:أی فی یوم القیامه الطریق إلی الجنّه.و هو ظاهر،و منها کون مسلکها واضحا و ظاهر أنّ الشارع صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أوضح طرق التقوی و کشف سبلها حتّی لا یجهلها إلاّ جاهل،و منها کون سالکها رابحا. استعاره و استعار لفظ الربح لما یحصل علیه المتّقی من ثمرات التقوی فی الدنیا و الآخره،و وجه الاستعاره أنّه بحرکاته و تقواه الّتی یشبه رأس ماله یستفید الثواب کما یستفید التاجر مکاسبه،و منها کون مستودعها حافظا .و المستودع بالفتح قابل الودیعه و بکسرها

۱- ۱) ۲-۶۵.

فاعلها.و المراد على الروايه بالفتح كون قابلها حافظا لنفسه بها من عذاب اللّه أو يكون حافظ بمعنى محفوظ،و على الثانيه فالمستودع لها إمّا اللّه سبحانه.إذ هى الأمانه الّتى عرضها «عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» «فَأَبَيْنَ أَنْ» يحملها «وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ» و ظاهر كونه تعالى حافظا على العبد المستودع أحواله فيها من تفريطه و تقصيره أو أمانته و محافظته عليها،و إمّا الملائكه الّتى هى وسائط بين اللّه تعالى و بين خلقه.و ظاهر كونهم حفظه كما قال تعالى «وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً» و قوله «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ » (١).

و قوله لم تبرح عارضه نفسها.إلى قوله الغابرين.

استعاره و قوله لم تبرح عارضه نفسها.إلى قوله الغابرين .

كلام لطيف،و استعار وصف كونها عارضه نفسها.و وجه الاستعاره كونها مهيّئه لأن تقبل و بصدد أن ينتفع بها كالمرأه الصالحه الّتى تعرض نفسها للتزويج و الانتفاع بها .ثمّ علّل كونها لم تبرح كذلك لحاجه الخلق إليها غدا:أى يوم القيامه ترغيبا فيها بكونها محتاجا إليها،و يحتمل أن يدخل ذلك فى وجه الشبه.

و قوله:إذا أعاد.إلى قوله:أسدى.

و قوله:إذا أعاد.إلى قوله:أسدى.

كالقرينه المخرجه لغد عن حقيقته إلى مجازه و هو يوم القيامه،و تعيين له بأنّه الوقت الّذى يعيد اللّه فيه ما كان أبداه من الخلق و يأخذ فيه ما كان أعطاهم من الوجود الدنيوىّ و لواحقه و يقول: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ» .و فى الحديث:

إنّ اللّه تعالى يجمع كلّ ما كان فى الدنيا من الذهب و الفضّه فيجعله أمثال الجبال ثمّ يقول:هذا فتنه بنى آدم.ثمّ يسوقه إلى جهنّم فيجعله مكاوى لجباه المجرمين و يسألهم فيه عمّا أسدى إليهم فيه من نعمه فيسأل من ادّخرها لم ادّخرها و لم ينفقها فى وجوهها المطلوبه للّه،و يسأل من أنفقها فى غيره وجهها!فيقول. «أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِها» .و يجازى الأوّلين بادّخارها كما قال «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ» (٢)الآيه،و يجازى الآخرين بصرفها فى غير وجهها كما قال «الْيَوْمَ»

١- ١) ١٠-٨٢.

٢- ٢) ٣٤-٩.

«تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » .

و قوله:فما أقلّ من قبلها.

و قوله:فما أقلّ من قبلها.

تعجّب من قلّه من قبل التقوى بينهم و حملها حقّ حملها:أى أخذها و حفظها بشرائطها و استعدّ بها ليؤدّى أمانه اللّه فيها.إذ هى الأمانه المعروضه.ثمّ حكم بكون قابلها و حاكمها هم أقلّ الناس عددا،و أنّهم أهل صفه اللّه:أى الّذين وصفهم اللّه تعالى بقوله «وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ» .

ثمّ أمرهم فيها بأوامر :

أحدها:أن يهطعوا بأسماعهم إليها

:أى يسرعوا إلى سماع وصفها و شرحها ليعرفوها فيعملوا على بصيره.

الثانى:أن يواكظوا عليها بجدّهم

:أى يداوموا عليها و يلازموها باجتهاد منهم،و روى و انقطعوا بأسماعكم إليها:أى انقطعوا عن علائق الدنيا و استصحبوا أسماعكم إلى سماع وصفها.فكأنّ أحد الروايتين تصحيف الاخرى لأنّ النون و القاف إذا تقارنا أشبها الهاء فى الكتابه.

الثالث:أن يعتاضوها خلفا عن كلّ محبوب فى الدنيا سلف لهم

و نعم الخلف ممّا سلف إذ كانت المطالب الحاصله بها أنفس المطالب و هى السعاده الأبديّه.

و خلفا مصدر سدّ مسدّ الحال.

الرابع:أن يعتاضوها من كلّ مخالف لهم موافقا.

و المراد أنّ كلّ من كان موافقا لك ثمّ خالفك فى أمر من الامور فينبغى أن يكون على طريق الحقّ و التقوى فى ذلك الأمر و لا تميل ميل مخالفك فإنّ التقوى نعم العوض ممّن خالفك.و نحوه ما قال أفلاطون الحكيم:سقراط حبيبنا و الحقّ حبيبنا و إذا اختلفا كان الحقّ أحبّ إلينا .

الخامس:

مجازا من باب إطلاق اسم الملزوم على لازمه-استعاره أن يوقظوا بها نومهم .قال بعض الشارحين:أراد أن يوقظوا بها نوّامكم فأقام المصدر مقام اسم الفاعل مجازا لما فيه من التضادّ فى القرينه.قلت:

و يحتمل أن يريد بقوله: أيقظوا :أى اطردوا بتقوى اللّه و عبادته نومكم فى ليلكم و أحيوه بها.فاستعمل لفظ الايقاظ لإفادته ذلك المعنى إذ كان الأمر بإيقاع أحد

ص:۲۲۱

الضدّين فی محلّ يستلزم الأمر بنفی الضدّ الآخر عن ذلك المحلّ مجازا من باب إطلاق اسم الملزوم على لازمه و لما فيه من التضادّ،و يحتمل أن يريد بالنوم نوم الغفله و الجهل و بإيقاظ النائمين منها بها تنبيههم بها من مراقد الطبيعه و إعدادهم بأجراء العباده و قوانينها لحصول الكمالات العلميّه و العمليّه على سبيل الاستعاره.

و وجهها ظاهر ممّا سبق.

السادس:و أن يقطعوا بها يومهم

:أی يقطعوا بالاشتغال بها نهارهم.

السابع:

استعاره أن يشعروها قلوبهم :أی يجعلوها شعارا لقلوبهم و يلبسوها إيّاه كما يلبس الشعار.و لفظ الشعار مستعار لها،و وجه الاستعاره كون التقوى الحقيقيّه تلازم النفس و تتّصل بالقلب كما يتّصل الشعار بالجسد ،و يحتمل أن يريد اجعلوها لازمه لقلوبكم ليتميّز بها عن قلوب الظالمين،و يحتمل أن يريد أشعروها قلوبكم:أی أعلموها بها و اجعلوها شاعره بتفاصيلها و لوازمها.

الثامن:

استعاره أن يرحضوا بها ذنوبهم :أی يغسلوها بالاشتغال بالتقوى.و لفظ الرحض مستعار باعتبار كون التقوى ماحيه لدرن الذنوب و الهيآت البدنيّه عن ألواح النفوس كما يمحق الغسل درن الثوب و أوساخه .

التاسع:أن يداووا بها الأسقام

:أی أسقام الذنوب و أمراض القلوب كالجهل و الشكّ و النفاق و الرياء و الحسد و الكبر و البخل و جميع رذائل الأخلاق الّتی هی فی الحقيقه الأسقام المهلكه،و لاشتمال التقوى على جميع الأعمال الجميله و الملكات الفاضله كانت دواء لهذه الأسقام و شفاء لا يعقبه داء.

العاشر:و أن يبادروا بها الحمام

:أی يسارعوه و يسابقوه بها.و قد سبق بيانه فی الخطبه السابقه.

الحادی عشر:أن يعتبروا بمن أضاعها

:أی ینظروا إلی الامم السابقه قبلهم ممّن أضاع التقوی،و یتفکّروا فی حاله کیف أضاعها لأمر لم یبق له ففاته ما طلب و لم یدرک ما فیه رغب ثمّ حصل بعد الهلاک علی سوء المنقلب فیحصّلوا من ذلک عبره لأنفسهم فیحملوها علی التقوی خوفا ممّا نزل بمن أضاعها من الخیبه و الحرمان

و الرجوع إلى دار الهوان.

الثانى عشر:أن لا يجعلوا أنفسهم عبره لمن أطاعها

:أى انقاد للتقوى و دخل فيها أو أطاع موجبها فحذف المضاف،و المراد نهيهم أن يدخلوا فى زمره من أضاعها فيكونوا عبره لمن أطاعها فنهى عن لازم الإضاعه و هو اعتبار غيرهم بهم.و صوره ذلك النهى و إن كانت متعلّقه بغيرهم إلاّ أنّه كنايه عن نهيهم عمّا يستلزم عبره الغير بهم و هو إضاعه التقوى لأنّ النهى عن اللازم يستلزم النهى عن الملزوم،و هذا كما تقول لمن تنصحه:لا يضحك الناس منك:أى لا تفعل ما يستلزم ذلك و يوجبه منهم .

الثالث عشر:أن يصونوها.

و صيانتها شدّه التحفّظ فيها من خلطها برياء أو سمعه و مزجها بشىء من الرذائل و المعاصى.

الرابع عشر:أن يتصوّنوا بها

:أى يتحفّظوا بها عن الذنوب و الرذائل و ثمرتها و يتحرّزوا بالاستعداد لها من لحوق العذاب فى الآخره.

الخامس عشر:أن يكونوا عن الدنيا نزّاها

:أى متنزّهين عمّا حرّم اللّه عليهم و كرهه ممّا يوجب لهم الذمّ عاجلا و العقاب آجلا و هو أمر بالتقوى أيضا.

السادس عشر:أن يكونوا إلى الآخره ولاّها

:أى متحيّرين من شدّه الشوق إليها و ذلك مستلزم للأمر بالتقوى و الانقطاع عن الدنيا إلى الأعمال الصالحه لأنّها هى السبب فى محبّه الآخره و الرغبه التامّه فيما عند اللّه.

السابع عشر:أن لا يضعوا من رفعته التقوى.

و وضعه إمّا بقول كذمّه و الاستهزاء به،أو بفعل كضربه،أو فعل ما يستلزم إهانته،أو ترك قول،أو ترك فعل يستلزم ذلك.و لمّا كان كلّ ذلك منافيا للتقوى و داخلا فى أبواب الرذائل لا جرم نهى عن لازمه و هو وضع من رفعته التقوى لاستلزام رفع اللازم رفع الملزوم.

الثامن عشر:

مجاز أن لا يرفعوا من رفعته الدنيا .و أراد من ارتفاعه وجاهته عند الخلق بسبب الدنيا و اقتناء شيء منها.و التقدير:من رفعته أهل الدنيا.فحذف المضاف،أو اسند الرفع إلى الدنيا مجازا لأنّ الرافع و المعظم له هم الناس،و لمّا

ص:۲۲۳

كـان من رفعته الـدنيا عادلا ـ عن التقوى كـان الميل إليه و احترامه و محبّته يسـتلزم المحبّه للـدنيا و الميل إليها و كان منهيّا عنه،و كان الانحراف عنه و عدم توقيره زهدا فى الدنيا و أهلها هو من جمله التقوى فكان مامورا به .

التاسع عشر:

استعاره نهى عن شيم بارقها .اسـتعار لفـظ البـارق لمـا يلوح للناس فى الـدنيا من مطامعها و مطالبها،و وصف الشـيم لتوقّع تلك المطالب و انتظارها و التطّلع إليها على سبيل الكنايه عن كونها كالسحابه الّتى يلوح بارقها فيتوقّع منها المطر .

العشرون:

كنايه و عن سـماع ناطقها .و كنّى بناطقها عن مادحها و ما كشف وصفها و زينها من القول أو فعل أو زينه أو متاع،و بسماعه عن الإصغاء و الميل إليه و تصديق مقاله و تصويب شهادته فإنّها هى الّتى ينبغى أن يقتنى و يدّخر و يعتنى بها إلى غير ذلك فإنّ كلّ ذلك سبب للعدول عن التقوى و طريق الآخره إلى طرق الهلاك .

الحادى و العشرون:

كنايه و عن إجابه ناعقها .و كنّى بناعقها عن الداعى إليها و الجاذب ممّا ذكرنا،و بإجابته عن موافقته و متابعته .

الثانى و العشرون:

استعاره و الاستضاءه بإشـراقها .و اسـتعار لفظ الإشـراق لوجوه المصالح الداعيه إليها و الآراء الهاديه إلى طرق تحصيلها و كيفيّه السـعى فيهـا،و وصف الاسـتضاءه للاهتـداء بتلـك الآـراء فى طلبها،و وجه المشابهه أنّ تلك الآراء يهتـدى بها فى تحصـيلها كما يهتـدى بالإشـراق المحسوس.و هـذه القرينه قريبه المعنى من القرينتين قبلها،و يحتمل أن يريـد بإشـراقها ما يبتهـج به من زينتها و أنوار جنابهـا،و بالاسـتضاءه ذلـك الابتهاج و الالتـذاذ على سبيل الاسـتعاره،و وجهها مشاركه زينتها للضيـاء فى كونه سـببا ممـدّا للأرواح باسطا لها .

الثالث و العشرون:و من الفتنه بأعلاقها.

و أعلاقهـا مـا يعـدّ فيهـا نفيسـا من قيناتها و متاعها،و هو مستلزم للنهى لهم عن محبّه الـدنيا و الانهماک فى لـذّاتها لأنّ ذلک هو الفاتن لهم و المضلّ عن سبيل اللّه و هو سبب بلائهم و محنتهم و إليه

الإشاره بقوله تعالی «أَنَّما أَمْوالُکَمْ وَ أَوْلادُکُمْ فِتْنَهٌ» (۱)قال المفسّرون:بلاء و محنه و اشتغال عن الآخره.و الإنسان بسبب المال و الولد یقع فی العظائم و یتناول الحرام إلاّ من عصمه اللّه،و عن أبی بریده قال:کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یخطبنا یوما فجاء الحسن و الحسین علیهما السّلام و علیهما قمیصان أحمران یمشیان و یعثران فنزل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من المنبر فحملهما فوضعهما بین یدیه ثمّ قال:صدق اللّه عزّ و جلّ «أَنَّما أَمْوالُکُمْ وَ أَوْلادُکُمْ فِتْنَهٌ» نظرت إلی هذین الصبیّین یمشیان و یعثران فلم أصبر حتّی نزلت إلیهما و رفعتهما.ثمّ أردف ذلک بتعداد معایب و أوصاف لها منفّره عنها معلّلا بها ما سبق من نواهیه عنها.

فقوله:فإنّ برقها خالب.

استعاره فقوله: فإنّ برقها خالب .

تعلیل لنهیه عن شیم بارقها.و استعار وصف الخالب لما لاح من مطامعها،و وجه المشابهه کون مطامعها و آمالها غیر مدرکه و إن ادرک بعضها ففی معرض الزوال کأن لم یحصل فأشبهت البرق الّذی لا ماء فیه و إن حصل معه ضعیف فغیر منتفع به فلذلک لا ینبغی أن یشام بارقها .

و قوله:و نطقها کاذب.

کنایه و قوله: و نطقها کاذب .

تعلیل لنهیه عن سماع نطقها:أی النطق الحاصل فی معناها،و فی مدحها،و أنّها ممّا ینبغی أن یطلب و یدّخر،و وصف نفسها و لذّاتها بلسان حالها الّذی تغرّبه الأوهام الفاسده.و کونه کذبا کنایه عن عدم مطابقه ذلک الوصف بحالها فی نفس الأمر .

و قوله:و أموالها محروبه.

و قوله: و أموالها محروبه .

کالتعلیل لنهیه عن الاستضاءه بإشراقها:أی لا ینبغی أن تستعمل الآراء الحسنه و الحیل فی تحصیل أموالها،أو لا ینبغی أن تحبّ زینتها و أموالها و یبتهج بها فإنّها مأخوذه.

و قوله:و أعلاقها مسلوبه.

و قوله: و أعلاقها مسلوبه .

۱- ۱) ۲۸-۸.

تعلیل لنهیه عن الافتتان بأعلاقها،و یحتمل أن تکون هذه القرینه مع الّتی قبلها تعلیل للنهی عن الفتنه بأعلاقها .

ثمّ أردف تلک الأوصاف بالتنبیه علی أوصاف

اشاره

اخری و نقایض لها مستعاره نفّر بها عنها:

أحدها:

استعاره-استعاره بالکنایه أنّها المتصدّیه العنون .قال بعض الشارحین:هو استعاره وصف المرأه الفاجره الّتی من شأنها التعرّض للرجال لتخدعهم عن أنفسهم،و یحتمل أن یکون استعاره لوصف الفرس أو الناقه الّتی تمشی فی الطریق معترضه خابطا.

و قوله: العنون .

استعاره بوصف الدابّه المتقدّمه فی السیر.کنّی بهما عن لحوق الدنیا بالدابّه تکون کذلک.و وجه المشابهه فی الوصف الأوّل أنّ الدنیا فی تغیّراتها و أحوالها و حرکاتها غیر مضبوطه و لا-جاریه مع الإنسان علی حال واحد فأشبهت الناقه الّتی تعترض فی طریقها و تمشی علی غیر استقامه،و وجهها فی الثانی أنّ مدّه الحیاه الدنیا فی غایه الإسراع و شدّه السیر بأهلها إلی الآخره فأشبهت السریعه من الدوابّ المتقدّمه فی سیرها .

الثانی:

استعاره الجامحه الحرون .استعار وصف الجماح لها باعتبار کونها لا تملک لأهلها و لا ینقاد لهم کما لا ینقاد الحرون لراکبها،و کذلک وصف الحرون باعتبار عدم انقیاده لأهلها و عدم قدرتهم علی تصریفها و هم أحوج ما یکونون إلیها .

الثالث:

استعاره المائنه الخئون .فاستعار وصف الکاذبه لها باعتبار عدم مطابقه اغترارها للناس بزینتها و متاعها و توهّمهم عن ذلک بقاؤها و نفعها لما علیه الأمر فی نفسه.

إذ کان عن قلیل ینکشف کذبها فیما غرّتهم به و کذب أوهامهم فیها،و کذلک وصف الخئون باعتبار عدم وفائها لمن غرّته و خدعته عن نفسه بزینتها فکأنّها لذلک أعطته عهدا بدوامها له فخانته بزوالها عنه و لم تف بعهده .

الرابع:

استعاره الجحود الکنود ،و استعار لها هذین الوصفین ملاحظه لشبهها بالمرأه الّتی تکفر نعمه زوجها و تنکر صنیعه،و یکون من شأنها الغدر.و ذلک أنّ الدنیا من شأنها أن تنفر عمّن رغب فیها و سعی لها و اجتهد فی عمارتها و إظهار

ص:۲۲۶

زينتها،و يكون سبب هلاكه ثمّ ينتقل عنه إلى غيره .

الخامس:

استعاره العنود الصدود .فاستعار وصف العنود لها باعتبار عدولها عن حال استقامتها على الأحوال المطلوبه للناس،و انحرافها عن سنن قصودهم منها كالناقه الّتى ينحرف عن المرعى المعتاد للإبل و ترعى جانبا.و كذلك الصدود باعتبار كثره إعراضها عمّن طلبها و رغب فيها .

السادس:

استعاره و الحيود الميود فاستعاره وصف الحيود ظاهره،و أمّا وصف الميود فباعتبار تردّدها فى ميلها بالنسبه إلى بعض أشخاص الناس من حال إلى آخر فتاره لهم و تاره عليهم.و يحتمل أن لا يكون قد اعتبر قيد التردّد بل أراد مطلق الحركه استعاره لكثره تغيّرها و انتقالها .

السابع:حالها انتقال.

إخبار عن حالها بأنّها انتقال:أى من شخص إلى آخر و من حال إلى حال.و ظاهر أنّها كذلك.قال بعض الشارحين:يجوز أن يريد به أنّ شيمتها و سجيّتها الانتقال و التغيّر.و يحتمل أن يعنى بالحال الحاضره من الزمان و هو الآن.و يكون مراده أنّ الّذى يحكم عليه العقلاء بالحضور منها ليس بحاضر بل هو سيّال متغيّر لا ثبوت له فى الحقيقه كما لا ثبوت للماضى و المستقبل.

الثامن:

استعاره و وطأتها زلزال .استعار لفظ الوطأه لإصابتها ببعض شدائدها،و وجه الاستعاره استلزام إصابتها بذلك إهانه من أصابته و الثقل عليه كما يستلزم وطأه الثقيل من الحيوان ذلك،و استعار لفظ الزلزال لاضطراب أحوال من تصيبه بمكروهها كاضطراب الأرض بالزلزال .

التاسع:

مجاز إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه أو تسميه الشىء باسم ما يؤول إليه عزّها ذلّ :أى العزّ الحاصل عنها لأهلها بسبب كثره قيناتها كعزّه ملوكها و منفعتهم ذلّ فى الآخره،و أطلق عليه لفظ الذلّ إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه أو تسميه الشىء باسم ما يؤول إليه.إذ كان العزّ بالدنيا و أموالها مستلزما للانحراف عن الدين و التقوى الحقّه،و ذلك مستلزم للذلّ الأكبر عند لقاء اللّه .و إليه الإشاره بقوله تعالى حكايه عن المنافقين «لَئِنْ رَجَعْنا»

«إِلَى الْمَدِينَهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلّهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ» (۱)و نقل المفسّرون أنّ القائل لذلک عبد اللّه بن ابىّ،و الأعزّ يعنى نفسه و الأذلّ يعنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فردّ اللّه تعالى عليه بقوله «وَ لِلّهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ» (۲)الآيه.

العاشر:

استعاره و جدّها هزل .استعار لفظ الجدّ و هو القيام فى الأمر بعنايه و اجتهاد لإقبالها على بعض أهلها بخيراتها كالصديق المعتنى بحال صديقه،و لإدبارها عن بعضهم و إصابتها له بمكروهها كالعدوّ القاصد لهلاک عدوّه.و استعار لجدّها لفظ الهزل الّذى هو ضدّه.و وجه الاستعاره كونها عند إقبالها على الإنسان كالمعتنيه بحالها أو عند إعراضها عنه و رميه بالمصايب كالقاصده لذلک ثمّ يسرع انتقالها عن تلک الحال إلى ضدّها فهى فى ذلک كالهازل اللاعب.و يحتمل أن يريد جدّ أهلها هزل:

أى عنايتهم بها و اجتهادهم فى تحصيلها يشبه الهزل و اللعب فى سرعه تغيّره و الانتقال عنه بزوالها فاستعار له لفظه .

الحادى عشر:و علوّها سفل

:أى العلوّ الحاصل بسببها أو علوّ أهلها على تقدير حذف المضاف،و أخبر عنه بأنّه سفل لاستلزامه السفل و انحطاط المرتبه فى الآخره بين أهلها.و هو كقوله:و عزّها ذلّ.

الثانى عشر:كونها دار حرب

.كقوله:أموالها محروبه.و أراد كونها مظنّه أن تسلب قيناتها عن أهلها بالموت و غيره. استعاره و استعار لفظ السلب لما فيها من القينات.و وجه المشابهه كون ما فيها يسلب عن أهلها فى كلّ زمان و يصير إلى من بعدهم كدار حرب.و كذلک نهب و عطب .

الثالث عشر:كون أهلها على ساق

:أى على شدّه.و هو ظاهر.إذ كلّ ما عدّد من أوصافها من الحرب و السلب و العطب شدائد عليها أهلها.و قال قطب الدين الراوندىّ:أراد بكونها على ساق أنّ بعضهم يتبع أثر بعض إلى الآخره فأشبه ذلک قولهم:ولدت فلانه ثلاثه بنين على ساق:أى ليس بينهم انثى.و أنكره

۱- ۱) ۸-۶۳.

۲- ۲) ۸-۶۳.

ابن أبی الحدید. کنایه و کنّی بالساق عن الأمر الشدید .قال بعض الشارحین:و یحتمل أن یکون مصدر قولک ساقه سیاقا:أی أنّهم مساقون إلی الآخره،و لحاق-بفتح اللام-أی یلحق بعضهم بعضا فی الوجود و العدم،و فراق یفارق بعضهم بعضا.و هو کقولهم:الدنیا مولود یولد و مفقود یفقد.و یحتمل أن یرید باللحاق لحاق الأحیاء للموتی فی العدم.

الرابع عشر:

مجاز کونها قد تحیّرت مذاهبها ،و لم یرد بمذاهبها طرقها المحسوسه و لا الاعتقادات بل الطرق العقلیّه فی تحصیل خیرها و دفع شرّها.و أسند الحیره إلی المذاهب مجازا إقامه للعلّه القابله مقام العلّه الفاعله.إذ الأصل تحیّر أهلها فی مذاهبها .

الخامس عشر:و أعجزت مهاربها

:أی و أعجزت من طلبها.فحذف المفعول لأنّ الغرض ذکر الإعجاز.و مهاربها مواضع الهرب من شرورها.

السادس عشر:

استعاره و خابت مطالبها استعار وصف الخیابه للمطالب،و وجه المشابهه عدم حصولها بعد ظهورها للأوهام و تعلّق الآمال بها فأشبهت من وعد بحصول شیء لم یف به .ثمّ عقّب بذکر بعض لوازم خیابه مطالبها،و هی إسلام المعاقل لهم، و استعار لها لفظ الإسلام باعتبار کونها لا تحفظهم من الرزایا و لا تحصنهم من سهام المنایا فأشبهت فی ذلک من أسلم الملتجی إلیه و خلّی عنه لعدّوه.و لکون ذلک لازما عطفه بالفاء. استعاره و کذلک لفظ المنازل لهم مستعار باعتبار خروجهم منها بالموت فهی کاللافظه الملقیه لهم .

ثمّ قسّمهم باعتبار لحوق شرّها لأحیائهم و أمواتهم إلی أصناف:

أحدها:

کنایه ناج معقور .و أراد الباقین فیها،و کنّی بالمعقور عن من رمته بالمصائب فیها المشبهه للمعقور .

الثانی:و لحم مجزور،

و أراد منهم من صار لحما مجزورا.

الثالث:و شلو مذبوح.

و أراد ذی شلو مذبوح:أی قد صار بعد الذبح أشلاء متفرّقه،و یحتمل أن یکون مذبوح صفه للشلو،و أراد بالذبح مطلق الشقّ کما هو فی أصل اللغه.

ص:۲۲۹

الرابع:و دم مسفوح

:أی و ذی دم مسفوح.

الخامس:

کنایه و عاضّ علی یدیه ، و هو کنایه عن ندم الظالمین بعد الموت علی التفریط و التقصیر.إذ کان من شأن النادم ذلک .

السادس:و صافق بکفّیه

:أی ضارب إحداهما علی الاخری ندما.

السابع:و-کذلک-مرتفق لخدّیه

:أی جاعل مرفقیه تحت خدّیه فعل النادم.

الثامن:و-کذلک-و زار علی رأیه

:أی رأیه الّذی اقتضی له السعی فی جمع الدنیا و الالتفات إلیها بکلّیّته حتّی لزم من ذلک إعراضه عن الآخره فحاق به سیّیء ما کسب فإذا انکشف له بعد الموت لزوم العقاب و ظهرت له سلاسل الهیئات البدنیّه و أغلالها فی عنقه علم أنّ کلّ ذلک ثمره ذلک الرأی الفاسد فأزری علیه و عابه و أنکره.

التاسع:و راجع عن عزمه

:أی ما کان عزم من عماره الدنیا و السعی فی تحصیلها،و بالموت تنجلی تلک العزوم و یرجع عنها .

و قوله:و قد أدبرت الحیله.

و قوله: و قد أدبرت الحیله .

الواو للحال من الضمیر فی راجع:أی و راجع عن عزمه حال ما قد أدبرت حیلته و هذه الحال مفسّره لمثلها عن الضمائر المرفوعه فی عاضّ،و صافق،و مرتفق، و زار.

و قوله:و أقبلت الغيله.

و قوله: و أقبلت الغيله .

أی أخذهم إلی جهنّم و إهلاکهم فیها علی غرّه منهم بذلک الأخذ،و قال بعض الشارحین:یحتمل بالغیله الشرّ بمعنی الغائله.

و قوله:و لات حین مناص.

و قوله: و لات حین مناص .

فی موضع الحال و العامل أقبلت:أی و أقبل الهلاک و الشرّ حال ما لیس لهم وقت فرار و لا تأخّر عنه کقوله تعالی «کَمْ أَهْلَکْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنادَوْا وَ لاتَ حِینَ مَناصٍ» (۱)أی فنادوا مستغیثین حال ما لیس الوقت وقت مخلص و مفرّ .

۱- ۱) ۲-۳۸.

و قوله:هيهات هيهات.

و قوله: هيهات هيهات .

أي بعد الخلاص و الفرار.و أتى به مكرّرا للتأكيد،و هو فى مقابله قول الكفّار المنكرين لأحوال المعاد «هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ» و كالجزاء له بعد الموت.

و قوله:و قد فات ما فات.إلى قوله:ذهب.

و قوله: و قد فات ما فات .إلى قوله: ذهب .

أي فات ما كنتم فيه من أحوال الدنيا الّتى يتمنّون الرجعه إليها فلا رجوع لها.و نحوه قوله تعالى «قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً» (١)الآيه.

و قوله:و مضت الدنيا لحال بالها.

استعاره و قوله: و مضت الدنيا لحال بالها .

كلمه يخبر بها عمّن مضى،أو يأمر بالمضىّ:أى و مضت عنهم الدنيا لحال بالها.و نحوه قوله عليه السّلام:حتّى إذا مضى الأوّل لسبيله.و قوله:امض لشأنك.

و اللام للغرض فكأنّه استعار لها لفظ البال بمعنى القلب ملاحظه لشبهها بمن يمضى لغرض نفسه و ما يهواه قلبه ،و يحتمل أن يريد بالبال الحال أيضا و جواز الإضافه لاختلاف اللفظين،و قال بعض الشارحين:أراد بحال بالها ما كانت عليه من رخائها و سهولتها على أهلها.

و قوله:و أقبلت الآخره.

و قوله: و أقبلت الآخره .

أي بشدّتها و صعوبتها. اقتباس مجاز إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه ثمّ ختم بالآيه اقتباسا.و المعنى أنّهم لمّا ركنوا إلى الدنيا فعلت بهم ما فعلت،و حصلوا على ما حصلوا عليه من البداهه،و ولّت عنهم لشأنها «فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ» قال بعض المفسّرين:أراد أهل السماء و هم الملائكه و أهل الأرض فحذف المضاف.و هو كنايه عن كونهم لا يستحقّون أن يتأسّف عليهم و لا أن يبكون،و قيل:أراد المبالغه فى تحقير شأنهم لأنّ العرب كانت تقول فى عظيم القدر يموت:بكته السماء و الأرض.فنفى عنهم ذلك،و أراد ليسوا ممّن يقال فيهم مثل هذا القول.

و عن ابن عبّاس-رضى اللّه عنه-لمّا قيل له:أ تبكى السماء و الأرض على أحد؟فقال:يبكيه مصلّاه فى الأرض و مصعد عمله فى

السماء.

ص:۲۳۱

١- ١) ١٠١-٢٣.

فیکون نفی البکاء عنهم کنایه عن أنّه لم یکن لهم فی الأرض موضع عمل صالح حتّی یکون له مصعد فی السماء فلم تبک علیهم،و نحوه عن أنس قال:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:ما من مسلم إلاّ و له بابان:باب تصعد فیه عمله،و باب ینزل منه رزقه إلی الأرض فإذا مات بکیا علیه.فذلک قوله عزّ و جلّ «فَما بَکَتْ عَلَیْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ» (۱)و اعلم أنّ إطلاق لفظ البکاء علی السماء و الأرض مجاز فی فقدهما لما ینبغی أن یکون فیهما من مساجد المؤمنین و مصاعد أعمالهم قیاسا فی ذلک من فقد شیئا یحبّه و یبکی له فاطلق علیه إطلاقا لاسم الملزوم علی لازمه .و باللّه التوفیق.

۲۳۴-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

تسمی القاصعه

و هی تتضمن ذم إبلیس علی استکباره و ترکه السجود لآدم علیه السّلام و أنه أول من أظهر العصبیه و تبع الحمیه،و تحذیر الناس من سلوک طریقته و فیها فصول:

الفصل الأوّل:

اشاره

قوله:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی» لَبِسَ الْعِزَّ وَ الْکِبْرِیَاءَ- وَ اخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ- وَ جَعَلَهُمَا حِمًی وَ حَرَماً عَلَی غَیْرِهِ- وَ اصْطَفَاهُمَا لِجَلاَلِهِ- وَ جَعَلَ اللَّعْنَهَ عَلَی مَنْ نَازَعَهُ فِیهِمَا مِنْ عِبَادِهِ- ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِکَ مَلاَئِکَتَهُ الْمُقَرَّبِینَ- لِیَمِیزَ الْمُتَوَاضِعِینَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَکْبِرِینَ- فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ هُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ

۱- ۱) ۲۸-۴۴.

وَ مَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ «إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ فَسَجَدَ الْمَلائِکَهُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاّ إِبْلِیسَ» اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِیَّهُ فَافْتَخَرَ عَلَی؟آدَمَ؟ بِخَلْقِهِ- وَ تَعَصَّبَ عَلَیْهِ لِأَصْلِهِ- فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِینَ وَ سَلَفُ الْمُسْتَکْبِرِینَ- الَّذِی وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِیَّهِ وَ نَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِیَّهِ- وَ ادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ وَ خَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ أَ لاَ تَرَوْنَ کَیْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَکَبُّرِهِ- وَ وَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ فَجَعَلَهُ فِی الدُّنْیَا مَدْحُوراً- وَ أَعَدَّ لَهُ فِی الْآخِرَهِ سَعِیراً وَ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ یَخْلُقَ؟آدَمَ؟ مِنْ نُورٍ- یَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِیَاؤُهُ وَ یَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ- وَ طِیبٍ یَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ- وَ لَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَهً- وَ لَخَفَّتِ الْبَلْوَی فِیهِ عَلَی الْمَلاَئِکَهِ- وَ لَکِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ابْتَلَی خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا یَجْهَلُونَ أَصْلَهُ- تَمْیِیزاً بِالاِخْتِبَارِ لَهُمْ وَ نَفْیاً لِلاِسْتِکْبَارِ عَنْهُمْ- وَ إِبْعَاداً لِلْخُیَلاَءِ مِنْهُمْ أقول:نقل فی سبب هذه الخطبه:أنّ أهل الکوفه کانوا فی آخر خلافته علیه السّلام قد فسدوا و کانوا قبائل متعدّده فکان الرجل یخرج من منازل قبیلته فیمرّ بمنازل قبیله اخری فیقع به أدنی مکروه فیستعدی قبیلته،و ینادی باسمها مثلا یا للنخع أو یا لکنده نداء عالیا یقصد به الفتنه و إثاره الشرّ فیتألب علیه فتیان القبیله

ص:۲۳۳

الّتی قد مرّ بها و ینادون یا لتمیم یا لربیعه فیضربونه فیمرّ إلی قبیلته و یستصرخ بها و تسّل بینهم السیوف و تثور الفتنه،و لا یکون لها أصل فی الحقیقه و لا سبب یعرف إلاّ تعرّض الفتیان بعضهم ببعض،و کثر ذلک منهم فخرج علیه السّلام إلیهم علی ناقه فخطبهم هذه الخطبه.إذا عرفت ذلک فنقول:

اللغه

القصع : ابتلاع الماء و الجرّه،و قصعت الرجل قصعا:صغّرته و حقّرته، و قصعت هامّته:إذا ضربتها ببسط کفّک،و قصع اللّه شبابه:إذا بقی قمیئا.فهو مقصوع لا یزداد.و أصل هذه الکلمه للتصغیر و التحقیر .و الجبریّه و الجبروت:

الکبر .و ادّرعه : لبسه کالدرع .و الدحر : الطرد .و خطف بالکسر.یخطف:

أخذ البصر بسرعه استلابا .و تبهر العقول : أی یغلب نوره أنوارها و ینمحق فیه .و الرواء : المنظر الحسن .و العرف : الرائحه الطیّبه .و الخیلاء : الکبر .و الإحباط : الإبطال .و الجهد بفتح الجیم : الاجتهاد .و الهواده : الصلح .

المعنی

و قد ذکر الشارحون فی تسمیه هذه الخطبه القاصعه وجوها:

أحدها:و هو أقربها أنّه علیه السّلام کان یخطبها علی ناقته و هی تقصع بجرّتها فجاز أن یقال:إنّ هذه الحال لمّا نقلت عنه فی أسناد هذه الخطبه نسبت الخطبه إلی الناقه القاصعه فقیل:خطبه القاصعه ثمّ کثر استعمالها فجعلت من صفات الخطبه نفسها،أو لأنّ الخطبه عرفت بهذه الصفه لملازمه قصع الناقه لإنشائها.و العرب یسمّی الشیء باسم لازمه.

الثانی:إنّها سمیّت بذلک لأنّ المواعظ و الزواجر فیها متتابعه فأشبهت جرّات الناقه و تتابعها.

الثالث:سمیّت بذلک لأنّها هاشمه کاسره لإبلیس،و مصغّره و محقّره لکلّ جبّار.و هو وجه حسن أیضا.

الرابع:لأنّها تسکّن نخوه المتکبرین و کبرهم فأشبهت الماء الّذی یسکّن العطش فیکون من قولهم:قصع الماء عطشه إذا سکّنه و أذهبه .

و اعلم أنّ مدار هذه الخطبه علی النهی عن الکبر و التوبیخ علیه

و علی ما یلزمه

من الحميّه و العصبيّه لغير اللّه تعالى ليكون الناس على ضدّ ذلك من التواضع و الرفق،و قد علمت فى المقدّمات أنّ من شأن الخطيب أن يورد فى صدر الخطبه ما يتبّه على المطلوب الّذى يورده بقول كلّىّ ليتنبّه السامعون لما يريده إجمالا فلذلك صدّر عليه السّلام الخطبه بنسبه العزّ و الكبرياء و العظمه إلى من هو أولى به و هو اللّه تعالى،و أشار إلى أنّ ذلك خاصّه له و حرام على غيره،و ذكر إبليس و قصّته مع آدم عليه السّلام فى معرض الذمّ بتكبره عليه ليترتّب على ذكره و ذمّه بتلك الرذيله النهى و التحذير عن ارتكابها و ليحصل التنفير بحاله إذ كان بذلك ملعونا مطرودا على ألسنه الأنبياء بأسرهم.و إذ كان مدار الخطبه ذمّ الكبر و النهى عنه فلنشر إلى حقيقته فى الإنسان أوّلا ثمّ إلى ما يلزمه من الآفات و إلى المذامّ الوارده فيه.

فنقول:أمّا حقيقته فهى هيئه نفسانيّه تنشأ عن تصوّر الإنسان نفسه أكمل من غيره و أعلى رتبه و تلك الهيئه تعود إلى ما يحصل للنفس عن ذلك التصوّر من النفخ و الهزّه و التعزز و التعظّم و الركون إلى ما تصوّرته من كمالاتها و شرفها على الغير،و لذلك قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أعوذ بك من نفخه الكبر.و هى رذيله تحت الفجور تقابل فضيله التواضع.و ما يلزم عن ذلك التصوّر أعنى تصوّر الإنسان فضيلته على الغير إن قطع النظر فيه عن قياسه على متكبر عليه و عن إضافته إلى اللّه تعالى باعتبار أنّه منه و لم يكن خائفا من فوت تلك الفضيله بل كان ساكنا إليها مطمئنّا فذلك هو العجب فإذن العجب هيئه تلزم عن تصوّر الكمال فى النفس و استقطاعه عن المنعم به و الركون إليه و الفرح به مع الغفله عن قياس النفس إلى الغير بكونها أفضل منه.و بهذا الفصل الأخير ينفصل عن الكبر.إذ كان لا بدّ فى الكبر من أن يرى الإنسان لنفسه مرتبه و للغير مرتبه ثمّ يرى مرتبته فوق مرتبه غيره.و أمّا آفاته و هى ثمراته و ما يلزم عنه من الأعمال و التروك فإنّ هذا الخلق يوجب أعمالا إذا ظهرت على الجوارح قد تسمّى كبرا:فمنها باطنه كتحقير الغير و ازدرائه،و اعتقاد أنّه ليس أهلا للمجالسه و المواكله و الأنفه عن ذلك.و اعتقاد

أنّه يصلح أن يكون ماثلا بين يديه قائما،بل قد يعتقد من هو أشدّ كبرا أنّ ذلک لا يصلح للمثول بين يديه،و كحسده و الحقد عليه،و كنظر العالم المتكبر إلى الجاهل العامّى بعين الاستخفاف و الاستجهال.و أمّا الظاهره فكالتقدّم عليه فى الطرق و الارتفاع عليه فى المجالس،و كإبعاده عن مجالسته و مؤاكلته،و العنف به فى النصح، و الغضب عند ردّ قوله،و الغلظه على المتعلّمين و إذلالهم و استخدامهم،و الغيبه و التطاول بالقول.و أمّا التروک:فكترک التواضع و الاستنكاف عن مجالسه من دونه و معاشرته و عدم الرفق بذوى الحاجات و نحو ذلک ممّا لا يحصى من الرذائل.

و أمّا المذامّ الوارده فيه:فهى كثيره فى القرآن الكريم و السنّه النبويّه كقوله تعالى «كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّٰارٍ» (۱)و قوله «وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خٰابَ كُلُّ جَبّٰارٍ عَنِيدٍ» (۲)و قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:يقول اللّه عزّ و جلّ الكبرياء ردائى و العظمه إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنّم.و قوله عليه السّلام:لا يدخل الجنّه من فى قلبه مثقال ذرّه من كبر.و إنّما صار حجابا عن الجنّه لأنّه يحول بين العبد و بين أخلاق المؤمنين الّتى هى أبواب الجنّه.فالكبر و العجب يغلق تلک الأبواب كلّها لأنّها لا تقدر على أنّ يحبّ للمؤمن ما يحبّ لنفسه و فيه شىء من العزّه،و لا يتمكّن من ترک هذه الرذائل و فعل أضدادها من الفضائل كالتواضع و كظم الغيظ و قبول النصح و الرفق فى القول و غيرها و فيه شىء من العزّه و الكبرياء.و ما من خلق ذميم إلاّ و صاحب العزّه و الكبر مضطرّ إليه ليحفظ به عزّه.و ما من خلق فاضل إلاّ و هو عاجز عنه خوفا أن يفوته عزّه فلذلک لم يدخل الجنّه من فى قلبه مثقال حبّه من كبر.و بعض الأخلاق الذميمه مستلزم للبعض.و شرّ أنواع الكبر ما منع العلم و استعماله و قبول الحقّ و الانقياد له.

إذا عرفت ذلک فنقول:إنّه عليه السّلام حمد اللّه تعالى باعتبارات:

أحدها:لبسه للعزّ و الكبرياء.

و لمّا علمت أنّ الكبرياء لا بدّ فيه من أمرين:أحدهما:العلم بكمال الذات.و الثانى:اعتبار الشرف و العلوّ على الغير

۱- (۱) ۳۷-۴۰.

۲- (۲) ۱۸-۱۴.

فکان هذان الاعتباران صادقین علیه تعالی أتمّ من صدقهما علی کلّ موجود لا جرم کان بالکبریاء و العظمه أحقّ من کلّ موجود أمّا الأوّل:فلأنّه لمّا کان کمالات الذات عباره عن الوجود و کماله فکان وجوده تعالی أتمّ الوجودات بحیث لم یفته من کماله شیء بل کلّ ما ینبغی له فهو حاصل بالفعل لا جرم صدق علیه هذا الاعتبار أتمّ صدق.و أمّا الثانی:فلأنّ وجوده تعالی هو الوجود الّذی یصدر عنه وجود کلّ موجود عداه،و هو تعالی عالم بجمیع المعلومات کلّیّها و جزئیّها فهو إذن عالم بکماله و شرفه علی عبیده.و استعار لفظ اللبس باعتبار إحاطه کماله بکلّ اعتبار له کما یحیط القمیص و الرداء بجسد لابسه.

الثانی:کونه تعالی اختارهما لنفسه دون خلقه.

و معنی اختیاره هنا تفرّده باستحقاقهما لذاته فإنّ المستحقّ للعزّ و الکبریاء بالذات لیس إلاّ هو،و دلّ علی ذلک المنقول و المعقول.و أمّا المنقول:فقوله تعالی «عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَهِ الْکَبِیرُ الْمُتَعالِ» (۱)و الألف و اللام هنا یفید حصر الکبریاء و العلوّ فیه،و أمّا المعقول فلأنّه تعالی لمّا استحقّ ذلک الاعتبار لذاته لا بأمر خارج و إلاّ لکان مفتقرا إلی الغیر.ثمّ ذمّ المتکبرین و توعّدهم فی کتابه العزیز و علی لسان نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث قال حکایه عنه:الکبریاء ردائی.الخبر.علمنا أنّه قد اختار الاختصاص بهما دون خلقه.

الثالث:و جعلهما حمی و حرما علی غیره.

استعار لفظ الحمی و الحرم باعتبار اختیاره لهما و تحریمهما علی غیره من خلقه کما یحمی الملک المرعی و الحرم.

الرابع:و اصطفاهما لجلاله

:أی لتقدّسه و علوّه عن شبه مخلوقاته استحقّ الانفراد بهذین فتفرّد بهما.و هو معنی اصطفائه لهما.

الخامس:

مجاز إطلاقا لاسم اللازم علی ملزومه جعله اللعنه علی من نازعه فیهما من عباده .إشاره إلی نحو قوله فی الخبر المذکور:فمن نازعنی فیهما ألقیته فی جهنّم.و لا شکّ أنّ الملقی فی جهنّم مبعّد مطرود عن الخیر و الرحمه.و لفظ المنازعه فی الخبر مجاز فی محادّه المتکبرین

۱- (۱) ۱۰-۱۶.

و مجـانبتهم له و مخالفتهم لأمره فى الاتّصاف بالكبر فكأنّهم يجاذبونه ما اختص به و من لوازم المجاذبه المنازعه القوليّه فاطلقت هنا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه .

السادس:

استعاره مرشـحه اختبـاره بـذلك ملائكته المقرّبين.إلى قوله:ساجـدين :أى ابتلاهـم بالتكبّر و عـدمه.و قـد علمت معنى ابتلائه و اختباره تعالى لخلقه فيما سبق.و نزيده بيانا.فنقول لمّا كانت حقيقه الاختبار طلب الخبر بالشـىء و معرفته لمن لا يكون عارفا به،و كان هو تعالى عالما بمضمرات القلوب و خفيّات القلوب فيميّز المطيعين من عبيده من العصاه لم يكن إطلاق هذا اللفظ فى حقّه حقيقه بـل على وجه الاستعاره باعتبـار أنّه لمّـا كـان ثوابه و عقـابه للخلق موقوفين على تكليفهم بمـا كلّفهم به فـإن أطـاعوه فيما أمرهم أثابهم و إن عصوه عاقبهم أشبه ذلك اختبار الإنسان لعبيده و تمييزه لمن أطاعه منهم ممّن عصاه،و أطلق عليه لفظه.

و قوله:ليميز المتواضعين منهم من المتكبّرين.

استعاره مرشحه و قوله: ليميز المتواضعين منهم من المتكبّرين .

ترشيح لاستعاره الاختبار لأنّ التميز من لوازمه و عوارضه .و يحتمل أن يريد ليميز المطيعين عن العصاه بإعطاء الثواب لهم دونهم فلا يكون التميز بمعنى العلم بل الانفصال الخارجىّ لكلّ من المطيعين و العصاه بما يستحقّه من ثواب و عقاب .

و قوله:و هو العالم.إلى قوله:العيوب.

و قوله: و هو العالم .إلى قوله: العيوب .

قرينه مخرجه للاختبـار عن حقيقته،و هى جمله معترضه بين القول و المقول للملائكه و هو قوله تعـالى «إِنِّی خـالِقٌ» إلى آخره.و المختبر به هو قوله «فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ» (۱)و قال بعض الشارحين:إنّما اختبرهم مع علمه بمضمراتهم لأنّ اختباره تعالى ليس ليعلم بـل ليعلم غيره من خلقه طاعه من يطيع و عصيان من يعصى قـال:و قوله «لِنَعْلَمَ أَیُّ الْحِزْبَیْنِ» و قوله «لِنَعْلَمَ مَنْ یَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ یَنْقَلِبُ عَلی عَقِبَیْهِ» أى لتعلم أنت و غيرك.و فيه بعد.و قد شرحنا قصّه الملائكه و إبليس

ص:۲۳۸

۱- ۱) ۲۹-۱۵.

و آدم فی الخطبه الاولی بقدر الوسع فلا حاجه إلی التطویل بالإعاده غیر أنّ هاهنا ألفاظا یحتاج إلی الإیضاح .و افتخار إبلیس و تعصّبه و تکبره علی آدم فی قوله «خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ» و قوله: «أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِیناً» أ أسجد «لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» .فکان تعصّبه علیه و استکباره نظرا إلی أصلهما، و کونه إمام المتعصّبین باعتبار کونه المنشأ لرذیله العصبیّه فی غیر الحقّ و المعتدی به فیها.و أمّا العصبیّه فی الحقّ فهی محموده کما جاء فی الخبر:العصبیّه فی اللّه تورث الجنّه،و العصبیّه فی الشیطان تورث النار.و کذلک کونه سلفا للمتکبّرین باعتبار تقدّمه للمتکبّرین بالاستکبار علی آدم.و السلف هو التقدّم.

و قوله:الّذی وضع أساس العصبیّه.

و قوله: الّذی وضع أساس العصبیّه .

إذ کانت عصبیّته لأصله کالأساس للخلق یبنی علیه الخلق سائر العصبیّات و یقتدی به فیها.

و قوله:و نازع اللّه رداء الجبریّه.

استعاره مرشحه و قوله: و نازع اللّه رداء الجبریّه .

أی بتجبّره و تکبره.و قد عرفت وجه الاستعاره فی المنازعه فی الرداء،و کذلک قوله:و ادّرع لباس التعزّز.لمّا استعار لفظ الادّراع لإبلیس من جهه اشتماله و تلبّسه بالتعزّز رشّح بذکر اللباس،و کذلک قوله:و خلع قناع التذلّل.استعاره للفظ الخلع،و ترشیح بلفظ القناع .

و قوله:أ لا ترون.إلی قوله:بترفّعه.

و قوله: أ لا ترون .إلی قوله: بترفّعه .

تنبیه علی کیفیّه تصغیر اللّه إیّاه و وضعه له بسبب تکبره و تعظّمه،و ذلک التصغیر و الوضع هو جعله فی الدنیا مدحورا بعد إخراجه من الجنّه بقوله تعالی «اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً» (۱)و إعداده له فی الآخره سعیرا بقوله تعالی «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکَ وَ مِمَّنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ أَجْمَعِینَ» (۲)و نحوه .

و قوله:و لو أراد اللّه.إلی قوله:علی الملائکه.

و قوله: و لو أراد اللّه .إلی قوله: علی الملائکه .فی صوره قیاس اقترانیّ مرکّب من متّصلین صغراهما قوله:و لو اراد اللّه.إلی قوله:لفعل.و کبراهما :

۱- ۱) ۱۷-۷.

۲- ۲) ۸۵-۳۸.

قوله: و لو فعل إلى آخره.و تالى الكبرى مركّب من جملتين عطفت إحداهما على الاخرى.و معنى الصغرى أنّه تعالى لو أراد قبل خلق آدم أن يخلقه من نور شفّاف لطيف يخطف الأبصار،و يبهر العقول حسنه،و طيب يأخذ الأنفاس رائحته و لم يخلقه من طين ظلمانىّ كثيف لفعل لأنّ ذلك أمر ممكن مقدور له،و يحتمل أن يريد بخلقه من النور خلقه روحانيّا مجرّدا عن علاقه الموادّ المظلمه.و قد يوصف المجرّدات بالنور فيقال:أنوار اللّه،و أنوار جلاله،و أنوار حضرته،و قد أضاءنا بنور علمه و يوصف بالرايحه أيضا فيقال:فلان لم يشمّ رائحه العلم.و بالطعم فيقال:فلان لم يذق حلاوه العلم.و كلّ ذلك استعاره لفظ المحسوس للمعقول تقريبا للأفهام.و معنى الكبرى أنّه لو فعل ذلك و خلقه كذلك لظلّت أعناق الملائكه و إبليس خاضعه له.و ذلك لشرف جوهره على الطين و فضل خلقته على ما يخلق منه و لم يكن ممّن يفسد فى الأرض و يسفك الدماء حتّى تقول الملائكه: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ» .و لا من طين منتن حتّى يفخر عليه إبليس بأصله يقول: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» ،أ أسجد «لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» و لخفّت البلوى فيه على الملائكه.و بيان الخفّه من وجهين:أحدهما:لشرف جوهره فإنّه من العاده أن يستنكف الشريف من الخضوع لمن هو دونه فى أصله و يشقّ عليه التكليف بذلك فى حقّه فأمّا إذا كان أصله مناسبا لأصله و مقارنا فى الشرف فلا شكّ أنّ تكليفه بخدمته يكون عليه أسهل و أخفّ.و الثانى:أنّهم ما كانوا عالمين بالسرّ الّذى خلق له آدم و هو كونه صالحا لخلافه اللّه سبحانه فى عماره الأرض و إصلاح أبناء نوعه و إعدادهم للكمالات و غير ذلك ممّا لا يعلمونه كما قال تعالى فى جواب قولهم «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها» إلى «إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ» (1)و كما علّمه الأسماء و أمره بعرضها عليهم فقال «أَنْبِئُونِی بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاّ ما عَلَّمْتَنا» (2)و ظاهر أنّ تكليف النفس بما يطّلع على سرّه و يعلم وجه الحكمه فيه أسهل عليها من تكليفها

۱- ۱) ۲۸-۲.

۲- ۲) ۳۰-۲.

بما تجهله.فلو خلقه تعالی من نور مناسبا لخلقهم لعلموا نوعیّته و سرّ خلقه فلم یشقّ علیهم التکلیف بالسجود له.و یؤیّد هذا الوجه قوله:و لکنّ اللّه سبحانه مبتلی خلقه ببعض ما یجهلون أصله و فی هذا الاستثناء تنبیه علی عدم إراده خلق آدم من نور.و ذلک العدم هو نقیض مقدّم نتیجه القیاس المذکور اللازم عن استثناء نقیض تالیها.و تقدیر النتیجه أنّه لو أراد خلقه من نور لظلّت الأعناق له خاضعه و خفّت البلوی علی الملائکه لکن لم یکن الأمر کذلک فاستلزم أنّه لم یرد خلقه من نور.

فکان معنی قوله:و لکنّ اللّه ابتلی خلقه.أنّه لم یرد خلقه من نور بل أراد أن یبتلی خلقه ببعض ما یجهلون أصله و هو تکلیفهم بالسجود لآدم مع جهلهم بأصل ذلک التکلیف و الغرض منه أو جهلهم بآدم و سرّ خلقته الّذی هو أصل لذلک التکلیف.

و نصب قوله:تمییزا و نفیا و إبعادا علی المفعول له:أی لیمیّز بذلک التکلیف و بما یستلزم من الذلّه و الانقیاد و الخضوع المطیع من العاصی،و لینفی رذیله الکبر و الخیلاء عنهم و باللّه التوفیق.

الفصل الثانی:فی أمر السامعین بالاعتبار بحال إبلیس و ما لزمه من اللعنه

اشاره

و بطلان أعماله الصالحه فی المدّه المتطاوله بسبب التکبّر و العصبیّه الفاسده،و التحذیر من سلوک طریقته و اقتفاء أثره فی الکبر و لوازمه من الرذائل الّتی عدّدناها.

و ذلک قوله:

فَاعْتَبِرُوا بِمَا کَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ؟بِإِبْلِیسَ؟- إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِیلَ وَ جَهْدَهُ الْجَهِیدَ- وَ کَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّهَ آلاَفِ سَنَهٍ- لاَ یُدْرَی أَ مِنْ سِنِی الدُّنْیَا أَمْ مِنْ سِنِی الْآخِرَهِ- عَنْ کِبْرِ سَاعَهٍ وَاحِدَهٍ- فَمَنْ ذَا بَعْدَ؟إِبْلِیسَ؟ یَسْلَمُ عَلَی اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِیَتِهِ- کَلاَّ مَا کَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِیُدْخِلَ الْجَنَّهَ بَشَراً- بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَکاً- إِنَّ حُکْمَهُ فِی أَهْلِ السَّمَاءِ وَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ- وَ مَا بَیْنَ اللَّهِ وَ بَیْنَ

أَحدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَهُ- فِی إِبَاحَهِ حِمًی حَرَّمَهُ عَلَی الْعَالَمِینَ فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ یُعْدِیَکُمْ بِدَائِهِ- وَ أَنْ یَسْتَفِزَّکُمْ بِنِدَائِهِ وَ أَنْ یُجْلِبَ عَلَیْکُمْ بِخَیْلِهِ وَ رَجْلِهِ- فَلَعَمْرِی لَقَدْ فَوَّقَ لَکُمْ سَهْمَ الْوَعِیدِ- وَ أَغْرَقَ إِلَیْکُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِیدِ- وَ رَمَاکُمْ مِنْ مَکَانٍ قَرِیبٍ- فَقَالَ «رَبِّ بِما أَغْوَیْتَنِی لَأُزَیِّنَنَّ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ» - قَذْفاً بِغَیْبٍ بَعِیدٍ وَ رَجْماً بِظَنٍّ غَیْرِ مُصِیبٍ- صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِیَّهِ وَ إِخْوَانُ الْعَصَبِیَّهِ- وَ فُرْسَانُ الْکِبْرِ وَ الْجَاهِلِیَّهِ- حَتَّی إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَهُ مِنْکُمْ- وَ اسْتَحْکَمَتِ الطَّمَاعِیَّهُ مِنْهُ فِیکُمْ- فَنَجَمَتِ فِیهِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِیِّ إِلَی الْأَمْرِ الْجَلِیِّ- اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَیْکُمْ- وَ دَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَکُمْ- فَأَقْحَمُوکُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ- وَ أَحَلُّوکُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ- وَ أَوْطَئُوکُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَهِ طَعْناً فِی عُیُونِکُمْ- وَ حَزّاً فِی حُلُوقِکُمْ وَ دَقّاً لِمَنَاخِرِکُمْ- وَ قَصْداً لِمَقَاتِلِکُمْ وَ سَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ- إِلَی النَّارِ الْمُعَدَّهِ لَکُمْ- فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِی دِینِکُمْ حَرْجاً- وَ أَوْرَی فِی دُنْیَاکُمْ قَدْحاً- مِنَ الَّذِینَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِینَ وَ عَلَیْهِمْ مُتَأَلِّبِینَ- فَاجْعَلُوا عَلَیْهِ حَدَّکُمْ وَ لَهُ جِدَّکُمْ- فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَی أَصْلِکُمْ- وَ وَقَعَ فِی حَسَبِکُمْ وَ دَفَعَ فِی نَسَبِکُمْ- وَ أَجْلَبَ بِخَیْلِهِ عَلَیْکُمْ وَ قَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِیلَکُمْ- یَقْتَنِصُونَکُمْ بِکُلِّ

مَكانٍ وَ يَضْرِبُونَ مِنْكَمْ كُلَّ بَنانٍ- لاَ- تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَهٍ وَ لاَ تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَهٍ- فِى حَوْمَهِ ذُلٍّ وَ حَلْقَهِ ضِيقٍ- وَ عَرْصَهِ مَوْتٍ وَ جَوْلَهِ بَلاَءٍ- فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِى قُلُوبِكُمْ- مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّهِ وَ أَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّهِ- فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّهُ تَكُونُ فِى الْمُسْلِمِ- مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَ نَخَوَاتِهِ وَ نَزَغَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ- وَ اعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ- وَ إِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ- وَ خَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ- وَ اتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ- مَسْلَحَهً بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ عَدُوِّكُمْ؟إِبْلِيسَ؟وَ جُنُودِهِ- فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ جُنُوداً وَ أَعْوَاناً- وَ رَجِلاً- وَ فُرْسَاناً- وَ لاَ تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ- مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ- سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَهُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَهِ الْحَسَدِ- وَ قَدَحَتِ الْحَمِيَّهُ فِى قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ- وَ نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِى أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ- الَّذِى أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَهَ- وَ أَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَهِ أَلاَ وَ قَدْ أَمْعَنْتُمْ فِى الْبَغْيِ وَ أَفْسَدْتُمْ فِى الْأَرْضِ- مُصَارَحَهً لِلَّهِ بِالْمُنَاصَبَهِ- وَ مُبَارَزَهً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَهِ- فَاللَّهَ اللَّهَ فِى كِبْرِ الْحَمِيَّهِ وَ فَخْرِ الْجَاهِلِيَّهِ- فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ الشَّنَئَانِ وَ مَنَافِخُ الشَّيْطَانِ- الَّتِى خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَهَ وَ الْقُرُونَ الْخَالِيَهَ- حَتَّى أَعْنَقُوا فِى حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَ مَهَاوِى ضَلاَلَتِهِ- ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ سُلُساً فِى قِيَادِهِ-

ص:۲۴۳

أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ وَ تَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ- وَ كِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَهِ سَادَاتِكُمْ وَ كُبَرَائِكُمْ- الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَ تَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ- وَ أَلْقَوُا الْهَجِينَهَ عَلَى رَبِّهِمْ- وَ جَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ- مُكَابَرَهً لِقَضَائِهِ وَ مُغَالَبَهً لِآلاَئِهِ- فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّهِ- وَ دَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَهِ وَ سُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّهِ- فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لاَ تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً- وَ لاَ لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً- وَ لاَ تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ- وَ خَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ وَ أَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ- وَ هُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ وَ أَحْلاَسُ الْعُقُوقِ- اتَّخَذَهُمْ؟إِبْلِيسُ؟ مَطَايَا ضَلاَلٍ- وَ جُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ- وَ تَرَاجِمَهً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ- اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَ دُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ- وَ نَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ- فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ وَ مَوْطِئَ قَدَمِهِ وَ مَأْخَذَ يَدِهِ

اللغه

أقول: الإحباط : الإبطال .و الجهد بفتح الجيم : الاجتهاد .و الهواده:

الصلح .و استفزّه : استخفّه و أزعجه .و فوّق السهم : جعل له فوقا و هو موضع الوتر منه .و نزع القوس نزعا : أى مدّها .و الإغراق فى المدّ : استيفائه و استيعابه .

و القذف : الرمى و الطماعيه : الطمع .و نجمت : ظهرت .و دلف . مشى و دنا .

و أقحموكم : أدخلوكم قهرا .و الولجات : جمع ولجه بفتح الجيم و هى الموضع كالكهف و نحوه تستتر به المارّه من المطر و غيره .و الورطات : جمع ورطه و هى الأرض المطمئنّه لا طريق فيها،و الورطه:الهلاك أيضا .و الحزّ : القطع .و

الخزائم - جمع خزامه بكسر الخاء-:و هى حلقه من شعر فى أنف البعير يشدّ فيها الزمام .و أورى : أفعل من الورى و هو إظهار النار .و المناصبه : المعاداه و المقابله فى الحرب لأنّ كلّا قد نصب نفسه و شرّه للآخره .و التألّب : الاجتماع .و حسب الرجل : ما يعدّه من مفاخر آبائه .و أجلب عليه : جمع،و أصل الجلبه:الأصوات فى الحرب و الغاره .و حومه الشيء : معظمه،و ما استدار منه على كثره.و كذلك الحلقه للقوم .و عرصه موت : أى معرض له،و بصدده .و الجوله : كالحلقه .و النخوه : الكبر .و النزع : الإفساد .و النفث : النفخ و هو أقلّ من التفل .و المسلحه : قوم ذو سلاح يحفظون الثغور و المراقب،و قد يطلق على تلك الأماكن أنفسها .و الإمعان فى الشيء : التباعد فيه،و الايصال .و المصارحه : المكاشفه و المجاهره .و الملاقح : الفحول-واحدها ملقح بفتح الميم-و يحتمل أن يكون مصدرا.

و الشنئان-بفتح النون و سكونها- : البغضاء .و أعنق الجمل فى السير : مدّ عنقه و أوسع خطوته .و الحنادس جمع حندس بكسر الحاء و الدال-:الليل شديد الظلمه .و الذلل : جمع ذليله فعيله بمعنى مفعوله .و السلس : جمع سلس و هى سهله القياد .و الهجينه : الفعل القبيح بمعنى مفعوله .و الاعتزاء : الايتماء،و الانتساب إلى أب أو قبيله .و الأدعياء : جمع دعيّ و هو الّذى يدعى إلى غير أبيه و ينسب إليه .و الحلس : ما يلزم الشيء.و أصله من حلس البعير و هو كساء رقيق يجعل تحت بردعته وقايه لظهره .و العقوق : مشاقّه الوالد و ذى الرحم،و منع برّه .

المعنى

فقوله:فاعتبروا.

فقوله: فاعتبروا .

أمر للسامعين باعتبار حال إبليس فى الكبر بعد شرح حاله فى طاعه اللّه و طول مدّه عبادته له و ما لزمه بسبب كبر ساعه واحده من إحباط عمله و لعنته و البعد عن رحمه اللّه ليتنبّهوا للتخلّى عن هذه الرذيله.وجه الاعتبار أن يقال:إذا كان حال من تكبّر من الملائكه بعد عباده ستّه آلاف سنه كذلك فكيف بالمتكبّرين من البشر على قصر مدّه عبادتهم و كونهم بشرا؟.فبطريق الأولى أن يكونوا كذلك.

و جهده الجهيد:أى اجتهاده الّذى جهده و شقّ عليه.

ص:۲۴۵

و قوله:و كان قد عبد اللّه.إلى قوله:الآخره.

و قوله: و كان قد عبد اللّه .إلى قوله: الآخره .

فيشبه أن يكون قد أشار بسنى الآخره إلى سنين موهومه عن مثل اليوم المشار إليه بقوله تعالى: «وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَهٍ مِمّا تَعُدُّونَ» (۱)و قوله «فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَهٍ» (۲)و تقريره أنّ الأيّام فى الآخره ممّا لا يمكن حملها على حقائقها لأنّ اليوم المعهود عباره عن زمان طلوع الشمس إلى مغيبها،و بعد خراب العالم على ما نطقت به الشريعه لا يبقى ذلك الزمان،و على رأى من أثبت بقاء الفلك تكون القيامه عباره عن مفارقه النفوس لأبدانها أو عن أحوال تعرض لها بعد المفارقه،و المجرّدات المفارقات لا يكون لأحوالها زمان و لا مكان حتّى تجرى فى يوم أو سنه فتعيّن حمل اليوم على مجازه و هو الزمان المقدّر بحسب الوهم القايس لأحوال الآخره إلى أحوال الدنيا و أيّامها إقامه لما بالقوّه مقام ما بالفعل.

و كذلك السنه.و هذه الأزمنه هى الّتى أشار إلى مثلها المتكلّمون بقولهم:إنّ تقدّم البارى تعالى على وجود العالم بتقدير أزمنه لا نهايه لها.إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ قوله تعالى «فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَهٍ» و فى موضع «مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَهٍ» إشاره إلى تفاوت تلك الأزمنه الموهومه بشدّه أهوال أحوال أهل الآخره و ضعفها و طولها و قصرها و سرعه حساب بعضهم و خفّه ظهره و ثقل أوزار قوم آخرين و طول حسابهم كما روى عن ابن عبّاس فى قوله «كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَهٍ» قال:هو يوم القيامه جعله اللّه على الكافرين مقدار خمسين ألف سنه،و أراد أنّ أهل الموقف لشدّه أهوالهم يستطيلون بقاهم فيها و شدّتها عليهم حتّى يكون فى قوّه ذلك المقدار.و عن أبى سعيد الخدرىّ قال:قيل لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى يوم القيامه كان مقداره خمسين ألف سنه:

ما أطول هذا اليوم؟فقال:و الّذى نفسى بيده إنّه ليخفّ على المؤمن حتّى يكون عليه أخفّ من صلاه مكتوبه يصلّيها فى الدنيا.و هذا يدلّ على أنّه يوم موهوم و إلاّ لما تفاوت فى الطول و القصر إلى هذه الغايه.إذا ثبت هذا فنقول:يحتمل أن يكون مراده عليه السّلام أنّ عباده إبليس و الملائكه الّذين نقلنا فى الخبر فى الخطبه الاولى

۱- ۱) ۴۶-۲۲.

۲- ۲) ۴-۷۰.

أنّهم اهبطوا إلى الأرض و طردوا الجنّ إلى البحار و رءوس الجبال و عبدو اللّه فى الأرض زمانا كانت عباده روحانيّه لا يستدعى زمانا موجودا بل أحوالا موهومه تشبه الزمان،و أنّ إبليس عبد اللّه فى تقدير أزمنه مبلغها ستّه آلاف سنه قبل خلق آدم.و يحتمل أن يقال:إنّها كانت جسمانيّه فى زمان من أزمنه الدنيا و لكن يكون فى كميّه كمقدار خمسين ألف سنه من سنى الدنيا.

فأمّا قوله:لا يدرى.

فأمّا قوله: لا يدرى .

ففى نسخه الرضى بالبناء للفاعل.و فى غيرها من النسخ بالبناء للمفعول.

و الروايه الاولى تستلزم أنّه ممّن لا يدرى أنّ تلك السنين من أىّ السنين و الثانيه يحتمل فيها كونه ممّن يدرى ذلك.و بالجمله فلمّا كانت مدّه عباده إبليس قبل آدم يحتمل أن يكون روحانيّه و أن يكون جسمانيّه،و يحتمل أن يكون بحسب ذلك فى زمان موهوم أو موجود.و على تقدير أن يكون موجودا يحتمل أن يكون ستّه آلاف سنه من السنين المعهوده المتعارفه لنا،و يحتمل أن يكون من سنين كانت قبل ذلك مصطلحا على تقدير كلّ منها بألف سنه أو بخمسين ألف سنه من سنينا لا جرم لم يمكن الجزم بواحد من هذه الاحتمالات فلذلك قال:لا يدرى.قال بعض الشارحين:و يفهم من تقديره عليه السّلام تلك المدّه بستّه آلاف سنه لا يدرى من أىّ السنين هى أنّه سمع فيه نصّا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مجملا و لم يفسّره له،أو أنّه سمعه و علم تفصيله لكنّه لم يفصّله للناس بل أبهم القول عليهم فى تعيينه لعلمه أنّ تعيين سنى الآخره ممّا يستعظمونه و لا يحتمله أذهانهم.فإنّ عبادته إذا كانت ستّه آلاف سنه و كل يوم منها خمسين ألف سنه من سنى الدنيا كان مبلغ ذلك ممّا يخرج من ضرب ستّه آلاف سنه فى ثلاث مائه و ستّين مضروبه فى خمسين ألفا و هو مائه و ثمانيه ألف ألف ألف-بتكرير لفظ الألف ثلاث مرات-و على تقدير أن يكون مقدار كلّ يوم ألف سنه يكون مبلغها ما يخرج من ضرب ستّه آلاف فى ثلاث مائه و ستّين ألفا و هو ألفا ألف ألف سنه-بتكرير الألف ثلاث مرات و تثنيه الأوّل-و مائه ألف ألف -بلفظتين-و ستّون ألف ألف-بلفظتين أيضا-و ذلك مما لا يحتمله أذهان السامعين.فلذلك

أبهم القول فيه .

و قوله:فمن.إلى قوله:معصيه.

استفهام إنكارى و قوله: فمن.إلى قوله:معصيه .

استفهام إنكار لوجود من يسلم من لعنه اللّه و عقوبته ممّن يكون فيه رذيله الكبر .

و قوله:يسلم على اللّه.

و قوله: يسلم على اللّه .

فى معنى يرجع إليه سالما من طرده و لعنته و عذابه.تقول:سلم علىّ هذا الشىء إذا رجع إليك سالما و لم يلحقه تلف.و الباء فى قوله:بمثل معصيته.للاستصحاب:أى فمن يرجع إلى اللّه سالما من عذابه و قد استصحب مثل معصيه إبليس:أى تكبر كتكبّره و خالف أمر ربّه.

و قوله:كلاّ.

و قوله: كلاّ .

ردّ لما عساه يدّعى من تلك السلامه الّتى استنكر وقوعها باستفهامه.و فسّر ذلك الردّ بقوله:ما كان اللّه.إلى قوله:ملكا.و الباء فى قوله:بأمر للاستصحاب أيضا:أى ما كان ليدخل الجنّه بشرا مستصحبا لأمر أخرج به منها ملكا.و ذلك الأمر هو رذيله الكبر الّتى يستصحبها الإنسان بعد الموت ملكه و خلقا فى جوهر نفسه.و القضيّه سالبه عرفيّه عامّه:أى لا يدخل الجنّه بشر بوصف الكبر ما دام له ذلك الوصف.

فإن كان ذلك الوصف يدوم كما فى حقّ الكافر لم يدخل الجنّه أبدا،و إن كان لا يدوم جاز أن يدخل بعد زواله الجنّه.فإذن لا مسكه للرعيه به قول القائلين بتخليد الفاسق من أهل القبله فى هذا الكلام.و أمّا حديث الإحباط فيقول:إنّما كان بسبب الكفر كما قال تعالى «إِلاّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ» (١).

فإن قلت:الكلام يقتضى أنّ إحباط عمله و إخراجه من الجنّه كان بسبب تكبّره لا بسبب كفره.

قلت:الأصل هو الكبر إلاّ أنّ تكبّره كان تكبرا على اللّه و إباء لطاعته و استصغارا لما امر به حيث قال:أ أسجد «لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ» ، «أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً» و ذلك محادّه للّه و كفر به مصارحه فكان ذلك مستلزما لكفره.و لا شكّ أنّ

۱- ۱) ۴۸-۳۸.

الكفر يستلزم إحباط العمل و اللعن و الخروج من الجنّه .

و قوله:إنّ حكمه فى أهل السماء.إلى قوله:لواحد.

و قوله:إنّ حكمه فى أهل السماء.إلى قوله:لواحد.

أى فى إفاضته للخير و الشرّ على من يستعدّ لأحدهما فمن استعدّ من أهل السماء أو أهل الأرض لخير أو شرّ فحكمه فيه أن يفيض على ما استعدّ له و ذلك حكم لا يختلف اعتباره من جهته تعالى.

و قوله:و ما بين اللّه.إلى قوله:العالمين.

و قوله: و ما بين اللّه .إلى قوله: العالمين .

أى ليس بينه و بين أحد من خلقه صلح فيخصّصه بإباحه حكم حرّمه على سائر خلقه فيختلف بذلك حكمه فيهم لأنّ الصلح من عوارض الحاجه أو الخوف المحالين عليه تعالى.و قال بعض الشارحين:كلّ ما جاء من الإحباط فى القرآن و الأثر فمحمول على أنّ ذلك الفعل المحبط قد أخلّ فاعله ببعض شرائطه اللازمه إذ لم يوقعه على الوجه المأمور به المرضىّ،أو فعله لا على بصيره و يقين بل على ظنّ و تخمين.

و بالجمله فحيث يقع لا على وجه يستحقّ به ثوابا،لا على أنّه استحقّ به شيئا ثمّ احبط.فإنّ ذلك ممّا قام البرهان على استحالته. استعاره ثمّ حذّرهم من إبليس باعتبار كونه عدوّ اللّه بعد أمرهم باعتبار حاله و ما لزمه من الشقاوه بسبب معصيه له أن يعديهم بذلك الداء و هو الكبر الّذى بسببه لزمته تلك الشقاوه.و معنى عداوته للّه مجانبته لأوامره و مجاوزته لطاعته إلى معصيته و هو مستعار.و لفظ الداء مستعار للكبر يقرب من الحقيقه فإنّ أدواء النفوس أشدّ من أدواء الأبدان .و محلّ أن يعديكم نصب على البدل من عدوّ،و نقل عن القطب الراوندى-رحمه اللّه-أنّه مفعول ثان عن احذروا.و هو سهو.إذ هذا الفعل لا يتعدّى إلى مفعولين.

و قوله:بخيله و رجله.

كنايه و قوله: بخيله و رجله .

كنايه عن أعوانه من الضالّين المضلّين الّذين يستخفّون الناس بالوسوسه و الدعوه إلى طرق الضلال .

و قوله:فلعمرى.إلى قوله:الشديد.

استعاره مرشحه-مجازا إطلاقا لاسم المسبّب على السبب و قوله: فلعمرى.إلى قوله:الشديد .

استعار لفظ السهم لوساوسه و تزييناته فى الوعيد المحكىّ عنه بقوله تعالى:

ص:۲۴۹

«لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي اَلْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» (1)و وجه الاستعاره كونه يرمى بتلك الوساوس وجوه نفوسهم فيكون سببا لهلاكها فى الآخره كما يكون السهم سببا للقتل.ورشّح بذكر التفويق و الإغراق و النزع و الرمى.و أمّا مكانه القريب فكمانطق به الخبر النبوىّ فى قوله:إنّ الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم.و قوله:لو لا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات.و قرب من كان كذلك ظاهر.و الكلام فى قوله:فلعمرى.فى معرض الإغراء به.و فى الباء و ما يتعلّق به وجوه:

أحدها:قال أبو عبيد:معناها القسم.

فإن قلت:كيف نسب الإغواء إليه تعالى؟و كيف يصلح الإغواء مقسما به؟.

قلت:على الأوّل لمّا كان تعالى خالق أسباب الغوايه فيه كالقدره و العلم و غيرهما كانت له تعالى سببيّه فى إيجاد الغوايه و إن كانت بعيده فلذلك صحّ إسناد فعلها إليه تعالى،و على الثانى أنّه يجوز أن يكون ما بمعنى الّذى و العائد من الصله محذوف و تقديره بالّذى أغويتنى به لازيّننّ لهم و ذلك هو الأمر بالسجود لآدم إذ كان بسببه استكبر و عصى فغوى،و القسم جايز بأمره تعالى و تكليفه.و من جعل ما مصدريّه فله أن يقول:إنّ إبليس أطلق على الأمر و التكليف الّذى حصل له بسببهما الغوايه لفظ الإغواء مجازا إطلاقا لاسم المسبّب على السبب .ثمّ أقسم به باعتبار ما هو أمر و تكليف لا باعتبار ما هو غوايه.

الثانى:قال غيره:هى للسببيّه:أى بكونى غاويا لازيّننّ كما يقول:بطاعته ليدخلنّ الجنّه و بمعصيته ليدخلنّ النار.و مفعول التزيين محذوف:أى لازيّننّ لهم الباطل حتّى يقعوا فيه.

الثالث:قال بعضهم:يجوز أن يكون الباء للسببيّه و يقدّر قسم محذوف.

و المعنى بسبب ما كلّفتنى فاستلزم غوايتى اقسم لازيّننّ لهم.

و قوله:قذفا بغيب بعيد.

۱- ۱) ۳۹-۱۵.

كقوله تعالى «وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ» (۱)و هو مصدر حذف فعله و سدّ مسدّ الحال.قال المفسّرون:و الغيب هنا بمعنى الظنّ.و فيه نظر لأنّ إطلاق لفظ الغيب على الظنّ مجاز و العدول عن الحقيقه إنّما يكون بعد تعذّر حمل اللفظ عليها و لا تعذّر هاهنا فى ذلك لأنّ مفهوم الغيب هو ما غاب عن الخلق فلم يعلموه فكان القذف بكلّ ما لا يعلم و الحكم به قذفا بالغيب و حكما به.و لمّا كان إبليس لا يعلم ما حكم به بأنّه يفعله فى الخلق من التزيين و الإغواء و هو بعيد عن علمه ثمّ حكم به كان حاكما بما هو غائب عن علمه و عازب عنه و هو معنى قذفه بالغيب البعيد.و فى نسخه الرضىّ-رحمه اللّه عليه-بظنّ مصيب.و فى أكثر النسخ غير مصيب و هو المناسب لقوله:بغيب بعيد.لأنّ ما يقال عن غيب بعيد قلّما يصيب ظنّه.

فإن قلت:فلم قال غير مصيب مع أنّ إبليس صدّق ظنّه فى إغواء الناس و تمّ له ما ظنّ؟كما قال تعالى «وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ» (۲)الآيه.

قلت:الجواب عن وجوه:

أحدها:أنّه يريد بالظنّ المصيب العلم لأنّه المصيب الحقّ فكأنّه قال:بظنّ ليس بعلم.

الثانى:قال بعض الشارحين:إنّما كان غير مصيب لأنه ظنّ أنّ إغوائهم يكون منه فقال:لاغوينّهم.و هذا ظنّ فاسد لأنّ إغواءهم كان منهم اختيارا لأنّهم اختاروا العمى على الهدى فغووا عن طريق اللّه .و تصديق أبناء الحميّه له فى ذلك يعود إلى وقوع الغوايه منهم وفق ظنّه لأنّه لمّا ظنّ أنّه يغويهم فقد ظنّ أنّ الغوايه تلحقهم منه فصدّقوه فى الغوايه و أخطأ ظنّه فى تسبّبها إليه.

الثالث:أنّ الكلام لمّا كان فى معرض ذمّ إبليس و إغراء الخلق بعداوته وقف عليه السّلام فى الآيه على قوله:أجمعين.فيكون المعنى أنّ إبليس ظنّ أنّه يغوى جميع الخلق.

و أمّا استثنائه لعباد اللّه المخلصين فذاك ليس بحسب ظنّه بل تصديقا لقوله تعالى «إِنَّ»

۱- ۱) ۵۲-۳۴.

۲- ۲) ۱۹-۳۴.

«عِبادِي لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ» (۱)و معلوم أنّ ذلک الظنّ فاسد و غير مصيب.إذ کان إنّما قدر على إغواء البعض.

الرابع:قال بعض الشارحين:يحتمل أن يکون أراد بالإغواء الّذى ظنّ أنّه يفعله بالخلق هو إغواء الشرک،و بالإخلاص فى قوله «إِلاّ عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» (۲)العصمه من المعاصى فيکون الناس إذن فى ظنّه إمّا معصوم أو مشرک و هذا ظنّ غير مصيب إذ وجد من ليس بمشرک و لا معصوم.

و قوله:صدّقه به أبناء الحميّه.

استعاره و قوله: صدّقه به أبناء الحميّه .

فالحميّه لازم من لوازم الکبر لأنّها مأخوذه من قولک:حميت.إذا غضبت.فکانت حقيقتها تعود إلى الغضب عن تصوّر المؤذى مع الترفّع على فاعله و اعتقاد الشرف عليه.

و استعار لفظ الأبناء لأصحاب هذه الرذيله و أهل الکبر من الناس.و وجه الاستعاره ملازمتهم لها کما يلازم الولد امّه حتّى صاروا کأنّهم خلقوا منها و هى أصل لهم.

و تصديقهم له بذلک الظنّ هو ارتکابهم للرذائل و المعاصى اتّباعا له و غوايتهم لها عن سبيل اللّه قال بعض الشارحين:و الباء فى قوله:به.بمعنى فى:أى صدّقه فيه .

و صدّقه فى موضع الجرّ صفه لظنّ.

و قوله:و إخوان العصبيّه.

استعاره و قوله: و إخوان العصبيّه .

يحتمل أن يريد إخوانها فيکون قد جعل لها إخوانا على سبيل الاستعاره و هم ملازموها کما جعل للحميّه أبناء،و يحتمل أن يريد الإخوان فيها:أى الّذين عقدوا الاخوّه بينهم على العصبيّه الباطله فيها.و کذلک فرسان الکبر و الجاهليّه ، و يحتمل أن يکون قد استعار لفظ الفرسان لمرتکبى الکبر و الأفعال الجاهليّه.و وجه الاستعاره ظاهر،و يحتمل أن يريد فرسان الجاهليّه الموصوفين بالکبر .

و قوله:حتّى.إلى قوله:الجلىّ.

استعاره و قوله: حتّى.إلى قوله:الجلىّ .

غایه من قوله:فوّق و أغرق و رماکم.و استعار وصف الجامحه للنفوس الّتی کانت عاصیه لإبلیس آبیه عن الانقیاد له .

۱- ۱) ۴۲-۱۵.

۲- ۲) ۴۰-۱۵.

و قوله:فنجمت الحال.

و قوله:فنجمت الحال.

أی ظهرت الحال الّتی کان یرومها منکم و یظنّها فیکم و هی الغوایه و الضلال من السرّ الخفیّ إلی الأمر الجلیّ.أی من القوّه فیکم إلی الفعل .

و قوله:استفحل.

استعاره و قوله: استفحل .

جواب الشرط.و استعار لفظ الاستفحال لشدّه سطوته و سلطانه إشاره إلی کمال قدرته علی تطویع النفوس و قهرها . کنایه و جنوده کنایه عن أهل الفساد فی الأرض کما علمته فیما سبق .و دلفه بهم دخولهم بالفساد علی الناس و تزیینهم لهم رذائل الأخلاق و إغواؤهم إیّاهم.و من لوازم ذلک التحاسد و التباغض و التقاطع و التدابر و تفرّق الکلمه،و من لوازم تفرّق الکلمه أن یقحمهم العدوّ و لجأت الذلّ و یحلّهم و رطات القتل و یوطئهم إثخان الجراحه و یحتمل أن یرید بسلطانه الّذی استفحل علیه هو سلطان عدوّهم و من خالفهم کمعاویه و غیره و قوّتهم علیهم بعد تفرّق کلمتهم و قلّه طاعتهم له علیه السّلام و إضافه ذلک السلطان و جنوده إلی الشیطان ظاهره لأنّ سلطان الحقّ و جنوده یقال له سلطان اللّه و جنود اللّه،و سلطان الباطل یقال له سلطان الشیطان و جنوده جنود الشیطان و أولیائه و أعوانه.و ظاهر أنّهم عند تفرّق کلمتهم قد استفحل علیهم سلطان إبلیس و دلف بجنوده إلیهم و هم مخالفوه علیه السّلام.و انتصب إثخان الجراحه علی أنّه مفعول ثان لأوطئوکم. استعاره و لفظ الولجات و الورطات مستعار ان للأحوال الّتی هی مظانّ الذلّ و القتل کالأماکن الّتی یفرّون إلیها من عدوّهم ذلا و المواطن الّتی قتلوا فیها،أو لطاعتهم و الاستسلام لهم . استعاره بالکنایه و إقحامهم و إحلالهم إیّاها إلجاؤهم لهم إلی تلک الأحوال و الأماکن و لذلک استعار وصف إیطائهم إثخان الجراحه ملاحظه لمشابهه وقوعها بهم للوطء فی استلزامه للأذی.و کنّی بذلک المستعار عن إیقاعهم فی حرارات الجراح .و إثخان مصدر قولک:أثخن فی الجراح إذا کثر فیه و بالغ حتّی فشا فکأنّه ثخن.

و قوله:طعنا.إلی قوله:لمقاتلکم.

و قوله:طعنا.إلی قوله:لمقاتلکم.

جعل محلّ الطعن العیون،و الحزّ الحلوق،و الدقّ المناخر،و القصد المقاتل

ص:۲۵۳

لأنّها محالّها المتعارفه عند إراده الإذلال و الإهانه و الإهلاک.لأنّ الطعن و إن کان قد یقع فی سائر البدن إلاّ أنّه أبلغ فی العیون و أفحش.و کذلک فی باقیها.قال بعض الشارحین:انتصب طعنا و حزّا و دقّا و قصدا و سوقا علی المصادر عن أفعالها المقدّره.و من روی:لإثخان الجراحه.-بوجود اللام-فیحتمل أن یجعل طعنا مفعولا ثانیا لأوطئوکم،و یکون اللام فی الإثخان لام الغرض:أی أوطأوکم طعنا و حزّا و دقّا لیثخنوا الجراحه فیکم قال:و یکون قصدا و سوقا خالصین للمصدریّه لبعدهما عن المفعول به.و الأظهر هو الوجه الأوّل أعنی کون کلّ منها مصدرا لفعله.

و لمّا کان الفاعل بهم هذه الأفعال کلّها هو إبلیس و جنوده فإن کان المراد بجنوده الساعین بین الناس بالوسوسه و الفساد فی الأرض فمعنی فعلهم بهم هذه الأفعال کونهم أسبابا معدّه لهم بالوسوسه المستلزمه لتفریق الکلمه و مخالفه الإمام لوقوع هذه الأفعال بهم من أعدائهم و محاربیهم ثمّ یتبع فعل العدوّ لهم أن یسوقوهم إلی النار بخزائم القهر. استعاره مرشحه و لفظ الخزائم مستعار لما یمکّن فی جواهر نفوسهم من الرذائل الموبقه و ملکات السوء الّتی لا محیص لهم من النار بسببها لمشابهتها الخزائم الّتی یقاد بها الإبل فی کونها لا مخلص عمّا یقاد إلیه بسببها.و لفظ السوق ترشیح للاستعاره.و إن کان المراد بجنوده هم المخالفون له علیه السّلام و المحاربون لأصحابه ففعلهم بهم تلک الأفعال ظاهر.و أمّا السائق لهم إلی النار فیحتمل أن یکون هؤلاء و ذلک بإذلالهم لهم و إدخالهم فی باطلهم عن قهر و ذلّه.و لا شکّ أنّ الدخول فی باطلهم سبب جاذب إلی النار.و لفظ الخزائم مستعار إذن إمّا لما یتمکّن من باطلهم و عبثهم فی النفوس، و إمّا لأوامرهم بالباطل و حملهم علی ارتکاب المنکر،و یحتمل أن یکون السائق لهم هو إبلیس و جنوده من أهل الوسوسه .ثمّ رجع إلی إفراده بالفعل نظرا إلی قوله:و دلف بجنوده.فقال بعده: استعاره فأصبح أعظم فی دینکم جرحا .فاستعار لفظ الجرح للفساد المعقول الحاصل بسبب إبلیس فی دینهم.و وجه المشابهه کون الجرح فسادا فی العضو أیضا،و کذلک استعار لفظ القدح لوساوس إبلیس المستلزمه لوجود الإحن و التباغض و التحاسد بینهم الموجب لتفریق کلمتهم المستلزم لتشتّت سلطانهم و فساد

ص:۲۵۴

نظامهم و ما هم علیه من الابّهه و استقامه المعاش فی الدنیا.و وجه المشابهه إفساد تلک الوساوس لأحوال معاشهم کإفساد قدح النار ما یقدح فیه .و جعله فی حرج دینهم و إفساد دنیاهم أشدّ من أعدائهم الّذین هم مناصبون لهم و الحکم ظاهر الصدق.

إذ کانت پیفتنه إبلیس لهم فی دینهم و دنیاهم أصلا لکلّ فتنه تلحقهم من أعدائهم باعتبار أنّها سبب تفرّقهم کما سبق .ثمّ أمرهم أن یجعلوا علیه حدّهم:أی بأسهم و سطوتهم لأنّ حدّ الرجل بأسه و سطوته،أو منعهم و دفعهم.و أن یجعلوا له جدّهم:أی یجتهدوا للخلاص من فتنته بمقاومته و قهره.

و قوله:فلعمر اللّه.إلی قوله:بلاء.

و قوله:فلعمر اللّه.إلی قوله:بلاء.

عود إلی الإغراء بعداوته یذکر أسباب العداوه المنفّره،و هی کونه فخر علی أصلهم،و ذلک قوله تعالی حکایه عنه «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» (۱)و وقع فی نسبهم.و ذلک قوله «لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» (۲)فبیّن بذکر أصلهم و هو الصلصال و الحمأ المسنون المنتن و نسبهم منه أنّه ساقط عن درجه الافتخار به. کنایه و خیله و رجله کنایه عن جنوده من أهل الباطل ،و إجلابه بخیله علیهم جمعه لجنوده علی محاربتهم أو علی الوسوسه لهم و الإضلال،و قصده لسبیلهم:أی السبیل الحقّ الّذی هم سالکوه إلی اللّه کقوله تعالی حکایه عنه «لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ» (۳)و هو کنایه عن جذبه لهم إلی طرف الباطل عند توجّههم إلی طرف الحقّ و سبیل الدین،و اقتناصهم لهم بکلّ مکان کقوله «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ» (۴)الآیه و هو کنایه عن أخذه بوسوسته لهم من کلّ وجه و إغوائه لهم عن کلّ سبیل حقّ،و ضربهم منهم کلّ بنان کنایه أیضا عن کونه هو و جنوده أسبابا معدّه لقتلهم و قطعهم بأیدی أعدائهم.و علی احتمال أن یرید بجنوده هم مخالفوه علیه السّلام من أهل الضلال فمعنی قصدهم لسبیلهم ابتلائهم بالفتن و القتل و منعهم لهم بذلک عن إقامه حدود اللّه و الاستقامه علی سبیله،و اقتناصهم

ص:۲۵۵

۱- ۱) ۱۰-۷.

۲- ۲) ۳۳-۱۵.

۳- ۳) ۱۵-۷.

۴- ۴) ۱۶-۷.

بكلّ مكان و ضربهم منهم كلّ بنان كنايه عن استقصائهم و قتلهم و أذاهم، استعاره و لفظ الاقتناص مستعار ،و ظاهر أنّهم لا يمتنعون من أفعاله بعد استحكام طمعه فيهم و استفحال سلطانه عليهم بحيله ،و لا يدفعون عن الفتهم بعزيمه:أى جدّ و اجتهاد و صرامه فى أمر لما سبق منهم من التخاذل و الانفعال، كنايه و الحومه و الحلقه و العرصه و الجوله ألفاظ كنّى بها عن الدنيا.إذ كانت محلّ ذلّهم و الضيق عليهم و عرصه موتهم و منصه بلائهم .و الإضافات الأربع بمعنى اللام .ثمّ عاد إلى أمرهم بتطهير قلوبهم من رذيله العصبيّه و أحقاد الجاهليّه، استعاره مرشحه و استعار لفظ النيران لما يثور من حراره الغضب و عنه العصبيّه،و قد علمت أنّ مبدء تلك الحراره القلب،و رشّح بذكر الإطفاء،و لك أن تسمّى تلك النيران حميّه كما سبق فلذلك فسرّها بها فقال:و إنّما تلك الحميّه .

و يفهم من الحميّه أنّها خبر المبتدأ،و قوله:تكون.خبر بعد خبر،و يحتمل أن يكون صفه لتلك و الخبر تكون،و ظاهر أنّ الحميّه و العصبيّه الباطله من خطرات الشيطان الّتى يخطرها للنفوس،و نخواته الّتى يحدثها فيها بتحسينه الغلبه و الانتقام و الترفّع و الترأس على الخلق،و من نزغاته الّتى يفسد بها الناس،و نفثاته الّتى يلقيها إلى أذهانهم لغرض الإفساد و الإضلال،و أراد بإضافتها إلى الشيطان التنفير عنها .ثمّ أردفه بالأمر بالتذلل و أراد به التواضع كنايه و أمرهم أن يعتمدوا وضعه على رؤوسهم و هو كنايه عن إعزازهم و العنايه به لكونه فضيله،و أن يلقوا التعزّز تحت أقدامهم و هو كنايه عن إطراحه و عدم العنايه به لكونه رذيله ، استعاره و أن يخلعوا التكبّر من أعناقهم .و استعار لفظ الخلع لطرح التكبر و نسبه إلى الأعناق ملاحظه لشبهه بما يلبس من قميص أو طوق فأمرهم بخلعه إذ ليسوا أهلا له و ليس ممّا ينبغى لهم،و أن يلزموا التواضع.و استعار له لفظ المسلحه ،و وجه المشابهه أنّه لمّا كان المتواضعون بسبب تواضعهم و تخلّقهم به حافظين لدينهم و أنفسهم من دخول إبليس و جنوده عليهم برذيله الكبر و ما يلزمها من سائر الرذائل المعدوده المهلكه أشبه تواضعهم المسلحه الّتى هى محلّ الحفظ بها من غارات العدوّ .و لمّا علمت ما يلزم الكبر من الرذائل فلا يخفى عليك ما يلزم التواضع من أضدادها و نقائضها.

و قوله:فإنّ له من كلّ امّه.إلی قوله:فرسانا.

و قوله:فإنّ له من کلّ امّه.إلی قوله:فرسانا.

بیان لجنوده و إشاره إلی أنّ له من هذه الامّه جنودا و أعوانا و رجلا و فرسانا اتّصفوا بصفته و استشعروا شعاره و هو الکبر فینبغی أن یجتنبوهم و یطرحوا شعارهم .

و قوله:و لا تکونوا کالمتکبّرین علی ابن امّه.

و قوله:و لا تکونوا کالمتکبّرین علی ابن امّه.

أراد بذلک المتکبّر قابیل حین قتل أخاه هابیل عن کبر و حسد،و هو نهی عن الکبر أیضا من بعضهم علی بعض.و إلی قصّه قابیل و هابیل أشار القرآن الکریم بقوله «وَ اتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ ابْنَیْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً» إلی قوله «جَزاءُ الظّالِمِینَ» (۱)و المنقول فی السبب أنّ حوّاء کانت تلد فی بطن اثنین ذکرا و انثی.فولدت فی أوّل بطن قابیل و اخته ثمّ مکثت سنین فولدت هابیل و اخته.فلمّا أدرکوا أمر اللّه آدم أن ینکح قابیل اخت هابیل و ینکح هابیل أخت قابیل فرضی هابیل بذلک و لم یرض قابیل لأنّ أخته کانت أحسنهما فقال آدم:قرّ باقربانا فأیّکما تقبّل قربانه زوّجتها منه.و قیل:بل قال آدم لهابیل و قابیل:إنّ ربّی أوحی إلیّ أنّه یکون من ذرّیّتی من یقرّب القربان فقرّبا قربانا حتّی تقرّ عینی إذا تقبّل قربانکما.و کان قابیل صاحب زرع و هابیل صاحب ضرع.فتقرّب قابیل بأردء قمح عنده،و تقرّب هابیل بأجود حمل عنده و وضعا قربانهما علی الجبل فدعا آدم فنزلت نار بیضاء من السماء فدفعت قربان هابیل دون قابیل لأنّ نیّته لم تکن خالصه فی قربانه.

و قیل:لأنّه کان مصرّا علی کبیره لا یقبل اللّه معها طاعه.فذلک قوله تعالی «وَ اتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ ابْنَیْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَ لَمْ یُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ» (۲)فحسده قابیل و کان أکبر منه سنّا.فقال:لأقتلنّک.قال هابیل: «إِنَّما یَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِینَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَیَّ یَدَکَ» .الآیه.إلی قوله «فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِینَ» (۳)أی لأخیه فی الدنیا و للجنّه فی الآخره.و روی أنّه بقی زمانا یحمله علی ظهره لا یدری ما ذا یصنع به حتّی بعث «اللّهُ غُراباً یَبْحَثُ فِی الْأَرْضِ لِیُرِیَهُ کَیْفَ یُوارِی سَوْأَهَ»

۱- ۱) ۳۰-۵.

۲- ۲) ۳۰-۵.

۳- ۳) ۳۳-۵.

«أَخِيهِ» .و روی أنّه کان غرابان قتل أحدهما الآخر و احتفر له و دفنه.فقال قابیل:

«یا وَیْلَتی أَ عَجَزْتُ أَنْ أَکُونَ مِثْلَ هذَا الْغُرابِ» .الأیه.إذا عرفت ذلک فنقول:قال الثعلبی:إنّما أضافه إلی الامّ دون الأب لأنّ الولد فی الحقیقه من الامّ:أی الولد بالفعل فإنّ النطفه فی الحقیقه لیست ولدا بل جزء مادّی له و نسبه الولد إلیه فی الحکم دون الحقیقه.و قیل:لأنّ قابیل لقتله هابیل فإنّه قطع نسبه عن أبیه کما قال تعالی فی ولد نوح «إِنَّهُ لَیْسَ مِنْ أَهْلِکَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَیْرُ صالِحٍ» (۱)و قیل:لأنّ شفقّه الأخ من الامّ أزید من شفقّه الأخ من الأب لزیاده شفقّه الأمّ.و الأوّل ألیق.و قد أشار بهذه الإضافه إلی جهه مساواته له فی کونهما من محلّ واحد لتبیّن قبح تکبّره علیه لیتنبّه السامعون لنهی الإنسان عن التکبّر علی غیره من أبناء نوعه.و أکّد ذلک بقوله:من غیر ما فضل جعله اللّه فیه .

و قوله:سوی ما ألحقت العظمه.إلی قوله:ریح الکبر.

استعاره مرشحه و قوله: سوی ما ألحقت العظمه.إلی قوله:ریح الکبر .

إشاره إلی تکبّره علیه و أسبابه و هی العداوه عن حسد،و جعل تلک العداوه مسبّبه عن العظمه و هو ظاهر کما علمت فإنّ المتعظّم معتقد لکمال نفسه و أنّه أولی بکلّ کمال یلیق به من غیره و أنّه لا ینبغی أن تشارکه فیه أحد،و ذلک یستلزم حسده للغیر علی ما یعتقده کمالا-یصل إلیه کاعتقاد قابیل أنّه أولی بالأخت الحسناء من أخیه لکونه أکبر سنّا منه إلی غیر ذلک من الأسباب،و عن ذلک الحسد تکون الحمیّه و ثوران نار الغضب و العصبیّه،و لفظ النار مستعار کما سبق،و لفظ القدح ترشیح،و کذلک لفظ الریح مستعار لتلک الوساوس و الخطرات الّتی ینفثها إبلیس فی روع المتکبّر من کونه أولی فأحقّ بذلک الکمال و نحوه،و کذلک لفظ النفخ لإلقاء تلک الخطرات و نفثها .

و قوله:الّذی أعقبه اللّه.

و قوله:الّذی أعقبه اللّه.

أی الندامه المشار إلیه کما ذکرناه.

و قوله:و ألزمه آثام القاتلین إلی یوم القیامه.

و قوله:و ألزمه آثام القاتلین إلی یوم القیامه.

ص:۲۵۸

۱- (۱) ۴۸-۱۱.

إشاره إلى مقتضى قوله تعالى «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَمِيعاً» (۱)أى يكون عقابه فى الغلظ و الشدّه و التأبيد كعقاب قاتل الناس جميعا كما قال تعالى «وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً» (۲)الآيه،و كذلك مقتضى قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:من سنّ سنّه سيّئه فعليه وزرها و وزر من يعمل بها إلى يوم القيامه.و قابيل هو من أوّل من سنّ القتل فلا جرم لزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامه،و كذلك قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:ما من نفس فقتل ظلما إلاّ كان على ابن آدم الأوّل كفل منها.ذلك بأنّه أوّل من سنّ القتل .ثمّ شرع فى تنبيههم على إمعانهم و تشمّرهم فى البغى و الإفساد فى الأرض و إعلامهم بذلك من أنفسهم.و الخطاب أشبه أن يكون للبغاه من أصحاب معاويه و هم الّذين كاشفوا اللّه بمحادّه أوليائه و معاداه دينه و بارزوا المؤمنين بالمحاربه.و مصارحه و مبارزه مصدران سدّا مسدّ الحال .ثمّ كرّر التحذير من اللّه تعالى فى الكبر و أضافه إلى الحميّه ليتميّز الكبر المحمود،و كذلك إضافه الفخر إلى الجاهليّه فإنّ من التكبّر و الفخر ما هو محمود كتكبّر الفقراء على الأغنياء.

ثمّ ذكر فى ذكر ما نفرّ عنه من الأوصاف كونه ملاقح الشنئان و هو البغض و العداوه. استعاره-مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و لفظ الملاقح مستعار من الفحول للكبر و الفخر،و وجه المشابهه كونهما مظنّه وجود البغضاء بين الناس و سبب له كما أنّ الفحول سبب الإلقاح، و أمّا على تقدير كونه مصدرا فاستعاره لإثمار الفخر للبغضاء للمشابهه المذكوره.

ثمّ إنّه أخبر بذلك المصدر نفسه عن الفخر حيث جعله خبر إنّ فكأنّه قال:فإنّ الفخر لقح الشنئان،و لقح الشنئان نفسه ليس عين الفخر بل من ثماره و لوازمه فكان إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و هو فى الدرجه الثانيه ،و إنّما ذكره بلفظ الجمع نظرا إلى تكثّر معنى الفخر فى موارده و هى أذهان المتكبّرين.و منافخ الشيطان.جمع منفخ مصدر نفخ،و ظاهر أنّ أفراد مهيّه الفخر المنتشره فى الأدمغه نفخات و نفثات من إبليس.و يقال فى العرف للمتكبّر و المترّفع قدره:قد نفخ

ص:۲۵۹

۱- ۱) ۵-۳۵.

۲- ۲) ۹۵-۴.

الشیطان فی أنفه.و وصف تلک المنافخ بأنّها اللاتی خدع بها الامم الماضیه و القرون الخالیه.و صوره الخداع هاهنا کونهم أراهم الباطل فی صوره الحقّ کتزیه الکبر و تحسینه للوازمه و تخییل أنّ ذلک هو الأصلح و الأنفع مع أنّه فی نفس الأمر لیس بحقّ حتّی کان ذلک سببا لارتکابهم فی ظلمات الجهالات و مهاوی الضلالات، استعاره و استعار وصف الإعناق لما یتوهّم من شدّه دخولهم فی ظلمات الجهالات و قوّه سیرهم فیها،و کذلک لفظ الحنادس مستعار لما یتخیّل من ظلمه الجهل،و لفظ المهاوی مستعار لما یتخیّل من کون الضلاله و طرقها محالّ للهویّ عن افق الکمال و مدارج السعاده ،و أضاف الجهاله و الضلاله إلیه إضافه للمسبّب إلی السبب.و ذلل جمع ذلیل، و سلس:جمع سلس و هما سهلا الانقیاد.و انتصابهما علی الحال من الضمیر فی أعنقوا :

أی أسرعوا سهلی الانقیاد لسوقه.

و قوله أمرا.

و قوله:أمرا.

منصوب بفعل مضمر تقدیره فاعتمد أمرا تشابهت قلوبهم فیه و تتابعت القرون الماضیه منهم علی اعتماده و هو الفخر و نفخ الشیطان و الإعناق فی جهالته و ضلالته، و کبرا عطف علیه، کنایه و کنّی بتضایق الصدور به من کثرته و عظمته .ثمّ عقّب بالتحذیر من طاعه ساداتهم و کبرائهم تذکیرا بما نبّه علیه القرآن الکریم بذمّ المطیعین لساداتهم و کبرائهم علی طاعتهم فیما حرّم اللّه علیهم و خروجهم بذلک عن سبیل اللّه،و ذلک قوله تعالی حکایه لما یقولون یوم القیامه «وَ قالُوا رَبَّنا إِنّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ کُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِیلاَ رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَیْنِ مِنَ الْعَذابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً کَبِیراً» (۱)و التابعین علی متابعه متبوعهم فی قوله حکایه عنهم «تَاللّهِ إِنْ کُنّا لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ إِذْ نُسَوِّیکُمْ بِرَبِّ الْعالَمِینَ» (۲).

و قوله:الّذین تکبّروا عن حسبهم و ترفّعوا فوق نسبهم.

و قوله:الّذین تکبّروا عن حسبهم و ترفّعوا فوق نسبهم.

فحسبهم و نسبهم إشاره إلی الطین و الصلصال من الحمأ المسنون و الماء المهین الّذی هو أصلهم،و لمّا کان من شأنه أن لا فخر فیه و لا تکبّر لمن هو أصل له ثمّ

۱- ۶۷-۳۳.

۲- ۹۷-۲۶.

تکبّروا فقد تکبّروا عن ذلک الأصل و ترفّعوا علیه و ترکوا ما ینبغی لهم من النظر إلیه و التواضع لحسبه،و إلیه أشار القائل:ما بال من أوّله نطفه،و جیفه آخره یفخر؟لا یملک تقدیم ما یرجو و لا تأخیر ما یحذر.

و قوله:و ألقوا الهجینه علی ربّهم.

و قوله:و ألقوا الهجینه علی ربّهم.

أی نسبوا ما فی الإنسان من القبایح بزعمهم إلی ربّهم کما قال بعض الشارحین:

کأن یقول أحدهم فی الافتخار علی غیره:أنا عربیّ و أنت أعجمیّ.فإنّ ذلک عیب و إزراء لخلق اللّه فهو عیب علی اللّه و نسبه للقبح إلیه،و هم فی ذلک مقتفون لأثر إبلیس حیث قال:أ أسجد «لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ» .إذ کان ذلک عیبا لخلق اللّه و نسبه للفعل القبیح.

و قوله:و جاحدوا اللّه ما صنع بهم.

و قوله:و جاحدوا اللّه ما صنع بهم.

ووجه المجاحده هنا أنّهم لمّا غفلوا عن اللّه تعالی و جحدوا حقّه لم یشکروا علی نعمائه و صنیعه بهم.و لمّا کان الشکر یعود إلی الاعتراف بالنعمه کان الجحد و الإنکار منهم عباره عن عدم ذلک الاعتراف لغفلتهم،و أیضا فإنّ الشکر کما یکون بالاعتراف بالنعمه کذلک یکون بالاتیان بما یوافق ذلک الاعتراف و یدلّ علیه من الأقوال و الأفعال الصالحه المطلوبه للمنعم و الموافقه لأوامره و نواهیه و یسمّیان شکرا أیضا فکان الإصرار علی ترکهما و عدم الاتیان بهما جحدا لنعمه اللّه،و ذلک هو مجاحدتهم.فأمّا مجاحده اللّه لهم فیعود إلی ما یتخیّل من إنکاره علیهم جحدهم،و تقریره علیهم صنعه بهم،و تذکیره نعمته فی حقّهم.و ما مصدریّه.و یحتمل أن تکون بمعنی الّذی و العائد من الصله محذوف:أی ما صنعه بهم.

و قوله:مکابره لقضائه.

استعاره مرشحه و قوله: مکابره لقضائه .

أی مقابله لحکمه علیهم بوجوب شکره و لزوم طاعته بردّ ذلک الحکم و إنکاره و عدم الانقیاد له.و حقیقه المکابره یعود إلی المقابله بالقول فی الأمر و المنازعه فیه علی وجه المغالبه و التکبّر من الطرفین.و هی هنا ترشیح لاستعاره المجاحده.و کذلک المغالبه لآلائه .و النصب فیهما علی المفعول له.و المغالبه هنا

لشبه الغـايه من المجاحـده و ليست غـايه على الحقيقه.و بيـان ذلـك أنّه لمّـا كـان من لوازم المجاحـده و كفران النعمه زوالها و انقطاعهـا كـانوا بفعلهم لتلـك المجاحـده و ذلـك الكفران كالمغـالبين للنعم و القاصـدين لزوالها و عـدمها.إذ كان زوالها لازما لفعلهم .

و قوله:فإنّهم.إلى قوله:الجاهليّه.

استعاره و قوله: فإنّهم.إلى قوله:الجاهليّه .

تنبيه على ما يلزم ساداتهم من الرذائل المنفّره،و استعار لفظ الأساس للكبر.

إذ كان مبدء للعصبيّه و أصلا لها،و لفظ القواعد لهم باعتبار قيام الكبر بهم و ثباته فيهم كما يقوم الأساس بقواعده و هى الصخور العظيمه و نحوهـا.و كـذلك اسـتعار لـفظ الأركان لأجزاء الفتنه و أبعاضـها،و لفظ الـدعائم لهم باعتبار قيام الفتن بهم و اعتمادها عليهم كما يعتمد أركان البيت و جوانبه بدعائمه.و استعار لفظ السـيوف لهم باعتبار صـرامه عزومهم و مضيّهم عند الاعتزاء فيما يعتزى له كمضـىّ السـيوف و صـرامتها فى مضاربها .قال بعض الشارحين:و يحتمل أن يريد و أصـحاب سيوف اعتزاء الجاهليّه،و ذلك عنـد قولهم:يالفلان.كما نقل فى سـبب الخطبه.و الاعتزاء منهىّ عنه لكونه مبـدء للفتن.و روى أنّ ابىّ بن كعب سـمع رجلا يقول:يا لفلان فقال:عضـضت بهن أبيك.فقيل له:يا أبا المنذر ما كنت فاحشا.قال:سـمعت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:من تعزّى بعزاء الجـاهليّه فـأعضّوه بهن أبيه و لاـ تكنّوا.و العزاء الاـسم من الاـعتزاء .ثمّ عـاد إلى الأـمر بتقوى اللّه.فقوله:و لا تكونوا لنعمه عليكم أضـدادا.نهى لهم عن ارتكـاب مـا يزيـل نعمه اللّه عنهم و تضادّهـا فلاـ يجامعها من كفرانها و مقابلتها بسائر المعاصـى الّتى يسـتلزم تبـديل النعمه نقمه،و كـذلك اسـتعاره قوله: و لاـ لفضـله عنـدكم حسّـادا .اسـتعار لفظ الحسّاد هنا باعتبار كفرهم المزيل للنعم.فحسّاد النعمه باعتبار حسدهم المزيل لها .

و قوله:و لا تطيعوا الأدعياء.

و قوله:و لا تطيعوا الأدعياء.

قال بعض الشارحين:مراده بالأدعياء الّذين ينسـبون إلى الإسلام ظاهرا و هم منافقون.قلت:و يحتمل أن يريد بهم حقيقه الأدعياء،و هم الّذين ينتسبون إلى غير آبائهم ممّن لا دين له و قد ترأس فى قبيلته الّتى انتسب إليها.ثمّ وصفهم فقال:

استعاره مرشحه الّذين شربتم بصفوكم كدرهم فاستعار لفظ الصفو و هو خالص الشراب إمّا لخلاص دينهم و إيمانهم أو لخالص دنياهم و صافيها،و لفظ الكدر للنفاق و ساير الرذائل النفسانيّه الّتى تخالط إيمان المرء كالحسد و نحوه فتكدّره و تكدّر بسبب ذلك ما صفا من دنياه لسبب ثوران الفتنه عنها،و رشّح بذكر الشرب.و المعنى أنّكم مزجتم بايمانكم نفاقهم فشربتموه به كما يمزج بالماء الشراب فيساغ به .و إنّما قال:شربتم بصفوكم كدرهم،و لم يقل:بكدرهم صفوكم لأنّ غرضه أن يقرن عليهم شرب الكدر بالقصد الأوّل و لا يتمّ ذلك الغرض إلاّ بعبارته عليه السّلام.و الباء هنا للمصاحبه، و كذلك قوله:و خلطتم بصحّتكم مرضهم.و أراد بمرضهم نفاقهم و كبرهم و سائر الرذائل النفسانيّه فيهم،و بالصحّه سلامه نفوس المؤمنين بايمانهم عن شوب تلك الرذائل.و وبّخهم بتخليطهم ايمانهم بها،و كذلك قوله:و أدخلتم فى حقّكم باطلهم.

و أراد بالحقّ الايمان و الجدّ فى العمل الصالح أو ما يستحقّونه من الملك و الخلافه فى الأرض،و بباطل اولئك الكذب و النفاق و اللعب و سائر الرذائل أو ما لا يستحقّ لهم من أمر الدنيا،و ذلك الخلط و الإدخال بسبب تخاذلهم عن نصرته عليه السّلام و عدم اجتماعهم على ما ينبغى لهم من طاعته .ثمّ عاد إلى وصف اولئك الكبراء بأوصاف:

استعاره الأوّل:استعار لهم لفظ الأساس باعتبار كونهم أصلا للفسوق يقوم بهم كما يقوم البناء بأساسه.

الثانى:لفظ الأحلاس باعتبار ملازمتهم للعقوق و قطع الرحم كما يلازم حلس البعير ظهره،و روى:أسئاس-بسكون السين-بوزن أحلاس،و هو جمع أسّ كحمل و أحمال و هو الاسّ.

الثالث:كون إبليس اتّخذهم مطايا ضلال.فاستعار لهم لفظ المطايا باعتبار كونهم أسبابا موصله إلى الضلال لمن اتّبعهم و اعتمد أقوالهم نيابه عن إبليس،و كانوا فى ذلك المطايا الّتى يركبها الناس و يقودها فى طرق الضلال.

الرابع:كونهم جندا بهم يصول على الناس،و ذلك باعتبار كونهم جاذبين للخلق إلى طريقته داعين لهم إلى الهلاك الأبد من جهته.

ص:۲۶۳

استعاره الخامس:کونهم تراجمه ینطق علی ألسنتهم.و لفظ التراجمه مستعار لهم باعتبار نطقهم بما یریده إبلیس من الوساوس للناس فأشبهوا التراجمه له .ثمّ أشار إلی کیفیّات اتّخاذهم مطایا و جندا و تراجمه فمنها الاستراق لعقول الناس بالأقوال الکاذبه و الأفعال الباطله و العادات المضلّه جذبا إلی محبّه الدنیا و باطلها و التفاتا لهم إلیها عمّا لأجله خلقوا و إلیه دعوا،و منها الدخول فی عیونهم بزینه الحیاه الدنیا أیضا و سائر ما یجذب إلیها من جهه حسّ البصر،و منها النفث فی أسماعهم و إلقاء الوساوس بالأقوال الواصفه للدنیا و باطلها و المنفّره عن الآخره و سائر ما یجذب عن الافق الأعلی من الجواذب السمعیّه.و انتصب استراقا و دخولا و نفثا علی المصدر کلّ عن فعله:أی یسترق عقولکم استراقا.و کذلک الآخران.

و قوله:فجعلکم مرمی نبله

استعاره و قوله: فجعلکم مرمی نبله .

أی غرضا،و استعار لفظ النبل لجزئیّات وساوسه المردیه لکلّ من أصابته إلی مهاوی الهلاک کما یردی النبل من رمی به،و لفظ المرمی باعتبار کونهم مقصد الوساوسه کالهدف ، استعاره مرشحه و کذلک استعار لهم لفظ الموطیء باعتبار کونهم مظنّه إذلاله و إهانته.و رشّح بذکر القدم إذ الموطیء یستدعی موطوءا به و هو القدم،و کذلک استعار لفظ المأخذ باعتبار کونهم مقتنصین فی حبایل وساوسه،و رشّح بذکر الید.إذ من شأن المأخوذ أن یکون أخذه بالید .

الفصل الثالث:فی أمرهم بالاعتبار بحال الماضین،و ما أصاب الامم المستکبرین

اشاره

منهم من بأس اللّه و صولاته و عقوباته و مصارعهم

،و بحال الأنبیاء علی جلاله قدرهم فی التواضع لمن ارسلوا إلیه من المتکبّرین،و حال اختبار اللّه تعالی خلقه بأحجار نصبها بیتا لعبادته اختبارا للمتواضعین له و تمییزا لهم من المستکبرین عن عبادته.

إلی غیر ذلک،و ذلک قوله:

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَکْبِرِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ- مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَ صَوْلاَتِهِ وَ وَقَائِعِهِ وَ مَثُلاَتِهِ- وَ اتَّعِظُوا بِمَثَاوِی خُدُودِهِمْ وَ مَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ-

ص:۲۶۴

وَ اسْتَعِیذُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْکِبْرِ- کَمَا تَسْتَعِیذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِی الْکِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ- لَرَخَّصَ فِیهِ لِخَاصَّهِ أَنْبِیَائِهِ- وَ مَلَائِکَتِهِ وَ لَکِنَّهُ سُبْحَانَهُ کَرَّهَ إِلَیْهِمُ التَّکَابُرَ- وَ رَضِیَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ- فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ- وَ عَفَّرُوا فِی التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ- وَ خَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِینَ- وَ کَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِینَ- قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَهِ وَ ابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَهِ- وَ امْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ وَ مَحَّصَهُمْ بِالْمَکَارِهِ- فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَ السُّخْطَ بِالْمَالِ وَ الْوَلَدِ- جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَهِ- وَ الِاخْتِبَارِ فِی مَوْضِعِ الْغِنَی وَ الِاقْتِدَارِ وَ قَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَی- «أَ یَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِینَ نُسارِعُ لَهُمْ فِی الْخَیْراتِ بَلْ لا یَشْعُرُونَ» فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ یَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَکْبِرِینَ فِی أَنْفُسِهِمْ- بِأَوْلِیَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِینَ فِی أَعْیُنِهِمْ وَ لَقَدْ دَخَلَ؟مُوسَی بْنُ عِمْرَانَ؟ وَ مَعَهُ أَخُوهُ؟هَارُونُ ع؟- عَلَی ؟فِرْعَوْنَ؟ وَ عَلَیْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ- وَ بِأَیْدِیهِمَا الْعِصِیُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ- بَقَاءَ مُلْکِهِ وَ دَوَامَ عِزِّهِ- فَقَالَ أَ لَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَیْنِ یَشْرِطَانِ لِی دَوَامَ الْعِزِّ- وَ بَقَاءَ الْمُلْکِ- وَ هُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَ الذُّلِّ- فَهَلَّا أُلْقِیَ عَلَیْهِمَا أَسَاوِرُ مِنْ ذَهَبٍ- إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَ جَمْعِهِ- وَ احْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَ لُبْسِهِ- وَ لَوْ أَرَادَ

اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ- حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ- وَ مَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَ مَغَارِسَ الْجِنَانِ- وَ أَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَ وُحُوشَ الْأَرَضِ لَفَعَلَ- وَ لَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَ بَطَلَ الْجَزَاءُ وَ اضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَ لَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ- وَ لَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ- وَ لَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا- وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ- وَ ضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ- مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَ الْعُيُونَ غِنًى- وَ خَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَ الْأَسْمَاعَ أَذًى وَ لَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَ عِزَّةٍ لَا تُضَامُ- وَ مُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَ تُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ- لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الِاعْتِبَارِ- وَ أَبْعَدَ لَهُمْ فِي الِاسْتِكْبَارِ- وَ لَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ- فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَ الْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً- وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ- وَ التَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَ الْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ- وَ الِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَ الِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ- أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لَا يَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَ كُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَ الِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ- كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَ الْجَزَاءُ أَجْزَلَ

أ لا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ- الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ؟آدَمَ ص؟ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ- بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَ لَا تَنْفَعُ وَ لَا تَسْمَعُ- وَ لَا تُبْصِرُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً- ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً- وَ أَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً- وَ أَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً- بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ وَ رِمَالٍ دَمِثَةٍ- وَ عُيُونٍ وَشِلَةٍ وَ قُرًى مُنْقَطِعَةٍ- لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ وَ لَا حَافِرٌ وَ لَا ظِلْفٌ- ثُمَّ أَمَرَ؟آدَمَ ع؟ وَ وَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ- فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ وَ غَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ- تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ- وَ مَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَ جَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ- حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا- يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ وَ يَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ- شُعْثاً غُبْراً لَهُ قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ- وَ شَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ- ابْتِلَاءً عَظِيماً وَ امْتِحَاناً شَدِيداً- وَ اخْتِبَاراً مُبِيناً وَ تَمْحِيصاً بَلِيغاً- جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ وَ وُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ- وَ لَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ- أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَ مَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ- بَيْنَ جَنَّاتٍ وَ أَنْهَارٍ وَ سَهْلٍ وَ قَرَارٍ- جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِيَ الثِّمَارِ- مُلْتَفَّ الْبُنَى مُتَّصِلَ الْقُرَى- بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ وَ رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ- وَ أَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ وَ عِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ- وَ رِيَاضٍ نَاضِرَةٍ وَ طُرُقٍ عَامِرَةٍ- لَكَانَ

قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ- وَ لَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا- وَ الْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا- بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ وَ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَ نُورٍ وَ ضِيَاءٍ- لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ- وَ لَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ؟إِبْلِيسَ؟ عَنِ الْقُلُوبِ- وَ لَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ- وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ- وَ يَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ- وَ يَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ- إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ- وَ إِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ- وَ لِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ- وَ أَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِهِ فَاللَّهَ اللَّهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ- وَ آجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ وَ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ- فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ؟إِبْلِيسَ؟ الْعُظْمَى وَ مَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى- الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ- فَمَا تُكْدِي أَبَداً وَ لَا تُشْوِي أَحَداً- لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ وَ لَا مُقِلًّا فِي طِمْرِهِ- وَ عَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ- بِالصَّلَوَاتِ وَ الزَّكَوَاتِ- وَ مُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ- تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ وَ تَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ- وَ تَذْلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ وَ تَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ- وَ إِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ- وَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً- وَ الْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً- وَ لُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ

تَذَلُّلًا- مَعَ مَا فِی الزَّکَاهِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ- وَ غَیْرِ ذَلِکَ إِلَی أَهْلِ الْمَسْکَنَهِ وَ الْفَقْرِ انْظُرُوا إِلَی مَا فِی هَذِهِ الْأَفْعَالِ- مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَ قَدْعِ طَوَالِعِ الْکِبْرِ

اللغه

أقول: المثلات :العقوبات.و المثاوی :جمع مثوی و هو المقام.و التکابر:

التعاظم.و التعفیر :إلصاق الخدود بالعفر و هو التراب.و المخمصه .المجاعه:و المجهده :المشقّه.و الإقتار :الفقر.و الأساوره :جمع أسوره جمع سوار،و یجوز أن یکون جمع أساور،و قال أبو عمرو بن العلاء:هو جمع أسوار،و هو السوار.و الذهبان :جمع ذهب کحزب لذکر الحباری و حزبان.و العقیان :خالص الذهب.

و اضمحلّ :فنی.و الأنباء :الأخبار.و الخصاصه :الجوع.و الشوب :الخلط.و الوعر بالتسکین :الصعب.و النتائق :جمع نتیقه فعیله بمعنی مفعوله،و النتق:الجذب، و سمیت المدن و الأماکن المشهوره و المرتفعه نتائق لارتفاع بنائها و شهرتها و علوّها عن غیرها من الأرض کأنّها جذبت و رفعت.و القطر :الجانب.و الدمثه:

اللیّنه.و الوشله :قلیله الماء.و المثابه :المرجع.و المنتجع :اسم المفعول من الانتجاع و هو طلب الکلاء و الماء.و المفاوز :الفلوات الواسعه.و القفار :جمع قفر و هی المفازه الّتی لا نبت فیها و لا ماء.و سحیقه :بعیده.و الفجاج :جمع فجّ و هی الطریق الواسع بین الجبلین.و یهلّلون :یرفعون أصواتهم بالتلبیه،و الإهلال :رفع الصوت.و الرمل بالتحریک :الهروله:و الأشعث :أغبر الراس متفرّق الحال.

و النبذ :الإلقاء.و السرابیل :القمصان.و التشویه :تقبیح الخلقه.و التمحیض:

الابتلاء و الاختبار،و أصله التخلیص و التمییز.و المشاعر :مواضع المناسک.و القرار :المستقرّ من الأرض.و الجمّ :الکثیر.و البنی :جمع بنیه-بالضمّ-.و الأریاف :جمع ریف بالکسر،و هی الأرض ذات الزرع و الخصب.و المحدقه:

المحیطه.و المغدقه :کثیره الماء و الخصب.و المعتلج : اسم المفعول من الاعتلاج و هو

التغالب و الاضطراب،يقال:اعتلجت الأمواج:أى تلاطمت و اضطربت .و فتحا:

فعل بمعنى مفعوله:أى مفتوحه موسّعه،و كذلك ذللا مسّهله .و وخامه الظلم:

وباره و سوء عاقبته .و المصيده-بكسر الميم- : الشبكه و ما يصاد به .و المساوره:

المواثبه .و أكدى الحافر : إذا بلغ فى حفره إلى موضع صلب لا يمكنه حفره .و أكدت المطالب : إذا صعبت فى وجه طالبها فعجز عنها .و أشوت الضربه تشوى : إذا لم تصب المقتل،يقال:أشواه يشويه:إذا رماه فلم يصب مقتله .و الطمر : الثوب الخلق .و عتائق : جمع عتيقه و هى كرايم الوجوه و حسانها .و القمع : الردّ .و النواجم : الطوالع جمع ناجمه .و القدع : الكفّ .

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام أمرهم بأوامر :

أحدها:الأمر بالاعتبار بما أصاب المتكبّرين من سابق الامم من عقوبات

اللّه

،و وجه الاعتبار أن يفكّر العاقل فى حال اولئك فيرى ما أصابهم إنّما هو بسبب استعدادهم بالاستكبار عن طاعه اللّه و الرفع على عباده كما أشار إليه تعالى «قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ» إلى قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَهُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ» (١)و نحوه فى القرآن كثير فينتقل ذهنه منه إلى نفسه و يقيس حال استكباره على استكبارهم فيما يلزمه من أمثال العقوبات بهم.

الثانى:أن يتّعظوا بمثاوى خدودهم و مصارع جنوبهم

:أى يلحظوا مقاماتهم من التراب و محالّ انصراعهم فى القبور ليحصل لهم بذلك الانزجار عن الكبر.

إذ كانت عاقبته و غايته ذلك الهوان و الذلّ فى تلك المثاوى و المصارع .

الثالث:أن يستعيذوا باللّه من لواقح الكبر.

و استعار اللواقح لما يستلزم الكبر من أسبابه،و أراد استعاذه كثيره خالصه كاستعاذتكم من طوارق الدهر و آفاته .

و قوله:فلو رخّص اللّه.إلى قوله:التواضع.

و قوله:فلو رخّص اللّه.إلى قوله:التواضع.

استدلال على تحريم الكبر مطلقا،و أنّه لا رخصه فيه لأحد من خلق اللّه بقياس شرطىّ متّصل،و وجه الملازمه فيه أنّ الأنبياء خواصّ اللّه و أحبّاؤه و أهل

ص:٢٧٠

١- ١) ٧٣-٧.

طاعته فلو كان له فيه رخصه لم يجعلها إلّا لهم،و تقدير الاستثناء فيه لنقيض التالى:

لكنّه لم يرخّص فيه لهم فينتج أنّه لم يرخّص فيه لأحد من عباده،لكنّه حذف هنا استثناء النقيض و استثنى بعض لوازمه و هو تكريهه التكابر إليهم،و ذلك بوعيده للمستكبرين على الكبر.ثمّ برضى التواضع لهم،و ذلك بأمرهم فيه كما قال تعالى «وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» (۱)و نحوه .

و قوله:فألقوا.إلى قوله:مستضعفين.

و قوله:فألصقوا.إلى قوله:مستضعفين.

إشاره إلى امتثالهم لما أمرهم به من التواضع و موافقتهم له فيما رضيه لهم فإلصاق خدودهم بالأرض و تعفير وجوههم إشاره إلى معاملتهم له فى عبادته مع أنفسهم و خفض أجنحتهم للمؤمنين،و كونهم أقواما مستضعفين إشاره إلى امتثالهم و معاملتهم له فى خلقه، استعاره و لفظ الأجنحه مستعار من الطائر ليد الإنسان و جانبه باعتبار ما هو محلّ البطش و النفره . كنايه و خفض الجناح كنايه عن لين الجانب .و قال ابن عبّاس فى قوله تعالى «وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» أى ارفق بهم و لا تغلظ عليهم قال:و العرب تقول لمن كان ساكنا و قورا:إنّه خافض الجناح.

و قوله:قد اختبرهم.إلى قوله:بالمكاره.

و قوله:قد اختبرهم.إلى قوله:بالمكاره.

إشاره إلى أنّه أعدّهم بأنواع الشقاوه الدنيويّه من الجوع و المشاقّ و المخاوف و المكاره،و التنفير بها عن الدنيا للإقبال عليه تعالى و محبّه ما عنده من الثواب الجزيل و قد علمت معنى ابتلائه تعالى لعباده و اختباره لهم غير مرّه .

و قوله:فلا تعتبروا الرضا و السخط بالمال و الولد إلى قوله:الاقتدار الإقتار خ.

و قوله:فلا تعتبروا الرضا و السخط بالمال و الولد إلى قوله:الاقتدار[الإقتار خ].

أى لا تعتبروا رضاه تعالى عن عباده بإعطائه لهم المال و الولد و سخطه عليهم بمنعه لهم ذلك.و كأنّه جواب اعتراض مقدّر كأنّ قائلا قال:فإذا كانوا هؤلاء خواصّه و أهل طاعته و رضاه فلم امتحنهم بالشدائد و ابتلاهم بالمخاوف و المكاره و لم يعطهم الأموال و الأولاد كما قال فرعون لموسى عليه السّلام:فلو لا القى عليه أساوره من ذهب،و كما قالت كفّار قريش: «أَوْ يُلْقى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّهٌ»

۱- ۱) ۸۸-۱۶.

«يَأْكُلُ مِنْها» ؟فأجاب عليه السّلام بأنّ ذلك الوهم للجهل بمواقع الفتنه و الاختبار فى مواضع الغنى و الإقتار:أى أنّ الاختبار كما يكون بالفقر و المشاقّ و المكاره كذلك يكون بالمال و الولد،و ليس المال و الولد من الخيرات الّتى تعجّل فى الدنيا لمن يعطى إيّاهما كما يزعمون ،و استشهد على ذلك بقوله تعالى «أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ» (۱)أى يحسبون أنّا نعجّل فى تقديم ثواب أعمالهم لرضانا عنهم حتّى بسطناهم الرزق و أكثرنا لهم أولادهم بل لا يعلمون أنّ ذلك استدراج لهم من اللّه و محنه و بلاء.و جهلا نصب على المفعول له .

و قوله:فإنّ اللّه سبحانه يختبر عباده المستكبرين.إلى قوله:فى أعينهم.

و قوله:فإنّ اللّه سبحانه يختبر عباده المستكبرين.إلى قوله:فى أعينهم.

كلام منقطع يستدعى ابتداء يكون معلّلا به.و قد فصّل الرضىّ-رحمه اللّه- بينه و بين ما قبله بصفر لكنّه بيان لنوع آخر من ابتلاء اللّه تعالى عباده المستكبرين فى أنفسهم و اختبارهم بأوليائه المستضعفين و هم الأنبياء فى أعينهم:أى فى أعين المتكبّرين و هو فى معنى ما قبله،و فيه تنبيه على بعض أسراره تعالى فى خلقه لسائر أنبيائه و أوليائه المستضعفين،و هو أن يبتلى بهم المستكبرين عن عبادته فى أرضه كما سيشير إليه عليه السّلام فى الحكمه فى خلقهم كذلك .ثمّ ضرب مثل ذلك الابتلاء فى موسى و هرون عليهما السّلام حين دخلا على فرعون يدعوانه إلى اللّه تعالى،و ذلك قوله:

و لقد دخل.إلى قوله:و لبسه روى الطبرىّ فى تاريخه:أنّ موسى و هرون قدما مصر حين بعثهما اللّه إلى فرعون فمكثا سنتين يغدوان على بابه و يروحان يلتمسان الإذن عليه فلا يعلم بهما و لا يجترى أحد أن يخبره بشأنهما و كانا يقولان فى الباب:

إنّا رسولا ربّ العالمين إلى فرعون حتّى دخل عليه بطّال له يلاعبه و يضحكه فقال:

أيّها الملك إنّ ببابك رجلا يقول قولا عجيبا،و يزعم أنّ له إلها غيرك.فقال:

أدخلوه.فدخل و بيده عصاه و معه أخوه هرون فقال: «إِنّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ» .و ذكر تمام الخبر و صريح قصّتهما و محاورتهما مستوفى فى القرآن الكريم كسوره

ص:۲۷۲

۱- ۱) ۵۷-۲۳.

الشعراء و القصص و غيرهما،و الّذى ذكره عليه السّلام منها واضح بيّن،و قال كعب:

كان موسى عليه السّلام من رجال شنوءه،و كان آدم طوالا،و كان أخوه هارون أطول منه و أكثر لحما و أشدّ بياضا و أغلظ ألواحا و أسنّ من موسى بثلاث سنين،و كانت فى جبهه هرون شامه و فى طرف أرنبه موسى شامه و على طرف لسانه شامه، و لم يعرف أحد قبله و لا بعده كذلك.قال:و هى العقده الّتى ذكرها اللّه تعالى.قال:

و فرعون موسى هو فرعون يوسف عليه السّلام عمّر أكثر من أربع مائه سنه.و اسمه الوليد بن مصعب،و أنكر غيره ذلك.و قالوا:هو غيره.و قبض هارون قبل موسى و هو ابن مائه و سبع عشره سنه،و بقى موسى بعده ثلاث سنين،و مات موسى فى سنّه يوم مات.فأمّا شرطهما له بقاء ملكه بإسلامه فلما علمته من كون النواميس الشرعيّه و التمسّك بها و العمل بقوانينها ناظما لحال أبناء النوع الإنسانىّ و سببا لصلاح معاشهم و معادهم.و بانتظام شمل مصلحتهم باستعمال تلك القوانين تكون بقاؤهم و ثبات دولهم و ملكهم و دوام عزّهم .فأمّا استبكاره لشرطهما له دوام العزّ و الملك بإسلامه و تعجّبه منهما فى ذلك فمستنده اعتقاده الجهل أنّ مبدء التمكّن من ذلك الشرط و القدره على الوفاء به هو الغنى و جمع المال فلذلك احتقرهما من حيث كانا بزىّ الفقر و الذلّ و لبس الصوف و ليس عليهما آثار الغنى و المال و هو التحلّى بأساوره الذهب.فكان إعظام الذهب و لبسه الّذى هو شعار الغنىّ و احتقار الصوف و لبسه ممّا هو شعار الفقر سببا حاملا له على ذلك الاستكبار و التعجّب.

و قوله:و لو أراد اللّه سبحانه لأنبيائه.إلى قوله:معانيها.

و قوله:و لو أراد اللّه سبحانه لأنبيائه.إلى قوله:معانيها.

قياس إقترانىّ من الشكل الأوّل من متّصلتين:إحداهما:قوله:و لو أراد اللّه.إلى قوله:لفعل،و الثانيه:قوله:و لو فعل لسقط البلاء.إلى آخره،و النتيجه أنّه لو أراد اللّه بأنبيائه ذلك لزمت المحالات المذكوره.بيان الملازمه فى الصغرى أنّ الامور المعدوده و هى فتح كنوز الذهب و معادنه و مغارس الجنان و حشر الطير و الوحش امور ممكنه فى أنفسها و اللّه سبحانه قادر على جميع الممكنات

و عالم بها فلو حصل مع قدرته عليها إراده وقوعها عن قدرته كان مجموعها مستلزما لوقوعها عنها،و أمّا الكبرى فإنّه جعل مقدّمتها و هو فعله لتلك الامور ملزوما لامور خمسه:

أحدها:أنّه كان يسقط البلاء:أى ذلك البلاء المشار إليه و هو بلاء المتكبّرين بالمستضعفين من أولياء اللّه و هو ظاهر.إذ لا مستضعف يبتلون به إذن، و ذلك أنّ الأنبياء عليه السّلام كانوا ينقطعون إلى الدنيا حينئذ عن جناب اللّه فينقطع عنهم الوحى كما سيشير إليه عليه السّلام و حينئذ ينقطع الابتلاء بهم و بما أتوا به من التكليف،و كذلك يسقط بلاء الأنبياء بالفقر و الصبر على أذى المسكنه من المكذّبين لهم بالضرب و القتل.

الثانى:و كان يبطل الجزاء:أى جزاء العبادات و الطاعات إمّا لسقوط البلاء بها أو لأنّ الطاعات إذن تكون عن رهبه أو رغبه فيسقط الجزاء الاخروىّ عليها و كذلك يبطل جزاء الأنبياء الّذى كانوا يستحقّونه بحسب فقرهم و صبرهم عليه.

الثالث:و كان تضمحلّ الأنباء:أى الأخبار الوارده من قبل اللّه تعالى على ألسنه رسله و الوحى إليهم،و ذلك أنّك علمت أنّ الدنيا و الآخره ضرّتان بقدر ما يقرب من إحداهما يبعد من الاخرى،و الأنبياء عليهم السّلام و إن كانوا أكمل الخلق نفوسا و أقواهم استعدادا لقبول الكمالات النفسانيّه كما أشرنا إليه إلاّ أنّهم محتاجون أيضا إلى الرياضه التامّه بالإعراض عن الدنيا و طيّباتها و هو الزهد الحقيقىّ، و إلى تطويع نفوسهم الأمّاره بالسوء لنفوسهم المطمئنّه بالعباده التامّه كما هو المشهور من أحوالهم عليهم السّلام فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يربط على بطنه الحجر من الجوع و يسمّيه المشبع لا لأنّه كان لا يقدر على شىء يأكله،و كان يرقع ثوبه لا لعدم قدرته على ثوب يلبسه،و كان يركب الحمار العارى و يردف خلفه لا لعجزه عن فرس يركبه و غلام يمشى معه،و كيف و قد توفّى و بيده هذه القطعه العظيمه من المعموره،بل ذلك و أمثاله ممّا سيحكيه عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى آخر هذه الخطبه زهاده فى الدنيا و إعراض عن متاعها و زينتها لأنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وجد من الكمالات العقليّه و

الموعوده ما هو أشرف و أعلى من هذه الكمالات الحسيّه الفانيه،و اعلم أنّ الوصول إلى تلك الكمالات لا يتمّ و لا يتحقّق إلاّ بالإعراض عن هذه فرفض به ما هو أخسّ فى جنب ما هو أشرف و لذلك قام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى العباده حتّى تورّمت قدماه.

فقيل له:يا رسول اللّه أليس قد بشّرك اللّه بالجنّه فلم تفعل ذلك؟قال:أفلا أكون عبدا شكورا.و ذلك لعلمه أنّ الاستعداد بالشكر يفيد كمالا أعلى و أزيد ممّا اوتى.

و إذا كان حال أشرف الأنبياء و أكملهم كذلك فما ظنّك بسايرهم؟و حينئذ تعلم أنّ تركهم للدنيا و عدم اشتغالهم بها شرط فى بلوغهم درجات الوحى و الرساله و تلقّى أخبار السماء،و أنّهم لو خلقوا منغمسين فى الدنيا و فتحت عليهم أبوابها فاشتغلوا بقيناتها لا نقطعوا إليها عن حضره جلال اللّه و اضمحلّ بسبب ذلك عنهم الأنباء و انقطع عنهم الوحى و انحطّوا عن مراتب الرساله،و قال بعض الشارحين:أراد باضمحلال الأنباء سقوط الوعد و الوعيد و الإخبار عن أحوال الجنّه و النار و أحوال القيامه.و هو لازم من لوازم سقوط النبوّه فيكون راجعا إلى ما قلناه.

الرابع:و لكان لا يجب للقابلين اجور المبتلين:أى لقابلى كلام الأنبياء لأنّه إذا سقط البلاء عنهم لم يكن لهم أجر المبتلين،و كذلك لا يجب لقابلى النبوّه منهم اجور المبتلين بالتكذيب و الأذى.

الخامس:و كان لا يستحقّ المؤمنون ثواب المحسنين إلى أنفسهم بمجاهده الشيطان عنها و تطهيرها عن الرذائل و تحليتها بالفضائل،و ذلك لأنّ ايمانهم بهم يكون عن رغبه أو رهبه كما علمته لا عن حقيقه و إخلاص للّه.

السادس:و لا لزمت الأسماء معانيها.روى بنصب الأسماء على أن تكون هى المفعول و معانيها الفاعل،و المعنى أنّه لم تكن المعانى لازمه الأسماء فيمن سمّى بها،مثلا من سمّى مؤمنا لا يكون معنى الإيمان الحقّ لازما لاسمه فيه.إذ كان إيمانه بلسانه فقط عن رغبه أو رهبه،و كذلك من سمّى مسلما أو زاهدا بل من سمّى نبيّا أو رسولا لا يكون فى الحقيقه كذلك لانقطاع النبوّه و الرساله عنه، و فى نسخه الرضىّ-رحمه اللّه-برفع الأسماء،و المراد أنّها كانت تنفكّ عنها

فتصدق الأسماء بدون مسمّياتها و هو كالأوّل.و ببيان هذه اللوازم ظهرت كبرى القياس.و النتيجه إذن متّصله مقدّمها قوله:لو أراد اللّه.إلى قوله:الأرض، و تاليها قوله:لسقط البلاء.إلى قوله:معانيها،و حاصل النتيجه أنّه كان يلزم من إرادته تعالى بأنبيائه تلك الامور وقوع جميع هذه المفاسد.ثمّ يرجع البيان إلى استثناء نقيض تالى هذه النتيجه لاستثناء نقيض مقدّمها و هو أنّ هذه المفاسد لم توجد و ليست ممّا ينبغى أن توجد فلذلك لم يرد بهم تلك الامور .

و قوله:و لكنّ اللّه سبحانه جعل رسله.إلى قوله:أذى.

و قوله:و لكنّ اللّه سبحانه جعل رسله.إلى قوله:أذى.

كاللازم لنقيض مقدّم النتيجه المذكوره ذكره بعد بيانه.إذ كان اللّه تعالى لمّا لم يرد بعث أنبيائه على ذلك الوجه أراد بعثهم على هذا الوجه،و هو أن جعلهم أصحاب قوّه فى عزائمهم و إجماع على إنفاذ ما امروا به و تبليغ رسالات ربّهم،و لذلك سمّوا أولى العزم لمضاء عزائمهم و قوّتهم فى دين اللّه بالقتال و المجاهده و الصبر على الأذى،و جعلهم مع ذلك ضعفه فيما ترى الأعين من حالاتهم من المسكنه و الذلّ و الفقر و القناعه و الصبر على العرى و الجوع. استعاره و استعار وصف الملأ للقناعه باعتبار استلزامها لقوّه غنائهم و قلّه حاجتهم إلى شىء من متاع الدنيا بحيث لا تميل نفوسهم و لا عيونهم إلى شىء من زينتها و قيناتها فكأنّها قد امتلأت فلا- تتّسع لشىء من ذلك فتطلبه،و كذلك للخصاصه باعتبار استلزامها لقوّه الأذى فى أسماعهم و أبصارهم.إذ الجوع المفرط مستلزم لأذى هاتين القوّتين لتحلّل الأرواح الحامله لهما و ضعفهما فكان الأذى حشو أبصارهم و أسماعهم بحيث لا يتّسع لغيره كلّ ذلك طلب لكمال الاستعداد لما علمت أنّ البطنه تذهب الفطنه و تورث القسوه و تزيل الرقّه و تستلزم رذائل كثيره لا دواء لها إلاّ بالخصاصه و القناعه فضيله تحت العفّه .

و قوله:و لو كانت الأنبياء.إلى قوله:مقتسمه.

و قوله:و لو كانت الأنبياء.إلى قوله:مقتسمه.

متّصله اخرى هى كبرى قياس من الشكل الأوّل أيضا من متّصلتين مقدّم الصغرى منهما هو من مقدّم كبرى القياس الأوّل،و هو قوله:و لو فعل.و نبّه

على تاليها بمقدّم هذه الكبرى،و تقدير الكلام:و لأنّه تعالى لو فعل بأنبيائه ما ذكرناه لكانوا أهل قوّه لا ترام و عزّه لا تضام و ملك تمتدّ نحوه الأعناق، و لو كانوا كذلك لكان فى كونهم كذلك مفاسد اخرى فينتج أنّه لو فعل بأنبيائه ما ذكرناه للزمت مفاسد اخرى:

أحدها:أنّه لكان ذلك أى ما حصلوا عليه من العزّ و الملك أهون على الخلق و أسهل من حيث إنّ اعتبارهم لما يدعوهم إليه أسهل و إجابتهم إلى دعوتهم أسرع.إذ كانت الملوك فى اعتبار الخلق أهلا لأن يطاعوا فلا تصعب عليهم إجابتهم كما تصعب إجابه الفقراء على من يدعونه من المتكبّرين.

الثانى:و أبعد لهم عن الاستكبار،و هو ظاهر لأنّ الملوك أبعد من أن يتكبّر عليهم الناس و يأنفوا من طاعتهم و حينئذ لم يكن للخلق ثواب من ترك رذيله الكبر عن مجاهده نفسه فى ترك الرذيله.

الثالث :و لآمنوا عن رهبه قاهره لهم.أى على الايمان أو رغبه مايله بهم إليه فلم يكن نيّاتهم و لا حسناتهم خالصه للّه بل هى مشتركه و مقتسمه بعضها له و بعضها للرغبه و بعضها للرهبه،و حينئذ لا يكون لهم ثواب من جاهد إبليس فقهره و قمع نواجم وسوسته الجاذبه عن سبيل اللّه،و استعدّ بذلك للخيرات الباقيه.

و قوله:و ملك تمتدّ نحوه أعناق الرجال،و تشدّ إليه عقد الرحال.

كنايه و قوله: و ملك تمتدّ نحوه أعناق الرجال،و تشدّ إليه عقد الرحال .

كنايتان عن قوّته و عظمته لأنّ الملك إذا كان عظيما قويت الآمال فيه و توجّهت نحوه و امتدّت أعناق الرجال إليه بالرجاء و شدّت عقد الرحال إليه .

و قوله:و لكنّ اللّه سبحانه.إلى قوله:شائبه.

و قوله:و لكنّ اللّه سبحانه.إلى قوله:شائبه.

كالمقدّمه لصغرى فى بيان أنّ القسم الأخير من التالى ليس ممّا ينبغى أن يكون و يراد للّه تعالى.كأنّه قال لو جعل اللّه تعالى الأنبياء أهل الملك و العزّ لكان ايمان الخلق بهم إمّا لرغبه أو رهبه فكانت النيّات و الايمان و العباده منهم مشتركه غير خالصه للّه و ذلك مفسده ليس ممّا ينبغى أن تكون و لا أن تراد للّه تعالى لأنّه تعالى إنّما أراد أن يكون ايمانهم بالرسل و اتّباعهم و تصديقهم لما جاءوا به من كتبه و امروا به من الخشوع

لوجهه و الاستكانه لأمره و الاستسلام لطاعته امورا له خاصّه لا يشوبها من غيرها شائبه رغبه و رهبه.و تقدير الكبرى:و كلّ ما أراد اللّه إخلاصه له فليس ممّا ينبغى أن يكون مشتركا بينه و بين غيره و لا مشوبا بشائبه غيره فينتج أنّ ايمانهم بأقسامه ليس ممّا ينبغى أن يكون مشتركا لشائبه رغبه أو رهبه .

و قوله:و كلّما كانت البلوى.إلى قوله:أجزل.

و قوله:و كلّما كانت البلوى.إلى قوله:أجزل.

يحتمل أن يكون كبرى قياس بيّن به أنّ الأجزاء الثلاثه للتالى و هو قوله:لكان ذلك أهون.إلى آخره ليس ممّا ينبغى أن يكون،و تقدير البيان أنّ ذلك مستلزم كون الاعتبار معه أهون على الخلق و أن يكونوا معه أبعد عن الاستكبار و أن يؤمنوا عن رغبه أو رهبه و هذه الامور ليس ممّا ينبغى أن تكون.و إنّما قلنا ذلك لأن نقايضها و هى مشقّه الاعتبار على الخلق و قربهم من الاستكبار و خلوص إيمانهم للّه ممّا ينبغى أن يكون،و بيان ذلك أنّ مع هذه الامور يكون البلوى و الاختبار عليهم أعظم.و ذلك هو صغرى القياس.ثمّ نقول:و كلّما كانت البلوى و الاختبار لهم أعظم كانت المثوبه و الجزاء على الايمان و الطاعه موافقه لتلك البلوى أجزل فينتج أنّ مع مشقّه الاعتبار و القرب من الاستكبار و إخلاص الايمان تكون المثوبه لهم و الجزاء على الإيمان و الطاعه أجزل،و يحتمل أن يكون من تمام البيان الأوّل كأنّه قال:و لكنّه تعالى أراد أن تكون هذه الامور خالصه له لا يشوبها شائبه،و ذلك الإخلاص و إن كانت فيه مشقّه و كانت البلوى فيه عظيمه إلاّ أنّه كلّما كانت البلوى أعظم كان الثواب فيها أجزل.ثمّ أردف ذلك بالتنبيه على صدق هذه المقدّمه بالمثال و ذلك قوله :أ لا ترون.إلى قوله:و وصله إلى جنّته،و أراد بالأحجار الّتى بنى بها البيت الحرام.

و قوله:جعله للناس قياما.

و قوله:جعله للناس قياما.

أى مقيما لأحوالهم فى الآخره.يقال:فلان قيام أهله و قوام بيته.إذا كانت به استقامه أحوالهم،و كون مكّه أقلّ بقاع الأرض مدرا لأنّ الحجريّه أغلب عليها.و إنّما أتى بالرمال اللّينه فى معرض الذمّ لأنّها أيضا ممّا لا يزكو بها الدوابّ

لأنّ ذوات الحافر ترسغ فيها و تتعب فى المشى بها.قال الشارحون:و أراد بالخفّ و الحافر و الظلف دوابّها و هى الجمال و الخيل و الغنم و البقر مجازا إطلاقا لاسم الجزء على الكلّ أو على تقدير إراده المضاف و إقامه المضاف إليه مقامه،و أراد بكونها لا تزكو:أى لا تسمن و تزيد للجدب و خشونه الأرض،و الضمير فى بها راجع إلى ما دلّ عليه أو عر من الموصوف فإنّه أراد بواد أوعر بقاع الأرض حجرا كما قال: «إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ » .

و قوله:ثمّ أمر آدم و ولده أن يثنوا أعطافهم نحوه

و قوله:ثمّ أمر آدم و ولده أن يثنوا أعطافهم نحوه.

قد دلّ كلامه عليه السّلام على أنّ البيت الحرام كان منذ آدم عليه السّلام و التواريخ شاهده بذلك.و قال الطبرى:روى عن ابن عبّاس أنّ اللّه تعالى أوحى إلى آدم لما اهبط إلى الأرض أنّ لى حرما حيال عرشى فانطلق فابن لى بيتا فيه ثمّ طف به كما رأيت ملائكتى تحفّ بعرشى فهنا لك استجيب دعاك و دعاء من تحفّ به من ذرّيّتك.فقال آدم:إنّى لست أقوى على بنيانه و لا اهتدى إليه.فبعث اللّه تعالى ملكا فانطلق به نحو مكّه فكان آدم كلّما رأى روضه أو مكانا يعجبه سأل الملك أن ينزل به هنالك لتبنى فيه فيقول له الملك:ليس هاهنا.حتّى أقدمه مكّه فبنى البيت من خمسه جبال طور سيناء و طور زيتون و لبنان و الجودىّ،و بنى قواعده من حرّاء.فلمّا فرغ من بنيانه خرج به الملك إلى عرفات و أراه المناسك كلّها الّتى يفعلها الناس اليوم،ثمّ قدم به مكّه و طاف بالبيت اسبوعا،ثمّ رجع إلى أرض الهند.و قيل:إنّه حجّ على رجليه إلى الكعبه أربعين حجّه.و روى عن وهب بن مبنّه أنّ آدم دعا ربّه فقال:يا ربّ أما لأرضك هذه عامر يسّبحك فيها و يقدّسك غيرى؟فقال له تعالى:إنّى سأجعل فيها من ولدك من يسبّح بحمدى و يقدّسنى،و سأجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى يسبّحنى فيها خلقى و يذكر فيها اسمى،و سأجعل من تلك البيوت بيتا اختصّه بكرامتى و اوثره باسمى فاسميّه بيتى و عليه وضعت جلالتى و عظّمته بعظمتى،و أنا مع ذلك فى كلّ شىء و مع كلّ شىء،أجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله و ما حوله و من تحته و من فوقه فمن

حرّمه بحرمتى استوجب كرامتى و من أخاف أهله فقد أباح حرمتى و استحقّ سخطى، و أجعله بيتا مباركا يأتيه بنوك شعثا غبر اعلى كلّ ضامر من كلّ فجّ عميق يزجّون بالتلبيه زجيجا و يعجّون بالتكبير عجيجا،من اعتمده لا يريد غيره و وفد إلىّ و زارنى و استضاف بى أسعفته بحاجته،و حقّ على الكريم أن يكرم و فده و أضيافه.تعمره يا آدم ما دمت حيّا ثمّ تعمره الامم و القرون و الأنبياء من ولدك امّه بعد امّه و قرنا بعد قرن.ثمّ أمر آدم إلى أن يأتى البيت الحرام فيطوف به كما كان يرى الملائكه تطوف حول العرش.و بقى أساسه بعد طوفان نوح فبوّأه اللّه لإبراهيم فبناه.و لنرجع إلى المتن فنقول:إنّه كنّى بثنى أعطافهم نحوه عن التفاتهم إليه و قصدهم له.

و قوله:فصار مثابه لمنتجع أسفارهم.

و قوله:فصار مثابه لمنتجع أسفارهم.

أى مرجعا لما تنجع من أسفارهم:أى لطلب منه النجعه و الخصب كما قال تعالى «وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثٰابَةً لِلنّٰاسِ وَ أَمْناً» (۱)و كقوله تعالى «لِيَشْهَدُوا مَنٰافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ» (۲)و ذلك أنّه مجمع الخلق و به يقام الموسم أيّام الحجّ فيكون فيه التجارات و الأرباح كما أشرنا إليه فى الخطبه الاولى.و كذلك كونه غايه لملقى رحالهم:أى مقصدا.

و قوله:تهوى إليه ثمار الأفئده.

استعاره مرشحه و قوله: تهوى إليه ثمار الأفئده .

أى تميل و تسقط.و هوى الأفئده ميولها و محبّتها إلاّ أنّه لمّا كان الّذى يميل إلى الشىء و يحبّه كأنّه يسقط إليه و لا يملك نفسه استعير لفظ الهوى للحركه إلى المحبوب و السعى إليه،و أمّا ثمار الأفئده فقال بعض الشارحين:ثمره الفؤاد سويد القلب.و لذلك يقال للولد:ثمره الفؤاد.و أقول:يحتمل أن يكون لفظ الثمار مستعارا للخلق باعتبار أنّ كلاّ منهم محبوب لأهله و آبائه فهو كالثمره الحاصله لأفئدتهم من حيث هو محبوب لهم كأنّ أفئدتهم و محبّتهم له قد أثمرته من حيث إنّها أفادت تربيته و العنايه به حتّى استوى إنسانا كاملا،و يحتمل أن يريد بثمار الأفئده الأشياء المجبيّه المعجبه من كلّ شىء كما قال تعالى «يُجْبىٰ إِلَيْهِ ثَمَرٰاتُ كُلِّ شَيْءٍ» (۳)و

۱- (۱) ۱۱-۲.

۲- (۲) ۲۹-۲۲.

۳- (۳ ۵۷-۲۸.

وجه إضافتها إلى الأفئده أنّها لمّا كانت محبوبه مطلوبه للأفئده الّتی حصلت عن محبّتها كما تحصل الثمره عن أصلها اضیفت إلیها،و الإضافه یكفی فیها أدنی سبب و نحوه قوله تعالی «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ » (۱)و لمّا استعار لفظ الهوی رشّح بذكر المهاوی إذ من شأن الهوی أن یكون له موضع .و عمیقه صفه لفجاج كما قال تعالی «یَأْتِینَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِیقٍ» (۲)و وصف العمق له باعتبار طوله و الانحدار فیه من أعالی البلاد إلی مكّه،و وصف الجزائر بالانقطاع لأنّ البحر یقطعها عن سائر الأرض و البحار یحیط بها.و حتّی غایه من قوله:

تهوی.بمعنی اللام،كنایه و كنّی بهزّ مناكبهم عن حركاتهم فی الطواف بالبیت.إذ كان ذلك من شأن المتحرّك بسرعه .و ذللا:جمع ذلول.و النصب علی الحال من الضمیر فی تهزّ.و قال بعضهم:یحتمل أن یكون من مناكبهم و كذلك موضع یهلّلون النصب علی الحال و كذلك شعثا و غبرا من الضمیر فی یرملون. كنایه و كنّی بنبذهم للسرابیل وراء ظهورهم عن طرحها و عدم لبسها و تشویههم بإعفاء الشعور محاسن خلقهم لأنّ حلق شعر المحرم أو نتفه و التنظیف منه حرام تجب فیه الفدیه .و ظاهر أنّ إعفاء الشعور یستلزم تقبیح الخلقه و تشویهها و تغییر ما هو معتاد من تحسینها بحلقه و إزالته.

و قوله:ابتلاء.و امتحانا.و اختبارا.و تمحیصا.

و قوله:ابتلاء.و امتحانا.و اختبارا.و تمحیصا.

منصوبات علی المفعول له.و العامل فیه قوله:أمر اللّه آدم،و یحتمل أن یكون علی المصدر كلّ من فعله.و عدّد هذه الألفاظ و إن كانت مترادفه علی معنی واحد تأكیدا و تقریرا لكون اللّه تعالی شدّد علیهم فی البلوی بذلك لیكون استعدادهم بتلك القوی العظیمه للثواب أتمّ و أشدّ فیكون الجزاء لهم أفضل و أجزل فلذلك قال:جعله اللّه سببا لرحمته و وصله إلی جنّته:أی سببا معدّا لإفاضه رحمه تستلزم الوصول إلی جنّته.و قد تأكّد بهذا المثال صدق قوله:و كلّما كانت البلوی و الاختبار أعظم كان الثواب أجزل.لأنّ اللّه سبحانه لمّا اختبر عباده بأمر الحجّ و مناسكه الّتی یستلزم شقاء الأبدان و احتمال المشاقّ الكثیره المتعبه فی الأسفار من المسافات

۱- (۱) ۴۰-۱۴.

۲- (۲) ۲۸-۲۲.

البعیده و ترک مفاخر الدنیا عنده و نزع التکبّر حتّی کأنّه لم یوضع إلاّ لخلع التکبر من الأعناق مع ما فی جزئیّات مناسکه و مباشرته من المشاقّ المتکلّفه مع کونه کما ذکر أحجارا لا تضرّ و لا تنفع و لا تسمع و لا تبصر لا جرم کان الاستعداد به لقبول آثار اللّه و إفاضه رحمته أتمّ من أکثر وجوه الاستعدادات لسائر العبادات فکان الثواب علیه و الرحمه النازله بسببه أتمّ و أجزل .

و قوله:و لو أراد اللّه.إلی قوله:ضعف البلاء.

و قوله:و لو أراد اللّه.إلی قوله:ضعف البلاء.

صغری قیاس ضمیر استثنائی حذف استثنائه.و هی نتیجه قیاس آخر من متّصلتین تقدیر صغراهما:أنّه لو أراد أن یضع بیته الحرام بین هذه المواضع الحسنه المبهجه لفعل،و تقدیر الکبری:و لو فعل لکان یجب منه تصغیر قدر الجزاء علی قدر ضعف البلاء،و تقدیر استثناء هذه المتّصله:لکنّه لا یجب منه ذلک و لا یجوز لأنّ مراد العنایه الإلهیّه مضاعفه الثواب و بلوغ کلّ نفس غایه کمالها و ذلک لا یتمّ إلاّ بکمال الاستعداد بالشدائد و المیثاق فلذلک لم یرد أن یجعل بیته الحرام فی تلک المواضع لاستلزامها ضعف البلاء. کنایه و کنّی بدنوّ الثمار عن سهوله تناولها و حضورها،و بالتفاف البنی عن تقارب بعضه من بعض .و البرّه:واحده البرّ و قد یقام مقام اسم الجنس فیقال:هذه برّه حسنه،و لا یراد بها الحبّه الواحده و اعتبار السمره لها لأنّ وصفها بعد الخضره السمره .

و قوله:و لو کان الأساس.إلی قوله:من الناس.

و قوله:و لو کان الأساس.إلی قوله:من الناس.

فی تقدیر قیاس ضمیر آخر استثنائی کالّذی قبله،و تلخیصه أنّه تعالی لو جعل الأساس المحمول علیها بیته الحرام بین هذه الأحجار المنیره المضیئه لخفّف ذلک مسارعه الشکّ فی الصدور.و أراد شکّ الخلق فی صدق الأنبیاء و عدم صدقهم و شکّهم فی أنّ البیت بیتا للّه أو لیس.فإنّه علی تقدیر کون الأنبیاء علیهم السّلام بالحال المشهوره من الفقر و الذلّ و کون البیت الحرام من هذه الأحجار المعتاده یقوی الشکّ فی کونهم رسلا من عند اللّه و فی کون البیت بیتا له،و علی تقدیر کونهم فی الملک و العزّ و کون البیت من الأحجار النفیسه المذکوره ینتفی ذلک الشکّ.

ص:۲۸۲

إذ يكون ملكهم و نفاسه تلك الأحجار من الامور الجاذبه إليهم و الداعيه إلى محبّتهم و المسارعه إلى تصديقهم و الحكم بكون البيت بيت اللّه لمناسبته فى كماله ما ينسبه الأنبياء إلى اللّه سبحانه من الوصف بأكمل طرفى النقيض و لكون الخلق أميل إلى المحسوس، استعاره و استعار لفظ المسارعه هنا للمغالبه بين الشكّ و صدق الأنبياء و الشكّ فى كذبهم فإنّ كلّا منهما يترجّح على الآخر و كذلك كان وضع مجاهده إبليس عن القلوب لأنّ الايمان بكونه بيتا للّه ينبغى حجّه و القصد إليه لا يكون عن مجاهده إبليس فى تصديق الأنبياء فى ذلك و فى وجوب عباده اللّه بل لعزّه البيت و حسن بنيانه و ميل النفوس إلى شريف جواهره لكن هذه الامور و هى مسارعه الشكّ و مجاهده إبليس و معتلج الريب لا تخفّف و لا تنتفى لكونها مراده من الحكمه الإلهيّه لإعداد النفوس بها لتدرك الكمالات الباقيه و السعادات الدائمه فلذلك لم- يجعل تعالى بنيان بيته من تلك الأحجار النفيسه .

و قوله:و لكنّ اللّه يختبر عباده.إلى قوله:المكاره.

و قوله:و لكنّ اللّه يختبر عباده.إلى قوله:المكاره.

استثناء لعلّه النقائض المذكوره فيقوم مقام استثناء مسارعه الشكّ و مجاهده إبليس من جمله أنواع الشدائد و ألوان المجاهد و المشاقّ و اختباره لعباده بها علّه لوجودها.

و قوله:إخراجا للتكبّر.إلى قوله:لعفوه.

و قوله:إخراجا للتكبّر.إلى قوله:لعفوه.

إشاره إلى كونها أسبابا غائيّه من العنايه الإلهيّه لإعداد النفوس لإخراج الكبر منها و إفاضه ضدّه و هو التذلّل و التواضع عليها و إلى كونها أسبابا معدّه لفضله و عفوه،و استعار لفظ الأبواب لها باعتبار الدخول منها إلى رضوان اللّه و ثوابه.و لفظ الذلل لكون الدخول منها إلى ذلك سهلا للمستعدّين لها .ثمّ عاد إلى التحذير من اللّه تعالى فى البغى و الظلم و عاقبته.و حاصل الكلام أنّه جعل عاجل البغى و آجل الهلاك عنه و سوء عاقبه الكبر محلّا للحذر من اللّه تعالى و ذلك باعتبار وعيده تعالى عند التلبّس بالبغى و النظر فى تلك الحال إلى ما يستلزم من الهلاك فى الآخره و ما يستلزمه التكبر من سوء العاقبه.و الضمير فى قوله:فإنّها قال

السيّد فضل اللّه الراوندى-رحمه اللّه-:يعود إلى الجمله من البغى و الظلم و الكبر و إن لم يجر لها ذكر.و قال غيره:الضمير للكبر و إنّما أنّثه باعتبار جعله مصيده باعتبار أنّه يصير الداخل فيه من حزب إبليس و فى قبضته كالشبكه و حبائل الصايد.

و وصفها بالعظم باعتبار قوّته و كثره ما يستلزمه من الرذائل، استعاره و كذلك استعار له لفظ المكيده الكبرى باعتبار ما هو سبب قوىّ فى جذب الخلق إلى الباطل و ضلالهم عن طريق اللّه كالحيله و الخدعه،و استعار وصف المساوره له باعتبار مواثبته النفوس و مغالبته لها بالكبر و ذلك أنّه تاره يلقى إليها تحسين الكبر و تزيينه فتنفعل عنه و تقبل الكبر و تلك هى الوثبه من جانبه.و تاره تقوى النفس عليه فتردّ وسوسته بقهره و تلك الوثبه من قبلها . استعاره بالكنايه-استعاره ثمّ شبّه مساورته للقلوب بالكبر بمساوره السموم القاتله للطبيعه البدنيّه،و كنّى عن وجه الشبه بقوله:فما تكدى أبدا و لا تشوى أحدا:أى إنّ مساورته بالكبر لا تكاد يقابلها ما يقاومها من العقول و يمنع تأثيرها فى النفوس كما لا يكاد يقاوم مواثبه السموم القاتله من طبايع الحيوان و لا تكاد تخطىء المقاتل كما لا يخطىء السموم و حركاتها فى الأبدان مقاتلها.و يحتمل أن يكون وجه الشبه كون مساورته غالبه قويّه كمشاوره السموم للأبدان،و يكون قوله:لا تكدى أبدا و لا تشوى أحدا استعارتين لوصفى السمّ الّذى لا يكاد يقف دون المقاتل و لا يخطئها لتلك المساوره باعتبار أنها لا يخطىء رميتها القلوب بسهام الكبر و البغى و ساير ما يلقى من الوساوس المهلكه .

و قوله:لا عالما لعلمه و لا مقلّا فى طمره.

و قوله:لا عالما لعلمه و لا مقلّا فى طمره.

أى أنّ هذه الرذيله تؤثّر فى نفس العالم فى علمه و الفقير فى فقره فلا يردّها العالم بعلمه أنّها رذيله و لا المقلّ المفتقر فى طمره لمنافاه حاله فى قلّته و فقره الكبر .

و قوله:و عن ذلک ما حرس اللّه.إلى قوله:تذلّلا.

و قوله:و عن ذلک ما حرس اللّه.إلى قوله:تذلّلا.

تنبيه على الامور الّتى حرس اللّه تعالى بها عباده من هذه الرذيله و جعلها أسبابا للتحرّز من نزغات الشيطان بها،و أشار إلى ثلاثه منها و هى الصلوات و الزكوات و مجاهده الصيام فى الأيّام المفروض صومها.أمّا الصلوات فلكونها بأجزائها

و أوضاعها منافيه للكبر.إذ كان مدارها على تضرّع و خضوع و خشوع و ركوع.

و كلّ واحد من هذه الأجزاء بكيفيّاته و هيئاته موضوع على المذلّه و التواضع و الاستسلام لعزّه اللّه و عظمته و تصوّر كماله و تذكّر وعده و وعيده و أهوال الموقف بين يديه و كلّ ذلك ينافى التكبّر و التعظّم،و إلى ذلك أشار بقوله:تسكينا لأطرافهم و تخشّعا لأبصارهم.إلى قوله:تصاغرا،و نصب تسكينا و تخشيعا و تذليلا و تخفيضا و إذهابا على المفعول له،و العامل ما دلّ عليه قوله:

حرس.من معنى الأمر:أى حرسهم بهذه و أمرهم بكذا و كذا.و انتصب تواضعا و تصاغرا،و العاملان المصدران:تعفير،و التصاق.

فأمّا الزكاه فوجه منفعتها فى دفع هذه الرذيله أمران:

أحدهما:أنّها شكر للنعمه الماليّه كما أنّ العبادات البدنيّه شكر للنعمه البدنيّه،و ظاهر أنّ شكر النعمه مناف للتكبّر عن المنعم و الاستنكاف عن عبادته.

الثانى:أنّ من أوجبت عليه الزكاه يتصوّر قدره موجبها و سلطانه و قهره على إخراجها فينفعل عن حكمه و ينقهر تحت أوامره مع تصوّره لغنائه المطلق و ذلك مناف لتكبّره و استنكافه عن عبادته.

كنايه و أمّا مجاهده الصيام فلما فيها من المشقّه الشاقّه و مكابده الجوع و العطش فى الأيّام الصيفيّه كما كنّى عنه عليه السّلام بقوله: و إلصاق البطون بالمتون من الصيام .و الإنسان فى كلّ تلك الأحوال متصوّر لجلال اللّه و عظمته و أنّه إنّما يفعل ذلك امتثالا لواجب أمره و خضوعا تحت عزّ سلطانه،و ذلك مناف للكبر و الترفّع،و قد علمت ما فى الصوم من كسر النفس الأمّاره بالسوء كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع، و ذلك أنّ وسيله الشيطان هى الشهوات و مبدء الشهوات و قوّتها مداومه الأكل و الشرب.و بتضييق مجاريه ينقهر و ينكسر نواجم وسوسته بالرذائل عن العبد،و يسكن حركات الأطراف الّتى مبدءها تلك الوساوس،و تخشع الأبصار،و تذلّ النفوس،و تنخفض القلوب.

و قوله:مع ما فی الزکاه.إلی قوله:الفقیر.

و قوله:مع ما فی الزکاه.إلی قوله:الفقیر.

إشاره إلی سرّ آخر من أسرار الزکاه و هو ظاهر.و قد ذکرنا أسرارها مستقصاه فی الفصل الّذی أوّله:إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون .

قوله:انظروا.إلی آخره.

قوله:انظروا.إلی آخره.أمر باعتبار ما فی هذه الأفعال:أی الّتی تقع فی الصلاه و الزکاه و الصیام من تعفیر عتائق الوجوه و إلصاق کرائم الجوارح و هی الأیدی و الأرجل و لحوق البطون بالمتون إلی غیر ذلک من الأفعال المستلزمه للتواضع و التذلّل تأکیدا لما قرّره أوّلا من کون هذه العبادات حارسه لعباد اللّه عن رذیله الکبر.و باللّه التوفیق.

الفصل الرابع:فی توبیخهم علی المعصیه

اشاره

من غیر سبب یعرف أو حجّه یقبلها عقل،و أمرهم بالتعصّب لمحامد الأخلاق و مکارمها،و تحذیرهم من العقوبات النازله بمن قبلهم من الامم و النظر فی عاقبه أمرهم،و غیر ذلک من الامور الواعظه.

و ذلک قوله:

وَ لَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِینَ- یَتَعَصَّبُ لِشَیْءٍ مِنَ الْأَشْیَاءِ إِلاَّ عَنْ عِلَّهٍ- تَحْتَمِلُ تَمْوِیهَ الْجُهَلاَءِ- أَوْ حُجَّهٍ تَلِیطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَیْرَکُمْ- فَإِنَّکُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا یُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَ لاَ عِلَّهٌ- أَمَّا؟إِبْلِیسُ؟ فَتَعَصَّبَ عَلَی ؟آدَمَ؟ لِأَصْلِهِ- وَ طَعَنَ عَلَیْهِ فِی خِلْقَتِهِ- فَقَالَ أَنَا نَارِیٌّ وَ أَنْتَ طِینِیٌّ- وَ أَمَّا الْأَغْنِیَاءُ مِنْ مُتْرَفَهِ الْأُمَمِ- فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ- فَ «قالُوا نَحْنُ أَکْثَرُ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِینَ» - فَإِنْ کَانَ لاَ بُدَّ مِنَ الْعَصَبِیَّهِ- فَلْیَکُنْ تَعَصُّبُکُمْ لِمَکَارِمِ الْخِصَالِ- وَ مَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَ مَحَاسِنِ الْأُمُورِ- الَّتِی تَفَاضَلَتْ فِیهَا الْمُجَدَاءُ وَ النُّجَدَاءُ- مِنْ بُیُوتَاتِ الْعَرَبِ

وَ يَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ- بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَهِ وَ الْأَحْلَامِ الْعَظِيمَهِ- وَ الْأَخْطَارِ الْجَلِيلَهِ وَ الْآثَارِ الْمَحْمُودَهِ- فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ- وَ الْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ وَ الطَّاعَهِ لِلْبِرِّ- وَ الْمَعْصِيَهِ لِلْكِبْرِ وَ الْأَخْذِ بِالْفَضْلِ- وَ الْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ وَ الْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ- وَ الْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ وَ الْكَظْمِ لِلْغَيْظِ- وَ اجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَ احْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ- مِنَ الْمَثُلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ وَ ذَمِيمِ الْأَعْمَالِ- فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ- وَ احْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ- فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ- فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّهُ بِهِ شَأْنَهُمْ- وَ زَاحَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ- وَ مُدَّتِ الْعَافِيَهُ بِهِ عَلَيْهِمْ- وَ انْقَادَتِ النِّعْمَهُ لَهُ مَعَهُمْ وَ وَصَلَتِ الْكَرَامَهُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ- مِنَ الِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَهِ وَ اللُّزُومِ لِلْأُلْفَهِ- وَ التَّحَاضِّ عَلَيْهَا وَ التَّوَاصِي بِهَا- وَ اجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وَ أَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ- مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ وَ تَشَاحُنِ الصُّدُورِ- وَ تَدَابُرِ النُّفُوسِ وَ تَخَاذُلِ الْأَيْدِي وَ تَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ- كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَ الْبَلَاءِ- أَ لَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً- وَ أَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً وَ أَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا- اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَهُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ

الْعَذَابِ- وَ جَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِی ذُلِّ الْهَلَکَهِ وَ قَهْرِ الْغَلَبَهِ- لَا یَجِدُونَ حِیلَهً فِی امْتِنَاعٍ وَ لَا سَبِیلًا إِلَی دِفَاعٍ- حَتَّی إِذَا رَأَی اللَّهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَی الْأَذَی فِی مَحَبَّتِهِ- وَ الِاحْتِمَالَ لِلْمَکْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ- جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَایِقِ الْبَلَاءِ فَرَجاً- فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَکَانَ الذُّلِّ وَ الْأَمْنَ مَکَانَ الْخَوْفِ- فَصَارُوا مُلُوکاً حُکَّاماً وَ أَئِمَّهً أَعْلَاماً- وَ قَدْ بَلَغَتِ الْکَرَامَهُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الْآمَالُ إِلَیْهِ بِهِمْ فَانْظُرُوا کَیْفَ کَانُوا حَیْثُ کَانَتِ الْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَهً- وَ الْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَهً وَ الْقُلُوبُ مُعْتَدِلَهً- وَ الْأَیْدِی مُتَرَادِفَهً وَ السُّیُوفُ مُتَنَاصِرَهً- وَ الْبَصَائِرُ نَافِذَهً وَ الْعَزَائِمُ وَاحِدَهً- أَ لَمْ یَکُونُوا أَرْبَاباً فِی أَقْطَارِ الْأَرَضِینَ- وَ مُلُوکاً عَلَی رِقَابِ الْعَالَمِینَ- فَانْظُرُوا إِلَی مَا صَارُوا إِلَیْهِ فِی آخِرِ أُمُورِهِمْ- حِینَ وَقَعَتِ الْفُرْقَهُ وَ تَشَتَّتَتِ الْأُلْفَهُ- وَ اخْتَلَفَتِ الْکَلِمَهُ وَ الْأَفْئِدَهُ- وَ تَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِینَ وَ تَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِینَ- وَ قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ کَرَامَتِهِ- وَ سَلَبَهُمْ غَضَارَهَ نِعْمَتِهِ- وَ بَقِیَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِیکُمْ- عِبْرَهً لِلْمُعْتَبِرِینَ مِنْکُمْ فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ؟إِسْمَاعِیلَ؟- وَ؟بَنِی إِسْحَاقَ؟ وَ؟بَنِی إِسْرَائِیلَ ع؟- فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ وَ أَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ-

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِی حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَ تَفَرُّقِهِمْ- لَیَالِیَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَهُ وَ الْقَیَاصِرَهُ أَرْبَاباً لَهُمْ- یَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِیفِ الْآفَاقِ وَ؟بَحْرِ الْعِرَاقِ؟- وَ خُضْرَهِ الدُّنْیَا إِلَی مَنَابِتِ الشِّیحِ- وَ مَهَافِی الرِّیحِ وَ نَكَدِ الْمَعَاشِ- فَتَرَكُوهُمْ عَالَهً مَسَاكِینَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَ وَبَرٍ- أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً وَ أَجْدَبَهُمْ قَرَاراً- لاَ یَأْوُونَ إِلَی جَنَاحِ دَعْوَهٍ یَعْتَصِمُونَ بِهَا- وَ لاَ إِلَی ظِلِّ أُلْفَهٍ یَعْتَمِدُونَ عَلَی عِزِّهَا- فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَهٌ وَ الْأَیْدِی مُخْتَلِفَهٌ- وَ الْكَثْرَهُ مُتَفَرِّقَهٌ- فِی بَلاَءِ أَزْلٍ وَ أَطْبَاقِ جَهْلٍ- مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَهٍ وَ أَصْنَامٍ مَعْبُودَهٍ- وَ أَرْحَامٍ مَقْطُوعَهٍ وَ غَارَاتٍ مَشْنُونَهٍ فَانْظُرُوا إِلَی مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَیْهِمْ- حِینَ بَعَثَ إِلَیْهِمْ رَسُولاً- فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَ جَمَعَ عَلَی دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ- كَیْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَهُ عَلَیْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا- وَ أَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِیمِهَا- وَ الْتَفَّتِ الْمِلَّهُ بِهِمْ فِی عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا- فَأَصْبَحُوا فِی نِعْمَتِهَا غَرِقِینَ- وَ فِی خُضْرَهِ عَیْشِهَا فَكِهِینَ- قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِی ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ- وَ آوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَی كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ- وَ تَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَیْهِمْ فِی ذُرَی مُلْكٍ ثَابِتٍ- فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَی الْعَالَمِینَ- وَ مُلُوكٌ فِی أَطْرَافِ الْأَرَضِینَ- یَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَی مَنْ كَانَ یَمْلِكُهَا عَلَیْهِمْ- وَ یُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِیمَنْ كَانَ یُمْضِیهَا فِیهِمْ- لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاهٌ وَ لاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاهٌ

أَلاَ وَ إِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَهِ- وَ ثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّهِ- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَهِ هَذِهِ الْأُمَّهِ- فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُلْفَهِ- الَّتِی يَنْتَقِلُونَ فِی ظِلِّهَا وَ يَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا- بِنِعْمَهٍ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَهً- لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَ أَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ- وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَهِ أَعْرَاباً- وَ بَعْدَ الْمُوَالاَهِ أَحْزَاباً- مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلاَمِ إِلاَّ بِاسْمِهِ- وَ لاَ تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلاَّ رَسْمَهُ- تَقُولُونَ النَّارَ وَ لاَ الْعَارَ- كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الْإِسْلاَمَ عَلَى وَجْهِهِ- انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ وَ نَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِی وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ- حَرَماً فِی أَرْضِهِ وَ أَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ- وَ إِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ- ثُمَّ لاَ؟جَبْرَائِيلُ؟ وَ لاَ؟مِيكَائِيلُ؟- وَ لاَ مُهَاجِرُونَ وَ لاَ أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ- إِلاَّ الْمُقَارَعَهَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ- وَ إِنَّ عِنْدَكُمُ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَ قَوَارِعِهِ- وَ أَيَّامِهِ وَ وَقَائِعِهِ- فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ- وَ تَهَاوُناً بِبَطْشِهِ وَ يَأْساً مِنْ بَأْسِهِ- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِیَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ- إِلاَّ لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْیَ عَنِ

الْمُنْكَرِ- فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَ الْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي أَلاَ- وَ قَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلاَمِ- وَ عَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ وَ أَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ

اللغه

أقول: التمويه : التلبيس .و تليط : تلتصق و تختلط .و السفه : خفّه العقل .

و المجداء : جمع ماجد و هو كريم الآباء و شريفهم .و النجداء : جمع نجيد،و هو ذو النجده و هى فضيله تحت الشجاعه .و يعاسيب القبايل : ساداتها .و زاحت : بعدت .

و التحاضّ : التحاثّ و الفقره : الواحده من خرزات الظهر.و روى فقرهم:

جمع فقره .و المنّه : القوّه .و التضاغن : التحاقد .و التشاحن: التعادى .و التدابر : التقاطع .و التخاذل : عدم التناصر .و العبء : الحمل .و أجهد : أشقّ .

و سمته كذا : أوليته إيّاه .و المرار بضمّ الميم : شجر مرّ إذا أكلت منه الإبل قلصت عنه مشافرها .و الترادف : التعاضد و التعاون .و غضاره النعمه: طيبها .و الاحتياز : الاقتطاع عن الشيء و الأخذ عنه .و الريف : الأرض ذات الزرع و الخصب.

و مهافى الريح : جمع مهفاه و هى محلّ هفو الريح:أى حركتها و هبوبها .و نكد المعاش : قلّته و شدّته و العاله : جمع عائل و هو ذو العيله و هى الفقر .و الدبر:

الجرح فى ظهر البعير .و الوتر : الحقد.و فى بعض النسخ:دبر و وبر .و الأزل:

الضيق .و الموءوده : البنت تدفن فى التراب حيّه .و شنّ الغاره : فرّقها من كلّ جانب .و الفكه : طيّب النفس المسرور،و الفكه:الأشر البطر .و تربّعت:

أقامت.و أصله الإقامه فى الربيع،و يحتمل أن يريد تمكّنت كالمتربّع بجلسته المخصوصه بكونها ذات تمكّن .و الذرى : جمع ذروه و هى أعلى الجبل .و عطف عليه و تعطّف : إذا أشفق عليه و التفت إليه بإحسانه .و الخطر : المنزله و القدر .

و الأعراب : سكّان الباديه .و إكفاء الإناء : قلبه لوجهه .و انتهاك الحرمه : أخذها بما لا يحلّ .و المقارعه : المضاربه .

المعنى

فقوله:و لقد نظرت.إلى قوله:بمعذّبين .

فقوله: و لقد نظرت .إلى قوله: بمعذّبين .

فی معرض التوبیخ لهم علی تعصّبهم الباطل الّذی تثور به الفتن مع أنّه لیس لأمر یعرف من وجه المنفعه و المصلحه الحامله علیه.و لفظ إلاّ یقتضی حصر وجدانه لمن یتعصّب لشیء فی وجدانه له متعصّبا عن علّه تحتمل تشبیه الأمر علی أهل الجهل بحیث یظنّ سببا صحیحا للتعصّب أو عن حجّه ملتصق بعقول السفهاء فیقبلها،و هذا هو مقتضی العقل.إذ کان الترجیح من غیر مرجّح محال فی بدایه العقول.و تقدیر الکلام:فما وجدت أحدا یتعصّب إلاّ وجدته یتعصّب عن علّه.

و قوله:غیرکم.

و قوله:غیرکم.

استثناء من معنی الإثبات فی الجمله المفیده للحصر کأنّه قال:وجدت کلّ أحد یتعصّب عن علّه إلاّ أنتم.

و قوله:تتعصّبون لأمر ما یعرف له سبب و لا علّه.

و قوله:تتعصّبون لأمر ما یعرف له سبب و لا علّه.

أی سبب یحتمل التمویه علی الجهلاء و علّه ملتصق بعقول السفهاء و لم یرد نفی مطلق السبب.إذ سبب تعصّبهم و ثوران الفتنه بینهم هو الاعتزاء الّذی کان بینهم و کان یقع من جهّالهم کما ذکرناه فی سبب الخطبه لکنّه ترک الوصف هنا لتقدّمه .

ثمّ أخذ فی تفصیل وجوه العصبیّه و أسبابها فبدء بذکر مبدء العصبیّه لإبلیس.و سبب عصبیّته لأصله اعتقاده لطف جوهره و شرفه.إذا لنار أشرف من الطین مع جهله بسرّ البشریّه و وضع آدم علی هذه الخلقه و خلقته الّتی وضع علیها خلقه فلذلک فضّل نفسه قیاسا للفرع علی الأصل فی الشرف و الخسّه فقال:أنا ناریّ و أنت طینیّ.و لذلک قیل:إنّ أوّل من قاس إبلیس.ثمّ بعصبیّه الأغنیاء و الجهّال من مترفه الامم لکونهم تلامذه إبلیس فی العصبیّه،و أشار إلی علّه تعصّبهم و هی آثار مواقع النعم،و مواقعها هی الأموال و الأولاد و سائر ما ینتفع به کما قال تعالی حکایه عنهم «نَحْنُ أَکْثَرُ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً» (1)و آثار تلک المواقع هی الغنی و الترفّه بها و التنعّم و الالتذاذ،و کان تعصّبهم لذلک و فخرهم به.و یجب أن یعلم أنّ الأموال و الأولاد أنفسها لیست نعما مطلقا لأنّ النعمه من الامور الإضافیّه

1- 1) 34-34.

إنّما يقال بالنسبه إلى منعم و منعم عليه و ليس المال مطلقا كذلك و لا الولد باعتبار ذاته بل إنّما يطلق عليهما لفظ النعمه باعتبار انتفاع الإنسان بهما حتّى لو كانا سببا لهلاكه و أذاه لم يكونا بذلك الاعتبار إلّا نعمه عليه و فتنه له فلذلك جعلها مواقع النعم:أى محالّ قابله لكونها نعما،و يحتمل أن يريد بالنعم الأموال و الأولاد و بمواقعها وقوعها فإنّه كثيرا ما يريد بمفعل المصدر و آثارها هى الغنى و الترفّه كما قدّمناه .ثمّ لمّا وبّخهم على التعصّبات الباطله نبّههم على مواقع العصبيّه و ما ينبغى أن يكون له و هى مكارم الأخلاق و محامد الأفعال و محاسن الامور الّتى تفاضلت فيها أهل المجد و الشرف و النجده من بيوتات العرب و سادات القبائل.

و الباء فى قوله:بالأخلاق.متعلّقه بتفاضلت فإنّ المذكورين تفاضلوا فى محاسن الامور بالأخلاق الرغيبه:أى المرغوب فيها،و قد علمت فيما سبق اصول الأخلاق الفاضله و ما تحتها من أنواعها،و الحلم ملكه تحت الشجاعه و هى الإناءه و الرزانه عند الغضب و موجباته و المفاضله بالأخطار الجليله مراعاتا للمراتب المحموده و منازل الشرف بالمحافظه على تلك الأخلاق المحموده و ملازمتها،و كذلك المفاضله بالآثار المحموده يعود إلى ملازمه الأفعال الجميله الموافقه للأخلاق النفسانيّه كفعل البذل عن السخاء و كقتل القريب مثلا مراعاه للعدل و الوفاء .ثمّ أمرهم بعد التنبيه على تلك المكارم بالعصبيّه لها فقال:فتعصّبوا لخلال الحمد.و أشار إلى تفصيلها:فمنها:حفظ الجوار و هى فضيله تتشعّب عن فضيلتين لأنّ حفظه يكون بالكفّ عن أذاه و ذلك فضيله تحت العدل،و يكون بالإحسان إليه و مصادقته و مسامحته و مواساته و تلك امور تحت العفّه.و منها:الوفاء بالذمام و هو تحت العفّه.و منها:الطاعه للبرّ و الأولى أن يريد بالبرّ هنا ما أراد به القرآن الكريم بقوله «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ» .إلى قوله «أَقٰامَ الصَّلاٰةَ وَ آتَى» «لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقىٰ» (1).فإنّ المراد فى هاتين القرينتين بالبرّ كمال الايمان و التقوى و الأعمال الجميله،و معنى طاعه البرّ التلبّس

ص:293

1- 1) 2-172.

بهـذه الأفعـال و ملازمتها و اعتقاد وجوبها،و يحتمل أن يريـد و الطاعه للأمر بالبرّ فحـذف الأمر للعلم به.و قـد يطلق البرّ و يراد به العفّه و بـذلک الاعتبـار يقـابله الفجور،و يحتمـل أن يريـد هاهنـا مـا يقابل العقوق و هو الشـفقّه على ذوى الرحم و الإحسان إلى الوالدين،و هو داخل تحت العفّه. مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب-كنايه مقابله و منها: المعصـيه للكبر و المراد بمعصـيه الكبر مجانبته مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب أو معصـيه الأمر بالكبر و هو كنايه عن التواضع و هو فضـيله تحت العفّه،و المعصـيه هنا فى مقابله الطاعه .و منها:الأخـذ بالفضل و أراد اسـتكمال الفضـيله و لزومها،و يحتمل أن يريد بالفضل التفضّل على الغير و الإحسان إليه و الأخذ به فيكون أمرا بالإحسان و الجود و هو فضـيله تحت العفّه.و منها:الكفّ عن البغى و يعود إلى فضيله العدل. كنايه و منها:

تعظيم القتل و هو كنايه عن تركه لما يستلزمه من رذيله الظلم ثمّ للوعيد عليه فى الآخره و يعود إلى فضيله العدل أيضا،و كذلک الانصـاف للخلق هو لزوم العـدل فى معاملاـتهم .و منها:كظم الغيظ و هو فضـيله تحت فضـيله الشـجاعه.و منها:اجتناب الفساد فى الأرض و هو من لوازم فضـيله العدل .ثمّ لمّا أمر بلزوم مكارم الأخلاق و الأعمال الجميله أردفه بالتنفير عن الكون على ذلک من رذائلها و ذمائمها،و ذلک التنفير بتـذكير السامعين حال الامم الماضـين و ما أصابهم من عقوبات اللّه بسـبب سوء أفعالهم و ذميم أعمالهم،و تحذيرهم أن يرتكبوا تلک الرذائل فيصيبهم ما أصاب اولئک من بأس اللّه.و أمرهم أن يتذكّروا حالهم فى الخير أوّلا حين كانوا فى طاعه أنبيائهم و الالفه الجامعه بينهم و حالهم فى الشرّ الّتى انقلبوا إليها عن تلک الحال حين خالفوا صالح الأعمال و حالفوا ذميم الأفعال،و حـذّرهم أن يكونوا أمثالهم:أى فى ذلک الانقلاب و اسـتبدال الشـرّ بالخير و أن يلزموا عند تفكّرهم فى تفـاوه حـاليهم كـلّ أمر لزمـت العزّه بـه حـالهم و أزالـت الأعـداء عنهـم و مـدّت العـافيه فيه بهم.و البـاء للاستصـحاب:أى مـدّت مستصـحبه لهم.و فى نسـخه الرضـى-رحمه اللّه-و مـدّت بالفتـح على البناء للفاعل كقولک مـدّ الماء:أى جرى و سال.و كذلک انقادت النعم لذلک الأمر معهم:أى بسببه.إذ كان سببا معدّا لإفاضه النعم عليهم،و وصلت الكرامه

علیه حبلهم. استعاره مرشحه و استعار لفظ الوصل لاجتماعهم عن کرامه اللّه لهم حال کونهم علی ذلک الأمر،و رشّح بذکر الحبل .

و قوله:من الاجتناب.إلی قوله:و التواصی بها.

و قوله:من الاجتناب.إلی قوله:و التواصی بها.

و ظاهر أنّ لزوم الالفه سبب للامور الّتی عددّها .

و قوله:و اجتنبوا.إلی قوله:و تخاذل الأیدی.

کنایه و قوله: و اجتنبوا.إلی قوله:و تخاذل الأیدی .

أی و اجتنبوا کلّ أمر استبدلوا به تلک الامور الّتی أوجبت لهم العزّه و الکرامه و کان سببا لکسر فقرتهم و وهن قوّتهم و هو التضاغن و التشاحن و التقاطع و التخاذل لأنّها امور تضادّ الالفه و تنافیها فکانت مضادّه لما یستلزمه الالفه،و أراد التخاذل المطلق.و إضافته إلی الأیدی کنایه لأنّ الأغلب أن یکون التناصر بالأیدی،و هؤلاء الّذین أمر باعتبار حالهم لا یرید بهم امّه معیّنه بل الحال عامّ فی کلّ امّه سبقت فإنّ کلّ امّه ترادفت أیدیهم و تعاونوا و تناصروا کان ذلک سببا لعزّه حالهم و دفع الأعداء عنهم،و کلّ قوم افترقوا و تقاطعوا استلزم ذلک ذلّهم و قهر الأعداء لهم .

و قوله:و تدبّروا أحوال الماضین من المؤمنین.إلی قوله:إلیه بهم.

و قوله:و تدبّروا أحوال الماضین من المؤمنین.إلی قوله:إلیه بهم.

أمر لهم باعتبار هذه الأحوال فیمن هو أخصّ و هم المؤمنون من الماضین فی أزمان الأنبیاء السابقین فإنّهم حیث کانوا مع کلّ نبیّ فی مبدء أمرهم فی حال التمحیص و الاستخلاص لقلوبهم بالبلاء أثقل أهل الأرض أعباء قد اتّخذتهم الفراعنه عبیدا یسومونهم سوء العذاب و هؤلاء کیوسف علیه السّلام مع فرعون زمانه،و کموسی و هرون و من آمن معهما من بنی إسرائیل فی مبدء أمرهم فإنّهم کانوا حال التمحیص و البلاء بالصفات الّتی ذکرها علیه السّلام قد اتّخذتهم الفراعنه عبیدا یسومونهم سوء العذاب و یجرّعونهم المرار فلم یزالوا کذلک مقهورین حتّی إذا رأی استعدادهم بالصبر علی دینه لإفاضه رحمته علیهم أفاضها علیهم و جعل لهم من مضایق البلاء فرجا فأبدلهم بالعزّ مکان الذلّ و الأمن مکان الخوف کما امتنّ علیهم تعالی فی کتابه حیث قال «وَ إِذْ نَجَّیْناکُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَسُومُونَکُمْ سُوءَ الْعَذابِ یُذَبِّحُونَ أَبْناءَکُمْ وَ یَسْتَحْیُونَ»

«نِساءَكُمْ وَ فِی ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِیمٌ وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ» (۱)الآیه.و قبل ذلک ما کان المؤمنون مع نوح علیه السّلام و إبراهیم علیه السّلام و غیرهما.فأمّا کونهم ملوکا و حکّاما و أئمّه أعلاما و بلوغهم الکرامه من اللّه لهم ما لم یذهب آمالهم إلیه فإنّ موسی علیه السّلام و هرون علیه السّلام بعد هلاک فرعون ملکا مصر و استقرّ لهما الملک و الدین و کطالوت و داود بعد مجاهدتهما بجالوت و قتله،و ذلک أنّ طالوت لمّا جاوز النهر هو و من معه لقتال جالوت کان معه داود علیه السّلام فرماه من مقلاعه بحجر فقتله و انکسر أصحابه فکان الملک و الغلبه لطالوت و أصحابه و کان الملک بعده لداود علیه السّلام کما قال تعالی «وَ آتاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَهَ» (۲)و کذلک لم یزل الملک و النبوّه فی سلیمان و ولده و أولادهم إلی الأعرج من ولده فطمعت الملوک فی بیت المقدس لضعفه و زمنه و أنّه لم یکن نبیّا فسار إلیه ملک الجزیره و کان یسکن بریّه سنجار و کان بخت نصر کاتبه فأرسل اللّه تعالی علیه ریحا فأهلکت جیشه و أفلت هو و کاتبه فقتله ابنه فغضب له بخت نصر فاغترّه حتّی قتله و ملک بعده و کان ذلک أوّل ملک بخت نصر .

و قوله:فانظروا کیف کانوا.إلی قوله:للمعتبرین منکم.

و قوله:فانظروا کیف کانوا.إلی قوله:للمعتبرین منکم.

أمر لهم باعتبار حالهم فی الفتهم و اجتماعهم،و إشاره إلی أنّ المستلزم لتلک الخیرات کلّها إنّما کان هو الالفه و الاجتماع و باعتبار ما صاروا إلیه فی آخر امورهم حین وقعت الفرقه بینهم و تشتّت الفتهم و اختلفت کلمتهم و أفئدتهم فخلع اللّه عنهم لباس کرامته و سلبهم غضاره نعمته و بقی قصص أخبارهم عبره للمعتبرین، و هو إشاره إلی أنّ المستلزم لتلک الشرور هو ما حصلوا علیه من تفرّق الکلمه و ذلک صادق علی کلّ قرن قرن و امّه امّه آمنوا و لحلقتهم المجاهد من الفراعنه و الجبابره ثمّ صبروا فانتصروا علی أعدائهم.و أراد باعتدال القلوب استقامتها علی الحقّ.

و قوله:و السیوف متناصره.

استعاره و قوله: و السیوف متناصره .

ص:۲۹۶

۱- ۱) ۴۶-۳.

۲- ۲) ۲۵۲-۲.

قال بعضهم:أراد أهل السيوف فحذف المضاف،و يحتمل أن يكون قد استعار وصف التناصر لها باعتبار كونها أسبابا يقوّى بعضها بعضا فصارت كالجماعه الّتى ينصر بعضها بعضا .و نفوذ البصاير خرقها حجب الشبهات عن الحقّ واصله إليه.و اتّحاد العزائم اتّفاق الإرادات الجازمه على طلب الحقّ.و مختلفين و متحاربين منصوبان على الحال،و كذلك موضع قوله:قد خلع،و كذلك عبرتا .

و قوله:فاعتبروا بحال ولد إسماعيل و بنى إسحاق و إسرائيل عليهم السّلام.إلى

قوله:صفاه.]

و قوله:فاعتبروا بحال ولد إسماعيل و بنى إسحاق و إسرائيل عليهم السّلام.إلى قوله:صفاه.

أمر لهم باعتبار أخصّ.و ولد إسماعيل إشاره إلى العرب من آل قحطان و آل معد،و من بنى إسحاق أولاد روم بن عيص بن إسحاق و بنو إسرائيل و هو يعقوب ابن إسحاق.فأمّا حال تشتّتهم و تفرّقهم و استيلاء الأكاسره و القياصره عليهم و فعلهم بهم ما ذكر فتفرّق كلمه العرب قبل ظهور محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمر ظاهر معلوم لكلّ من طالع كتب السير،و بسبب ذلك كانت الأكاسره أربابا لهم يحتازونهم و يبعّدونهم عن ريف الآفاق و بحر العراق و خضره الدنيا إلى الباديه،و أمّا حال بنى إسحاق و إسرائيل فى ذلك فنحو ما جرى لأولاد روم بن عيص من اختلاف النسطوريّه و اليعقوبيّه و الملكائيّه حتّى كان ذلك سببا لضعفهم و استيلاء القياصره عليهم فى الروم و على بنى إسرائيل فى الشام و إزعاج بخت نصر لهم عن بيت المقدس حتّى غزاهم المرّه الثانيه كما أشار إليه القرآن الكريم بقوله «فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَهِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» (1)الآيه.و قد كان غزاهم مرّه اولى حين أحدثوا و غيّروا فرغبوا إلى اللّه تعالى و تابوا فردّه عنهم و هى المرّه الاولى الّتى حكى اللّه تعالى بقوله «فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما» (2)الآيه ثمّ أحدثوا بعد ذلك فبعث اللّه إليهم أرميا فقام فيهم بوحى اللّه فضربوه و قيّدوه و سجنوه فغضب اللّه عليهم فبعث إليهم عند ذلك بخت نصر فقتل منهم و صلب و أحرق و جدع و باع ذراريهم و نسائهم و سارت منهم طايفه إلى مصر و لجئوا إلى ملكها فسار إليه بخت نصر فأسره و أسر

1- (1) 7-17.

2- (2) 9-81.

بنى إسرائيل.و الّذين فرّوا منهم ارتحلوا إلى حدود المدينه كيهود خيبر و بنى قريظه و النضير و وادى قرى و قينقاع.إذا عرفت ذلك فنقول:إنّه عليه السّلام أمر باعتبار حالهم و تأمّل أمرهم فى حال تشتّتهم و تفرّقهم قبل بعثه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فعل أعدائهم ما كانوا يفعلون كيف فرجّ اللّه عنهم من تلك الشدائد بظهور محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لهم نبيّا.

و اعلم أنّ غايته عليه السّلام عن أمره باعتبار حال المؤمنين من الامم الماضيه قبلهم اقتدائهم فى الصبر على المكاره و لزوم الالفه و الاجتماع مع ذلك و انتظار الفرج به.

و قوله:فما أشدّ اعتدال الأحوال.

و قوله:فما أشدّ اعتدال الأحوال.

أى تساويها،و أراد أنّ أحوالكم الشبه و المساواه لأحوالهم،و كذلك ما أقرب اشتباه الأمثال:أى إنّ أحوالكم شديده المماثله لأحوالهم لأنّكم أمثالهم.

و هو إشاره إلى وجه علّه الاعتبار فإنّهم إذا كانوا أمثالهم و اعتدلت أحوالهم و تشابهت امورهم وجب اعتبار حالهم بحالهم و لذلك أتى بالفاء للتعليل.

و قوله:تأمّلوا أمرهم فى حال تشتّتهم.إلى آخر الكلام.

و قوله:تأمّلوا أمرهم فى حال تشتّتهم.إلى آخر الكلام.

إشاره إلى حال شدّتهم و رخائهم لتنقل أذهان السامعين إلى إثبات تلك الحال لأنفسهم.فالماضون أصل ذلك الاعتبار،و السامعون فرعه،و حكم الأصل أحوالهم الخيريّه و الشريّه،و علّه ذلك الحكم كونهم أمثالا لهم.

و قوله:ليالى كانت الأكاسره و القياصره أربابا لهم.

و قوله:ليالى كانت الأكاسره و القياصره أربابا لهم.

أى مالكون لامورهم يحتازونهم:أى كانت القياصره يحتازون بنى إسرائيل و بنى إسحاق ،و الأكاسره يحتازون بنى إسرائيل و يمنعونهم من أعمال العراق فصار الجميع مطرودا للجميع عن خضره الآفاق و جنان الشام و بحر العراق.و أراد دجله و الفرات.

و قوله:إلى منابت الشيح و مها فى الريح.

كنايه و قوله: إلى منابت الشيح و مها فى الريح .

کنایتان عن البریّه و ظاهر أنّها محلّ نکد العیش و ضیقه کما وبّخهم علیه السّلام بوصف معاشهم فی الفصول السابقه .و یختصّ الأکاسره-و هو جمع کسری-بملوک الفرس و القیاصره بملوک الروم و هو جمع علی غیر قیاس. کنایه و کنّی بالدبر و الوبر عن الجمال،و فیه إیماء

ص:۲۹۸

إلى فقرهم و ضيق معاشهم لأنّ دبر الجمال و استعمال الوبر و أكله بالدم من لوازم الفقر و ضيق الحال،و على الروايه الاخرى فالدبر كنايه عن الفقر أيضا،و ظاهر أنّهم أذلّ الأمم دارا لأنّ أهل الباديه ليسوا أصحاب حصون و قلاع يعتصم بها و إن كان لبعضهم حصون فعساه يحميهم عن أمثالهم فيما يجرى بينهم من الغارات،و ليس ذلك ممّا يدفع عدوّا ذا قوّه أو يحتمل حصارا .

و قوله:و أجد بهم قرارا.

و قوله:و أجد بهم قرارا.

أى مستقرّا.إذ كانت الباديه لا تقاس إلى المدن فى الخصب، استعاره بالكنايه و استعار لفظ الجناح لما ينهض به دعوتهم و يقوى إذا دعوا،و كنّى بذلك عن كونهم لا يأوون إلى من يجيب دعوتهم فيعتصمون به ، استعاره و كذلك استعار لفظ الظلّ لما يستلزمه الالفه من التعاون و التعاضد و التناصر،و وجه المشابهه هو ما يستلزمه هذه الامور من الراحه و السلامه من حراره نار العدوّ و الحرب كما يستلزمه الظلّ من الراحه من حرّ الشمس .

و قوله:فالأحوال مضطربه.

و قوله:فالأحوال مضطربه.

شرح لحالهم يومئذ و كونهم على غير نظام، كنايه و كنّى باختلاف أيديهم عن عدم اتّفاقهم على التناصر و بتفرّق كلمتهم عن عدم الفتهم و اجتماعهم على مصالحهم .

و إضافه بلاء إلى الأزل بمعنى من.و كذلك إضافه أطباق،و قد علمت أنّ للجهل صفات و دركات متراكم بعضها فوق بعض أولاها عدم العلم بالحقّ،و فوقها الاعتقاد بغير الحقّ،و فوقها اعتقاد شبهه يقوى ذلك و يعضده مع تجويز نقيضه،و فوقها اعتقاد تلك الشبهه جزما.و فى نسخه الرضى-رحمه اللّه-و إطباق بكسر الهمزه على أنّه مصدر و المعنى و جهل مطبق عليهم.

و قوله:من بنات.

و قوله:من بنات.

تفصيل للوازم ذلك الجهل،و ذكر منها أربعه أنواع:

أحدها:وءد البنات،و أشار إليه القرآن الكريم «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ»

«بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» (۱)قیل کان ذلک فی بنی تمیم و قیس و أسد و هذیل و بکر بن وابل.

قالوا:و السبب فی ذلک أنّ رسول اللّه دعا علیهم فقال:اللّهمّ اشدد وطأتک علی مضر و اجعلها علیهم سنین کسنی یوسف فأجدبوا سبع سنین حتّی أکلوا الوبر بالدم کانوا یسمّونه العلهز فوءدوا البنات لإملاقهم و فقرهم.و یؤیّد ذلک قوله تعالی «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ» (۲)و قال قوم:بل کان وءدهم للبنات أنفه، و ذلک أنّ تمیما منعت النعمان الإماره سنه من السنین فوجّه إلیهم أخاه الریّان بن المنذر و جلّ من معه من بکر بن وایل فاستاق النعم و سبا الذراری فوفدت بنو- تمیم إلی النعمان فاستعطفوه فرقّ لهم و أعاد علیهم السبی و قال:کلّ امرأه اختارت أباها ردّت إلیه و إن اختارت صاحبها ترکت علیه.فکلهنّ اخترن أباهنّ إلاّ- ابنه قیس بن عاصم فإنّها اختارت من سباها.فنذر قیس بن عاصم التمیمیّ أنّه لا تولد له بنت إلاّ وءدها.ففعل ذلک،ثمّ اقتدی به کثیر من بنی تمیم.

الثانی:عباده الأصنام،و قد کان لکلّ قبیله صنم یعبدونه فکان لهذیل سواع، و لبنی کلب ودّ،و لمذحج یغوث و کان بدومه الجندل،و لذی الکلاع نسر،و لهمدان یعوق،و لثقیف اللات و العزّی،و لقریش و بنی کنانه و الأوس و الخزرج مناه،و کان هبل علی الکعبه و إساف و نایله کانا علی الصفا و المروه و من نوادر جهلهم المشهوره أنّ بنی حنیفه اتّخذوا فی الجاهلیّه صنما من خبش فعبدوه دهرا طویلا ثمّ أصابتهم مجاعه فأکلوه فقال بعضهم فی ذلک:

أکلت حنیفه ربّها زمن التقحّم و المجاعه

لم یحذروا من ربّهم سوء العواقب و التباعه

الثالث:قطع أرحامهم و قد کان أحدهم یقتل أباه و أخاه عند الحمیّه لأدنی سبب کما هو معلوم من حالهم.

الرابع:الغارات و الحروب کیوم ذی قار و کأیّام حرب بکر و تغلب فی بنی وابل و کحرب داحس و غیر ذلک من الأیّام المشهوره.و مقاماتهم فی

۱- ۱) ۹-۸۱.

۲- ۲) ۳۳-۱۷.

الحروب و الغارات أكثر من أن تحصر و كلّ ذلك من لوازم الجهل .

و قوله:فانظروا إلى مواقع نعم اللّه عليهم.

و قوله:فانظروا إلى مواقع نعم اللّه عليهم.

أمر باعتبار حالهم عند مقدم محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعثته فيهم بعد تلك الأحوال الشريّه.

و الضمير فى عقد و جمع راجعان إلى اللّه تعالى لشهاده القرآن الكريم بنسبه الالفه بينهم إليه فى قوله «لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ما أَلَّفْتَ» بَيْنهم «وَ لکِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَیْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ» (۱)و معنى عقده لطاعتهم بملّته جمعها بعد الانتشار و نظمها بعد التفرّق.إذ كانت طاعاتهم فى الجاهليّه موافقه لأهوائهم المختلفه و منتشره بحسب اختلافها، استعاره مرشحه بالكنايه و استعار لفظ الجناح لما أسبغت عليهم رحمه اللّه من النعمه و عمّتهم به من الكرامه ،و رشّح بذكر النشر،و كنّى به عن عمومهم بها. استعاره مرشحه و كذلك استعار لفظ الجداول و هى الأنهار لأنواع نعيمها و سيول الخيرات الّتى جرت عليهم من الكمالات النفسانيّه و البدنيّه ملاحظه لشبه تلك الطرق و الأسباب بالجداول فى جريان الماء بها،و رشّح بذكر الإساله .

و قوله:و التقت الملّه بهم فى عوائد بركتها.

و قوله: و التقت الملّه بهم فى عوائد بركتها .

أى اجتمعت بهم و لقيتهم فى منافعها الّتى حصلت ببركتها.يقال:التقيت بفلان فى موضع كذا:أى لقيته.و قيل:قوله:فى موضع عوايد نصب على الحال:أى الحال كونها كذلك. استعاره بالكنايه و لفظ الالتقاء كنايه عن ورود الدين عليهم و تلبّسهم به،و لذلك استعار لفظ الغرقى ملاحظه لشبههم بالغرقى فى شمول نعمه الدين لهم و غمر نعمه الإسلام إيّاهم حتّى كأنّهم لاستيلائها عليهم كالغرقى فاستلزم ذلك لملاحظه تشبيهها بالبحر الذاخر ، كنايه و كنّى بخضره عيشها عن سعه المعاش بسبب الملّه و طيبه.

و أراد بالسلطان هنا إمّا الحجّه و البرهان و الاقتداء،أو الغلبه و الدوله .و استعار لفظ الظلّ لما يستلزمه ذلك السلطان من النعمه:أى و تمكّنت بهم الامور و الأسباب الّتى أعدّتهم لنعمه اللّه فى ذلك الظلّ و كذلك قوله:و آوتهم الحال:أى ألجأتهم و ضمنتهم الحال الّتى كانوا عليها إلى عزّ غالب،و هو عزّ الإسلام و دولته ملاحظه

۱- (۱) ۶۴-۸.

لشبهه بأعالى الجبل المنيع فى علوّه و منعته. استعاره و كذلك استعار لفظ التعطّف لإقبال السعادات الدنيويّه و الاخرويّه عليهم بالإسلام و هى الّتى عنى بالامور.و لا حظ فى ذلك مشابهه ذلك الإقبال بتعطّف ذى الرحمه و الشفقّه على غيره .

و قوله:فهم حكّام.إلى قوله:يمضيها فيهم.

كنايه و قوله: فهم حكّام.إلى قوله:يمضيها فيهم .ظاهر،و كنّى بكونهم لا تغمز قناتهم عن قوّتهم و عدم انقهارهم للغير،و كذلك لا يقرع لهم صفاه.و هما يجريان مجرى المثل .ثمّ عقّب بتوبيخهم على قلّه طاعتهم،و استعار لفظ الحبل لما نظم بينهم من طاعتهم للّه و رسوله،و كنّى بوصف نفض الأيدى عن خروجهم من الطاعه و شدّه إطراحهم لها بكثير من أفعالهم، استعاره مرشحه و كذلك استعار لفظ الحصن للإسلام و وجه المشابهه كونه حافظا لهم من أعدائهم الظاهره و الباطنه كالحصن المضروب على أهله، و رشّح بذكر المضروب ، استعاره و كذلك استعار لفظ الثلم لكسرهم الإسلام بأحكامهم الجاهليّه و مخالفتهم لكثير من أحكامه و نفّر عن تلك المخالفه بما يستلزمه من ذلك الثلم .

و قوله:و إنّ اللّه سبحانه قد امتنّ.إلى قوله:كلّ خطر.

و قوله: و إنّ اللّه سبحانه قد امتنّ .إلى قوله: كلّ خطر .

ترغيب فى لزوم حبل الالفه و التمسّك به.و النعمه الّتى امتنّ اللّه تعالى بها فى عقد حبل الالفه الّتى لا يعرف أحد لها قيمه هى الالفه نفسها باعتبار ما استلزمه من المنافع العظيمه و دفع المضارّ و علّل عدم معرفه الخلق لقيمتها بكونها أرجح من كلّ ثمن و أجلّ من كلّ خطر و هى صغرى قياس ضمير تقدير كبراه:و كلّ ما كان كذلك لم يعرف أحد قيمته،و صدق الصغرى ظاهر.إذ كانت تلك الالفه و الاجتماع على الدين سببا عظيما فى استعدادهم لسعادتى الدنيا و الآخره .

و قوله:و علموا.إلى قوله:بين خلقه.

و قوله: و علموا .إلى قوله: بين خلقه .

توبيخ لهم بانتقالهم عن الأحوال و الأقوال الإسلاميّه إلى الأحوال الجاهليّه:أى قد صرتم بعد كونكم مهاجرين أعرابا،و لمّا كانت الأعراب أنقص رتبه من المهاجرين و أهل المدن لجفاهم و قسوتهم و بعدهم عن الفضائل النفسانيّه و تعلّمها و عن سماع ألفاظ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مجالسته و اقتباس الآداب من أهل

ص:۳۰۲

الحضاره کما قال تعالی «الْأَعْرابُ أَشَدُّ کُفْراً وَ نِفاقاً» (۱)الآیه لا جرم وبّخهم لصیرورتهم کذلک.و لیس کلّ الأعراب بالصفه المذکوره لقوله تعالی «وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ یُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ» (۲)الآیه.و کونهم بعد الموالاه أحزابا فالأحزاب الفرق الّتی ینقسم لمحاربه الرسل و أوصیائهم و یجتمع لمخالفتهم و ظاهر أنّ هؤلاء کذلک لانفسامهم و تشعّبهم إلی ناکثین و مارقین و قاسطین و منافقین و محاربتهم له حتّی لیس لهم إذن جامع فی الإسلام یتعلّقون به إلّا اسم الإسلام و لا یعرفون من الایمان إلّا رسمه و أثره و شعاره الظاهر بالشهادتین و حضور الصلاه دون الشرائط الحقّه و ما ینبغی له .و قولهم:النار و لا العار کلمه یقولها أهل الکبر و الأنفه من احتمال الأذی و الضیم لأنفسهم أو لقومهم فی الاستنهاض إلی الفتنه.و النار و العار منصوبان بفعلین مضمرین تقدیرهما ادخلوا النار و لا تحتملوا العار. استعاره بالکنایه ثمّ شبّههم فی حالهم و قولهم ذلک بمن یقصد أن یقلّب الإسلام علی وجهه ،و کنّی بذلک عن إفساده کنایه بالمستعار ملاحظه لشبههه بالإناء یقلب فیخرج ما فیه عن الانتفاع به،و وجه التشبّه المذکور أنّ أفعالهم المذکوره کأفعال من یقصد ذلک من أعداء الإسلام لإراده إفساده .

و قوله:انتهاکا و نقضا.

و قوله: انتهاکا و نقضا .

منصوبان علی المفعول له و العامل قوله:تکفئوا،و یصلحان غایتین عقیب کلّ فعل نسبه إلیهم یفسّرهما ذکرهما هاهنا،و میثاقه ما اخذ علیهم فیه و أسلموا من جزئیّاته و هی الایمان الصادق باللّه و رسوله و ما جاء به من القوانین الشرعیّه.

ثمّ وصف ذلک المیثاق بکون اللّه تعالی قد وضعه لهم حرما فی أرضه یمنعهم من کلّ عدوّ مجاز إطلاقا لاسم الحال علی المحلّ و أمنا بین خلقه لمن دخله و أراد محلّ أمن فحذف المضاف أو تجوّز بلفظ الأمن فی المأمن إطلاقا لاسم الحال علی المحلّ .

و قوله:و إنّکم.إلی قوله:بینکم.

و قوله: و إنّکم .إلی قوله: بینکم .

تحذیر من الاعتماد علی غیر الإسلام و اللجأ إلیه من شجاعه أو حمیّه أو کثره

۱- ۱) ۹۸-۹.

۲- ۲) ۱۰۰-۹.

فی قبیله مع الخروج عن طاعه سلطان الإسلام و التفرّق فیه فإنّ ذلک یستلزم طمع الکفّار فیهم.و عدم نصره الملائکه و المهاجرین و الأنصار حینئذ لهم إمّا لأنّ النصره کانت مخصوصه بوجود الرسول و الاجتماع علی طاعته و قد زالت بفقده أو لأنّها مشروطه بالاجتماع علی الدین و الالفه فیه و الذبّ عنه و إذا التجئوا إلی غیره و حاربهم الکفّار لم یکن ناصر من الملائکه لعدم اجتماعهم علی الدین، و لا من المهاجرین و الأنصار لفقدهم و هذا اللازم مخوف ینبغی أن یحذر منه فالملزوم و هو الالتجاء إلی غیر الإسلام یجب أن یکون کذلک.و الضمیر المضاف إلیه فی حریمه و میثاقه یعود إلی الإسلام.و قال بعض الشارحین:الضمیر فی قوله یعود إلی اللّه و الأوّل ألیق بسیاق الکلام،و النصب فی جبرئیل و میکائیل علی أنّهما اسمان ملاحظا فیهما التنکیر و لذلک أتی عقیبهما بعد لا بالنکرتین،و ینصرونکم هو خبرها مفسّرا لمثله عقیب ما یکون منها.

و قوله:إلاّ المقارعه بالسیف.

و قوله: إلاّ المقارعه بالسیف .

استثناء منقطع،و حکم اللّه الّذی جعله غایه للمقارعه هو إفاضه لصوره النصر علی أحد الفریقین و الانقهار علی الآخر .

و قوله:و إنّ عندکم الأمثال.إلی قوله:و وقائعه.

کنایه و قوله: و إنّ عندکم الأمثال.إلی قوله:و وقائعه .

تذکیر لهم بما ضرب اللّه لهم من الأمثال بالقرون الماضیه و ما أصابهم من بأس اللّه و قوارعه و هی الدواهی العظام و أیّامه و هی کنایه عن الأیّام الّتی أوقع بهم فیها عقوباته و بأسه حین استعدّوا لذلک بمعصیته و تهدید لهم بذلک إن خالفوا أمره .

و قوله:فلا تستبطئوا.إلی قوله:بأسه.

مجاز إطلاقا لاسم الجزء علی الکلّ و قوله: فلا تستبطئوا.إلی قوله:بأسه .

تهدید لهم أیضا و توعید بقرب العقوبه علی المعصیه،و إطلاق لفظ الاستبطاء هنا مجاز لأنّ الاستبطاء للشیء استبعاد لوقوعه مع انتظار وقوعه المستلزم لطلبه و طلب تحقیق الوعید لیس من مقاصد العقلاء حتّی ینهون عنه لکن لمّا کان الإنسان إذا همّ بالمعصیه قد یستبعد تحقیق الوعید و قربه فیکون ذلک ممّا یقوّی معه

داعیته و شهوته لفعلها کان لذلک الاستبعاد سببیّه بوجه ما للمعصیه،و لمّا کان ذلک الاستبطاء أطلق علیه إطلاقا لاسم الجزء علی الکلّ فیکون التهدید و التوبیخ علیه أبلغ،و لأنّ الّذی یقدم علی المعصیه مع علمه بما یستلزمه من الإعداد لنزول العذاب یناسب فی الحقیقه من یستبطیء العقوبه و یطلب تعجیلها بفعله و کانوا بمعصیتهم کالمستبطئین للوعید فأطلق فی حقّهم لفظه الاستبطاء و نهاهم عنه .و نصب جهلا و تهاونا و بأسا علی المفعول له لصلوح الثلاثه عللا غائیّه لاستبطاء الوعید بمعنی استبعاده لأنّ جهل العبد بکیفیّه أخذه تعالی له بالموت و أهواله و شدائد الآخره ممّا یستبعد معه وقوع تلک الامور فی حقّه کما هی.و کذلک تهاونه ببسطه و إملائه لعدم علمه بما فی ذلک البسط من الاستدراج ممّا یحمله علی استبعاد وعیده،و بعزمه بالمعصیه و کذلک یأسه من بأسه بسبب ذلک الجهل و ذلک البسط ممّا یحمله علی ذلک الاستبعاد أیضا .

و قوله:و إنّ اللّه.إلی قوله:التناهی.

و قوله: و إنّ اللّه .إلی قوله: التناهی .

تنبیه لهم علی أنّ لعنه اللّه للقرن الماضی بین أیدیهم قبل الإسلام کان لازما مساویا لترکهم الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر منحصرا فیه،و کانت لعنته لسفهائهم و ناقصی عقولهم لرکوبهم المعاصی المنکره،و أمّا للحکماء منهم و لذوی العقول فلعدم إنکارهم و تناهیهم عمّا یشاهدونه من ذلک المنکر.و ذلک اللعن فی قوله تعالی «لُعِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ عَلی لِسانِ داوُدَ وَ عِیسَی ابْنِ مَرْیَمَ ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ کانُوا یَعْتَدُونَ» (۱)و کانوا لا یتناهون عن منکر فعلوه .و نبّههم بقوله: ألا و قد قطعتم قید الإسلام .إلی قوله: أحکامه .علی أنّهم من جمله من اتّصف بذلک الملزوم أعنی ترک الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و رکوب المعاصی فلزمهم الدخول فی زمره من لعنه اللّه بذلک الترک،و غایه هذا الشبه الجذب عن رکوب المعاصی إلی الانتهاء و التناهی عنها. استعاره و استعار لفظ قید الإسلام للالفه و الاجتماع علیه و علی امتثال أوامر اللّه فیه باعتبار کون ذلک حافظا للإسلام علیهم و مانعا له من التشرّد

ص:۳۰۵

۱- (۱) ۸۲-۵.

و الـذهاب كما يمنع الجمل قيـده من الشـرود و التشـتّت .و حدود اللّه:أحكامه الّتى حدّها للناس و منعهم من تجاوزها.و تعطيلهم لهم بإطراحها و تجاوزها، استعاره و كذلك إماته أحكامه عدم العمل بها و وصف الإماته مستعار لتركها و إهمالها لاعتبار أنّهم أخرجوها بذلك الإهمال عن انتفاعهم بها كما أنّ مميت الشىء يخرجه عن حدّ الانتفاع .و باللّه التوفيق.

الفصل الخامس:فى اقتصاصه عليه السّلام لحاله فى تكليفه و موافقته لأوامر اللّه

اشاره

ببلائه الحسن فى سبيله،و شرح حاله مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و التنبيه على موضعه منه و كيفيّه تربيته له من أوّل عمره،و الإشاره إلى قوّته فى دين اللّه.و ذلك قوله:

أَلَا وَ قَدْ أَمَرَنِیَ اللَّهُ- بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْیِ وَ النَّکْثِ وَ الْفَسَادِ فِی الْأَرْضِ فَأَمَّا؟النَّاکِثُونَ؟ فَقَدْ قَاتَلْتُ- وَ أَمَّا؟الْقَاسِطُونَ؟ فَقَدْ جَاهَدْتُ- وَ أَمَّا؟الْمَارِقَهُ؟ فَقَدْ دَوَّخْتُ- وَ أَمَّا شَیْطَانُ الرَّدْهَهِ فَقَدْ کُفِیتُهُ- بِصَعْقَهٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَهُ قَلْبِهِ وَ رَجَّهُ صَدْرِهِ- وَ بَقِیَتْ بَقِیَّهٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْیِ- وَ لَئِنْ أَذِنَ اللَّهُ فِی الْکَرَّهِ عَلَیْهِمْ- لَأُدِیلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا یَتَشَذَّرُ فِی أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَذُّراً أَنَا وَضَعْتُ فِی الصِّغَرِ بِکَلَاکِلِ الْعَرَبِ- وَ کَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ؟رَبِیعَهَ؟ وَ؟مُضَرَ؟- وَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِی مِنْ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- بِالْقَرَابَهِ الْقَرِیبَهِ وَ الْمَنْزِلَهِ الْخَصِیصَهِ- وَضَعَنِی فِی حِجْرِهِ وَ أَنَا وَلِیدٌ یَضُمُّنِی إِلَی صَدْرِهِ- وَ یَکْنُفُنِی فِی فِرَاشِهِ وَ یُمِسُّنِی جَسَدَهُ- وَ یُشِمُّنِی عَرْفَهُ- وَ کَانَ یَمْضَغُ الشَّیْءَ

ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ- وَ مَا وَجَدَ لِی کَذْبَهً فِی قَوْلٍ وَ لاَ خَطْلَهً فِی فِعْلٍ- وَ لَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ص- مِنْ لَدُنْ أَنْ کَانَ فَطِیماً أَعْظَمَ مَلَکٍ مِنْ مَلاَئِکَتِهِ- یَسْلُکُ بِهِ طَرِیقَ الْمَکَارِمِ- وَ مَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ لَیْلَهُ وَ نَهَارَهُ- وَ لَقَدْ کُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِیلِ أَثَرَ أُمِّهِ- یَرْفَعُ لِی فِی کُلِّ یَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَماً- وَ یَأْمُرُنِی بِالاِقْتِدَاءِ بِهِ- وَ لَقَدْ کَانَ یُجَاوِرُ فِی کُلِّ سَنَهٍ؟بِحِرَاءَ؟- فَأَرَاهُ وَ لاَ یَرَاهُ غَیْرِی- وَ لَمْ یَجْمَعْ بَیْتٌ وَاحِدٌ یَوْمَئِذٍ فِی الْإِسْلاَمِ- غَیْرَ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ وَ؟خَدِیجَهَ؟ وَ أَنَا ثَالِثُهُمَا- أَرَی نُورَ الْوَحْیِ وَ الرِّسَالَهِ وَ أَشُمُّ رِیحَ النُّبُوَّهِ- وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّهَ الشَّیْطَانِ حِینَ نَزَلَ الْوَحْیُ عَلَیْهِ ص- فَقُلْتُ یَا؟رَسُولَ اللَّهِ؟ مَا هَذِهِ الرَّنَّهُ- فَقَالَ هَذَا الشَّیْطَانُ قَدْ أَیِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ- إِنَّکَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَی مَا أَرَی- إِلاَّ أَنَّکَ لَسْتَ بِنَبِیٍّ وَ لَکِنَّکَ لَوَزِیرٌ- وَ إِنَّکَ لَعَلَی خَیْرٍ وَ لَقَدْ کُنْتُ مَعَهُ ص لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ ؟قُرَیْشٍ؟- فَقَالُوا لَهُ یَا؟مُحَمَّدُ؟ إِنَّکَ قَدِ ادَّعَیْتَ عَظِیماً- لَمْ یَدَّعِهِ آبَاؤُکَ وَ لاَ أَحَدٌ مِنْ بَیْتِکَ- وَ نَحْنُ نَسْأَلُکَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَیْهِ وَ أَرَیْتَنَاهُ- عَلِمْنَا أَنَّکَ نَبِیٌّ وَ رَسُولٌ- وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّکَ سَاحِرٌ کَذَّابٌ- فَقَالَ ص وَ مَا تَسْأَلُونَ قَالُوا- تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَهَ حَتَّی تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا- وَ تَقِفَ بَیْنَ

يَدَيْکَ فَقَالَ ص- «إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» - فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَکُمْ ذَلِکَ أَ تُؤْمِنُونَ وَ تَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ- قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنِّی سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ- وَ إِنِّی لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ- وَ إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِی الْقَلِيبِ وَ مَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ- ثُمَّ قَالَ ص يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ- إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ- وَ تَعْلَمِينَ أَنِّی رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِی بِعُرُوقِکِ- حَتَّى تَقِفِی بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ- وَ الَّذِی بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا- وَ جَاءَتْ وَ لَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ- وَ قَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ- حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَیْ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ مُرَفْرِفَةً- وَ أَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- وَ بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِی وَ كُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ ص- فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِکَ قَالُوا عُلُوّاً وَ اسْتِكْبَاراً- فَمُرْهَا فَلْيَأْتِکَ نِصْفُهَا وَ يَبْقَى نِصْفُهَا- فَأَمَرَهَا بِذَلِکَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا- كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَ أَشَدِّهِ دَوِيّاً- فَكَادَتْ تَلْتَفُّ؟بِرَسُولِ اللَّهِ ص؟- فَقَالُوا كُفْراً وَ عُتُوّاً فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ- فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ- فَأَمَرَهُ ص فَرَجَعَ- فَقُلْتُ أَنَا «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» إِنِّی أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِکَ؟يَا رَسُولَ اللَّهِ؟- وَ أَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ

بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى- تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِکَ وَ إِجْلاَلاً لِكَلِمَتِکَ- فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ «ساحِرٌ كَذّابٌ» - عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ- وَ هَلْ يُصَدِّقُکَ فِي أَمْرِکَ إِلاَّ مِثْلُ هَذَا يَعْنُونَنِي- وَ إِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ- سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ وَ كَلاَمُهُمْ كَلاَمُ الْأَبْرَارِ- عُمَّارُ اللَّيْلِ وَ مَنَارُ النَّهَارِ- مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ؟الْقُرْآنِ؟ يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّهِ وَ سُنَنَ رَسُولِهِ- لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَ لاَ يَعْلُونَ- وَ لاَ يَغُلُّونَ وَ لاَ يُفْسِدُونَ- قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ وَ أَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ

اللغه

أقول: النكث : نقض العهد .و القسوط : الجور .و دوّخت القوم ، غلبتهم و قهرتهم .و الردهه : نقره فى الجبل يجتمع فيها الماء .و الصعقه : الغشيه من صيحه و نحوها .و الوجبه : واحده الوجيب و هو اضطراب القلب .و الرجّه : واحده الرجّ:و هى الحركه و الزلزله .و الكرّه : الرجعه .و لاديلنّهم : أى لاقهرنّهم و أكون ذا إداله منهم و غلبه عليهم .و التشذّر : التفرّق .و الكلكل : الصدر .و النواجم:

جمع ناجمه و هو الطالع و الخارج .و يكنفنى فى فراشه : أى يحفظنى فيه و يحوطنى و يلفّنى .و عرفه : رائحته .و الخطله : السيّئه و القبيحه من قول أو فعل .و الفطيم:

المفطوم .و حراء-بالمدّ و الكسر- : جبل بمكّه يذكّر و يؤنّث و يصرف و لا يصرف.

و الرنّه : صوت يصدر عند حصول المكاره كالحزن و نحوه . القليب : البئر قبل أن تطوى يذكّر و يؤنّث.و قال أبو عبيده:هى البئر القديمه العاديه .و الدوىّ : صوت حفيف الريح و النحل .و القصف : صوت جناح الطير و إصفاقه فى الهواء .و السيما -مقصورا و ممدودا- : العلامه و الأثر فى الشىء يعرف به .و المنار : الأعلام .و غلّ من المغنم يغلّ بالضمّ : إذا خان فيه.قال أبو عبيد:يقال منه:يغلّ-بالضمّ-و من الحقد:

يغلّ-بالكسر-و من الخيانه المطلقه:أغلّ يغلّ .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّه عليه السّلام نبّه فى هذا الفصل على أنّ قتاله لهذه الفرق كان بأمر اللّه على لسان رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و ذلك الأمر إمّا من القرآن الكريم من قوله تعالى «فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللّهِ» (۱)أو من السنّه بأمر خاصّ و هو من أوامر اللّه أيضا.و قد ثبت عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:

سيقاتل بعدى الناكثين و القاسطين و المارقين.فكان الناكثون أصحاب الجمل لنكثهم بيعته عليه السّلام،و كان القاسطون أهل الشام،و المارقون الخوارج بالنهروان و الفرق الثلاث يصدق عليهم أنّهم أهل البغى و قاسطون لخروجهم عن سواء العدل إلى طرف الظلم و الجور،و تخصيص كلّ فرقه منهم بما سمّيت به عرف شرعىّ.فأمّا وصف الخوارج بالمارقين فمستنده قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لذى الثديه:يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه و قد ذكرناه قبل.و الضئضىء:

الأصل.و هذا الخبر من أعلام نبوّته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.و دلّ قوله عليه السّلام:و أمّا القاسطون فقد جاهدت و أمّا المارقه فقد دوّخت.على أنّ هذه الخطبه فى آخر خلافته بعد وقايع صفّين و النهروان .و أمّا شيطان الردهه فالأشبه أنّ المراد به ذو الثديه من الخوارج لما ورد الحديث أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذكره فقال:شيطان الردهه يحتذره رجل من بجيله.فأمّا كونه شيطانا فباعتبار كونه ضالاّ مضلاّ،و أمّا نسبته إلى الردهه فيشبه أن يكون لما روى أنّه حين طلبه عليه السّلام فى القتلى وجده فى حفره داليه فيها خرير الماء فنسبه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إليها لما كان يعلم من كيفيّه حاله فى مقتله.

و روى عن يزيد بن رويم قال:قال لى على عليه السّلام فى ذلك اليوم:يقتل اليوم أربعه ألف من الخوارج أحدهم ذو الثديه فلمّا طحن القوم ورام إخراج ذى الثديه فأتعبه أمرنى أن أقطع أربعه ألف قصبه و ركب بغله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ أمرنى أن أضع على كلّ رجل منهم قصبه فلم أزل كذلك و هو راكب خلفى و الناس حوله حتّى بقيت فى يدى واحده فنظرت إليه و قد اربدّ وجهه و هو يقول و اللّه ما كذبت و لا كذّبت

۱- ۱) ۹-۴۹.

فإذا نحن بخرير الماء فى حفره عند موضع داليه.فقال لى:فتّش هذا.ففتّشته فإذا قتيل قد صار فى الماء و إذا رجله فى يدى فجذبتها و قلت:هذه رجل إنسان.فنزل عن البغله مسرعا فجذب الرجل الاخرى و جرّرناه فإذا هو المخدج.فكبّر عليه السّلام ثمّ سجد و كبّر الناس بأجمعهم.و أمّا الصعقه الّتى أشار إليها فهى ما أصاب ذا الثديه من الغشى و الموت بضربته عليه السّلام حتّى استلزم ذلك ما حكاه من سماعه لرجّه صدره و وجيب قلبه.و قال بعضهم المراد بالصعقه هنا الصاعقه و هى صيحه العذاب و ذلك أنّه روى أنّ عليّا عليه السّلام لمّا قابل القوم صاح القوم فكان ذو الثديه ممّن هرب من صيحته حتّى وجد قتيلا فى الحفره المذكوره.و قال بعضهم:يحتمل أن يشير بالشيطان إلى إبليس المتعارف كما أشرنا إليه فى الخطبه الاولى و هو القوّه الوهميّه فاستعار لفظ الردهه و هى النقره فى الجبل للبطن الأوسط من الدماغ الّذى هو محلّ هذه القوّه لمكان المشابهه،و قد يعبّر بالجبل عن الدماغ فى عرف المجرّدين و عن القوى فيه،و بالجنّ الشياطين تاره و بالملائكه اخرى.و لمّا كانت الأنبياء عليهم السّلام و الأولياء قد يشاهدون الامور المجرّده و المعانى المقبوله كالملائكه و الجنّ و الشياطين فى صوره محسوسه باستعانه من القوّه المحصّله كما علمت فى المقدّمات و كما سنشير إليه عن قرب احتمل أن يقال أنّه عليه السّلام رأى الشيطان المذكور بصوره محسوسه ذات صدر و قلب و أنّه عليه السّلام لمّا كان فى مقام العصمه و ملكه للنصر على الشيطان و قهره و إبعاده سمع من الجناب الإلهىّ صيحه العذاب أرسلت على الشيطان فسمع لها وجيب قلبه ورجّه صدره كما سمعت رنّته فيما يحكيه فى باقى الكلام.و اللّه أعلم.

و أمّا البقيّه من أهل البغى فمعاويه و من بقى من جند الشام حيث وقعت الحرب بينهم و بينه بمكيده التحكيم.و حكمه عليه السّلام بأنّه إن أذن اللّه سبحانه فى الرجوع إليهم ليغلبنّهم و لتكوننّ الدايره عليهم ثقه بعموم توعّده تعالى فى قوله و من بغى عليه لينصرنّه اللّه و قوله تعالى «يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ» (۱)و قوله «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ» (۲)و أمثاله. كنايه و كنّى بإذن اللّه عن توفيق أسباب

ص:۳۱۱

۱- ۱) ۲۳-۱۰.

۲- ۲) ۷-۴۷.

العود إليهم و إتمامها من الفسحه فى الأجل و غيرها .و استعمل ما هاهنا بمعنى من إطلاقا لاسم العامّ على الخاصّ أو تكون بمعنى الّذى .

و قوله:أنا وضعت فى الصغر بكلكل العرب.إلى آخره.

استعاره-مجاز من باب إطلاق اسم الجزء على الكلّ و قوله: أنا وضعت فى الصغر بكلكل العرب .إلى آخره.

تنبيه على فضيلته فى الشجاعه و النجده لغايه أن يخافه أعداؤه و تقوى به قلوب أوليائه لا على سبيل الفخر المجرّد فإن ذلك رذيله قد بنى الخطبه على النهى عنها، و استعار لفظ الكلكل للجماعه من أكابر العرب الّذين قتلهم فى صدر الإسلام و فرّق جمعهم،و وجه المشابهه كونهم محلّ قوّه العرب و مقدّميهم كما أنّ الصدر من الحيوان كذلك.و من روى كلاكل بلفظ الجمع فهو أيضا استعاره لساداتهم و أشرافهم ممّن قاتلهم و قتلهم،و وجه الاستعاره ما ذكرناه.و يحتمل أن يكون مجازا من باب إطلاق اسم الجزء على الكلّ .و الباء فى قوله:بكلكل.زائده.و المراد بوضعهم إذلالهم و إهانتهم.يقال:وضعه فاتّضع:إذا غضّ منه و حطّ منزلته.و يحتمل أن يكون للإلصاق:أى فعلت بهم الوضع و الإهانه. استعاره مرشحه بالكنايه و كذلك استعار لفظ القرون لأكابر ربيعه و مضر ممّن قاتلهم و قتلهم،و وجه الاستعاره كون كلّ واحد منهم لقبيلته كالقرن يظهر فيها فيصول به و يمنع من عدوّها كذى القرن من الحيوان بقرنه.و أراد بالنواجم من علا منهم و ظهر أمره،و رشّح بذكر الكسر،و كنّى به عن قتلهم .و قتله للأكابر من مضر معلوم فى بدو الإسلام فأمّا القرون من ربيعه فإشاره إلى من قتله منهم فى وقايع الجمل و صفّين بنفسه و جيشه كما يقف على أسمائهم من يقف على تلك الوقايع .

و قوله:و قد علمتم موضعى.إلى آخره.

و قوله:و قد علمتم موضعى.إلى آخره.

شرح لتربيه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أوّل عمره و إعداده بتلك التربيه للكمالات النفسانيّه من العلوم و الأخلاق الفاضله.

و عدّ أحواله الّتى هى وجوه ذلك الاستعداد

و أسبابه:

أحدها:القرابه.

و أشار بها إلى نسبته القريب منه و كان عليه السّلام ابن عمّه دنيا و أبواهما أخوان لأب و امّ دون غيرهما من بنى عبد المطلب إلّا

الزبير.

ص:٣١٢

الثانيه:منزلته الخصيصه به

و أشار بها إلى ما شرحه من فعله به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو وضعه له فى حجره وليدا و ساير ما ذكره.و مبدء ذلك ما روى عن مجاهد قال:

كان من نعمه اللّه على علىّ عليه السّلام ما صنعه اللّه له و أراد به من الخير أنّ قريشا أصابتهم أزمّه شديده و كان أبو طالب ذا عيال كثيره فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعمّه العبّاس و كان أيسر بنى هاشم:يا عبّاس إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال و قد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمّه فانطلق بنا لنخفّف عنه من عياله فآخذ واحدا من بنيه و تأخذ واحدا فنكفيهم عنه فانطلقا إليه و قالا له.فقال:إن تركتمالى عقيلا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليّا عليه السّلام و أخذ العبّاس جعفرا فكفّلاهما.و قد كان أبو طالب كفّل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دون غيره من أعمامه و ربّاه فى حجره ثمّ حماه من المشركين فى مبدء أمره و نصره عند ظهور دعوته و ذلك ممّا يؤكّد اختصاص منزله علىّ عليه السّلام عنده.و من منزلته الخصيصه به ما كان بينهما من المصاهره الّتى أفضت إلى النسل الأطهر دون غيره من الأصهار ،و فى معنى قوله:فكان يمضغ الشىء ثمّ يلقمنيه ما رواه الحسن بن زيد بن علىّ بن الحسين عليهم السّلام قال:سمعت زيدا أبى يقول:كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يمضغ اللحمه أو التمره حتّى تلين و يجعلها فى فم علىّ عليه السّلام و هو صغير فى حجره.

الثالثه:أنّه لم يجد له كذبه فى قول و لا خطله فى فعل،

و ذلك لما استعدّ به من تربيته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ساير متمّمات الرياضه و أعراضها لاستيلاء قوّته العاقله على قوّتى الشهويّه و الغضبيّه و قهر نفسه الأمّاره الّتى هى مبدء خطأ الأقوال و خطل الأفعال حتّى حصلت له عن ذلك ملكه فى ترك الرذائل و اجتناب المئاثم و المعاصى فصار له ذلك خلقا و طبعا.و إذا حقّق معنى العصمه فى حقّه عليه السّلام و فى حقّ من ادّعيت له العصمه من أولاده يعود إلى هذه الملكه.فليس لاستكبارها[لاستنكارها خ]فى حقّهم عليه السّلام معنى ،و أشار بالملك الّذى قرنه به إلى جبرئيل و هو العقل الفعّال فى عرف قوم.و اقترانه به إشاره إلى تولّيه بتربيه نفسه القدسيّه بإفاضه العلوم و مكارم الأخلاق و سائر الطرق المؤدّيه إلى اللّه سبحانه من حين صغره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

ص:٣١٣

بحسب حسن استعداد مزاجه و قوّه عقله الطفولیّ .ثمّ أشار فی ذکر معرض أحواله معه إلی تربیه الملک له صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیعلم أنّه حصل بتبعیّته له علی تلک المکارم،و ممّا روی فی حاله مع الملک و عصمته به ما روی الباقر محمّد بن علیّ علیهما السّلام أنّه قال:

وکّل اللّه بمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ملکا عظیما منذ فصل عن الرضاع یرشده إلی الخیرات و مکارم الأخلاق و یصدّه عن الشرّ و مساوی الأخلاق و هو الّذی کانینادیه السلام علیک یا محمّد یا رسول اللّه و هو شابّ لم یبلغ درجه الرساله بعد فیظنّ أنّ ذلک من الحجر و الأرض فیتأمّل فلا یری شیئا.و روی أنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال:أذکر و أنا ابن سبع سنین و قد بنی ابن جدعان دارا بمکه فجئت مع الغلمان نأخذ التراب و المدر فی حجورنا فننقله فملأت حجری ترابا فانکشفت عورتی فسمعت نداء من فوق رأسی یا محمّد أرخ إزارک فجعلت أرفع رأسی فلا أری شیئا إلاّ أنّنی أسمع الصوت فتماسکت و لم ارخه فکأنّ إنسانا ضربنی علی ظهری فخررت لوجهی فانحلّ إزاری فسترنی و سقط التراب إلی الأرض فقمت إلی دار عمّی أبی طالب و لم أعد.

الرابعه:أشار إلی اتّباعه له و ملازمته إیّاه

بقوله:و لقد کنت أتبعه اتّباع الفصیل أثر امّه.و وجه الشبه فی اتّباعه کونه لا ینفکّ عنه کالفصیل لامّه.

الخامسه:

استعاره أشار إلی ثمره ذلک الاتّباع بقوله: یرفع لی فی کلّ یوم علما من أخلاقه و یأمرنی بالاقتداء به .و استعار لفظ العلم لکلّ من أخلاقه باعتبار کونه هادیا إلی سبیل اللّه کما یهدی العلم .

السادسه:أنّه کان یجاور معه فی کل سنه بحراء فیراه دون غیره

،و روی فی الصحاح:أنّه کان صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یجاور بحراء فی کلّ سنه شهرا و کان یطعم فی ذلک الشهر من جاءه من المساکین فإذا قضی جواره انصرف إلی مکّه و طاف بها سبعا قبل أن یدخل بیته حتّی جاءت السنه الّتی أکرمه اللّه فیها بالرساله فجاء فی حراء فی شهر رمضان و معه أهله خدیجه و علیّ و خادم.و روی الطبریّ و غیره:أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قبل مبعثه کان إذا حضرت الصلاه یخرج إلی شعاب مکّه و یخرج معه علیّ مستخفین عن أبی طالب و من سائر أعمامه و قومه یصلّیان الصلاه فإذا أمسیا

رجعا.فمكثا كذلك «ما شاءَ اللّهُ» .ثمّ إنّ أبا طالب عثر عليهما يوما و هما يصلّيان.فقال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:يابن أخى ما هذا الّذى أراك تدين به؟فقال:يا عمّ هذا دين اللّه و دين ملائكته و رسله و دين أبينا إبراهيم بعثنى اللّه رسولا إلى العباد و أنت يا عمّ أحقّ من بذلت له النصيحه و دعوته إلى الهدى و أحقّ من أجابنى إليه و أعاننى عليه.فقال أبو طالب:يابن أخى إنّى لا أستطيع أن افارق دينى و دين آبائى و ما كانوا عليه و لكن و اللّه لا يخلص إليك شىء تكرهه ما بقيت.و روى أنّه قال لعلىّ:

يا بنىّ ما هذا الّذى تدين به؟فقال يا أبه:إنّى آمنت باللّه و رسوله و صدّقته فيما جاء به و صلّيت للّه معه.قال:فقال له:أما إنّه لا يدعو إلّا إلى خير فالزمه.

السابعه:أشار إلى كونه أوّل من أسلم من الذكور

بقوله:لم يجمع بيت واحد.إلى قوله:و أنا ثالثهما.و قد مضى منه عليه السّلام مثل ذلك حيث قال:أكذب على اللّه و أنا أوّل من آمن به؟و قوله:فلا تتبرّوا منّى فإنّى ولدت على الفطره و سبقت إلى الإسلام و الهجره.و روى الطبرى فى تاريخه عن عباد بن عبد اللّه قال:

سمعت عليّا عليه السّلام يقول:أنا عبد اللّه و أخو رسول اللّه و أنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدى إلّا كاذب مفتر صلّيت قبل الناس لسبع سنين،و فى روايه اخرى:أنا الصدّيق و الفاروق الأوّل أسلمت قبل إسلام أبى بكر و صلّيت قبل صلاته لسبع سنين،و روى ذلك أيضا من وجوه:

أحدها:عن ابن مسعود قال:قدمت إلى مكّه فانتهيت إلى العبّاس بن عبد-المطّلب و هو يومئذ عطّار جالس إلى زمزم و نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا عليه ثوبان أبيضان،عليه،وفره جعده إلى أنصاف اذنيه،أشم أقنى،أدعج العينين،كثّ اللحيه،أبلج برّاق الثنايا،أبيض تعلوه حمره،و على يمينه غلام مراهق أو محتلم حسن الوجه،تقفوهم امرأه قد سترت محاسنها.فقصدوا نحو الحجر فاستلمه الرجل ثمّ الغلام ثمّ طافوا بالبيت ثمّ استقبلوا الحجر و قام الغلام إلى جانب الرجل و المرأه خلفهما فأتوا بأركان الصلاه مستوفاه فلمّا رأينا ما لا نعرفه بمكّه قلنا للعبّاس:

إنّا لا نعرف هذا الدين فيكم.فقال:أجل و اللّه.فسألناه عن هؤلاء فعرّفنا إيّاهم ثمّ

قال:و اللّه ما على وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلاّ هؤلاء الثلاثه.و روى مثله عن عفيف بن قيس.

الثانى:روى عن معقل بن يسار قال:كنت عند النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال لى:هل لك أن تعود فاطمه؟فقلت:نعم يا رسول اللّه فقمنا فدخلنا عليها فقال لها صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

كيف تجدينك؟قالت:و اللّه لقد طال سقمى و اشتدّ حزنى و قال لى النساء:زوّجك أبوك فقيرا لا مال له فقال لها:أما ترضين أنّى زوّجتك أقدم امّتى سلما و أكثرهم علما و أفضلهم حلما؟قالت:بلى رضيت يا رسول اللّه.و روى هذا الخبر عن أبى أيّوب الأنصارىّ،و عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام،و السدى،و ابن عبّاس،و جابر بن عبد اللّه الأنصارىّ،و أسماء بنت عميس،و امّ أيمن.

الثالث:روى عن أبى رافع قال:أتيت أباذرّ بالربذه اودّعه.فقال لى:ستكون فتنه فاتّقوا اللّه و عليكم بالشيخ علىّ بن أبى طالب فاتّبعوه فإنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول له:أنت أوّل من آمن بى و أوّل من يصافحنى يوم القيامه و أنت الصدّيق الاكبر و أنت الفاروق الّذى يفرّق بين الحق و الباطل و أنت يعسوب المؤمنين.

الرابع:عن أبى أيّوب الأنصارىّ أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:لقد صلّت الملائكه علىّ و على علىّ سبع سنينّ و ذلك أنّه لم يصلّ معى رجل فيها غيره.

و اعلم أنّه ربّما اعترض بعض الجهّال فقال:إنّ إسلامه عليه السّلام لم يكن معتبرا لكونه كان دون البلوغ.فجوابه من وجوه:

أحدها:لا نسلّم أنّه كان دون البلوغ.و مستند هذا المنع وجوه:

أحدها:روايه شدّاد بن أوس قال سألت خباب بن الأرتّ عن سنّ علىّ يوم أسلم.و قال أسلم و هو ابن خمس عشره سنه و هو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ.

الثانى:ما رواه أبو قتاده عن الحسن أنّ أوّل من أسلم علىّ بن أبى طالب و هو ابن خمس عشره سنه.

الثالث:عن حذيفه بن اليمانىّ قال كنّا نعبد الحجاره و نشرب الخمر و

علىّ من أبناء أربع عشره سنه يصلّى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليلا و نهارا و قريش يومئذ تسافهه ما يذبّ عنه إلاّ علىّ.

الثانى:أنّ المتبادر إلى الفهم من إطلاق لفظ المسلم و الكافر إنّما هو البالغ دون الصبىّ و المبادره إلى الّذهن دليل الحقيقه فالواجب إذن أن يرجع إلى إطلاق قولهم أسلم علىّ.فإنّ ذلك يشهد بكونه بالغا عاقلا لما يفعله خصوصا فى البلاد الحارّه مثل مكّه فإنّ-العاده فى المزاج الصحيح فيها أن يبلغ صاحبه فيما دون خمس عشره سنه و ربّما احتلم و هو ابن اثنى عشره سنه.

الثالث:و هو الحاسم لمادّه الإشكال أنّه عليه السّلام إمّا أن يكون أسلم و هو بالغ أو لم يكن فإن كان الأوّل فقد حصل الغرض و إن لم يكن فلا معنى للكفر فى حقّه إذ كان عليه السّلام مولودا على الفطره فمعنى الإسلام فى حقّه إذن دخوله فى طاعه اللّه و رسوله و الاستسلام لأوامرهما فله إذن الإسلام الفطرىّ و الإيمان الخالص الوارد على نفس قدسيّه لم تتدّنس بأدناس الجاهليّه و عباده الأصنام و الاعتقادات الباطله المضادّه للحقّ الّتى صارت ملكات فى نفس من أسلم بعد علوّ السنّ.فكان ايمانه باللّه و رسوله واردا على نفس صاف لوحها عن كدر الباطل فهى المنتقشه بالحقّ متمثّله به.و كانت غايه إسلام غيره أن يمحو على طول الرياضه من نفوسهم الآثار الباطله و ملكات السوء فأين أحدهما من الآخر؟

الثامنه:

استعاره مرشحه كونه عليه السّلام يرى نور الوحى بالرساله و يشمّ ريح النبوّه ،و سماعه لرنّه الشيطان.و هذه أعلى مراتب الأولياء،و استعار لفظ النور لما يشاهده بعين بصيرته الباقيه من أسرار الوحى و الرساله و علوم التنزيل و دقايق التأويل و إشراقها على لوح نفسه القدسيّه،و وجه الاستعاره كون هذه العلوم و الأسرار هاديه فى سبيل اللّه إليه من ظلمات الجهل كما يهدى النور من الطرق المحسوسه،و رشّح تلك الاستعاره بذكر الرؤيه لأنّ النور حظّ البصر،و كذلك استعار لفظ الريح لما أدركه من مقام النبوّه و أسرارها،و رشّح بذكر الشمّ لأنّ الريح حظّ القوّه الشامّه ،و أمّا سماعه لرنّه الشيطان فقد علمت كيفيّه سماع الإنسان لصوت الملك

ص:۳۱۷

و الشیطان و کیفیّه رؤیته لصورته و أنّ ذلک باستعانه من النفس بالقوّه المتخیّله فی اقتناص المعانی المعقوله و حطّها إلی لوح الخیال مشاهده للحسّ المشترک مسموعه.

و قد استلزمت هذه الإشاره أنّه علیه السّلام استعدّ لسماع صوت الشیطان فی حزنه حین أیس من اتّباع الخلق له و انقیادهم لأمره و هو معنی عبادته إذ أصل العباده الخضوع.

و کیفیّه ذلک أنّ نفسه القدسیّه أخذت معنی الشیطان مقرونا بمعنی الیأس و الحزن، و کسته المتخیّله صوره حزین صارخ،و حطّته إلی لوح الخیال فصار مسموع الرنّه له.و یؤیّد ذلک قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حین سأله عن ذلک :إنّک تسمع ما أسمع و تری ما أری إلاّ أنّک لست بنبیّ.فإنّه شهد له فی ذلک بالوصول إلی مقام سماع الوحی و کلام الملک و صوت الشیطان و سائر ما یراه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یسمعه ممّا قویت علیه نفسه القدسیّه إلاّ کونه نبیّا فإنّ مقام النبوّه لا یتحقّق للإنسان إلاّ بالشرط الّذی أشرنا إلیه فی المقدّمات و فرّقنا بین النبیّ و غیره من سائر النفوس الکامله،و هو کون الإنسان مخاطبا من السماء بإصلاح أمر أبناء نوعه فی معاشهم و معادهم و ذلک مقام أعلی و أکمل من کلّ مقام یبلغه إنسان بقوّته،و روی عن الصادق علیه السّلام أنّه قال:کان علیّ علیه السّلام یری مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قبل الرساله الضوء و یسمع الصوت، و قال له الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:لولا أنّی خاتم الأنبیاء لکنت شریکا فی النبوّه فإن لا تکن نبیّا فأنت وصیّ نبیّ و وارثه بل أنت سیّد الأوصیاء و إمام الأتقیاء.ثمّ لمّا نفی عنه مقام النبوّه جبره[أخبره ح]به مقام الوزاره إشاره إلی أنّه الصالح لتدبیر أحوال الخلق فی معاشهم و معادهم من ورائه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بعده المعین له علی ذلک.

ثمّ شهد له بأنّه علی خیر.و أشار به إلی ما هو علیه من الطریقه المحموده و استقامه السیره فی خدمته و تربیته.و ذلک خیر کثیر.و فی مسند أحمد بن حنبل عن علیّ قال:کنت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم اللیله الّتی اسری به فیها و هو بالحجر یصلّی فلمّا قضی صلاته و قضیت صلاتی سمعت رنّه شدیده فقلت:یا رسول اللّه ما هذه الرنّه؟ و قال ألا تعلم هذه رنّه الشیطان علم أنّی اسری الیله إلی السماء فأیس من أن یعبد فی هذه الأرض.و أمّا حدیث الوزاره فروی أنّه لمّا نزل قوله «وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ»

«الْأَقْرَبِينَ» (۱)دعانی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أمرنی أن أصنع صاعا من طعام و أجعل علیه رجل شاه و أملأ له عسّا من لبن ففعلت ما أمرنی به.ثمّ أمرنی بجمع بنی عبد المطّلب فجمعتهم یومئذ و هم أربعون رجلا فیهم أعمامه أبو طالب و حمزه و العبّاس و أبو لهب فلمّا اجتمعوا دعا بالطعام الّذی صنعه فوضعه ثمّ تناول مضغه من لحم فشقّها بأسنانه ثمّ ألقاها فی نواحی الصحفه و قال:کلوا باسم اللّه فأکلوا حتّی ما بهم إلی شیء من حاجه.و الّذی نفس محمّد بیده کان الرجل الواحد منهم لیأکل ما قدّمته لجمیعهم.ثمّ قال اسق القوم یا علیّ.فجئتهم بذلک العسّ فشربوا منه حتّی رووا جمیعا،و أیم اللّه کان الرجل الواحد لیشرب منه مثله.ثمّ قال لهم:یا بنی عبد المطّلب إنّی و اللّه ما أعلم شابّا فی العرب جاء قومه بأفضل ما جئتکم به إنّی قد جئتکم بخیر الدنیا و الآخره و قد أمرنی اللّه أن أدعوکم إلیه فأیّکم یوازرنی علی هذا الأمر علی أن یکون أخی و وصیّی و خلیفتی فیکم فأحجم القوم عنها جمیعا فقلت و إنّی لأحدثهم سنّا و أرمصهم عینا و أعظمهم بطنا و أحمشهم ساقا:أنا یا رسول اللّه أکون وزیرک علیه فأعاد القول.فأمسکوا.و أعدت ما قلت.فأخذ برقبتی ثمّ قال لهم:هذا أخی و وصیّی و خلیفتی فیکم فاسمعوا له و أطیعوا.فقام القوم یضحکون یقولون لأبی طالب:قد أمرک أن تسمع لابنک و تطیع .

التاسعه:کونه معه حین أتاه الملأ من قریش و سألوه ما سألوا من دعوه

الشجره

،و تصدیقه علیه السّلام له فی ذلک و ایمانه به.و قد علمت فیما سلف أنّ نفوس الأنبیاء علیهم السّلام لها تصرّف فی هیولی عالم الکون و الفساد فیستعدّ عن نفوسهم لقبول الامور الخارقه للعادات الخارجه عن وسع غیرهم من أبناء نوعهم.و صوره الحال فی سؤالهم و کیفیّه دعوته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم للشجره و إجابتهم و تکذیبهم بذلک و تصدیقه علیه السّلام له مستوفی فی کلامه،و ذلک من قوله :و لقد کنت.إلی قوله:یعنونی.فأمّا حکمه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بأنّهم لا یفیئون إلی خیر و أنّ منهم من یطرح فی القلیب و منهم من یحزّب الأحزاب فمن غیب اللّه الّذی اطّلعه علیه و ارتضاه له فعلمه بحسب قوّته الحدسیّه

۱- ۱) ۲۱۴-۳۶.

القدسيّه.و القليب هو قليب بدر،و من طرح فيه كعتبه و شيبه ابنى ربيعه و اميّه بن عبد شمس و أبى جهل و الوليد بن المغيره و غيرهم طرحوا فيه بعد انقضاء الحرب و كان ذلك الخبر من أعلام نبوّته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من يحزّب الأحزاب هو أبو سفيان و عمرو بن عبدودّ و صفوان بن اميّه و عكرمه بن أبى جهل و سهل بن عمرو و غيرهم.

و أمّا حديث الشجره فمشهور مستفاض رواه المحدّثون فى كتبهم،و ذكره المتكلّمون فى معجزاته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و منهم من روى ذلك مختصرا أنّه دعا شجره فأقبلت تخدّ الأرض خدّا.و نقله البيهقىّ فى كتاب دلايل النبوّه،و أمّا نداؤه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للشجره.

استعاره و قوله لها: إن كنت تؤمنين باللّه.إلى قوله:بإذن اللّه .فقد علمت أنّ الخطاب مخصوص فى عرف العقلاء لمن يعقل لكنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا وجّه نفسه القدسيّه من إعداد الشجره لما يروم منها و علم أنّه واجبه الاستعداد بذلك لقبول أمر اللّه بما أراد منها خاطبها خطاب من يعقل استعاره ملاحظه لشبهها بمن يعقل فى إجابه ندائه و إتيانه،و فايده ذلك الخطاب أن يكون وجود ما رام منها عقيب خطابه أغرب و فى نفوس الحاضرين أبلغ و أعجب فإذا كان وقوع تلك الحال بها غريبا كان كونها على تلك الحال وفق خطابه و دعائه لها أغرب لزياده ايهام كونها سمعت ذلك النداء و عقلت ذلك الخطاب مع أنّها ليس من شأنها ذلك،و أعجب فى نفوس السامعين.و لذلك خرج هذا عن كونه سفها و عبثا .

و قال الإمام الوبرىّ-رحمه اللّه-:و نحو ذلك قوله تعالى «وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي» (۱).

و اعلم أنّ ذلك على رأى الأشعريّه أمر ظاهر لأنّ البنيه المخصوصه ليست شرطا فى حصول الحياه و ما يكون مشروطا بها من السمع و الفهم فلذلك جاز أن يكون اللّه تعالى خلق فى الشجره علما و سمعا قبلت بها خطابه عليه السّلام.

و قال الإمام الوبرىّ:الخطاب فى الأصل للّه تعالى فكأنّه قال:اللّهم إن كانت هذه الشجره من آثارك الشاهده بوجودك و أنت مرسل لى فاجعل ما سألت

۱- ۱) ۴۶-۱.

منها شاهدا على صدق دعواى.و لمّا كانت الشجره محلّ ما سأل من اللّه خاطبها لذلك.فعلى هذا يكون مجازا من باب إقامه المسبّب مقام السبب.قال:و يحتمل أن يكون الخطاب فى الأصل للملائكه الموكّلين بالشجر .

قوله:و إنّى لمن قوم.إلى قوله:لائم.

كنايه قوله: و إنّى لمن قوم.إلى قوله:لائم .

كنايه عن بلوغه فى طاعه اللّه الغايه المطلوبه منه فإنّه عليه السّلام لم يقف دون غايه منها حتّى يلام على النقص فيها .

و قوله:سيماهم سيما الصدّيقين.إلى آخر الصفات.

و قوله: سيماهم سيما الصدّيقين.إلى آخر الصفات .

فالقوم هم المتّقون الّذين سأله همّام عن صفتهم.و الصفات المذكوره بعض صفاتهم و قد سبقت مستوفاه فى خطبه مفرده.و ذكر هاهنا عشرا:

إحداها:أنّ علاماتهم علامات الصدّيقين و هم الملازمون للصدق فى أقوالهم و أفعالهم طاعه للّه تعالى و قد عرفت علاماتهم فى خطبه همّام.

الثانيه:و كذلك كلامهم كلام الأبرار من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الذكر الدائم لمعبودهم الحقّ.

كنايه الثالثه: كونهم عمّار الليل .و كنّى بعمارتهم له عن قيامهم فيه بالعباده.روى أنّ أحدهم كان إذا كسل عن العمل علّق نفسه بحبل حتّى يصبح عقوبه لها .

استعاره الرابعه:استعار لفظ المنار لهم بالنهار باعتبار كونهم يهدون الخلق إلى طريق اللّه كالمنار إلى الطريق المحسوس،و كذلك لفظ الحبل للقرآن باعتبار كونه سببا لمتعلّميه و متدبّريه إلى التروّى من ماء الحياه الباقيه كالعلوم و الأخلاق الفاضله كالحبل الّذى هو سبب الارتواء و الاستقاء من الماء،أو باعتبار كونه عصمه لمن تمسّك به صاعدا من دركات الجهل إلى أقصى درجات العقل كالحبل يصعد فيه من السفل إلى العلوّ.و لفظ القرآن مجرور بعطف البيان.

الخامسه:و كذلك استعار وصف إحياء السنن لهم باعتبار إقامتها و إبقاء العمل بها .

السادسه:عدم الاستكبار و العلوّ منهم.و لمّا كان الاستكبار فى الإنسان

رذیله کان عدمه عنه فضیله.

السابعه:عدم الغلول.و هو فضیله،لکون الغلول مستلزما لرذائل کالشره و الخیانه و الحرص و الدنائه و غیرها و کان عدمه کمالا.

الثامنه:کونهم لا یفسدون.و لمّا کان کلّ فساد مستلزم رذیله أو رذائل کالزنا المستلزم لرذیله الفجور و کالقتل المستلزم لرذیله الظلم و کذلک سائرها کان عدمه کمالا.

التاسعه:کون قلوبهم فی الجنان.و ذلک أنّک علمت أنّ أعلی غرفات الجنان و درجاتها هو المعارف الإلهیّه و القعود فی مقاعد الصدق عند الملیک المقتدر و ذلک من مقامات العارفین و أولیاء اللّه الصدّیقین.

العاشره:کون أجسادهم فی العمل.فالواو فی قوله:و أجسادهم.یحتمل أن یکون للحال أی أنّ قلوبهم فی الجنان ما یکون أجسادهم مستغرقه الحرکات و السکنات فی الأعمال الصالحات «فِی الرِّقابِ وَ أَقامَ الصَّلاهَ وَ آتَی» .

۲۳۵-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

قاله لعبد اللّه بن عباس،و قد جاءه برساله من عثمان و هو محصور یسأله فیها الخروج إلی ماله بینبع لیقل هتف الناس باسمه للخلافه بعد أن کان سأله مثل ذلک من قبل،فقال علیه السّلام:

یا؟ابْنَ عَبَّاسٍ؟ مَا یُرِیدُ؟عُثْمَانُ؟- إِلاَّ أَنْ یَجْعَلَنِی جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وَ أَدْبِرْ- بَعَثَ إِلَیَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَیَّ أَنْ أَقْدُمَ- ثُمَّ هُوَ الْآنَ یَبْعَثُ إِلَیَّ أَنْ أَخْرُجَ- وَ اللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّی خَشِیتُ أَنْ أَکُونَ آثِماً

اللغه

أقول: ینبع : قریه صغیره من أعمال المدینه .و هتف الناس : صیاحهم و دعاؤهم

ص:۳۲۲

باسمه .و الناضح : الجمل استقی علیه .و الغرب : الدلو العظیمه .

المعنی

و سبب الرساله أنّ القوم الّذین حصروه کانوا یکثرون نداه و الصیاح به و توبیخه علی أحداثه من تفریق بیت المال علی غیر مستحقّیه و وضعه فی غیر مواضعه، و سایر الأحداث الّتی ذکرنا أنّها نسبت إلیه،و استعار لفظ الجمل الناضح،و رشّح بذکر الغرب،و أشار إلی وجه المشابهه بقوله اقبل و ادبر.

و قوله:بعث إلیّ.إلی قوله:أخرج.

شرح لکیفیّه تصریفه فی حال حصره و مضایقه الناس له و بعثه إلی الناس فی أمره کما أشرنا إلیه من قبل.و قد کان قصده بتلک الرساله من بین سائر الصحابه لأحد أمرین:

أحدهما:اعتقاده أنّه کان أشرف الجماعه و الناس له أطوع،و أنّ قلوب الجماعه معه حینئذ.

و الثانی:أنّه کان یعتقد أنّ له شرکه مع الناس فی فعلهم به و کانت بینهما هناه فکان بعثه له من بین الجماعه متعیّنا لأنّهم إن رجعوا بواسطته فهو الغرض و إن لم یرجعوا حصلت بعض المقاصد أیضا و هو تأکّد ما نسبه إلیه من المشارکه فی أمره،و بقاء ذلک حجّه علیه لمن بعده ممّن یطلب بدمه حتّی کان لسبب هذا الغرض الثانی ما کان من الوقایع بالبصره و صفّین و غیرهما .

و قوله و اللّه.إلی آخره یحتمل وجوها:

أحدها:قال بعض الشارحین:إنّی بالغت فی الذبّ عنه حتّی خشیت لکثره أحداثه أن أکون آثما فی الذبّ عنه و الاجتهاد فی ذلک.

و الثانی:یحتمل أن یرید أنّی خشیت الإثم فی تغریری بنفسی لأن دفع الجمع العظیم فی هذا الأمر العظیم مظنّه الخوف علی النفس فیکون الإقدام علیه مظنّه إثم.

الثالث:یحتمل أنّه یرید أنّه خشی الإثم من الإفراط فی حقّهم کأن یضرب أحدهم بسوطه و یغلظ له فی القول و الشتم.و باللّه التوفیق.

ص:۳۲۳

۲۳۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجره النبى صلّى اللّه عليه و آله،ثم لحاقه به فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى؟الْعَرَجِ؟- فِي كَلاَمٍ طَوِيلٍ قال الشريف:قوله عليه السّلام«فأطأ ذكره»من الكلام الذى رمى به إلى غايتى الإيجاز و الفصاحه،أراد إنى كنت أعطى خبره،صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من بدء خروجى إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع،فكنى عن ذلك بهذه الكنايه العجيبه .

المعنى

أقول:هذا الفصل من كلام يحكى فيه عليه السّلام ما كان جرى من حاله فى خروجه من مكّه إلى المدينه بعد أن هاجر إليها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.و ذلك أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا عزم على الهجره أعلم عليّا عليه السّلام بخروجه و أمره أن يبيت على فراشه خدعه للمشركين الّذين كانوا عزموا على قتله فى تلك الليله و ايهاما لهم أنّه لم يبرح فلا- يطلبونه حتّى يبعد مسافته عنهم،و أن يتخلّف بعده بمكّه حتّى يؤدّى عنه الودايع الّتى كانت عنده للناس فإنّ جماعه من أهل مكّه استودعوه ودائع لما رأوا من أمانته.

و كانوا قد أجمعوا على أن يضربوه بأسيافهم من أيدى جماعه من بطون مختلفه ليضيّع دمه بين بطون قريش فلا يطلبه بنو عبد مناف.و كان ممّن أجمع على ذلك النضر بن الحرث من بنى عبد الدار،و أبو البخترى بن هشام،و حكيم بن حزام،و زمعه بن الأسود بن عبد المطّلب-الثلاثه من بنى أسد بن عبد العزّى-و أبو جهل بن هشام، و أخوه الحرث،و خالد بن الوليد بن المغيره-و الثلاثه من بنى مخزوم-و بنيه و منيه ابنا الحجّاج،و عمرو بن العاص-و الثلاثه من بنى سهم-و اميّه بن خلف،و أخوه

ابّی من بنی جمح.فنما هذا الخبر من اللّیل إلی عتبه بن ربیعه فلقی قوما منهم و نهاهم عن ذلک و قال إنّ بنی عبد مناف لا تسکت عن دمه و لکن صفّدوه فی الحدید و احبسوه فی دار من دورکم و تربّصوا به أن یصیبه من الموت ما أصاب أمثاله من الشعراء.و کان عتبه بن ربیعه سیّد بنی عبد شمس فأحجم أبو جهل و أصحابه تلک اللیله عن قتله إحجاما ثمّ تسوّروا علیه و هم یظنّونه فی الدار فرأوا إنسانا مسجّی بالبرد الحضرمیّ فلم یشکّوا أنّه هو فکانوا یهمّون بقتله ثمّ یحجمون لما یرید اللّه من سلامه علیّ علیه السّلام.ثمّ قال بعضهم لبعض:ارموه بالحجاره.فرموه فجعل علیّ یتصوّر منها و یتأوّه تأوّها خفیّا و لا یعلمهم بحاله خوفا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یطلب فیدرک.فلم یزالوا حتّی الصباح فوجدوه علیّا،ثمّ تخلّف عنه علیه السّلام بمکه لقضاء ما أمره به.ثمّ لحق به فجاء إلی المدینه راجلا قد تورّمت قدماه و تصادف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نازلا بقبا علی کلثوم بن المقدم فنزل معه فی منزله.ثمّ خرج معه من قبا حتّی نزلا بالمدینه علی أبی أیّوب الأنصاری.

قوله:فجعلت أتّبع مأخذ رسول اللّه.

أی الجهه و الطریق الّتی أخذ فیها و سار حتّی انتهیت إلی الموضع المعروف بالعرج.

استعاره و قوله: فأطأ ذکره .

استعار وصف الوطیء لوقوع ذهنه علی ذکره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و خبره من الناس فی تلک الطریق کوقوع القدم علی الأرض،و وجه المشابهه أنّ الخبر عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ذکره طریق حرکات قدم عقله إلی معرفه حسّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کما أنّ المحسوس طریق لحرکات قدمه إلی الوصول إلیه .و قیل:أراد بذکره ما ذکره لی و وصفه من حال الطریق.

و الأوّل أسبق إلی الفهم.و باللّه التوفیق.

۲۳۷ و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

:فَاعْمَلُوا وَ أَنْتُمْ فِی نَفَسِ الْبَقَاءِ- وَ الصُّحُفُ مَنْشُورَهٌ وَ التَّوْبَهُ مَبْسُوطَهٌ-

وَ الْمُدْبِرُ يُدْعَى وَ الْمُسِیءُ یُرْجَی- قَبْلَ أَنْ یَخْمُدَ الْعَمَلُ وَ یَنْقَطِعَ الْمَهَلُ- وَ یَنْقَضِیَ الْأَجَلُ وَ یُسَدَّ بَابُ التَّوْبَهِ- وَ تَصْعَدَ الْمَلاَئِکَهُ- فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَ أَخَذَ مِنْ حَیٍّ لِمَیِّتٍ- وَ مِنْ فَانٍ لِبَاقٍ وَ مِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ- امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ- وَ هُوَ مُعَمَّرٌ إِلَی أَجَلِهِ وَ مَنْظُورٌ إِلَی عَمَلِهِ- امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَ زَمَّهَا بِزِمَامِهَا- فَأَمْسَکَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِی اللَّهِ- وَ قَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَی طَاعَهِ اللَّهِ

اللغه

أقول:یقال: فلان فی نفس من أمره : أی فی سعته .

المعنی

و الفصل فی غایه الفصاحه.و قد أمرهم بالعمل حال ما هم فی مهلته علی الأحوال الّتی أشار إلیها:

أحدها:کونهم فی نفس البقاء و سعته فإنّ الموت مستلزم لانقطاع العمل و عدم إمکانه.

الثانی:کون الصحف منشوره:أی صحف الأعمال فإنّها إنّما تطوی بانقطاع الأعمال بالموت.و قد عرفت وجه الإشاره إلی الصحف و نشرها.

استعاره الثالث:کون التوبه مبسوطه ،و استعار لفظ البسط ملاحظه لشبهها بالبساط فی کونها ممدوده القبول غیر ممنوع منها فی مدّه العمر یطأها من أرادها کالبساط.

و إنّما تطوی بالموت کما قال تعالی: «وَ لَیْسَتِ التَّوْبَهُ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ السَّیِّئاتِ حَتّی إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّی تُبْتُ الْآنَ وَ لاَ الَّذِینَ یَمُوتُونَ وَ هُمْ کُفّارٌ» (۱).

۱- ۱) ۲۲-۴.

الرابع:کون المدبر یدعی:أی حال کون المدبر عن طاعه اللّه المعرض عنها یدعی إلیها من الأنبیاء و الرسل و النوامیس الشرعیّه،و ذلک منقطع بالموت.

الخامس:حال کون المسیء یرجی:أی یرجی صلاحه و عوده و ذلک حال البقاء فی الدنیا.

و لمّا ذکر هذه الأحوال للترغیب فی العمل علیها و التذکیر بکونها أحوالا یمکن العمل معها أردفها بأحوال یمتنع معها العمل تنفیرا عنها و هی جمود العمل. استعاره و استعار لفظ الجمود لوقوفه ملاحظه لشبهه بالماء فی جموده عن الجریان .

و فی نسخه الرضیّ-رحمه اللّه-یخمد-بالخاء المعجمه-من خمد المریض:أی مات.و المعنی ظاهر یقرب معنی یجمد.و کذلک انقطاع المهل و انقضاء المدّه:

أی مدّه البقاء و سدّ أبواب التوبه، استعاره و لفظ الأبواب مستعار لطرق الاعتبار الّتی یرجع منها إلی اللّه تعالی،و کذلک الملائکه :أی الکرام الکاتبین فإنّ الملائکه الموکّلین تضبط أعمال کلّ شخص یصعدون إلی السماء بعد بطلان الأعمال .

و قوله :فأخذ امرء من نفسه.

أمر فی صوره الخبر:أی فلیأخذ المرء من نفسه:أی بعض نفسه بالاجتهاد و النصب فی العباده فإنّهما یهزلان البدن و یأخذان من النفس لذّاتها و مشتهیاتها البدنیّه،و یجوز أن یرید بالنفس هنا الشخص.و الأخذ منه ظاهر.

و قوله:لنفسه.

أی لیکون ذلک کمالا لنفسه و ذخرا لها فی معادها.

و قوله:و أخذ من حیّ لمیّت.إلی قوله:امرء.

أمر أیضا فی صوره الخبر.و فاعل أخذ هو قوله:امرء.و الحیّ و المیّت هو المرء نفسه:أی فلیأخذ امرء من نفسه باعتبار ما هو حیّ لنفسه باعتبار ما یصیر إلیه من حال الموت.و قوله:من فان لباق.أی فلیأخذ من الأمر الفانی و هی دنیاه و متاعها للأمر الباقی و هو النعیم الباقی الأبدیّ فی الآخره.و معنی ذلک الأخذ أنّ الإنسان مکتسب من الدنیا و متاعها الفانی کمالا باقیا یوصل إلی نعیم دائم و ذلک بالصدقات و الزکوات و الإنفاق فی وجوه البرّ و القربات،و کذلک

قوله:و من ذاهب لدايم .ثمّ أخذ فی وصف ذلک المرء کأنّه سئل عنه فقال:امرء خاف اللّه فی حال ما هو معمّر إلی أجله و منظور إلی عمله.و نبّهه بغایه أجله و کون عمله منظورا إلیه أی منظورا للّه و مرئیّا له تخویفا من هجوم الأجل و جذبا إلی صالح الأعمال للّه تذکیر اطّلاعه علیها و علمه بها.

استعاره مرشحه بالکنایه و قوله: امرء لجّم نفسه .

بدل من امرء الأوّل.و استعار لفظ اللجام للزهد الحقیقیّ و العفّه.و وجه المشابهه کونهما مانعین للنفس الأمّاره من جماحها فی تیه الهوی و معاصی اللّه کما یمنع اللجام الدابّه عن الجماح.و رشّح بذکر الإلجام،و کنّی به عن ورع النفس بالزهد،و أشار إلی ذلک الوجه من المشابهه بقوله:فأمسکها بلجامها عن معاصی اللّه.و کذلک استعار لفظ الزمام للعباده باعتبار ما هی قائده للنفس الأمّاره بالسوء إلی موافقه النفس المطمئنّه فی طاعه اللّه کما تقاد الناقه بزمامها إذ علمت أنّ العباده إنّما وضعت لتطویع النفس الأمّاره للعقل و انقیادها تحت اسره و انجذابها خلفه عند توجّهه فی المعارج القدسیّه إلی حضره ذی الجلال و الإکرام.

و إلی ذلک الوجه من المشابهه أشار بقوله:و قادها بزمامها،و رشّح بذکر الزمام و القود،و کنّی بهما عن إیقاع العباده و تطویع النفس لها .و باللّه التوفیق.

۲۳۸-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

فی شأن الحکمین،و ذم أهل الشام

جُفَاهٌ طَغَامٌ عَبِیدٌ أَقْزَامٌ- جُمِعُوا مِنْ کُلِّ أَوْبٍ وَ تُلُقِّطُوا مِنْ کُلِّ شَوْبٍ- مِمَّنْ یَنْبَغِی أَنْ یُفَقَّهَ وَ یُؤَدَّبَ- وَ یُعَلَّمَ وَ یُدَرَّبَ وَ یُوَلَّی عَلَیْهِ- وَ یُؤْخَذَ عَلَی یَدَیْهِ- لَیْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِینَ وَ الْأَنْصَارِ- وَ لاَ مِنَ «الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّارَ» أَلاَ وَ إِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ- أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا یُحِبُّونَ- وَ إِنَّکُمُ اخْتَرْتُمْ

لِأَنْفُسِكُمْ- أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ- وَ إِنَّمَا عَهْدُكُمْ؟بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ؟ بِالْأَمْسِ يَقُولُ- إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَ شِيمُوا سُيُوفَكُمْ- فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ- وَ إِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَهُ- فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ؟عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ؟- ؟بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ؟- وَ خُذُوا مَهَلَ الْأَيَّامِ وَ حُوطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ- أَ لَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى وَ إِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى

اللغه

أقول: جفاه : جمع جافى و هو غليظ الطبع قاسى القلب و الطغام : أوغاد الناس و أراذلهم .و الأقزام : جمع قزم-بفتح الزاء-و هو الرذل الدنىّ من الناس، و يطلق على الواحد و الجمع و الذكر و الانثى .و يقال: جاءوا من كلّ أوب:

أى من كلّ ناحيه .و الشوب : الخلط .و يدرّب : يعوّد بالعادات الجميله و يجرّب فى الامور :و تبوّؤوا الدار : نزلوا .و شمت السيف : أغمدته .

المعنى

و صدّر الفصل بذكر مذامّ أهل الشام تنفيرا عنهم،و وصفهم بكونهم عبيدا إمّا لأنّهم عبيد الدنيا و أهلها أو لأنّ منهم عبيدا،و اللفظ مهمل يصدق بالبعض.و المرفوعات الأربعه الاولى أخبار لمبتدأ محذوف:أى هم جفاه.و محلّ قوله:جمّعوا.

الرفع صفه لأقزام.و يحتمل أن يكون خبرا خامسا،و كذلك قوله:ممّن ينبغى.

كنايه و قوله: يولىّ عليه و يؤخذ على يديه.و قوله :ليسوا .

كنايه عن كونهم سفهاء لا يصلحون لأنّ يلوا أمرا و يفوّض إليهم بل ينبغى أن تحجر عليهم و يمنعون من التصرّف لغباوتهم و سفههم ،و ذكر كونهم ليسوا من المهاجرين و الأنصار فى معرض الذمّ لهم لكون ذلك نقصانا لهم من تلك الجهه بالنسبه إلى المهاجرين و الأنصار،و كذلك نفى كونهم من «الَّذِينَ تَبَوَّؤُا»

ص:۳۲۹

«الدّارَ» .و أراد بالدار مدينه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الّذين تبوؤوها هم الأنصار من أهلها الّذين أسلموا بها قبل هجره الرسول إليهم بسنتين و ابتنوا بها المساجد.و إليهم أشار تعالى فى كتابه العزيز و أثنى عليهم فقال «وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ» إلى قوله «فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (۱)و فى نسخه الرضى-رحمه اللّه-تبوؤوا الدار فقط،و فى ساير النسخ و الإيمان، استعاره و وصف الإيمان بكونه متبوءا لهم مستعار ملاحظه لشبهه بالمنزل باعتبار أنّهم ثبتوا عليه و اطمأنّت قلوبهم به ،و يحتمل أن يكون نصب الإيمان هنا كما فى قوله:

و رأيت زوجك فى الوغا متقلّدا سيفا و رمحا

أى لازموا الإيمان كما أراد القايل و معتقلا رمحا.

و قوله :ألا و إنّ القوم.إلى قوله:تكرهون.

و القوم هم أهل الشام.و الّذى اختاروه لأنفسهم و كان أقرب القوم ممّا يحبّون هو عمرو بن العاص فإنّهم اختاروه للحكومه و عيّنوا عليه من قبلهم.و كونه أقرب القوم ممّا يحبّون لكثره خداعه و لميله إلى معاويه و عطائه.و الّذى يحبّونه ممّا هو أقرب إليه هو الانتصار على أهل العراق و صيروره الأمر إلى معاويه و الّذى اختاره أهل العراق للحكومه هو أبو موسى الأشعرى،و كان أقرب القوم ممّا يكرهون من صرف الأمر عنهم.و كونه أقرب إلى ذلك إمّا لغفلته و بلاهته أو لأنّه كان منحرفا عن علىّ عليه السّلام،و ذلك أنّه كان فى زمن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم واليا من قبله على زبيد من أعمال اليمن ثمّ ولاّه عمر البصره لمّا عزل المغيره عنها فلمّا عزله عثمان سكن بالكوفه فلمّا كره أهلها سعيد بن العاص و دفعوه عنها ولّوا أبا موسى و كتبوا إلى عثمان يسألونه أن يولّيه فأقرّه على الكوفه فلمّا قتل عثمان عزله علىّ عليه السّلام فلم يزل واجدا لذلك عليه حتّى كان منه ما كان فى الكوفه.

و قوله و إنّما عهدكم بعبد اللّه إلى آخره احتجاج عليهم فى اختيارهم لعبد اللّه ابن قيس و هو أبو موسى الأشعرى للحكومه.و صوره الاحتجاج:أنّ أبا موسى كان يقول

۱- ۱) ۹-۵۹.

لكم يا أهل الكوفه عند مسيرى إلى أهل البصره:إنّها فتنه من الفتن الّتى وعدنا بها و امرنا باعتزالها فقطّعوا أوتار قسيّكم و أغمدوا سيوفكم.فلا يخلوا إمّا أن يكون صادقا فى ذلك فقد لزمه الخطأ بمسيره معنا غير مستكره إلى فتنه امرنا بالاعتزال عنها و حضوره صفوف أهل العراق و تكثير سوادهم،و إن كان كاذبا فقد لزمته التهمه و صار فاسقا بكذبه، و على التقديرين لا ينبغى أن يعتمد عليه فى هذا الأمر الجليل.

و أقول:و ممّا يناسب هذا الاحتجاج ما روى عنه سويد بن غفله قال:كنت مع أبى- موسى على شاطىء الفرات فى خلافه عثمان فروى لى خبرا قال:سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:إنّ بنى إسرائيل اختلفوا و لم يزل الاختلاف بينهم حتّى بعثوا حكمين ضالّين ضلاّ و أضلاّ من اتّبعهما و لا ينفكّ أمر امّتى تختلف حتّى يبعثوا حكمين يضلاّن و يضلاّن من اتّبعهما.فقلت له:احذر أبا موسى أن تكون أحدهما.قال:فخلع قميصه و قال:

أبرء إلى اللّه من ذلك كما أبرء من قميصى هذا.فنقول :لا يخلو إمّا أن يكون صادقا فى ذلك الخبر أو كاذبا فإن كان صادقا فقد أخطأ فى دخوله فى الحكومه و شهد على نفسه بالضلال و الإضلال،و إن كان كاذبا فقد لزمته التهمه فلا ينبغى أن يعتمد عليه فى هذا الأمر.

كنايه و قوله: فادفعوا فى صدر عمرو بن العاص بعبد اللّه بن عبّاس .

كنايه عن جعله مقابلا له فى الحكومه دافعا له عمّا يريد .و لمّا قدح فى أبى موسى و أشار إلى عدم صلاحيّته لهذا الأمر كان رأيه أن يبعث الحكم من قبله عبد اللّه بن عبّاس فأبى قومه عليه.و روى بعباره اخرى أنّه قال لهم لما لجّوا فى بعث أبى موسى و تعيينه حكما:إنّ معاويه لم يكن ليختار لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأيه و نظره إلاّ عمرو بن العاص و إنّه لا يصلح للقرشىّ إلاّ قرشىّ و هذا عبد اللّه بن عبّاس فارموه به فإن عمروا لا يعقد عقده إلاّ حلّها و لا يبرم أمرا إلاّ نقضه و لا ينقض أمرا إلاّ أبرمه.فقال الأشعث و من معه:لا و اللّه لا يحكم فيها مضريّان أبدا حتّى تقوم الساعه و لكن يكون رجل من مضر و رجل من اليمن.فقال عليه السّلام:إنّى أخاف أن يخدع يمانيّكم و إنّ عمرو بن العاص ليس و اللّه قرشىّ.فقال الأشعث:و اللّه

لئن يحكمان بما نكره و أحدهما من اليمن أحبّ إلينا أن يكون ما نحبّ و هما مضريّان.فقال عليه السّلام:و إن أبيتم إلّا أبا موسى فاصنعوا ما شئتم.اللّهم إنّى أبرء إليك من صنيعهم.

و قوله:و خذوا مهل الأيّام.

أمر لهم باغتنام مهل الأيّام عنهم و فسحتها عمّا ينبغى أن يعملوا فيها و يدبّروه فى أحوالهم على وفق الآراء الصالحه،و كذلك أمرهم بحياطه قواصى الإسلام و هى أطراف العراق و الحجاز و الجزيره و ما كان فى يده عليه السّلام من البلاد .ثمّ استثار طباعهم و جذبها إلى ذلك بتنبيههم على أنّ بلادهم تغزى و صفاتهم ترمى، كنايه و كنّى بصفاتهم عن حوزتهم الّتى استقرّوا عليها من بلاد الإسلام.و أصل الصفات الحجر الأسود الأملس لا ينفذ فيها السهم بل تكسره و تدفعه فأشبهتها الحوزه فى منعتها.

فيقال:لا ترمى صفاتهم و لا يقرع صفاتهم.و يكنّى بذلك عن منعتهم و قوّتهم فلذلك كنّى عن رمى صفاتهم بالطمع فيهم و قصد العدوّ لبلادهم و رميها بالكتائب .و باللّه التوفيق.

۲۳۹-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

يذكر فيها آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ- يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَ صَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ- لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَ لاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ- وَ هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلاَمِ وَ وَلاَئِجُ الاِعْتِصَامِ- بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ وَ انْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ- عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَ رِعَايَةٍ- لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَ رِوَايَةٍ- فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ رُعَاتَهُ قَلِيلٌ

ص:۳۳۲

اللغه

أقول: الولايج : جمع وليجه فعليه بمعنى مفعوله و هى الموضع يعتصم بدخوله.

و النصاب : الأصل.

المعنى

و ذكر لهم أوصافا.

مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبّب أحدها: عيش العلم :أى حياته.و قد جعل له حياه ملاحظه لشبهه بالحىّ فى وجوده و الانتفاع به ثمّ أطلق عليهم لفظ الحياه مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب .

استعاره-مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبّب الثانى:و كذلك كونهم موت الجهل .جعل للجهل موتا استعاره باعتبار عدمه بهم:و أطلق عليهم لفظه مجازا أيضا كالّذى قبله .

الثالث:كونهم يخبر حلمهم عن علمهم لعلمهم بمواقع الحلم،و فى ذلك إشاره إلى تلازم فضيلتى الحلم و العلم فيهم فهم لا يحلمون إلّا عن علم بمواقع الحلم.

الرابع:كونهم يخبر صمتهم عن حكم منطقهم إذا تكلّموا لأنّ من علم مواقع السكوت و ما ينبغى أن يسكت عنه يستلزم حكمه نفوسهم فى منطقهم إذا تكلّموا لأنّ من علم مواقع السكوت و ما ينبغى أن يسكت عنه علم مواقع المنطق و ما ينبغى أن لا يسكت عنه و لو لم يعلم ذلك لجاز أن يتكلّم بما لا ينبغى،و ذلك هو موضع السكوت فلا يكون عالما بمواضع السكوت و قد فرض كذلك.هذا خلف.

الخامس :كونهم لا يخالفون الحقّ:أى لعلمهم به و بطرقه و ذوقهم له فلا يتجاوزونه إلى رذيله الإفراط،و لا يقفون دونه فى مقام رذيله التفريط.

السادس:و كذلك لا يختلفون فيه لعلمهم بحقيقته.

استعاره السابع:كونهم دعائم الإسلام ،و استعار لهم لفظ الدعائم باعتبار حفظهم له بعلمهم و حراسته و قيامه فى الوجود بهم كما يحفظ البيت بالدعايم و يقوم بها.

الثامن:استعار لهم لفظ الولايج باعتبار كونهم مرجعا للخلق يعتصمون بعلمهم و هدايتهم و اتّباعهم من الجهل و لواحقه و عذاب اللّه فى الآخره كما يعتصم بالوليجه من دخلها .

التاسع:كونهم بهم عاد الحقّ إلى نصابه:أى بولايته عليه السّلام و خلافته عاد

الحقّ إلى أصله و انزاح الباطل عن مقامه،و هو إشاره إلى أنّ الأحكام كانت قبله فى أيّام عثمان جاريه على غير قانون شرعىّ لما نقل عنه من الأحداث و استيلاء بنى اميّه فى زمانه على بيت مال المسلمين و أكلهم له بغير حقّ كما سبق شرحه فعاد بولايته عليه السّلام كلّ حقّ إلى أهله و هو أصله و مستقرّه،و الحقّ إذا كان فى غير أهله فهو الباطل و مقامه غير أهله.و بولايته عليه السّلام انزاح الباطل عن مقامه، استعاره مرشحه و انقطع لسانه :أى اللسان الناصر للباطل و الناطق به.و استعار وصف الانقطاع له باعتبار سكوته ملاحظه لشبهه بالمنقطع فى عدم القول،و رشّح بقوله:من منبته تأكيدا لذلك الانقطاع.

العاشر :كونهم عقلوا الدين رعايه و وعايه لا عقل سماع و روايه،و ذلك أنّك علمت أن للإدراك ثلاث مراتب أدناها تصوّر الشىء بحسب اسمه،و أعلاها تصوّر الشىء بحسب حقيقته و كنهه،و أوسطها بعقله بحسب صفاته و لوازمه الخاصّه به و بها مع بعض أجزائه.فكان عقلهم للدين و علمهم به على أكمل المراتب و هو معنى الرعايه،و رعايتهم له بدراسته و تذكّره و الاحتياط عليه،و ليس علما به من جهه اسمه و سماع ألفاظه فقط.

و قوله:فإنّ رواه العلم كثير.إلى آخره.

أى ليس كلّ من روى العلم و سمعه كان عالما به و مراعيا له فإنّ ذلك أعمّ من العالم به و العامّ لا يستلزم الخاصّ،و نبّه بذلك على قلّه مثلهم فى رعايه العلم و استجماع الفضايل.و باللّه التوفيق.

۲۴۰-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

يحث أصحابه على الجهاد

وَ اللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ وَ مُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ- وَ مُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ- فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ وَ اطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ- لاَ تَجْتَمِعُ

عَزِيمَهٌ وَ وَلِيمَهٌ- مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ- وَ أَمْحَى الظَّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ

اللغه

أقول: المضمار : المدّه تضمر فيها الخيل.قيل:إنّها أربعون يوما ،و قد سبق بيانه.و التنازع : التحازب فى الخصومه .و المئازر : جمع مئزر .

المعنى

و الفصل فى غايه من الفصاحه و الجزاله،و الحثّ على الاستعداد ليوم المعاد.

و قوله: و اللّه مستأديكم شكره .

أى طالب منكم أداء شكره على نعمه،و ذلك فى أوامر القرآن كثير كقوله تعالى «وَ اشْكُرُوا لِلّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ» ، «وَ اشْكُرُوا لِي وَ لا تَكْفُرُونِ» و مورثكم أمره:أى سلطانه فى الأرض الّذى كان فيمن سلف من أهل طاعته من الامم السابقه كقوله تعالى «وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» (1)الآيه و قوله «وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ» (2)الآيه.

استعاره مرشحه و قوله: و ممهلكم.إلى قوله:سبقه .

استعار لفظ المضمار لمدّه الحياه الدنيا،و وجه المشابهه أنّ الناس يستعدّون فى مدّه حياتهم بالرياضات و المجاهدات فى سبيل اللّه و تحصيل الكمالات النفسانيّه لغايه السبق إلى حضره جلال اللّه كما تضمر الخيل لغايه السبق،و أشار إلى علّه ذلك الإمهال و هى تنازع السبق إليه تعالى و أراد به ما يعرض للسالكين فى حال إعدادهم لأنفسهم بالرياضات و جدّهم و تشميرهم فى طاعه اللّه من منافسه بعضهم لبعض فى التقدّم بالفضيله و سبقه بذلك و حرص كلّ امرء منهم على أن يكون هو الأكمل ليفوز بقصب السبق إلى حضره قدسه تعالى و المنافسه فى الفضايل.و الغبطه بها محموده لإدّائها بالغابط إلى كماله،و ذلك هو أقصى مطلوب الشارع من امّته، و يحتمل أن يريد بالسبق ما يسبق إليه من الفضيله أو الجنّه كما سبقت الإشاره

۱- ۱) ۵۴-۲۴.

۲- ۲) ۲۷-۳۳.

إلى مثل ذلك،و لفظ التنازع ترشيح لاستعاره المضمار و المسابقه لأنّ من شأن ذلك التنازع على السبق و المجاذبه على الفوز بالسبقه.و خلاصه المعنى أنّه تعالى أمهلكم فى الدنيا للاستعداد فيها و تجاذب السبق إليه .

كنايه و قوله: فشدّوا عقد المئازر .

كنايه عن الأمر بالتشمير و الاجتهاد فى طاعه اللّه و الاستعداد بها بعد أنّ بيّن أنّ ذلك الغايه من الإمهال فى الدنيا إذ كان من شأن من يهتمّ بالأمر و يتحرّك فيه أن يشدّ عقده مئزره كيلا يشغله عمّا هو بصدده.

و قوله: و اطووا فضول الخواصر .

كنايه عن الأمر بترك ما يفضل من متاع الدنيا على قدر الحاجه من ألوان الطعوم و الملابس و ساير قينات الدنيا.و أصله أنّ الخواصر و البطون لها احتمال أن يتّسع لما فوق قدر الحاجه من المأكول فذلك القدر المتّسع لما فوق الحاجه هو فضول الخواصر.و كنّى بطيّها عمّا ذكرناه.إذ كان من لوازم ذلك الطىّ ترك تلك الفضول.

و قوله : لا يجتمع عزيمه و وليمه .

أراد بالعزيمه العزيمه على اقتناء الفضائل و اكتسابها و العزيمه هى الإراده الجازمه للأمر بعد اختياره.و كنّى بالوليمه و هى طعام العرس و نحوه عن خفض العيش و الدعه لاستلزام الوليمه ذلك،و المعنى أنّ العزيمه على تحصيل المطالب الشريفه و كرايم الامور ينافى الدعه و خفض العيش و لا يحصل مع الهوينا لما يستلزمه تحصيل تلك المطالب و العزم عليها من المشاقّ و إتعاب النفس و كذا البدن بالرياضات و المجاهدات المنافيه للدعه و الراحه،و يقرب منه قوله تعالى «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ» (۱)ثمّ أكدّ ذلك بقوله:ما أنقض النوم لعزائم اليوم.

و أصله أنّ الإنسان يعزم فى النهار على المسير بالليل ليقرب المنزل فإذا جاء الليل نام إلى الصباح فانتقض بذلك عزمه فضربه مثلا لمن يعزم على تحصيل الامور

۱- ۱) ۸۴-۳.

الکبار و السعی فیها ثمّ یلزم الإناءه و الدعه،و مراده أنّکم مع هذه الدعه و حبّ الراحه من المتاعب و الجهاد لا یتمّ لکم ما تریدونه و تعزمون علیه من تحصیل السعاده فی دینا أو آخره،و کذلک قوله:و أمحی الظلم لتذاکیر الهمم.و أصله أنّ الرجل یبعثه همّته فی مطالبه علی المسیر باللیل فإذا جنّ الظلام أدرکه الکسل و غلبه حبّ النوم عن تذکار مطالبه،و صرفه عنها.فکان الظلام سببا ما لمحو ذلک التذکار من لوح الذکر.فضربه مثلا لمن یدعوه الداعی إلی أمر و یهتمّ به ثمّ یعرض له أدنی أمر فینصرف به عنه.و هو کالّذی قبله.و باللّه التوفیق.تمّت.

هذا آخر الخطب و الأوامر و یتلوه المختار من الکتب و الرسائل «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالی بعونه و عصمته و توفیقه و هدایته.

باب المختار من کتب مولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام

اشاره

إلی أعدائه و أمراء بلاده

و یدخل فی ذلک ما اختیر من عهوده إلی عماله،و وصایاه لأهله و أصحابه

١-من کتاب له علیه السّلام

اشاره

لأهل الکوفه،عند مسیره من المدینه إلی البصره

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟عَلِیٍّ أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ؟ إِلَی أَهْلِ؟الْکُوفَهِ؟- جَبْهَهِ الْأَنْصَارِ وَ سَنَامِ الْعَرَبِ- أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّی أُخْبِرُکُمْ عَنْ أَمْرِ؟عُثْمَانَ؟- حَتَّی یَکُونَ سَمْعُهُ کَعِیَانِهِ- إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَیْهِ- فَکُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِینَ أُکْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ- وَ أُقِلُّ عِتَابَهُ- وَ کَانَ

؟طَلْحَهُ؟ وَ؟الزُّبَيْرُ؟ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ- وَ أَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ- وَ كَانَ مِنْ ؟عَائِشَهَ؟ فِيهِ فَلْتَهُ غَضَبٍ- فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ- وَ بَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ- وَ لاَ مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ- وَ اعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَهِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَ قَلَعُوا بِهَا- وَ جَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ- وَ قَامَتِ الْفِتْنَهُ عَلَى الْقُطْبِ- فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ- وَ بَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ «إِنْ شاءَ اللَّهُ»

المعنى

أقول:كتب هذا الكتاب حين نزل بماء العذب متوجّها إلى البصره و بعثه مع الحسن عليه السّلام و عمّار بن ياسر-رحمه اللّه عليه- .و عيانه : رؤيته .و الوجيف:

ضرب من السير فيه سرعه و اضطراب .و العنف : ضدّ الرفق ،و الفلته: البغته من غير تروّ .و اتيح : قدّر .و قلع المنزل بأهله : إذا نبا بهم فلم يصلح لاستيطانهم ،و قلعوا به : إذا لم يستقرّوا فيه و لم يثبتوا .و جاشت القدر : غلت .و المرجل: القدر من نحاس .

و أعلم أنّه صدّر الفصل بمدحهم جذبا لهم إلى ما يريد هم له من نصرته على أهل البصره، استعاره و استعار لهم لفظ الجبهه باعتبار أنّهم بالنسبه إلى الأنصار كالجبهه بالنسبه إلى الوجه فى العزّه و الشرف و العلوّ،و كذلك استعار لفظ السنام باعتبار علوّهم و شرفهم فى العرب بالإسلام و القوّه فى الدين كشرف السنام و علوّه فى الجمل .و قال قطب الدين الراوندىّ:المراد بجبهه الأنصار جماعتهم،و سنام العرب نجدهم و من ارتفع منهم حقيقه فى الموضعين.و المعنى قريب ممّا قلناه إلّا أنّ اللفظين ليسا حقيقه لأنّ من علامات الحقيقه السبق إلى الفهم و لا واحد من المعنيين

المذكورين يسبق من هذين اللفظين إلى الفهم.ثمّ ثنّى بذكر الشبهه الّتى جعلها أصحاب الجمل و أهل الشام و من أراد الفساد فى الأرض حجّه له حتّى كانت مبدءا لكلّ فتنه نشأت فى الإسلام و هى شبهه قتل عثمان مع الجواب عنها،و هو قوله :

أمّا بعد.إلى قوله:عيانه.و أمر عثمان شأنه و حاله الّتى جرت له.

كنايه و قوله: حتّى يكون سمعه كعيانه .

كنايه عن تمام إيضاح ذلك الأمر لمن لم يشهده من أهل الكوفه .

و قوله:إنّ الناس طعنوا عليه.

إشاره إلى مبدء قتله و هو طعن الناس عليه بالأحداث الّتى نقموها منه.يقال:

طعن فيه بالقول و طعن عليه إذا ذكر له عيبا.و قد ذكرنا تلك المطاعن،و هذا القول كالمقدّمه للجواب عن نسبته إلى قتله،و كذلك قوله:فكنت رجلا-إلى قوله:عتابه.كصغرى قياس ضمير من الشكل الأوّل مبيّن فيه أنّه أبرء الناس من دم عثمان.و معنى قوله:اكثر استعتابه:أى اكثر طلب العتبى منه و الرجوع إلى ما يرضى به القوم منه،و اقلّ عتابه:أى ذكر ما أجده منه.قال الخليل:العتاب مخاطبه الإدلال و مذاكره الموجده.إنّما كان يقلّ عتابه لأنّه عليه السّلام كان يخاطبه فيما هو أهمّ من ذلك و هو إرضاؤه للقوم و استعتابه لهم ليدفعوا عنه و يطفئوا نار الفتنه، أو لأنّ حوله جماعه كمروان و غيره فكان عليه السّلام إذا عاتبه وصفا ما بينهما كدّرته تلك الجماعه.و قيل:أراد أنّى كنت اكثر طلب رضاه و اقلّ لائمته.و تقدير كبرى القياس:و كلّ من كان من المهاجرين بالصفه المذكوره معه فهو أبرء الناس من دمه و أقواهم عذرا فى البعد عن قتله.

و قوله:و كان طلحه و الزبير.إلى قوله:غضب.

كصغرى قياس ضمير أيضا من الاولى ألزم فيه القوم السائرين إلى حربه و هم طلحه و الزبير و عايشه غير ما نسبوه إليه من الدخول فى دم عثمان، كنايه و كنّى بقوله: أهون سيرهما فيه الوجيف.إلى قوله:العنيف .عن قوّه سعيهما فى قتله و شدّه تلبّسهما بذلك و قد ذكرنا طرفا من حال طلحه معه و جمعه للناس فى داره و

منعه من ذويه،و روى أنّ عثمان قال و هو محصور:و يلى على ابن الحضرميّه يعنى طلحه أعطيته كذا و كذا نهارا ذهبا و هو يروم دمى و يحرّض علىّ اللهمّ لا تمتّعه به و لقّه عواقب بغيه.و روى:أنّه لمّا امتنع على الّذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحه إلى دار بعض الأنصار و أصعدهم إلى سطحها و تسوّروا منها عليه.و روى:أنّ مروان قال يوم الجمل:و اللّه لا أترك ثارى من طلحه و أنا أراه و لأقتلنّه بعثمان.ثمّ رماه بسهم فقتله.و أمّا الزبير فروى أنّه كان يقول:

اقتلوه فقد بدّل دينكم فقالوا له:ابنك تحامى عنه بالباب.فقال:و اللّه ما أكره أن يقتل عثمان و لو بدى بابنى.و حالهما فى التحريض مشهور ،و أمّا عايشه فروى أنّها كانت تقول:اقتلوا نعثلا قتل اللّه نعثلا،و أمّا الغضب الّذى وقع منها فلته فى حقّه فالسبب الظاهر فيه هو اختصاصه بمال المسلمين قرابته و بنى أبيه و هو السبب العامّ فى قيام الناس عليه و نفرتهم منه،و سائر الأحداث مقوّيات لذلك،و روى أنّه صعد المنبر يوما و قد غصّ المسجد بأهله فمدّت يدها من وراء ستر فيها نعلان و قميص،و قالت:هذان نعلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قميصه بعد لم تبل،و قد بدّلت دينه و غيّرت سنّته،و أغلظت له فى القول فأغلظ لها.و كان ذلك القول منها من أشدّ ما حرّض الناس على قتله.و بالجمله فحال هؤلاء الثلاثه فى التحريض على قتله كان أشهر من أن يحتاج إلى ذكر،و تقدير كبرى القياس:و كلّ من كان كذلك كان أولى بالدخول فى دمه و أنسب إلى التحريض عليه.

و قوله.فاتيح له قوم فقتلوه.

يفهم منه نسبته لاجتماع الناس على قتله إلى التقدير الإلهى لينصرف أذهان السامعين بهذه النسبه الصادقه عن نسبه ذلك إليه عليه السّلام.و أفاد القطب الراوندى أنّه عليه السّلام إنّما بنى الفعل للمفعول و لم يقل:أتاح اللّه له أو أتاح الشيطان.

ليرضى بذلك الفريقان.

و قوله.و بايعنى.إلى قوله:مخيّرين.

صغرى قياس ضمير بيّن فيه خروج أصحاب الجمل عن طاعه اللّه و دخولهم فى

رذیله الغدر و نکث العهد المستلزم لدخولهم فی عموم قوله تعالی «وَ الَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِیثاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ» (۱)الآیه،و قوله «فَمَنْ نَکَثَ فَإِنَّما یَنْکُثُ عَلی نَفْسِهِ» (۲)الآیه.و تقدیر الکبری:

و کلّ من بایعه الناس طائعین مخیّرین فلا یجوز لهم أن ینکثوا بیعته و یحاربوه للآیتین المذکورتین.و فی نسخه الرضی-رحمه اللّه-مستکرهین بکسر الراء بمعنی کارهین یقال استکرهت الشیء أی کرهته.

و قوله :و اعلموا.إلی قوله:المرجل.

إعلام لأهل الکوفه باضطراب حال المدینه و أهلها حین علموا بمسیر القوم إلی البصره للفتنه و غرض ذلک الإعلام أن یهتمّوا همّه إخوانهم المؤمنین.و قیل:

یحتمل أن یرید بدار الهجره دار الإسلام و بلادها، کنایه و کنّی بقلعها بأهلها و قلعهم بها عن اضطراب امورهم بها و عدم استقرار قلوبهم من ثوران هذه الفتنه ، استعاره و استعار لفظ الجیش ملاحظه لشبهها بالقدر فی حال غلیانها فإنّ اضطراب الناس و حرکاتهم من هذه الفتنه یشبه ذلک،و کذلک نبّههم بذکر الفتنه و الحرب و قیامهما علی القطب لیستعدّوا لها و ینفروا إلیها.و لذلک أردفه بالأمر بسرعه المسیر إلی أمیرهم یعنی نفسه و أن یبادروا جهاد عدوّهم،و ذکر لفظ القطب و قیامها علیه تنبیها به علی المقصود.و علمت أنّ وجه استعاره الرحی للحرب هو مشابهتها فی دورانها علی من تدور علیه کما یشتمل دوران الرحی علی الحبّ و تطحنه .و باللّه التوفیق.

۲-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلیهم،بعد فتح البصره

وَ جَزَاکُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَیْتِ نَبِیِّکُمْ- أَحْسَنَ مَا یَجْزِی الْعَامِلِینَ بِطَاعَتِهِ- وَ الشَّاکِرِینَ لِنِعْمَتِهِ- فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ وَ دُعِیتُمْ فَأَجَبْتُمْ

ص:۳۴۱

۱- ۱) ۲۵-۲.

۲- ۲) ۱۰-۴۸.

المعنی

أقول،يشبه أن يكون الخطاب لأهل الكوفه.و-من-هنا لبيان الجنس من الضمير المنصوب فی جزاكم.و قد دعا اللّه لهم أن يجزيهم بنصره أهل بيت نبيّه أحسن الجزاء،و شكرهم لنعمته من جهه علمهم بطاعته.

و قوله:فقد سمعتم.

أی أمر اللّه،و أطعتموه.و دعيتم إلی نصره دينه فأجبتم داعيه.و إنّما حذف المفعولات هنا لأنّ الغرض ذكر الأفعال دون نسبتها إلی مفعولاتها،أو للعلم بها.

۳-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

كتبه لشريح بن الحارث قاضيه

روی أن شريح بن الحارث قاضی أمير المؤمنين عليه السلام اشتری علی عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه ذلك،فاستدعاه و قال له:بلغنی انك ابتعت دارا بثمانين دينارا و كتبت كتابا و أشهدت[فيه]شهودا،فقال شريح:قد كان ذلك يا أمير المؤمنين،قال:فنظر إليه نظر مغضب ثم قال له:

يَا؟شُرَيْحُ؟ أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِی كِتَابِكَ- وَ لاَ يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ- حَتَّی يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً وَ يُسْلِمَكَ إِلَی قَبْرِكَ خَالِصاً- فَانْظُرْ يَا؟شُرَيْحُ؟ لاَ تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ- أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ- فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَ دَارَ الْآخِرَهِ-.أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِی عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ- لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَی هَذِهِ النُّسْخَهِ- فَلَمْ تَرْغَبْ فِی شِرَاءِ

هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ- وَ النُّسْخَهُ هَذِهِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أَزْعِجَ لِلرَّحِيلِ- اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ- مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ وَ خِطَّهِ الْهَالِكِينَ- وَ تَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَهٌ- الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْآفَاتِ- وَ الْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ- وَ الْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي- وَ الْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي- وَ فِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ- اشْتَرَى هَذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ- هَذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَهِ- وَ الدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَ الضَّرَاعَهِ- فَمَا أَدْرَکَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَکٍ- فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ وَ سَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَهِ- وَ مُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَهِ- مِثْلِ؟كِسْرَى؟ وَ؟قَيْصَرَ؟ وَ؟تُبَّعٍ؟ وَ؟حِمْيَرَ؟- وَ مَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ- وَ مَنْ بَنَى وَ شَيَّدَ وَ زَخْرَفَ وَ نَجَّدَ- وَ ادَّخَرَ وَ اعْتَقَدَ وَ نَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ- إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَ الْحِسَابِ- وَ مَوْضِعِ الثَّوَابِ وَ الْعِقَابِ- إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ «وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ» - شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى- وَ سَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا

أقول:هو شريح بن الحرث الكندىّ استقضاه عمر على الكوفه و لم يزل بها بعد ذلك قاضيا خمسا و سبعين سنه لم يتعطّل فيها إلاّ سنتين،و قيل:أربع سنين استعفى الحجّاج فيها من القضاء فى فتنه ابن الزبير فأعفاه.

اللغه

و البيّنه : الحجّه .و شخص من البلده : رحل عنها .و الخطّه بالكسر : الأرض يخطّها الرجل و يعلمها بخطّه ليبنى بها دارا.و منه خطط الكوفه و البصره :و المردى : المهلك .و الضراعه : مصدر قولك:ضرع ضراعه أى ذلّ و خضع .و الدرك : التبعه .و أصل البلبله . الاضطراب و الاختلاط و إفساد الشىء بحيث يخرج عن حدّ الانتفاع .و كسرى : لقب ملك الفرس كاسم الجنس لكلّ ملك منهم.و كذلك قيصر:لملك الروم .و تبّع : ملوك اليمن .و حمير : أبو قبيله من اليمن و هو حمير بن سبا بن يشحب بن يعرب بن قحطان .و شيّد : رفع البناء .و زخرف : زيّن البناء بالزخرف .و نجّد : زيّن أرضه، و التنجيد:التزيين بالفرش و البسط و نحوها .و اعتقد المال و الضيعه : أنشاها .

المعنى

اشاره

و غرض الفصل التنفير عن متاع الدنيا و عن الركون إلى فضولها.و بدء قبل توبيخه باستثبات الأمر منه بقوله: بلغنى .إلى قوله: شهودا .و-كان-فى قول شريح:

قد كان.تامّه .

ثمّ أخذ فى تنفيره عن محبّه هذه الدار و اقتنائها بتذكيره الموت و وعده بإتيانه و أنّه يخرجه منها و يشخصه فيسلّمه إلى قبره خالصا مجرّدا من تلك الدار و عن كلّ قينه اقتناها من الدنيا .ثمّ خوّفه من دخيله ثمنها و أن يكون فيه شائبه حرام و ارتشاء على الأحكام بما يستلزمه ذلك من خسران الدنيا بالموت و خسران الآخره و نعيمها باعتبار ما لزمه من الآثام بأكل الحرام.و ابتعته و اشتريته بمعنى، و روى أما مخفّفه.

فإن قلت:فكيف قال:فما فوقه؟و معلوم أنّه إذا لم يرغب فيها بدرهم فبالأولى أن لا يرغب فيها بما فوقه.

قلت:لمّا كان الدرهم هنا أقلّ ما يحسن التملّك به فى القلّه و كان الغرض أنّك لو أتيتنى عند شرائك هذه الدار لما شريتها بشىء أصلا لم يحسن أن يذكر

وراء الدرهم ما فوقه.و نحوه قول المتنبّى:

و من جسدى لم يترك السقم شعره فما فوقها إلاّ و فيها له فعل

و كان قياسه أن يقول:فما دونها.

و اعلم أنّ فى النسخه نكتا :

إحداها:

خصّ المشترى بصفه العبوديّه و الذلّه كسرا لما عساه يعرض لنفسه من العجب و الفخر بشراء هذه الدار.

الثانيه:

أطلق لفظ الميّت على من سيموت يعنى البايع مجازا إطلاقا لما بالفعل على ما بالقوّه،و تنزيلا للمقتضى منزله الواقع لغرض التحذير من الموت استعاره مرشحه و إزعاجه للرحيل إلى الآخره إمّا ترشيح الاستعاره أو إشاره إلى إيقاظه و تنبيهه بالأعراض و الأمراض و كلّ مذكّر له من العبر .و فى بعض النسخ من عبد قد ازعج.

الثالثه:

كنايه كنّى بدار الغرور عن الدنيا باعتبار غرور الخلق بها و غفلتهم بما فيها عمّا وراها.

و قوله:من جانب الفانين.

أخصّ من دار الغرور،و كذلك خطّه الهالكين أخصّ من جانب الفانين على ما جرت العاده به فى كتب البيع من الابتداء بالأعمّ و الانتهاء فى تخصيص المبيع إلى امور تعيّنه و إن لم يكن هنا غرض فى ذكر التخصيص فى ذكر الفانين و الهالكين إلاّ التذكير بحالهم،و أنّ هذه الدار من جانب كانوا يسكنونه و خطّه كانت لهم .

الرابعه:

كنايه أشار إلى حدودها الأربعه و جعلها كنايات عمّا يلزمها من الامور المنفّره عنها و ينتهى إليه منها.فجعل الحدّ الأوّل ينتهى إلى دواعى الآفات و أشار بها إلى أنّ تلك الدار لمّا كانت يلزمها كمالات لا بدّ منها و علاقات كالمرأه و الخادم و الدابّه و ما يلزم اولئك و يكون بسببهم من الأولاد و الأتباع و القينات و ساير فضول الدنيا الّتى يعدّ بعضها للحاجه إلى بعض حتّى يكون أغنى الناس فيها أكثرهم حاجه و فقرا و كان كلّ واحد من هذه الامور فى معرض الآفات كالأمراض و

الموت كانت تلك الامور هى دواعى الآفات الّتى تقود إليها و تستلزمها،و هى ممّا ينتهى إليه الدار و تستلزمه.و إنّما جعله حدّا أوّل لأنّها أوّل اللوازم الّتى تحتاج إليها الدار و تعود إليها.

و الحدّ الثانى:ما ينتهى إليه و يلزمها من دواعى المصيبات.و أشار بها إلى الامور الأولى الّتى تحتاج الدار إليها و تستلزمها لكن باعتبار كونها مستلزمه بما يعرض لها من الآفات لما يلحق بسبب ذلك من المصيبات فإنّ كلّ واحد منها لمّا كان فى معرض الآفه كان المقتنى له فى معرض نزول المصيبات به و كان داعيا له و قائدا إليها،و لاستلزام دواعى الآفات لدواعى المصيبات أردفها بها و جعلها حدّا ثانيا،و يحتمل أن يكون تسميتها فى الموضعين دواعى باعتبار أنّ شهواتها تدعو إلى فعلها و إيجادها و ذلك الإيجاد يلزمه الآفات و المصيبات.

و الحدّ الثالث:ما ينتهى إليه و يلزمها الهوى المردى و اتّباعه.إذ كان اقتناء الدار فى الدنيا مستلزما لمحبّتها و محبّه كمالاتها و متابعه الميول الشهويّه بغير هدى من اللّه و هو المراد بالهوى،و ظاهر كونه مرديا فى حضيض جهنّم و مهلكا فيها.و جعل الهوى هو الحدّ الثالث لكون تلك الدار و كمالاتها و ما تدعو إليه كلّها امورا مستلزمه للهوى و الميول الطبيعيّه المهلكه الّتى لا تزال يتأكّد بعضها بالبعض و يدعو بعضها إلى البعض.

و الحدّ الرابع:ما ينتهى به إلى الشيطان المغوى.و إنّما جعله هو الحدّ الأخير لأنه الحدّ الأبعد الّذى ينتهى إليه تلك الحدود و الدواعى،و هو بعد الحدّ الثالث.إذ كان الشيطان من جهه الغوايه مبدءا لميل النفس إلى الدنيا و لبعثها على متابعه هواها و إغواوه يعود إلى إلقائه إلى النفس أنّ الأصلح لها كذا ممّا هو جاذب عن سبيل اللّه،و أشار بقوله:و منه شروع باب هذه الدار.إلى كونه مبدءا بإغوائه الدواعى الباعثه له المستلزمه للدخول فى شرائها و اقتنائها و اقتناء ما يستلزمه و يدعو إليه و الدخول فى متاع الدنيا و باطلها.فالشيطان كالحدّ و ما صدر عنه و أنفتح بسببه من الدخول فى أمر الدار و شرائها كالباب.فانظر إلى ما اشتمل عليه

ص:۳۴۶

هذا الترتيب فى كلامه عليه السّلام من الحكمه الّتى بها يتميّز عن كلام من سواه و هو فى غايه التنفير عن الدنيا و سدّ أبواب طلبها و الجذب إلى اللّه تعالى و الإرشاد إلى لزوم الزهد الحقيقىّ .

الخامسه:

وصف المشترى بالمغترّ بالأمل باعتبار أنّ نظره إلى أمله فى الدنيا هو الّذى استلزم غفلته عن الآخره و ما خلق لأجله و كان ذلك الاغترار سببا لشرائه لتلك الدار.و جعل الثمن هو الخروج عن عزّ القناعه و الدخول فى ذلّ الطلب و الضراعه باعتبار استلزام شرائه لذلك كما يستلزمه الثمن،و وجه استلزامه لما ذكر أنّ تلك الدار كانت بالنسبه إلى حال شريح فضله زائده على قدر الحاجه.و كلّ فضل اقتناه الإنسان زياده على قدر ضرورته فقد خرج به عن حدّ القناعه إذ القناعه هى الرضا و الاقتصار على مقدار الحاجه من المال و ما يحتاج إليه،و علمت أنّ القناعه مستلزمه لقلّه الاحتياج إلى الخلق و الغنى عنهم و بحسب الغنى و أقليّه الحاجه يكون عزّ القناعه و الخارج عن القناعه خارج عن عزّها و داخل فى ذلّ الطلب و الضراعه للخلق لأنّه باعتبار ما هو خارج عن القناعه يكون كثير الحاجه إلى الخلق و باعتبار ذلك يكون داخلا فى الذلّ و الضراعه إليهم.و غايه ذلك التنفير عن اقتناء فضول الدنيا بما يستلزمه من ذلّ الحاجه إلى الخلق.

السادسه:

علّق الدرك و التبعه اللازمه فى هذا البيع بملك الموت قطعا لأمل الدرك و تذكيرا بالموت لغايه الأمل له و الاقتصار على قدر الحاجه من متاع الدنيا ، كنايه و كنّى عنه بمبلبل أجسام الملوك و سالب نفوس الجبابره و مزيل ملك الفراعنه لسلبه لنفوسهم ،و فى تخصيص مثل هؤلاء الملوك بأخذ الموت لهم فى معرض تعليق الدرك به تنبيه لهذا المشترى على وجوب تقصير الأمل بمثل هذه الدار و نحوه من الآمال المتعلّقه بالمطالب المنقطعه بالموت فإنّه إذا كان قد قطع آمال مثل هؤلاء و لم يدركوا معه تبعه فبالأولى أنت أيّها القاضى.

السابعه:

قوله: و نظر بزعمه للولد :أى نظر فى جمع المال لولده و رآه مصلحه له بظنّه و زعمه.و الباء للسببيّه.إذ كان ظنّ وجود الرأى الأصلح سببا له .

الثامنه:

ذكر إشخاصهم و منتهاه و هو موقف العرض و الحساب و موضع الثواب و العقاب ترهيبا من تلك الامور و المقامات و ترغيبا فى العمل للآخره و الأمن من شرورها.

التاسعه:

قوله: إذا وقع الأمر بفصل القضاء :أى إذا وقع أمر اللّه فى محفل القيامه بفصل القضاء و قطع الحكم بين أهل الحقّ و الباطل منهم و ربح المحقور «وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ» .و هذا الختام مقتبس من القرآن الكريم .

العاشره:

قوله: فى الشهاده على ذلك العقل .إلى آخره.فى غايه الشرف، و ذلك أنّ الشاهد بما ذكره فى هذا الكتاب من أوصاف المتبايعين و حدود المبيع و من يلحقه دركه و غير ذلك ممّا عدّده ليس إلّا صرف العقل المبرّء عن خطر الوسواس،المطلق من أسر الهوى،السالم من محبّه الدنيا و ما يتعلّق به منها.إذ كان بتجرّده من هذه العلايق صافيا من كدر الباطل فيرى الحقّ كما هو أهله و يحكم به فأمّا إذا كان أسيرا فى يد الهوى مقهورا تحت سلطان النفس الأمّاره لم يكن نظره إلى الحقّ بعين صحيحه بل بعين غشت ظلمات الباطل أنوارها فلذلك لم يشهد بمحض الحقّ إذ لم يره من حيث هو حقّ خالص بل شهد بالباطل فى صوره الحقّ كشهادته بالمصلحه فى اقتناء الدنيا نظرا لعاقبه الولد أو خوف الفقر و نحوه ممّا يباح لأجله الطلب فى ظاهر الشرع و لو إلى الحقّ بعين الصدق لعلم أنّ الجمع للولد ليس تكليفا له لأنّ رازق الولد هو خالقه،و أنّ الجمع لخوف الفقر تعجيل فقر و اشتغال عن الواجب عليه بغيره.و باللّه التوفيق.

۴-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى بعض أمراء جيشه

:فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَهِ فَذَاكَ الَّذِى نُحِبُّ- وَ إِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ

ص:۳۴۸

إِلَى الشِّقَاقِ وَ الْعِصْيَانِ- فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَکَ إِلَى مَنْ عَصَاکَ- وَ اسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَکَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْکَ- فَإِنَّ الْمُتَکَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ- وَ قُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ أقول:روى أنّ الأمير الّذى كتب إليه هو عثمان بن حنيف عامله على البصره،و ذلك حين انتهت أصحاب الجمل إليها و عزموا على الحرب فكتب عثمان إليه يخبره بحالهم فكتب عليه السّلام إليه كتابا فيه الفصل المذكور.

اللغه

و قوله: انهد : أى انهض .و التقاعس : التأخّر و القعود .

المعنى

استعاره و استعار لفظ الظلّ لما يستلزمه الطاعه من السلامه و الراحه عن حراره الحرب و متاعبها الّتى هى ثمرات الشقاق كما يستلزم الظلّ الراحه من حرّ الشمس .

و قوله: و إن توافت الامور بالقوم[بهم الامور خ].

أى تتابعت بهم المقادير و أسباب الشقاق و العصيان إليهما.

و اعلم أنّه لمّا كان مقصوده عليه السّلام ليس إلّا اجتماع الخلق على طاعته ليسلك بهم سبل الحقّ كما هو مقصود الشارع صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نبّه على ذلك بقوله: فإن عادوا .

إلى قوله: نحبّ .

و قوله: فذاك .يعود إلى المصدر الّذى دلّ عليه عادوا،و يفهم قوله:فذاك الّذى نحبّ.حصر محبوبه فى عودهم:أى لا نحبّ إلّا ذلك،و لذلك أمره بمحاربه العصاه و الاستعانه بمن أطاعه عليهم على تقدير مشاقّتهم و عصيانهم ،و علّل تعيين النهوض بالمطيعين دون المتكارهين،و بالمنقادين دون المتقاعسين بأنّ المتكاره فى ذلك مغيبه خير من مشهده و قعوده أغنى من نهوضه و ذلك لما يقع بسبب المتكاره من تخاذل الناس عند رؤيته كذلك و اقتدائهم بحاله حتّى ربّما لا يكتفى بعدم منفعته بل بذكر المفاسد فى الحرب و ما يستلزمه من هلاک المسلمين،و كون ذلك منه و نحوه كما

وقف بسببه کثیر من الصحابه و التابعین عن وقایع الجمل و صفّین و النهروان فیکون فی حضوره عدم المنفعه و مفسده هی تخاذل الناس بسببه بخلاف مغیبه.إذ لیس فیه إلاّ عدم الانتفاع به،و روی:خیر من شهوده.و کلاهما مصدر.و باللّه التوفیق.

۵-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی الأشعث بن قیس،و هو عامل أذربیجان

وَ إِنَّ عَمَلَکَ لَیْسَ لَکَ بِطُعْمَهٍ وَ لَکِنَّهُ فِی عُنُقِکَ أَمَانَهٌ- وَ أَنْتَ مُسْتَرْعًی لِمَنْ فَوْقَکَ- لَیْسَ لَکَ أَنْ تَفْتَاتَ فِی رَعِیَّهٍ- وَ لاَ تُخَاطِرَ إِلاَّ بِوَثِیقَهٍ- وَ فِی یَدَیْکَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ أَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّی تُسَلِّمَهُ إِلَیَّ- وَ لَعَلِّی أَلاَّ أَکُونَ شَرَّ وُلاَتِکَ لَکَ وَ السَّلاَمُ أقول:و روی عن الشعبیّ:أنّ علیّا علیه السّلام لمّا قدم الکوفه و کان الأشعث بن قیس علی ثغر آذربیجان من قبل عثمان بن عفّان فکتب إلیه بالتبعه و طالبه بمال آذربیجان مع زیاد بن مرحب الهمدانیّ.و صوره الکتاب:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» من عبد اللّه علیّ أمیر المؤمنین إلی الأشعث بن قیس.

أمّا بعد فلو لا هنات کنّ منک کنت المقدّم فی هذا الأمر قبل الناس و لعلّ آخر أمرک یحمد أوّله و بعضه بعضا إن أتّقیت اللّه.إنّه قد کان من بیعه الناس إیّای ما قد بلغک و کان طلحه و الزبیر أوّل من بایعنی ثمّ نقضا بیعتی عن غیر حدث و أخرجا عایشه فساروا بها إلی البصره فصرت إلیهم فی المهاجرین و الأنصار فالتقینا فدعوتهم إلی أن یرجعوا إلی ما خرجوا منه فأبوا فأبلغت فی الدعاء و أحسنت فی البقیّه و.

اعلم أنّ عملک.إلی آخر الفصل.و کتب عبد اللّه بن أبی رافع فی شعبان سنه ستّ و ثلاثین.

اللغه

و المسترعی : من جعله راعیا .و الطعمه : المأکله .و الرعیّه : المرعیّه-فعیله بمعنی مفعوله- .و أفتأت تفتّأت-بالهمزه- : إذا استبدّ بالأمر .و المخاطره التقدّم فی الامور العظام و الإشراف فیها علی الهلاک .و الوثیقه . ما یوثق به فی الدین .

المعنی

و قوله: و إنّ عملک .إلی قوله: بوثیقه .

إشاره إلی قیاس ضمیر من الشکل الأوّل بیّن فیه أنّه لیس له أن یستبدّ فی رعیّته بأمر من الامور دون من استرعاه و لا أن یخاطر فی شیء من امور ولایته من مال و غیره إلاّ بوثیقه ممّن ائتمنه علی البلاد و استرعاه للعباد.و دلّ علی الصغری بقوله:و إنّ عملک.إلی قوله:لمن فوقک،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان کذلک فلیس له أن یستبدّ بأمر دون من ائتمنه و استرعاه و لا یخاطر إلاّ بوثیقه تخلصه و یثق بها .ثمّ بیّن له بعض ما لا یجوز له الاستبداد به و المخاطره فیه و هو مال تلک البلاد،و نبّه علی وجوب حفظه بأمرین:

أحدهما:أنّه مال اللّه الّذی أفائه علی عباده المؤمنین.

و الثانی:أنّه من خزّانه علیه إلی غایه أن یحمله إلیه.و من شأن الخازن الحفظ و عدم التصرّف فیما یخزنه إلاّ بإذن و أمر وثیق یلقی به ربّه.و قد کان الأشعث متخوّفا من علیّ علیه السّلام حین ولی الأمر،و جازما بأنّه لا یبقی العمل فی یده لهنات سبقت منه فی الدین و فی حقّه علیه السّلام قد أشرنا إلی بعضها فیما سبق فی قوله:

و ما یدریک ما علیّ ممّا لی.ثمّ أراد علیه السّلام تسکینه فقال.و لعلّی لا أکون شرّ ولاتک لک:أی شرّ من ولی علیک.و أتی بلفظ الترجّی لیقیمه بین طوری الخوف و الرجاء،و إنّما یکون شرّ ولاته علیه لو خالف الدین و الأشعث یعلم ذلک منه فکان ذلک جاذبا له إلی لزوم الدین،و روی أنّه لمّا أتاه کتاب علیّ علیه السّلام دعا بثقاته و قال لهم:إنّ علیّ بن أبی طالب قد أوحشنی و هو آخذی بمال آذربیجان علی کلّ حال و أنا لا حق بمعاویه.فقال له أصحابه:الموت خیر لک من ذلک تدع

ص:۳۵۱

مصرک و جماعه قومک و تکون ذنبا لأهل الشام.فاستحیا من ذلک.و بلغ قوله أهل الکوفه فکتب إلیه علیه السّلام کتابا یوبّخه فیه و یأمره بالقدوم علیه.و بعث به حجر بن عدیّ الکندیّ فلامه حجر علی ذلک و ناشده اللّه و قال له:أتدع قومک و أهل مصرک و أمیر المؤمنین و یلحق بأهل الشام؟و لم یزل به حتّی أقدمه إلی الکوفه فعرض علی علیّ علیه السّلام أثقله فوجد فیها مائه ألف درهم و روی أربع مائه ألف فأخذها.

و کان ذلک بالنخیله.فاستشفع الأشعث بالحسن و الحسین علیهما السّلام و بعبد اللّه بن جعفر فأطلق له منها ثلاثین ألفا فقال:لا یکفینی.فقال:لست بزایدک درهما واحدا،و أیم اللّه لو ترکتها لکان خیرا ممّا لک،و ما أظنّها تحلّ لک،و لو تیقّنت ذلک لما بلغتها من عندی.

فقال الأشعث:خذ من خدعک ما أعطاک.و باللّه التوفیق.

۶-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی معاویه

إِنَّهُ بَایَعَنِی الْقَوْمُ الَّذِینَ بَایَعُوا؟أَبَا بَکْرٍ؟ وَ؟عُمَرَ؟ وَ؟عُثْمَانَ؟- عَلَی مَا بَایَعُوهُمْ عَلَیْهِ- فَلَمْ یَکُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ یَخْتَارَ- وَ لاَ لِلْغَائِبِ أَنْ یَرُدَّ- وَ إِنَّمَا الشُّورَی لِلْمُهَاجِرِینَ وَ الْأَنْصَارِ- فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَی رَجُلٍ وَ سَمَّوْهُ إِمَاماً کَانَ ذَلِکَ لِلَّهِ رِضًا- فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ- بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَهٍ رَدُّوهُ إِلَی مَا خَرَجَ مِنْهُ- فَإِنْ أَبَی قَاتَلُوهُ عَلَی اتِّبَاعِهِ غَیْرَ سَبِیلِ الْمُؤْمِنِینَ- وَ وَلاَّهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّی- وَ لَعَمْرِی یَا؟مُعَاوِیَهُ؟ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِکَ دُونَ هَوَاکَ- لَتَجِدَنِّی أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ؟عُثْمَانَ؟- وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنِّی کُنْتُ فِی عُزْلَهٍ عَنْهُ- إِلاَّ أَنْ تَتَجَنَّی فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَکَ وَ السَّلاَمُ

ص:۳۵۲

أقول:هذا الفصل من كتاب كتبه إلى معاويه مع جرير بن عبد اللّه البجليّ حين نزعه من همدان.و صدره:أمّا بعد فإنّ بيعتى يا معاويه لزمتك و أنت بالشام لأنّه بايعنى القوم.ثمّ يتلو إلى قوله:و ولاّه اللّه ما تولّى.و يتّصل بها أن قال:و أنّ طلحه و الزبير بايعانى ثمّ نقضا بيعتى و كان نقضهما كردّتهما فجاهدتهما على ذلك حتّى جاء الحقّ و ظهر أمر اللّه و هم كارهون.فادخل يا معاويه فيما دخل فيه المسلمون فإنّ أحبّ الامور إلىّ فيك العافيه إلاّ أن تتعرّض للبلاء.

فإن تعرّضت له قاتلتك و استعنت اللّه عليك:و قد أكثرت فى قتل عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إنّى أحملك و إيّاهم على كتاب اللّه،و أمّا هاتيك الّتى تريدها فمن خدعه الصبىّ عن اللبن.ثمّ يتّصل به قوله:و لعمرى.إلى قوله:ما بدا لك.ثمّ يتّصل به:و اعلم أنّك من الطلقاء الّذين لا تحلّ لهم الخلافه و لا تعرض فيهم الشورى.و قد أرسلت إليك و إلى من قبلك جرير بن عبد اللّه و هو من أهل الايمان و الهجره فبايع و «لا قُوَّهَ إِلاّ بِاللّهِ» .

اللغه

العزله : الاسم من الاعتزال .و التجنّى أن يدّعى عليك ذنب لم تفعله .

المعنى

فقوله:أمّا بعد.إلى قوله:الشام.

صوره الدعوى.

و قوله :إنّه بايعنى.إلى قوله:عليه.

صوره صغرى قياس ضمير من الشكل الأوّل يستنتج منه ملزوم تلك الدعوى لغايه صدقها بصدق ملزومها،و تقدير الكبرى:و كلّ من بايعه هؤلاء القوم فليس لمن شهد بيعتهم أن يختار غير من بايعوه و لا للغائب عنها أن يردّها ينتج أنّه ليس لأحد ممّن حضر أو غاب أن يردّ بيعتهم له،و ذلک يستلزم كونها لازمه لمن حضر أو غاب و هذه النتيجه هى قوله:فلم يكن.إلى قوله:يردّ.

و قوله :و إنّما.إلى قوله:تولّى.

تقرير لكبرى القياس و حصر للشورى و الإجماع فى المهاجرين و الأنصار لأنّهم أهل الحلّ و العقد من امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإذا اتّفقت كلمتهم على حكم من

ص:۳۵۳

الأحكام كاجتماعهم على بيعته و تسميته إماما كان ذلك إجماعا حقّا هو رضى اللّه:

أى مرضىّ له،و سبيل المؤمنين الّذى يجب اتّباعه.فإن خالف أمرهم و خرج عنه بطعن فيهم أو فيمن أجمعوا عليه كخلاف معاويه و طعنه فيه عليه السّلام بقتل عثمان و نحوه،أو ببدعه كخلاف أصحاب الجمل و بدعتهم فى نكث بيعته ردّوه إلى ما خرج عنه فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين حتّى يرجع إليه و ولّاه اللّه ما تولّى و أصلاه جهنّم و ساءت مصيرا .ثمّ أقسم أنّه على تقدير نظره بعقله دون هواه يجده أبرء النّاس من دم عثمان و أنّه كان حين قتله فى عزله عنه.و الملازمه واضحه فإنّ القتل إمّا بفعل أو بقول و لم ينقل عن علىّ عليه السّلام فى أمر عثمان إلّا أنّه لزم بيته و انعزل عنه بعد أن دافع عنه طويلا بيده و لسانه فلم يمكن الدفع.

و قوله:إلّا أن تتجنّى.إلى آخره.

استثناء منقطع:أى إلّا أن يدّعى علىّ ذنبا لم أفعله فادّع ما بدا لك:أى ما ظهر فى خيالك من الذنوب و الجنايات فإنّ ذلك باب مفتوح لكلّ امّه[أحد خ] و محلّ-ما-النصب بالمفعوليّه و إنّما احتجّ عليهم بالإجماع و الاختيار هنا على حسب اعتقاد القوم أنّه المعتبر فى نصب الإمام.إذ لم يكن عندهم أنّه منصوص عليه.و لو ادّعى ذلك لم يسلّم له.و باللّه التوفيق.

۷-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إليه أيضا

:أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِی مِنْکَ مَوْعِظَهٌ مُوَصَّلَهٌ وَ رِسَالَهٌ مُحَبَّرَهٌ- نَمَّقْتَهَا بِضَلاَلِکَ وَ أَمْضَیْتَهَا بِسُوءِ رَأْیِکَ- وَ کِتَابُ امْرِئٍ لَیْسَ لَهُ بَصَرٌ یَهْدِیهِ- وَ لاَ قَائِدٌ یُرْشِدُهُ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَی فَأَجَابَهُ- وَ قَادَهُ الضَّلاَلُ فَاتَّبَعَهُ- فَهَجَرَ لاَغِطاً وَ ضَلَّ خَابِطاً وَ مِنْ هَذَا الْکِتَابِ لِأَنَّهَا بَیْعَهٌ وَاحِدَهٌ لاَ یُثَنَّی فِیهَا النَّظَرُ- وَ لاَ یُسْتَأْنَفُ فِیهَا

الْخِيَارُ- الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ وَ الْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ أقول:هذا جواب كتاب كتبه إليه معاويه.و صورته:من معاويه بن أبى سفيان إلى علىّ بن أبى طالب أمّا بعد فلو كنت على ما كان عليه أبو بكر و عمر إذن ما قاتلتك و لا استحللت لك ذلك و لكنّه إنّما أفسد عليك بيعتى خطيئتك[خطبتك-خ-]فى عثمان بن عفّان.و إنّما كان أهل الحجاز الحكّام على الناس حين كان الحقّ فيهم فلمّا تركوه صار أهل الشام الحكّام على أهل الحجار و غيرهم من الناس.و لعمرى ما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصره و لا حجّتك علىّ كحجّتك على طلحه و الزبير لأنّ أهل البصره قد كانوا بايعوك و لم يبايعك أهل الشام و إنّ طلحه و الزبير بايعاك و لم ابايعك.و أمّا فضلك فى الإسلام و قرابتك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و موضعك من هاشم فلست أدفعه.و السلام.

فكتب عليه السّلام جوابه من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى معاويه بن صخر أمّا بعد فإنّه أتانى كتابك كتاب امرىء.إلى قوله:خابطا.ثمّ يتّصل به أن قال:زعمت أنّه إنّما أفسد علىّ بيعتك خطيئتى فى عثمان،و لعمرى ما كنت إلاّ رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا و صدرت كما صدروا و ما كان اللّه ليجمعهم على ضلال و لا يضربهم بعمى.و أمّا ما زعمت أنّ أهل الشام الحكّام على أهل الحجاز فهات رجلين من قريش الشام يقبلان فى الشورى أن تحلّ لهما الخلافه فإن زعمت ذلك كذّبك المهاجرون و الأنصار.و إلاّ فأنا آتيك بهما من قريش الحجاز.و أمّا ما ميّزت بين أهل الشام و أهل البصره و بينك و بين طلحه و الزبير فلعمرى ما الأمر فى ذلك إلاّ واحد.ثمّ يتّصل به قوله:لأنّها بيعه عامّه.إلى آخره.ثمّ يتّصل به:و أمّا فضلى فى الإسلام و قرابتى من الرسول و شرفى فى بنى هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت.و السلام.

و أمّا قوله،أمّا بعد فقد أتتنى.إلى قوله:بسوء رأيك.

فهو صدر كتاب آخر أجاب به معاويه عن كتاب كتبه إليه بعد الكتاب الّذى ذكرناه.و ذلك أنّه لمّا وصل إليه هذا الكتاب من علىّ عليه السّلام كتب إليه

ص:۳۵۵

كتابا يعظه فيه.و صورته:أمّا بعد فاتّق اللّه يا علىّ ودع الحسد فإنّه طالما لم ينتفع به أهله،و لا تفسد سابقه قديمك بشره من حديثك فإنّ الأعمال بخواتيمها،و لا تلحدنّ بباطل فى حقّ من لا حقّ لك فى حقّه فإنّك إن تفعل ذلك لا تضلل إلاّ نفسك و لا تمحق إلاّ عملك،و لعمرى إنّ ما مضى لك من السوابق الحسنه لحقيقه أن تردّك و تردعك عمّا قد اجترأت عليه من سفك الدماء و إجلاء أهل الحقّ عن الحلّ و الحرام،فاقرء سوره الفلق و تعوّذ باللّه من شرّ ما خلق و من شرّ نفسك الحاسد إذا حسد.قفل اللّه بقلبك و أخذ بناصيتك و عجّل توفيقك فإنّى أسعد الناس بذلك و السلام.

فكتب إليه علىّ عليه السّلام أمّا بعد فقد أتتنى منك موعظه.إلى قوله:سوء رأيك.

ثمّ يتّصل به:و كتاب ليس ببعيد الشبه منك حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حقّ.و لولا علمى بك و ما قد سبق من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيك ممّا لا مردّ له دون إنفاذه إذن لو عظتك و لكن عظتى لا تنفع من حقّت عليه كلمه العذاب و لم يخف العقاب و لم يرج للّه و قارا و لم يخف له حذارا.فشأنك و ما أنت عليه من الضلاله و الحيره و الجهاله تجد اللّه فى ذلك بالمرصاد من دنياك المنقطعه و تمنّيك الأباطيل.

و قد علمت ما قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيك و فى امّك و أبيك.و السلام.

و ممّا يتبّه على أنّ هذا الفصل المذكور ليس من الكتاب الأوّل أنّ الأوّل لم يكن فيه ذكر موعظه حتّى يذكرها عليه السّلام فى جوابه غير أنّ السيّد-رحمه اللّه-أضافه إلى هذا الكتاب كما هو عادته فى عدم مراعات ذلك و أمثاله.و لنرجع إلى المقصود.فنقول:

اللغه

المحّبره : المزيّنه .و التنميق : التزيين بالكتاب .و هجر يهجر هجرا:

إذ أهذى أو أفحش فى منطقه .و اللغط : الصوت و الجلبه .و أصل الخبط: الحركه على غير نظام.و منه خبط عشواء للناقه الّتى ضعف بصرها .و المروّى : المفكّر .

و المداهنه : المصانعه و إظهار الرضى بالأمر مع إضمار خلافه .

المعنى

و الفصل من باب المنافرات.و أراد بكونها موصّله:أى ملتقطه من كلام الناس

ملفّقه قد زيّنت بالكتابه،و نسب تنميقها إلى ضلاله لأنّ موعظته و تكلّفه إيّاها لمثله عليه السّلام عن اعتقاد منه أنّه على طرف الحقّ و أنّ عليّا مخطئ كما زعم،و ظاهر أنّ ذلك الاعتقاد ضلال عن سبيل اللّه أوجب له تكلّف تلك الموعظه،و لأنّه لمّا كان جاهلا بسبك الكلام و وضعه مواضعه جاءت موصّله منمّقه بحسب ذلك الجهل ظهر عليها أثرا لكلفه فى التنميق فاستدلّ به على ضلاله. استعاره و استعار لفظ البصر للعقل باعتبار أنّ له نورا يدرك به صور المعقولات كما يدرك البصر بنوره صور المحسوسات ثمّ سلب عنه البصر الّذى يهديه فى سبيل اللّه إذ كان عقله قد قصر عن إدراك حقايق الدين و مقاصده و وجوه المصالح الكليّه المطلوبه للشارع فلم يكن لعقله بصر يهديه فى تلك الامور و لا له قايد من إمام حقّ أو رويّ صالح يرشده إلى سبيل اللّه فلا- جرم كان مجيبا لهواه إذ دعاه،و منقادا لضلاله و آرائه الجائره المخطئه لوجه المصلحه المطلوبه للّه تعالى فاتّبعها.و استلزم ذلك أن يهجر فيقول ما لا ينبغى من القول لاغطا و مجلبا،و أن يضلّ عن سبيل اللّه خابطا فى التيه لا يتّقى مصارع الهوان فى دين اللّه.و لاغطا و خابطا حالان .

و قوله :لأنّها.

فالضمير قبل الذكر لأنّه ضمير البيعه كقوله تعالى «فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ» (۱)و يحتمل أن يرجع إلى ما علم من حالها فى قوله:فلعمرى ما الأمر فى ذلك إلاّ واحد.يعنى ما شأن أهل البصره و شأن أهل الشام و شأن طلحه و الزبير فى بيعتى إلاّ واحدا.و المعنى أنّها كما لزمت اولئك فقد لزمتكم أيضا.ثمّ أشار إلى الحجّه فى ذلك بقياس ضمير من الشكل الأوّل صغراه:و هى كونها بيعه واحده باتّفاق المهاجرين و الأنصار الّذين هم أهل الحلّ و العقد من أمّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تقدير كبراه:

و كلّ بيعه وقعت كذلك فلا يثّنى فيها نظر و لا يستأنف فيها خيار،و بيان الكبرى ما سبق من حال الأئمّه الثلاثه قبله عليه السّلام إذ لم يكن لأحد أن يثّنى فى بيعتهم نظرا و لا يستأنف خيارا بعد أن عقدها المهاجرون و الأنصار لأحدهم.ثمّ أشار إلى

۱- ۱) ۴۵-۲۲.

حکم من لم یدخل فی بیعته و هم قسمان لأنّ من لم یدخل فیها إمّا أن یخرج عنها أو یقف فیها.فحکم الخارج عنها أن یکون طاعنا فی صحّتها و انعقادها فیجب أن یجاهد و یقاتل حتّی یرجع إلیها إذ هی سبیل المؤمنین کما سبق،و حکم الواقف فیها و المتروّی فی صحّتها أنّه مداهن و هو نوع من النفاق و مستلزم للشکّ فی سبیل اللّه و المؤمنین و وجوب اتّباعه.و باللّه التوفیق.

۸-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی جریر بن عبد اللّه البجلی،لما أرسله إلی معاویه

أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاکَ کِتَابِی فَاحْمِلْ ؟مُعَاوِیَهَ؟ عَلَی الْفَصْلِ- وَ خُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ- ثُمَّ خَیِّرْهُ بَیْنَ حَرْبٍ مُجْلِیَهٍ أَوْ سِلْمٍ مُخْزِیَهٍ- فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَیْهِ- وَ إِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَیْعَتَهُ وَ السَّلاَمُ أقول:روی أنّ جریرا أقام عند معاویه حین أرسله علیه السّلام حتّی أتّهمه الناس.

و قال:قد وقّت لجریر وقتا لا یقیم بعده إلّا مخدوعا أو عاصیا.و أبطیء حتّی أیس منه.فکتب إلیه بعد ذلک هذا الکتاب.فلمّا انتهی إلیه أتی معاویه فأقرءه إیّاه و قال:

یا معاویه إنّه لا یطبع علی قلب إلاّ بذنب و لا یشرح إلّا بتوبه،و لا أظنّ قلبک إلّا مطبوعا،أراک قد وقفت بین الحقّ و الباطل کأنّک تنظر شیئا فی ید غیرک.

فقال معاویه:ألقاک بالفصل فی أوّل مجلس «إِنْ شاءَ اللّهُ» .ثمّ أخذ فی بیعه أهل الشام فلمّا انتظم أمره لقی جریرا و قال له:الحق بصاحبک و أعلمه بالحرب.فقدم جریر إلی علیّ علیه السّلام.

اللغه

البجلیّ : منسوب إلی بجیله قبیله .و المجلیه من الإجلاء و هو الإخراج عن الوطن قهرا .و المخزیه : المهینه و المذلّه.و روی مجزیه-بالجیم-:أی کافیه .و

ص:۳۵۸

الحرب و السلم مؤنّثان لكونهما فی معنی المحاربه و المسالمه .و النبذ: الإلقاء و الرمی .

المعنی

و حاصل أمر جریر حمل معاویه علی فصل الأمر و قطعه و جزم الحال معه بتخییره فی أحد أمرین إمّا حرب یکون معها إجلاؤه،و إمّا سلم یکون فیها ذلیلا مهانا مقهورا،و فی ذکر الإجلاء و الإهانه علی التقدیرین تخویف و تهدید و إشعار بأنّه علیه السّلام فی الأمرین ظاهر ظافر،و أنّه غالب قاهر «لَعَلَّهُ یَتَذَکَّرُ أَوْ یَخْشی» ثمّ أمره علی تقدیر اختیاره للحرب أن یرمیه بالإعلام بها و یلقی الوعید بایقاعها من قبله علیه السّلام و یجهر له بذلک من غیر مداهنه و مداراه کقوله تعالی «وَ إِمّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِیانَةً فَانْبِذْ إِلَیْهِمْ عَلی سَواءٍ» (۱)و علی تقدیر اختیاره للسلم یأخذ بیعته.

۹-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی معاویه

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِیِّنَا وَ اجْتِیَاحَ أَصْلِنَا- وَ هَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَ فَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِیلَ- وَ مَنَعُونَا الْعَذْبَ وَ أَحْلَسُونَا الْخَوْفَ- وَ اضْطَرُّونَا إِلَی جَبَلٍ وَعْرٍ- وَ أَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ- فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَی الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ- وَ الرَّمْیِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ- مُؤْمِنُنَا یَبْغِی بِذَلِکَ الْأَجْرَ وَ کَافِرُنَا یُحَامِی عَنِ الْأَصْلِ- وَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ؟قُرَیْشٍ؟ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِیهِ بِحِلْفٍ یَمْنَعُهُ- أَوْ عَشِیرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَکَانِ أَمْنٍ- وَ کَانَ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ- وَ أَحْجَمَ النَّاسُ- قَدَّمَ أَهْلَ بَیْتِهِ- فَوَقَی بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّیُوفِ وَ الْأَسِنَّهِ- فَقُتِلَ؟عُبَیْدَةُ بْنُ

۱- (۱) ۶۰-۸.

الْحَارِثِ؟ ؟يَوْمَ بَدْرٍ؟- وَ قُتِلَ؟حَمْزَةُ؟ ؟يَوْمَ أُحُدٍ؟- وَ قُتِلَ؟جَعْفَرٌ؟ ؟يَوْمَ مُؤْتَهَ؟- وَ أَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ- مِثْلَ الَّذِی أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَهِ- وَ لَکِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ وَ مَنِیَّتَهُ أُجِّلَتْ- فَیَا عَجَباً لِلدَّهْرِ- إِذْ صِرْتُ یُقْرَنُ بِی مَنْ لَمْ یَسْعَ بِقَدَمِی- وَ لَمْ تَکُنْ لَهُ کَسَابِقَتِی- الَّتِی لاَ یُدْلِی أَحَدٌ بِمِثْلِهَا- إِلاَّ أَنْ یَدَّعِیَ مُدَّعٍ مَا لاَ أَعْرِفُهُ وَ لاَ أَظُنُّ اللَّهَ یَعْرِفُهُ- وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَی کُلِّ حَالٍ- وَ أَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَهِ؟عُثْمَانَ؟ إِلَیْکَ- فَإِنِّی نَظَرْتُ فِی هَذَا الْأَمْرِ- فَلَمْ أَرَهُ یَسَعُنِی دَفْعُهُمْ إِلَیْکَ وَ لاَ إِلَی غَیْرِکَ- وَ لَعَمْرِی لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَیِّکَ وَ شِقَاقِکَ- لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِیلٍ یَطْلُبُونَکَ- لاَ یُکَلِّفُونَکَ طَلَبَهُمْ فِی بَرٍّ وَ لاَ بَحْرٍ- وَ لاَ جَبَلٍ وَ لاَ سَهْلٍ- إِلاَّ أَنَّهُ طَلَبٌ یَسُوءُکَ وِجْدَانُهُ- وَ زَوْرٌ لاَ یَسُرُّکَ لُقْیَانُهُ وَ السَّلاَمُ لِأَهْلِهِ أقول:هذا الفصل ملتقط من کتاب کتبه إلی معاویه جواب کتابه إلیه.و صوره کتاب معاویه:

من معاویه بن أبی سفیان إلی علیّ بن أبی طالب.سلام علیک.فإنّی أحمد إلیک «اللّهُ الَّذِی لا إِلهَ إِلاّ هُوَ» .أمّا بعد فإنّ اللّه اصطفی محمّدا بعلمه و جعله الأمین علی وحیه و الرسول إلی خلقه و اجتبی له من المسلمین أعوانا أیّده بهم فکانوا فی منازلهم عنده علی قدر فضائلهم فی الإسلام فکان أفضلهم فی الإسلام و أنصحهم[و أنصفهم خ]للّه و لرسوله الخلیفه من بعده و خلیفه الخلیفه من بعد خلیفته و الثالث الخلیفه عثمان المظلوم.فکلّهم حسدت و علی کلّهم بغیت.عرفنا ذلک فی نظرک الشزر و قولک البجر

[الهجر خ]و فى تنفّسک الصعداء و إبطائک عن الخلفاء.و فى کلّ ذلک تقاد کما يقاد الجمل المخشوش حتّى تبايع و أنت کاره.ثمّ لم يکن لک لأحد منهم حسدا مثل ما منک لابن عمّک عثمان و کان أحقّهم أن لا تفعل ذلک به فى قرابته و صهره فقطعت رحمه و قبّحت محاسنه و ألبت عليه الناس و بطنت و ظهرت حتّى ضربت إليه آباط الإبل و قيدت إليه الخيل العتاق و حمل عليه السلاح فى حرم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقتل معک فى المحلّه و أنت تسمع فى داره الهايعه لا تردع عن نفسک فيه بقول و لا فعل.و اقسم قسما صادقا لو قمت فيما کان من أمره مقاما تنهنه الناس عنه ما عدل بک من قبلنا من الناس أحدا و لمحا ذلک عندهم ما کانوا يعرفونک به من المجانبه لعثمان و البغى عليه.و اخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين ايواک قتله عثمان فهم عضدک و أنصارک و يدک و بطانتک و قد ذکر لى إنّک تنتصل من دمه فإن کنت صادقا فأمکنّا من قتله عثمان نقتلهم به و نحن من أسرع الناس إليک و إلاّ فإنّه ليس لک و لأصحابک إلاّ السيف و الّذى لا إله غيره لنطلبنّ قتله عثمان فى الجبال و الرمال و البرّ و البحر حتّى يقتلهم اللّه أو لنلحقنّ أرواحنا باللّه.و السلام.ثمّ دفع الکتاب إلى أبى مسلم الخولانىّ فقدم به الکوفه.فکتب عليه السّلام جوابه:

من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى معاويه بن أبى سفيان أمّا بعد فإنّ أخا خولان قدم علىّ بکتاب منک تذکر فيه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما أنعم اللّه عليه من الهدى و الوحى ف «الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی» صدّقه الوعد و تمّم له النصر و مکّن له فى البلاد و أظهره على أهل العداوه و الشنئان من قومه الّذين و ثبوابه و شنعوا له و أظهروا له التکذيب و بارزوه بالعداوه و ظاهروا على إخراجه و على إخراج أصحابه و ألبّوا عليه العرب و جامعوه على حربه و جهدوا عليه و على أصحابه کلّ الجهد و قلّبوا له الامور حتّى ظهر أمر اللّه و هم کارهون.و کان أشدّ الناس عليه اسرته و الأدنى فالأدنى من قومه إلاّ من عصم اللّه منهم.يابن هند فلقد خبأ لنا الدهر منک عجبا.و لقد أقدمت فأفحشت إذ طفقت تخبرنا عن بلاء اللّه تبارک و تعالى فى نبيّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فينا فکنت فى ذلک کجالب التمر إلى هجر أو کداعى مسدّده إلى النضال.و ذکرت أنّ اللّه اجتبى

له من المسلمين أعوانا أيّدهم به فكانوا فی منازلهم عنده علی قدر فضائلهم فی الإسلام و كان أفضلهم فی الإسلام كما زعمت و أنصحهم للّه و لرسوله الخليفه الصدّيق و خليفه الخليفه الفاروق.و لعمری إنّ مكانهما فی الإسلام لعظيم،و أنّ المصايب بهما لجرح فی الإسلام شديد يرحمها اللّه و جزاهما بأحسن ما عملا.غير أنّک ذكرت أمرا إن تمّ اعتزلک كلّه و إن نقص لم يلحقک ثلمه.و ما أنت و الصدّيق؟فالصدّيق من صدّق بحقّنا و أبطل باطل عدوّنا،و ما أنت و الفاروق؟فالفاروق من فرّق بيننا و بين أعدائنا.و ذكرت أنّ عثمان كان فی الفضل ثالثا فإن يک عثمان محسنا فسيلقی ربّا غفورا لا يتعاظمه ذنب يغفره.و لعمری إنّی لأرجو إذا أعطی اللّه الناس علی قدر فضايلهم فی الإسلام و نصيحتهم للّه و لرسوله أن يكون نصيبنا فی ذلک الأوفر.إنّ محمّدا صلّی اللّه عليه و آله و سلّم لمّا دعا إلی الايمان باللّه و التوحيد كنّا أهل البيت أوّل من آمن به و صدّق ما جاء به فلبثنا أحوالا محرمه و ما يعبد اللّه فی الربع ساكن من العرب غيرنا.ثمّ يتّصل به.قوله:فأراد قومنا.إلی قوله:نار الحرب.ثمّ يتّصل به أن قال:و كتبوا علينا بينهم كتابا لا يؤاكلونا و لا يشاربونا و لا يناكحونا و لا يبايعونا و لا نأمن فيهم حتّی يدفع إليهم النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فيقتلونه و يمثّلوا به فلم يكن نأمن فيهم إلاّ من موسم إلی موسم.ثمّ يتّصل به قوله:فعزم اللّه.إلی قوله:بمكان أمن.ثمّ يتّصل به أن قال:فكان ذلک «ما شاءَ اللّهُ» أن يكون ثمّ أمر اللّه رسوله صلّی اللّه عليه و آله و سلّم بالهجره ثمّ أمره بعد ذلک بقتل المشركين.ثمّ يتّصل به قوله:فكان صلّی اللّه عليه و آله و سلّم إذا أحمرّ البأس.إلی قوله:اخّرت.و يتّصل به أن قال:و اللّه ولیّ الاحسان إليهم و الامتنان عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات فما سمعت بأحد هو أنصح للّه فی طاعه رسوله و لا أطوع لرسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فی طاعه ربّه و لا أصبر علی الأذی و الضرار حين البأس و مواطن المكروه مع النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلّم من هؤلاء النفر الّذين سمّيت.كذلک و فی المهاجرين خير كثير تعرفه جزاهم اللّه بأحسن أعمالهم.

ثمّ ما أنت و التميز بين المهاجرين الأوّلين و ترتيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم؟ هيهات.لقد حنّ قدح ليس منها،و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها.ألا تربع أيّها

الإنسان على ظلعك و تعرف قصور ذرعك و تتأخّر حيث أخّرك القدر؟فما عليك غلبه المغلوب و لا لك ظفر الظافر.و إنّك لذهّاب فى التيه روّاغ عن القصد لا ترى غير متجار لك لكن بنعمه اللّه احدّث.ثمّ يتّصل به أوّل الكلام المذكور فى كتابه إلى معاويه و هو من محاسن الكتب.إلى قوله عليه السّلام:توكّلت.ثمّ يتّصل به قوله من ذلك الكتاب:و ذكرت أنّه ليس لى و لأصحابى.إلى آخره.ثمّ يتّصل به قوله:

و لعمرى.إلى آخر،و هذا خبط عجيب من السيّد-رحمه اللّه-مع وجود كتبه عليه السّلام فى كثير من التواريخ و لنرجع إلى الشرح فنقول:

اللغه

الاجتياح : الاستيصال .و الهموم : القصود .و الحلس : كساء رقيق يجعل تحت قتب البعير :و الوعر : الصعب المرتقى .و الحوزه : الناحيه،و حوزه الملك بيضته .

و الحلف : العهد بين القوم .و الإحجام : التأخّر عن الأمر . واحد : جبل بالمدينه .

و موته-بالضم- : اسم أرض بأدنى البلقاء دون دمشق .و الإدلاء بالشىء: التقريب به .و نزع عن الأمر : انتهى عنه .و الغىّ : الضلال .و الشقاق : الخلاف و الزور : الزائرون .

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام أجاب عن كلّ فصل من كلام معاويه بفصل و هذا الفصل يشتمل على ذكر بلائه و بلاء من يقرب إليه من بنى هاشم و فضيلتهم فى الإسلام و الكفر فى جواب تفضيل معاويه لغيره عليه حيث قال فى صدر كتابه فى ذكر محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

و اجتبى له من المسلمين أعوانا أيّده بهم.إلى قوله:و الثالث الخليفه المظلوم عثمان.و صدر هذا الفصل من قوله:و لعمرى إنّى لأرجو.إلى قوله:الأوفر.

إيماء إلى أنّه أفضل الجماعه لأنّ النصيب الأوفر من الثواب إذا كان على قدر الفضيله كان مستلزما للأفضليّه.

و قوله:إنّ محمّدا.إلى قوله:و منيّته اخّرت.

شرح لفضيلته و فضيله أهل بيته،و تقرير لما أشار إليه من دعوى الأفضليّه.و هو يجرى مجرى قياس ضمير من الشكل الأوّل،و تقريرها أنّ هذه الحال المشروحه من كوننا أوّل آمن باللّه و صدّق ما جاء به و عبده و صبر على بلائه و مجاهده أعدائه

مع رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الصبر المشروح إلى الغايه المذكوره.و قد سبقت منّا الإشاره إلى أنّه عليه السّلام أوّل من عبد اللّه تعالى مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو و خديجه و من لحق بهم من المسلمين و أنّهم بقوا على ذلك عدّه سنين يتعبّدون بشعاب مكّه و غيرها سرّا، و كانت المشركون يبالغون فى أذاهم،و قيل:إنّ المشركين بعد ظهور النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنبوّه لم تنكر عليه القريش حتّى سبّ آلهتهم فأنكروا عليه و بالغوا فى أذاه و أغروا به صبيانهم فرموه بالحجاره حتّى أدموا عقبه و بالغوا فى أذى المسلمين.فأمرهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالخروج إلى الحبشه فخرج فى الهجره إليها أحد عشر رجلا منهم عثمان بن عفّان و الزبير و عبد الرحمن بن عوف و عبد اللّه بن مسعود و خرجت قريش فى طلبهم ففاتوهم فخرجوا فى طلبهم إلى النجّاشى فلم يمكّنهم منهم و لم يزالوا يبالغون فى أذى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يعملون الحيله فى هلاكه.و روى أحمد فى مسنده عن ابن عبّاس قال:إنّ الملأ من قريش اجتمعوا فى الحجر فتعاهد و ا باللات و العزّى و مناه الثالثه الاخرى لو قد رأينا محمّدا قمنا إليه قيام رجل واحد فلا نفارقه حتّى نقتله.قال:فأقبلت فاطمه عليها السّلام حتّى دخلت عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخبرته بقولهم و قالت له:لو قد رأوك لقتلوك و ليس منهم رجل إلاّ و قد عرف نصيبه من دمك.فقال:

يا بنيّتى أرينى وضوءا.فتوضّأ ثمّ دخل عليهم المسجد.فلمّا رأوه غضّوا أبصارهم ثمّ قالوا:هو ذا.ثمّ لم يقم إليه منهم أحد فأقبل صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى قام على رؤوسهم فأخذ قبضه من تراب فحصبهم بها.و قال:شاهت الوجوه.فما أصاب رجلا منهم شيء منه إلاّ قتل يوم بدر كافرا.فذلك معنى قوله:فأراد قومنا إهلاك نبيّنا و اجتياح أصلنا.

إلى قوله:نار الحرب.

و قوله:و همّوا بنا الهموم.

أى أرادوا بنا الإرادات و الأفاعيل إرادات إيقاع الشرور بهم و الأفعال القبيحه.و قيل:أراد بالهموم الأحزان:أى همّوا أن يفعلوا بنا ما يوجب الأحزان.

و قوله:و منعونا العذب.

ص:۳۶۴

أی طیب العیش. استعاره و استعار لفظ الأحلاس لإلزامهم الخوف و إشعارهم إیّاه ملاحظه لمشابهته بالحلس فی لزومه بهم . استعاره مرشحه و کذلک استعار لفظ النار للحرب.ملاحظه لشبهها بالنار فی الأذی و افتناء ما یقع فیها.و رشّح بذکر الایقاد .

فأمّا قوله:و اضطرّونا إلی جبل و عر،و قوله:و کتبوا علینا بینهم کتابا.

فروی أنّه لما أسلم حمزه و عمر و حمی النجّاشی من عنده من المسلمین و حامی أبو طالب عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فشا الإسلام فی القبایل فاجتهد المشرکون فی إطفاء نور اللّه و اجتمعت قریش و أتمر بینهم أن یکتبوا کتابا یتعاهدون فیه أن لا ینکحوا إلی بنی هاشم و بنی عبد المطّلب و لا ینکحوهم،و لا یبیعوهم شیئا و لا یتبایعوا منهم فکتبوا بذلک وثیقه و توافقوا علیها و علّقوها فی جوف الکعبه توکیدا لذلک الأمر علی أنفسهم فلمّا فعلوا ذلک انحازت بنی هاشم و بنو عبد المطّلب إلی أبی طالب فدخلوا معه فی شعبه.و خرج من بنی هاشم أبو لهب و ظاهر المشرکین.و قطعوا عنهم المیره و المارّه،و حصروهم فی ذلک الشعب فی أوّل سنه سبع من النبوّه فکانوا لا یخرجون إلاّ من موسم إلی موسم حتّی بلغهم الجهد و سمع صوت صبیانهم من وراء الشعب من شدّه الجوع فمن قریش من سرّه ذلک و منهم من ساءه فأقاموا علی ذلک ثلاث سنین حتّی أوحی اللّه إلی رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّ الأرضه قد أکلت صحیفتهم و محت منها ما کان فیه ظلم و جور و بقی منها ما کان ذکر اللّه.فأخبر بذلک عمّه أبا طالب فأمره أن یأتی قریشا فیعلمها بذلک فجاء إلیهم،و قال:إنّ ابن أخی أخبرنی بکذا و کذا فإن کان صادقا نزعتم عن سوء رأیکم و إن کان کاذبا دفعته إلیکم فقتلتموه أو استحییتموه.فقالوا:قد أنصفتنا.فأرسلوا إلی الصحیفه فوجدوها کما أخبر صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فسقط فی أیدیهم و عرفوا أنّهم بالظلم و القطیعه.فذلک معنی قوله:و اضطرّونا إلی جبل و عر.إلی آخره.

و قوله :فعزم اللّه لنا.

أی أراد لنا الإراده الجازمه منه،و اختار لنا أن نذبّ عن حوزه الإسلام و نحمی حرمته أن تتهتّک، کنایه و کنّی عن حماها بالرمی من ورائها .

و قوله :مؤمننـا.إلى قوله:عن الأصل.أى كنّا بأجمعنا نـذبّ عن دين اللّه و نحمى رسوله فكان من آمن منّا يريـد بـذلك الأجر من اللّه،و من كان حينئذ على كفره كالعبّاس و حمزه و أبى طالب على قول فإنّهم كانوا يمنعون عن رسول اللّه مراعاه لأصلهم.

و قوله:من أسلم من قريش.إلى قوله:يوم موته.

فالواو فى قوله:و من.للحال:أى كنّا على تلك الحال من الذبّ عن دين اللّه حال ما كان من أسلم من قريش عدا بنى هاشم و بنى عبد المطّلب خالين ممّا نحن فيه من البلاء آمنين من الخوف و القتل فمنهم من كان له حلف و عهد من المشركين يمنعه،و منهم من كان له عشيره يحفظه.و بذلك يظهر فضـله عليه السّـلام و فضيله بنى هاشم و بنى المطّلب و بلاؤهم فى حفظ رسول اللّه .ثمّ لمّا أمر اللّه بقتال المشـركين كان يقدّم أهل بيته فيقى بهم أصـحابه حرّ السـيوف و أسنّه الرماح. كنايه و كنّى باحمرار البأس عن شـدّه الحرب.إذ البـأس فيها مستلزم لظهور حمره الـدماء و إن كان اسـتعمال هـذا اللفظ لم يبق تلك الملاحظه فى الكنايه،و منه موت أحمر كنايه عن شـدّته و ذلك فى الحرب أيضا و ما يسـتلزم ظهور الـدماء .و بـدر اسم بئر سـمّيت بحافرها .و أمّا عبيده بن الحرث بن عبد المطّلب فقتله عتبه بن ربيعه و ذلك أنّه لمّا التقى المسـلمون و المشـركون ببدر برز عتبه بن ربيعه و أخوه شـيبه و ابنه الوليـد و طلبوا المبارزه فخرج إليهم رهط من الأنصار.فقالوا:نريد أكفائنا من المهاجرين.فقال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم:قم يا حمزه،قم يا عبيـده،قم يا علىّ.فبارز عبيـده و هو أسنّ القوم عتبه بن ربيعه و بارز حمزه شـيبه و بارز علىّ الوليد.فقتل علىّ و حمزه قرينهمـا و اختلف عبيـده و عتبه بضـربتين فكلاهمـا أثبت صاحبه و أجهز حمزه و علىّ بأسـيافهما على عتبه فقتلاه و احتملا عبيده فجاء به إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد قطعت رجله و مخّها يسيل فقال:

يا رسول اللّه أ لست شهيدا؟قال:بلى.فقال عبيده:لو كان أبو طالب حيّا يعلم أنّى أحقّ بما قال فيه حيث يقول:

و نسلمه حتّى نصرّع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلايل

و أمّا حمزه بن عبد المطّلب فقتله وحشىّ فى وقعه احد بعد وقعه بدر فى

سنه ثلاث من الهجره و كان سببها أنّه لمّا رجع من حضر بدرا من المشركين إلى مكّه و جدوا العير الّتى قدم فيها أبو سفيان موقوفه فى دار الندوه فحشر أشراف قريش و مشوا إلى أبى سفيان فقالوا:نحن طيّبوا الأنفس بأن يجهّز بربح هذه العير جيشا إلى محمّد.فقال أبو سفيان:أنا أوّل من أجاب إلى ذلک و معى بنو عبد مناف.فباعوها و كانت ألف بعير فكان المال خمسين ألف دينار فسلّم إلى أهل العير رءوس أموالهم و عزلت الأرباح و بعثوا الرسل إلى العرب يستنفرونهم فاجتمعوا فى ثلاثه ألف فيهم سبع مائه درع و مائتا فرس و ثلاثه ألف بعير،و باتت جماعه بباب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و رأى فى نومه كأنّه فى درع حصينه و كأنّ سيفه-ذو الفقار-قد انفصم و كأنّ بقرا ينحر و كأنّه مردف كبشا فقال:أمّا الدرع فالمدينه و البقر يقتل بعض أصحابه و انفصام سيفه مصيبه فى نفسه و الكبش كبش الكتيبه يقتله اللّه.فكان المصيبه أن رماه عتبه بن أبى وقاص بحجر فدقّ رباعيّته و هشم أنفه و كلّم وجهه.و قيل:الّذى فعل ذلک عمرو بن قميئه و كان ذلک اليوم صعبا على المسلمين،و روى أنّ هندا قامت فى ذلک اليوم فى نسوه معها تمثّل بقتلى المسلمين و تجدع الآذان و الانوف حتّى اتّخذت منها قلائد،و بقرت عن كبد حمزه و لاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها،و منه سمّى معاويه ابن آكله الأكباد.و أمّا جعفر بن أبى طالب فقتل فى وقعه موته و كانت هذه الوقعه فى جمادى الاولى سنه ثمان من الهجره و كان من سببها أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعث الحرث بن عميره الأزدى إلى ملک بصرى فلمّا نزل موته عرض له شر حبيل بن عمرو الغسانى فقتله و لم يقتل له رسول قبل ذلک.فشقّ عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلک فندب المسلمين و عسكر فى ثلاثه آلاف.و قال:أميركم زيد بن حارثه فإن قتل فجعفر بن أبى طالب فإن قتل فعبد اللّه بن رواحه فإن قتل فليرتض المسلمون منهم رجلا،و أمرهم أن يأتوا مقتل الحرث بن عميره و يدعوا من هناک إلى الإسلام فإن أجابوا و إلاّ قتلوهم.فسمع العدوّ بهم فجمعوا لهم و جمع لهم شرحبيل أكثر من مائه ألف فمضوا إلى موته فوفّا هم المشركون فأخذ اللواء زيد فقاتل حتّى قتل ثمّ أخذه جعفر فقاتل حتّى قطعت يداه،و قيل:ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد

فی أحد نصفیه أحد و ثمانون جرحا،و سمّاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ذا الجناحین یطیر بهما فی الجنّه لقطع یدیه یومئذ.

و قوله:و أراد من لو شئت ذکرت اسمه.إلی قوله:اجّلت.

إشاره إلی نفسه.إذ کان لکلّ امّه مدّه مربوطه به ف «إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا یَسْتَأْخِرُونَ ساعَهً وَ لا یَسْتَقْدِمُونَ » .و لمّا أشار إلی دلیل أفضلیّته و أهل بیته أردفه بالتعجّب من الدهر حیث انتهی فی إعداده و فعله إلی أن صار بحیث یقرن فی الذکر و المرتبه من لیس له مثل سابقته فی الفضیله الّتی لا یتقرّب أحد إلی اللّه بمثلها.

و قوله:إلاّ إن یدّعی مدّع ما لا أعرفه.

أراد بالمدّعی معاویه و بما لا یعرفه ما عساه یدّعیه من الفضیله فی الدین و السابقه فی الإسلام.

و قوله:و لا أظنّ اللّه یعرفه.

نفی ظنّ معرفه اللّه لذلک المدّعی لأنّه لمّا نفی لذلک المدّعی فضیله یعرفها نفی أیضا عن نفسه طریق معرفه اللّه لها،و هو إشاره إلی أنّه لا وجود لتلک الفضیله و ما لا وجود له امتنع أن یعرف اللّه تعالی وجوده،و لمّا أشار إلی أفضلیّته و عدم الفضیله لمنافره حسن إردافه بحمد اللّه فحمده علی کلّ حال.و الاستثناء هنا منقطع لأنّ الدعوی لیست من جنس السابقه .و أمّا جوابه لسؤاله قتله عثمان فحاصله یعود إلی أنّه علیه السّلام فکّر فی أمرهم فرأی أنّه لا یسعه تسلیم المعترفین بذلک إلی معاویه، و لا إلی غیره و ذلک من وجوه:

أحدها:أنّ تسلیم الحقّ إلی ذی الحقّ عند المنافره إنّما یکون بعد تعیین المدّعی علیه و ثبوت الحقّ علیه،و إنّما یکون ذلک بعد مرافعه الخصمین إلی الحاکم و إقامه البیّنه بالدعوی أو الاعتراف من المدّعی علیه.و معلوم أنّ معاویه و من طلب بدم عثمان لم یفعل شیئا من ذلک،و لذلک قال علیه السّلام لمعاویه فی موضع آخر:و أمّا طلبک إلیّ قتله عثمان فادخل فیما دخل الناس فیه ثمّ حاکمهم إلیّ أحملک و إیّاهم علی الحقّ

الثانی:أنّ القوم الّذین رضوا بقتله أو شرکوا فی ذلک کانوا علی حدّ من الکثره و فیهم المهاجرون و الأنصار کما روی أنّ أبا هریره و أبا الدرداء أتیا معاویه فقالا له:علام تقاتل علیّا و هو أحقّ بالأمر منک لفضله و سابقته؟فقال:

لست اقاتله لأنّی أفضل منه و لکن لیدفع إلیّ قتله عثمان.فخرجا من عنده و أتیا علیّا.فقالا له:إنّ معاویه یزعم أنّ قتله عثمان عندک و فی عسکرک فادفعهم إلیه فإن قاتلک بعدها علمنا أنّه ظالم لک.فقال علیّ:إنّی لم أحضر قتل عثمان یوم قتل و لکن هل تعرفان من قتله؟فقالا:بلغنا أنّ محمّد بن أبی بکر و عمّار و الأشتر و عدّی بن حاتم و عمرو بن الحمق و فلانا و فلانا ممّن دخل علیه.فقال علیّ:فامضیا إلیهم فخذوهم.فأقبلا إلی هؤلاء النفر و قالا لهم:أنتم من قتله عثمان و قد أمر أمیر المؤمنین بأخذکم.قال:فوقعت الصیحه فی العسکر بهذا الخبر فوثب من عسکر علیّ أکثر من عشره ألف رجل فی أیدیهم السیوف و هم یقولون:کلّنا قتلته.فبهت أبو هریره و أبو الدرداء.ثمّ رجعا إلی معاویه و هما یقولان:لا یتمّ هذا الأمر أبدا.فأخبراه بالخبر.و إذا کان القاتلون و المتعصّبون لهم بهذه الکثره فکیف یمکنه علیه السّلام تسلیمهم و تمکین أحد منهم؟.

الثالث:أنّه کان فی جماعه الصحابه المشهود لهم بالجنّه من یری أنّ عثمان کان یستحقّ القتل بأحداثه کما روی نضر بن مزاحم أنّ عمّارا فی بعض أیّام صفّین قام فی أصحابه و قال:امضوا معی عباد اللّه إلی قوم یطلبون فیما یزعمون بدم الظالم إنّما قتله الصالحون المنکرون للعدوان الآمرون بالإحسان.فإن قال هؤلاء الّذین لا یبالون لو سلمت لهم دنیاهم لو درس هذا الدین:لم قتلتموه؟.فقلنا:لأحداثه.

و إن قالوا:ما أحدث شیئا.و ذلک لأنّه کان أمکنهم من الدنیا فهم یأکلونها و یرعونها و لا یبالون لو انهدمت علیهم الجبال.فإذا اعترف مثل هذا الرجل علی جلالته بالمشارکه فی قتلهم و علّل ذلک بأحداثه احتمل أن یقال:إنّه علیه السّلام فکّر فی هذا الأمر فرأی أنّ هذا الجمع العظیم من المهاجرین و الأنصار و التابعین لا یجوز أن یقتلوا برجل واحد أحدث أحداثا نقموها علیه جمله المسلمون و قد استعتب مرارا

فلم يرجع فأدّى ذلك إلى قتله،و لم يسعه تسليمهم إلى من يطلب بدمه لما يستلزمه ذلك من ضعف الدين و هدمه .ثمّ أقسم عليه السّلام مهدّدا له بمن طلب من القوم إن لم يرجع عن ضلالته إلى طريق الحقّ عن طرق الباطل و ينزل عن خلافه أن يكونوا هم الطالبين له.و محلّ يطلبونك النصب مفعولا ثانيا لتعرف بمعنى تعلم،و يأتى الكلام من تمام التهديد.و مراده بالزور المصدر،و لذلك أفرد ضميره فى لقيانه،و يحتمل أن يريد الزائرين و أفرد الضمير نظرا إلى إفراد اللفظ،و باللّه التوفيق.

۱۰-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى معاويه

:وَ كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ- إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ- مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَ خَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا- دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا وَ قَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا- وَ أَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا- وَ إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لاَ يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ- فَاقْعَسْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ- وَ خُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ وَ شَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ- وَ لاَ تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ- وَ إِلاَّ تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ- فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ- وَ بَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ وَ جَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَ الدَّمِ- وَ مَتَى كُنْتُمْ يَا؟مُعَاوِيَةُ؟ سَاسَةَ الرَّعِيَّهِ- وَ وُلاَةَ أَمْرِ الْأُمَّهِ- بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَ لاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ- وَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ- وَ أُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي غِرَّهِ الْأُمْنِيَّهِ- مُخْتَلِفَ الْعَلاَنِيَهِ وَ السَّرِيرَهِ- وَ قَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً- وَ اخْرُجْ إِلَيَّ وَ أَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ

مِنَ الْقِتَالِ- لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَ الْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ- فَأَنَا؟أَبُو حَسَنٍ؟ قَاتِلُ جَدِّكَ وَ أَخِيكَ وَ خَالِكَ شَدْخاً؟يَوْمَ بَدْرٍ؟- وَ ذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي- وَ بِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي- مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً وَ لاَ اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً- وَ إِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ- وَ دَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ- وَ زَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ؟عُثْمَانَ؟- وَ لَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ؟عُثْمَانَ؟- فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً- فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ- إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ- وَ كَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ- وَ الْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَ مَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ- وَ هِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ أقول:أوّل هذا الكتاب:من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى معاويه بن أبى سفيان سلام على من اتّبع الهدى فإنّى أحمد إليك «اللّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلاّ هُوَ» .أمّا بعد فإنّك رأيت من الدنيا و تصرّفها بأهلها فيما مضى منها،و خير ما بقى من الدنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى منها،و من يقس الدنيا بشأن الآخره يجد بينهما بونا بعيدا.و اعلم يا معاويه أنّك قد ادّعيت أمرا لست من أهله لا فى القدم و لا فى البقيّه و لا فى الولايه و لست تقول فيه بأمر بيّن يعرف لك فيه أثر و لا لك عليه شاهد من كتاب اللّه و لا عهد تدّعيه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.ثمّ يتّصل بقوله:فكيف أنت.الفصل.

اللغه

و الجلباب : الملحفه .و تبهّجت : تحسّنت و تزيّنت .و يوشك بالكسر:

يقرب .و وقفه على ذنبه . أى اطّلعه عليه .و المجنّ : الترس.و يروى:منج .و

قعس : أى تأخّر .و الاهبه : العدّه و هو ما يهيّأ للأمر و يستعدّ به له .و شمّر ثوبه:

رفعه .و الإغفال : الإهمال و الترک .و المترف : الّذى أطغته النعمه .و الباسق:

العالى .و التمادى فى الأمر : تطويل المدّه فيه .و الغرّه : الغفله .و الامنيّه : ما يتمنّى .و الرين : الغلبه و التغطيه ،و المرين على قلبه : من غلبت عليه الذنوب و غطّت عين بصيرته الملكات الرديئه .و الشدخ : كسر الشىء الأجوف .و الثائر:

الطالب بالدم .و الضجيج : الصياح .و الحايده : العادله .

المعنى

و قد استفهم عن كيفيّه صنعه عند مفارقه نفسه لبدنه استفهام تنبيه له على غفلته عمّا ورائه من أحوال الآخره و تذكيرا بها. استعاره مرشحه و استعار لفظ الجلابيب للّذّات الحاصله له فى الدنيا بمتاعها و زينتها.و وجه الاستعاره كون تلک اللّذّات و متعلّقاتها أحوال ساتره بينه و بين إدراک ما ورائه من أحوال الآخره مانعه له من ذلک كما يستر الجلباب ما ورائه،و رشّح الاستعاره بذكر التكشّف ، مجاز و لفظ-ما-مجمل بيّنه بقوله:

من دنيا مع ساير صفاتها و هى تحسّنها و زينتها و أسند إليها التبهّج مجازا.إذ الجاعل لها ذات تبهّج ليس نفسها بل اللّه تعالى . مجاز فى الإفراد-مجاز فى التركيب و فى قوله: و خدعت .مجاز فى الإفراد و التركيب أمّا فى الإفراد فلأنّ حقيقه الخدعه أن يكون من إنسان لغيره فاستعملها هاهنا فى كون الدنيا بسبب ما فيها من اللذّات موهمه لكونها مقصوده بالذات و أنّها كمال حقيقىّ مع أنّها ليست كذلک و ذلک يشبه الخدعه،و أمّا فى التركيب فلأنّ كونها موهمه لذلک ليس من فعلها بل من أسباب اخرى منتهى إلى اللّه سبحانه.و كذلک التجوّز فى قوله: دعتک و قادتک و أمرتک .فإنّ الدعاء و القود و الأمر لها حقايق معلومه لكن لمّا كانت تصوّرات كمالها أسبابا جاذبه لها أشبهت تلک التصوّرات الدعاء فى كونها سببا جاذبا إلى الداعى فأطلق عليها لفظ الدعاء،و كذلک أطلق على تلک التصوّرات لفظ القود و الأمر باعتبار كونها أسبابا مستلزمه لاتّباعها كما أنّ الأمر و القود يوجبان الاتّباع،و أمّا فى التركيب فلأنّ تلک التصوّرات الّتى أطلق عليها لفظ الدعاء و القود و الأمر مجازا ليس فاعلها و موجبها هو الدنيا بل واهب العلم،و لمّا كانت إجابه الدنيا و اتّباعها و طاعتها معاصى

يخرج الإنسان بها عن حدود اللّه ذكرها فى معرض توبيخه و ذمّه .

و قوله: و إنّه يوشك .

تذكير بقرب اطّلاعه على ما يخاف من أهوال الآخره و الوصول إليه اللازم عن لزوم المعاصى و هو فى معرض التحذير له و التنفير عن إصراره على معصيه اللّه بادّعائه ما ليس له:أى يقرب أن يطّلعك مطّلع على ما لا بدّ لك منه ممّا تخاف من الموت و ما تستلزمه معاصيك من لحوق العذاب،و ظاهر أنّ تلك امور غفلت عنها العصاه فى الدنيا ما داموا فى حجب الأبدان فإذا نزعت عنهم تلك الحجب اطّلعوا على ما قدّموا من خير أو شرّ و ما اعدّ لهم بسبب ذلك من سعاده أو شقاوه كما أشار إليه سبحانه بقوله «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً» الآيه و قد مرّت الإشاره إلى ذلك غيره مرّه.و ذلك المطّلع و الموقف هو اللّه سبحانه.و يحتمل أن يريد به نفسه عليه السّلام على سبيل التوعيد له و التهديد بالقتل المستلزم لذلك الاطّلاع إن دام على غيّه،و ظاهر أنّ تلك الامور الّتى تقف عليها لا ينجيه منها منج.ثمّ أردف ذلك التوبيخ و التهديد بالغرض له منهما و هو أمره بالتأخّر عن أمر الخلافه.

ثمّ أردف ذلك بما يستلزم التخويف و التهديد فأمره بأخذ الاهبه للحساب و الاستعداد له بعدّته و هى طاعه اللّه و تقواه و مجانبه معاصيه،و بالتشمير لما قد نزل به. كنايه و كنّى بالتشمير عن الاستعداد أيضا .و ما نزل به إمّا الموت أو القتل و ما بعده تنزيلا لما لا بدّ من وقوعه أو هو فى مظنّه الواقع منزله الواقع،و يحتمل أن يريد الحرب الّتى يريد أن يوقعها به. كنايه ثمّ نهاه عن تمكين الغواه من سمعه ،و كنّى به عن إصغائه إليهم فيما يشيرون به عليه من الآراء المستلزمه للبقاء على المعصيه.إذ من شأن الغاوى الإغواء.و الغواه كعمرو بن العاص و مروان و من كان يعتضد به فى الرأى .

و قوله:و إلاّ تفعل.

أى إن لم تفعل ما آمرك به اعلمك ما تركت من نفسك.و مفعول تركت ضمير-ما-.

و قوله:من نفسك.

بیان لذلک الضمیر و تفسیر له.و إغفاله لنفسه ترکه إعدادها بما یخلصه من أهوال الحرب و عذاب الآخره و هو ملازمه طاعه اللّه و اقتناء الفضائل النفسانیّه،و یفهم من ذلک الإعلام الّذی توعّد به الإعلام بالفعل فإنّ مضایقته بالحرب و القتال یستلزم إعلامه ما أغفل من نفسه من طاعه اللّه المستلزمه للراحه.

و قوله :فإنّک.إلی قوله:الدم.

وصف له بمذامّ یستلزم إعلامه بالفعل[بالقول خ]ما أغفل من زمنه.فالترف مستلزم لتجاوز الحدّ الّذی ینبغی و یترکه و ذلک الحدّ فضیله تحت العفّه یکون الشیطان قد أخذ منه مأخذه و بلغ فیه أمله و جری منه مجری الروح و الدم فی القرب یستلزم وصفه بکلّ الرذائل المستلزمه أضدادها من الفضائل .ثمّ أخذ فی استفهامه عن وقت کون بنی امیّه ساسه الرعیّه و ولاه أمر الامّه استفهاما علی سبیل الإنکار لذلک و التقریع بالخمول و القصور عن رتبه الملوک والولاه، کنایه و القدم السابق کنایه عن التقدّم فی الامور و الأهلیّه لذلک .و نبّه بقوله:بغیر قدم سابق علی أنّ سابقه الشرف و التقدّم فی الامور شرط لتلک الأهلیّه فی المتعارف و هو فی قوّه صغری ضمیر من الشکل الأوّل تقدیرها:و أنتم بغیر قدم سابق.و تقدیر الکبری:

و کلّ من کان کذلک فلیس بأهل لسیاسه الرعیّه و ولاه أمر الامّه.ینتج أنّکم لستم أهلا لذلک.و هو عین ما استنکر نقیضه.و ظاهر أنّهم لم یکن فیهم من أهل الشرف أهل لذلک .ثمّ استعاذ من لزوم ما سبق فی القضاء الإلهی من الشقاء تنبیها علی أنّ معاویه فی معرض ذلک و بصدده لما هو علیه من المعصیه و تنفیرا له عنها.ثمّ حذّره من أمرین:

أحدهما:تمادیه فی غفله الأطماع و الأمانی الدنیویّه.

و الثانی:کونه مختلف العلانیه و السریره.و کنّی بذلک عن النفاق.

و وجه التحذیر ما یستلزمانه من لزوم الشقاء فی الآخره .و قد کان معاویه دعاه إلی الحرب و أجابه بجواب مسکت،و هو قوله:فدع الناس.إلی قوله:ثائرا بعثمان و انتصب-جانبا-علی الظرف،و إنّما جعل مبارزته له سببا لعلمه بأنّه مغطّی

على قلبه و بصر بصيرته بحجب الـدنيا و جلابيب هيئاتهـا لما أنّ من لوازم العلم بأحوال الآخره و فضـلها على الـدنيا الثبات عند المبـارزه فى طلبهـا و إن أدّى إلى القتـل حتّى ربّما تكون محبّه القتل من لوازم ذلك العلم أيضا و قـد كان عليه السّـلام يعلم من حـاله أنّه لا يثبت له محبّه للبقاء فى الـدنيا فلـذلك دعاه إلى المبارزه ليعلمه بإقدامه عليه و فراره منه أنّه ليس طالبا للحقّ و طريق الآخره فى قتاله و أنّ حجب الشهوات الـدنيويّه قـد غطّت عين بصيرته عن أحوال الآخره و طلبها فكان فراره منه مستلزما لعدم علمه بالآخره المستلزم للرين على قلبه و علامه دالّه عليه،و فى ذلك تهديـد و تحـذير،و كـذلك اعتزائه له و انتسابه،و تـذكيره بكونه قاتل من قتل من أهله شدخا يوم بدر فى معرض التخويف و التحذير له أن يصيبه ما أصابهم إن أصرّ على المعصيه.

و جـدّه المقتول هو جـدّه لامّه عتبه بن أبى ربيعه فـإنّه كـان أبا هنـد،و خاله الوليـد بن عتبه،و أخوه حنظله بن أبى سـفيان.فقتلهم جميعا عليه السّلام يوم بدر،و كذلك تذكيره ببقاء ذلك السيف و القلب معه يلقى بهما عدوّه و بكونه لم يستبدل دينا و لا نبيّا و أنّه على المنهاج الّذى تركوه طائعين و دخلوه مكرهين و هو طريق الإسلام الواضحه كلّ ذلك فى معرض التخويف و التحذير و التوبيخ بالنفاق .ثمّ أشار إلى الشبهه الّتى كانت سببا لثوران الفتن العظيمه و انشعاب أمر الدين و هى شبهه الطلب بدم عثمان الّتى كانت عمدته فى عصيانه و خلافه،و أشار إلى الجواب عنها بوجهين:

أحدهما:أنّه عليه السّلام ليس من قتله عثمان فلا مطالبه عليه و إنّما تتوجّه المطالبه على قاتليه و هو يعلمهم.

الثانى:المنع بقوله:إن كنت طالبا.فإنّ إيقاع الشكّ هنا بان-يستلزم عدم تسليم كونه طالبا بدم عثمان.ثمّ عقّب بتخويفه بالحرب و ما يستلزمه من الثقل إلى الغايه المذكوره .و هاهنا ثلاثه تشبيهات:

تشبيه أحـدها:المدلول عليه بقوله: فكأنّى قد رأيتك و المشبّه هاهنا نفسه عليه السّـلام فى حال كلامه هذا،و المشبّه به هو أيضـا نفسه لكن من حيث هى رأته رؤيه محقّقه.

ص:۳۷۵

و تحقیق ذلک أنّ نفسه لکمالها و اطّلاعها علی الامور الّتی سیکون کانت مشاهده لها و وجه التشبیه بینهما بالقیاس إلی حالتیها جلاء المعلوم و ظهوره له فی الحالتین.

استعاره بالکنایه الثانی:قوله: تضجّ ضجیج الجمال بالأثقال ،و وجه الشبه شدّه تبرّمه و ضجره من ثقلها کشدّه تبرّم الجمل المثقل بالحمل.و ضجیجه کنایه عن تبرّمه . استعاره و استعار لفظ العضّ لفعلها ملاحظه لشبهها بالسبع العقور،و وجه المشابهه استلزام تلک الأثقال للألم کاستلزام العضّ له .

تشبیه الثالث:قوله: و کأنّی بجماعتک .و المشبّه هنا أیضا نفسه و المشبّه به ما دلّت علیه بالإلصاق کأنّه قال:کأنّی متّصل أو ملتصق بجماعتک حاضر معهم.و محلّ یدعونی النصب علی الحال،و العامل ما فی کان من معنی الفعل:أی اشبّه نفسی بالحاضر حال دعائهم له.و جزعا مفعول له . مجاز إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب و تجوّز بلفظ القضاء فی المقضیّ من الامور الّتی توجد عن القضاء الإلهی إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب .

و قوله:و مصارع بعد مصارع.

و المصرع هنا مصدر:أی جزعا من مصارع یلحق بعضهم بعد بعض أو تلحقهم بعد مصارع آبائهم السابقه.و قد کان اطّلاعه علیه السّلام علی دعائهم له إلی کتاب اللّه قبل وقوعه من آیاته الباهره.و الواو فی قوله:و هی.للحال و العامل فیه یدعونی.

و الکافره الجاحده للحقّ من جماعته إشاره إلی المنافقین منهم و قد کان فیهم جماعه کذلک،و المبایعه الحایده الّذین بایعوه و عدلوا عن بیعته إلی معاویه.و السلام.

۱۱-و من وصیّه له علیه السّلام

اشاره

وصی بها جیشا بعثه إلی العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِکُمْ- فَلْیَکُنْ مُعَسْکَرُکُمْ فِی قُبُلِ الْأَشْرَافِ- أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ- کَیْمَا یَکُونَ لَکُمْ رِدْءاً وَ دُونَکُمْ مَرَدّاً-

ص:۳۷۶

وَ لْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ- وَ اجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ- وَ مَنَاكِبِ الْهِضَابِ- لِئَلاَّ يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ- وَ اعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ- وَ عُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّفَرُّقَ- فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً- وَ إِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً- وَ إِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً- وَ لاَ تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلاَّ غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً أقول:و هذا الفصل ملتقط من كتاب كتبه عليه السّلام إلى زياد بن النضر الحارثى حين سرّحه على مقدّمته إلى الشام من النخيله لمّا أراد الخروج من الكوفه إليها،و كان قد بعث معه شريح بن هانى و اختلفا فكتب كلّ منهما إليه يشكو من صاحبه فكتب عليه السّلام إليهما:أمّا بعد فإنّى ولّيت زياد بن النضر مقدّمتى و أمّرته عليها،و شريح على طايفه منها أمير فإن جمعكما بأس فزياد على الناس و إن افترقتما فكلّ واحد منكما أمير على الطايفه الّتى ولّيته عليها.و اعلما أنّ مقدّمه القوم عيونهم و عيون المقدّمه طلايعهم فإذا أنتما خرجتما من بلاد كما و دنوتما من بلاد عدوّكما فلا تسكنا من توجيه الطلايع و نفّض الشعاب و الشجر و الخمر فى كلّ جانب كيلا يغترّ كما عدوّ أو يكون لهم كمين و لا تسيرا الكتائب إلاّ من لدن الصباح إلى المساء إلاّ على تعبيه فإن دهمكم دهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم فى التعبيه.ثمّ يتّصل بقوله:فإذا نزلتم.

إلى قوله:أو أمن.ثمّ يتّصل بقوله:و إيّاكم و التفرّق فإذا نزلتم فانزلوا جميعا و إذا رحلتم فارحلوا جميعا و إذا غشيكم الليل فنزلتم فحفّوا عسكركم بالرماح و الترسه،و رماتكم تكون ترستكم و رماحكم و ما أقمتم فكذلك فافعلوا كيلا يصاب لكم غفله و لا يلقى لكم غرّه فما من قوم يحفّون عسكرهم برماحهم و ترستهم من ليل أو نهار إلاّ كأنّهم فى حصون،و احرسا عسكر كما بأنفسكما و إيّاكما أن تذوقا النوم حتّى تصبحا إلاّ غرارا أو مضمضه.ثمّ ليكن ذلك شأنكما و رأيكما إلى أن تنتهيا

إلى عدوّ كما و ليكن عندى كلّ يوم خبركما و رسول من قبلكما فإنّى و لا شىء إلّا ما شاء اللّه حثيث السير فى آثاركما.و عليكما فى حربكما بالتؤوده.و إيّاكما و العجله إلّا أن تمكّنكما فرصه بعد الإعذار و الحجّه،و إيّاكما أن تقاتلا حتّى أقدم عليكما إلّا أن تبدئا أو يأتيكما أمرى «إِنْ شاءَ اللّهُ» ،و لنرجع إلى الشرح فنقول:

اللغه

العين : الجاسوس .و طليعه الجيش : الّذى يبعث ليطّلع على العدوّ .و نفض الشعاب:

استقراؤها .و الخمر : ما واراك من شجر أو جبل و نحوهما .و الكمين : الواحد أو الجمع يستخفون فى الحرب حيله للإيقاع بالعدوّ .و الكتيبه : الجيش .و تعبيته:

جمعه و إعداده .و الدهم : العدد الكثير .و المعسكر - بفتح الكاف-:موضع العسكر .

و الأشراف : جمع شرف بفتح الراء و هو المكان العالى .و قبلها - بضمّتين أو ضمّه و سكون-:هو قدّامها .و سفح الجبل : أسفله حيث يسفح فيه الماء .و أثناء الأنهار:

جمع ثنى و هو منعطفها[منقطعها خ] و الردء : العون فى المقاتله .و الرقباء: الحفظه على صياصى الجبال و هى أعاليها و أطرافها .و الهضاب : جمع هضبه و هى الجبل المنبسط على وجه الأرض .و كفّه بالكسر:أى مستديره .و الغرار : النوم القليل .

و المضمضه : حركه النعاس فى العين و هو كنايه عن قلّه النوم أيضا .و الترسه:

جمع ترس .

المعنى

و اعلم أنّ صدر الكتاب ظاهر إلّا أنّ فيه نكته و هى أنّه كرّر لفظ إلّا عقيب النهى عن تسيرا الكتايب و هما يفيدان الحصر أمّا الاولى فتفيد حصر السير فى الوقت المشار إليه،و أمّا الثانيه فتفيد حصره فى حال التعبيه.و فى هذا الكتاب من تعليم كيفيّه الحرب قوانين كلّيّه عظيمه النفع يستلزم استعمالها الظفر بالعدوّ و تفصح عن تكذيب من ادّعى أنّه لا علم له بالحرب كما حكاه عليه السّلام عن قريش فيما مضى،و فى هذا الفصل جمله منها:

أحدها:أن يختاروا لمعسكرهم عند منازله العدوّ قدّام الأماكن العاليه و سفاح الجبال و أثناء الأنهار.و كشف عن العلّه فى ذلك و وجه المصلحه فيه بقوله:

كيما يكون ردءا لهم:أى تكون هذه الأماكن حافظه لكم من ورائكم مانعه من

العدوّ أن يأتيكم من تلك الجهه و بذلك كانت معينه.

الثانى :أن يكون مقاتلتهم من وجه واحد فإن لم يكن فمن وجهين حيث يحفظ بعضهم ظهر بعض،و سرّه أنّه يستلزم البقاء على الجمعيّه،و أمّا المقاتله من وجوه كثيره فمستلزمه للتفرّق و الضعف.

الثالث:أن يجعلوا لهم حفظه فى الأماكن العاليه و علّته ما ذكر و هو أن لا يأتيهم العدوّ من مكان يخافون منهم،أو يأمنون على غرّه و غفله من الاستعداد له.

الرابع:أن يعلموا أنّ مقدّمه القوم عيون لهم و عيون المقدّمه طلايعهم فلا يهملوا التأهّب عند رؤيه المقدّمه و الطليعه و إن قلّ عددهم لأنّ رؤيتهم ممّا تشعر بهجوم العدوّ و قربه.

الخامس :التحذير من التفرّق،و من لوازمه الأمر بالاجتماع حالتى النزول و الارتحال،و سرّه ظاهر.

السادس:أن يجعلوا الرماح مستديره عليهم و أن لا يستغرقوا فى النوم كما يفعله القارّ المطمئنّ.و سرّهما الحراسه و التحفّظ خوف هجوم العدوّ على الغرّه و حال النوم.

۱۲-و من وصيّه له عليه السّلام

اشاره

لمعقل بن قيس الرياحى

حين أنفذه إلى الشام فى ثلاثه آلاف مقدمه له اِتَّقِ اللَّهَ الَّذِى لاَ بُدَّ لَکَ مِنْ لِقَائِهِ- وَ لاَ مُنْتَهَى لَکَ دُونَهُ- وَ لاَ تُقَاتِلَنَّ إِلاَّ مَنْ قَاتَلَکَ- وَ سِرِ الْبَرْدَيْنِ وَ غَوِّرْ بِالنَّاسِ- وَ رَفِّهْ فِى السَّيْرِ وَ لاَ تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ- فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَناً وَ قَدَّرَهُ مُقَاماً لاَ ظَعْناً- فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَکَ وَ رَوِّحْ ظَهْرَکَ- فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ- أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَلَى

بَرَکهِ اللَّهِ- فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِکَ وَسَطاً- وَ لاَ تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ- وَ لاَ تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ- حَتَّى يَأْتِيَکَ أَمْرِی- وَ لاَ يَحْمِلَنَّکُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ- قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ أقول:روی أنّه علیه السّلام بعثه من المدائن فی ثلاثه ألف و قال له:امض علی الموصل حتّی توافینی بالرفّه.ثمّ قال له اتّق اللّه.الفصل.فخرج حتّی أتی الحدیثه و هی إذ ذاک منزل الناس إنّما بنا الموصل بعد ذلک محمّد بن مروان.ثمّ مضوا حتّی لقوه علیه السّلام بالرفّه.

اللغه

و البردین : الغداه و العشیّ.و کذلک الأبردان .و التغویر القیلوله ، و غوّر : أی نزّل فی الغائره و هی القائله و نصف النهار .و الترفیه: الإراحه .و السکن:

ما یسکن فیه و إلیه .و الظعن . الارتحال .و الانبطاح : الاتّساع و الانبساط .

و أنشبت الشیء بالشیء : علّقته به .و الشنئان : البغض و العداوه .

المعنی

و لمّا کان معقل بن قیس متوجّه للسفر إلی اللّه تعالی فی جهاد أعدائه أمره بتقواه الّذی هو خیر زاد فی الطریق إلیه:و فی قوله:الّذی لا بدّ لک من لقائه و لا منتهی لک دونه فوائد:

إحداها:جذبه إلی التقوی بالتخویف من لقاء اللّه.

الثانیه:تسهیل الجهاد علیه فإنّه لمّا کان معتقدا أنّ الجهاد طاعه مقرّبه إلی اللّه تعالی أشعره بوجوب لقائه لیستعدّ بتلک الطاعه الّتی هو بصددها لما یضطرّ إلیه من لقائه.

الثالثه:أنّه أمره بتقوی اللّه و خوّفه بضروره لقائه تعالی لیکون أسرع إلی ما یأمره به و ینهاه عنه من الامور المذکوره فی وصیّته.فمنها:أن لا یقاتل إلاّ من قاتله فإنّ قتال غیر المقاتل ظلم،و منها:أن یسیر طرفی النهار لبردهما و یغوّر فی وسطه لما یستلزمه القایله من شدّه الحرّ و المتاعب فیه،و أن یرفّه فی السیر لیلحق الضعیف

القوىّ و لا يظهر التعب على الناس لحاجتهم إلى فضل القوّه و الاستجمام،و أن لا يسير فى أوّل الليل لأنّ اللّه جعله سكنا و مناما يستراح فيه من المتاعب و يسكن إليه بعد النفره من أن يجعله محلّ الظعن،و أمره أن يريح فيه بدنه و يروّح ظهره:أى خيله،و أطلق عليه لفظ الظعن مجازا إطلاقا لاسم المظروف على الظرف، و أن يجعل سيره بعد وقوفه فى ليله حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر لأنّها مظنّه طيب السير ،و أن يقف من أصحابه عند لقاء العدوّ وسطا ليكون نسبه الطرفين فى الرجوع إليه و الاستمداد بسماع أوامره على سواء.و من النواهى أن لا يدنو من القوم دنّوا قريبا يشعرهم بإراده إيقاع الفتنه ليكون أعذر عند اللّه و إلى القوم فى دعائهم إلى الحقّ،و لا يتباعد عنهم تباعدا يشعر بخوفه و رهبته من عدوّه لئلّا يطمع فيه العدوّ.و ضرب له فى هذين النهيين غايه هى ورود أمره عليه بأحدهما ،و أن لا يحملهم بغضهم و عداوتهم على قتالهم قبل دعائهم إلى الإمام الحقّ و الإعذار إليهم بذلك فيكون قتالهم على ذلك الوجه لغير اللّه بل بمجرّد الهوى و العداوه فيخرج عن كونه طاعه.و باللّه التوفيق.

۱۳-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى أميرين من أمراء جيشه

وَ قَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا- وَ عَلَى مَنْ فِى حَيِّزِكُمَا؟مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ؟- فَاسْمَعَا لَهُ وَ أَطِيعَا وَ اجْعَلَاهُ دِرْعاً وَ مِجَنّاً- فَإِنَّهُ مِمَّنْ لاَ يُخَافُ وَهْنُهُ وَ لاَ سَقْطَتُهُ- وَ لاَ بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ- وَ لاَ إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ أقول:الأميران المشار إليهما هما زياد بن النضر و شريح بن هانى،و ذلك أنّه حين بعثهما على مقدّمه له فى اثنى عشر ألفا التقيا أبا الأعور السلمى فى جند من أهل الشام فكتبا إليه يعلمانه بذلك.فأرسل إلى الأشتر فقال له ما قال:إنّ زياد بن

النضر و شريحا أرسلا إلىّ يعلمانى أنّهما لقيا أبا الأعور فى جند من أهل الشام بسور الروم فنبّأنى الرسول أنّه تركهم متوافقين فالتجئ لأصحابك التجاء فإذا أتيتهم فأنّبهم[فأنت عليهم خ].عليهم،و إيّاك أن تبدء القوم بقتال إلاّ أن يبدءوك حتّى تلقاهم و تسمع منهم و لا يجر منّك شنئانهم على قتالهم قبل دعائهم و الإعذار إليهم مرّه بعد مرّه،و اجعل على ميمنتك زيادا و على ميسرتك شريحا وقف من أصحابك وسطا و لا تدن منهم دنّو من يريد أن ينشب الحرب و لا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتّى أقدم عليك فإنّى حثيث السير إليك إنشاء اللّه،و كتب إليهما عليه السّلام:أمّا بعد فإنّى أمّرت عليكما.الفصل.

اللغه

و السقطه : الزلّه .و الجزم : ضبط الرجل أمره و أخذه بأولى الآراء و أقواها إلى الصواب .و الأمثل : الأقرب إلى الخير .

المعنى

و قد أمرهما بأوامر:منها أن يسمعا أمر أميرهما فيما يراه أصلح،و أن يطيعا أمره فى ذلك ليكون به نظام امورهم فى لقاء عدوّهم المستلزم لظفرهم،و أن يجعلاه درعا و مجنّا فى الحرب و الرأى فإنّه ممّن لا يخاف ضعفه فى حرب و لازلّته فى رأى و لا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم و أولى بالرأى من الأفعال و لا إسراعه فيما البطؤ عنه أولى بالتدبير و أقرب إلى الخير بل يضع كلّ شىء موضعه. استعاره و لفظ الدرع و المجنّ مستعاران باعتبار وقايته لهم من شرّ عدوّهم كما يقى الدرع و المجنّ صاحبهما .و باللّه التوفيق.

۱۴-و من وصيّه له عليه السّلام

اشاره

لعسكره قبل لقاء العدو بصفين

لاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ- فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّهٍ- وَ تَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ حُجَّهٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ- فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ- فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً وَ لاَ تُصِيبُوا مُعْوِراً- وَ لاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ- وَ لاَ تَهِيجُوا النِّسَاءَ

ص:۳۸۲

بِأَذًى- وَ إِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَ سَبَبْنَ أَمَرَاءَكُمْ- فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَ الْأَنْفُسِ وَ الْعُقُولِ- إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَ إِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ- وَ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّهِ- بِالْفَهْرِ أَوِ الْهِرَاوَهِ- فَيُعَيَّرُ بِهَا وَ عَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ أقول:روی أنّه علیه السّلام کان یوصی أصحابه فی کلّ موطن یلقون العدوّ فیه بهذه الوصیّه.

اللغه

الهزیمه : الهرب .و أعور الصید : أمکن من نفسه ،و أعور الفارس : ظهر فیه موضع خال للضرب.فهو معور .و أجهز علی الجریح : قتله .و أهجت الشیء:

أثرته .و الفهر : الحجر المستطیل الأملس .و الهراوه : خشبه کالدبوس .و العقب:

الولد ذکرا و انثی .

و قد وصیّ فی هذا الفصل بامور :

أحدها:ان لا یقاتلوهم إلی أن یبدءوهم بالقتال،

و أشار إلی أنّ ذلک یکون حجّه ثانیه علیهم و أومی بالحجّه الاولی إلی قوله تعالی «فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَی الْأُخْری فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللّهِ» (۱)و ظاهر أنّ هؤلاء بغاه علی الإمام الحقّ فوجب قتالهم.

و أمّا الثانیه:فهی ترکهم حتّی یبدءوا بالحرب

و بیان هذه الحجّه من وجهین:

أحدهما:أنّهم إذا بدءوا بالحرب فقد تحقّق دخولهم فی حرب اللّه و حرب رسوله لقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:حربک یا علیّ حربی.و محقّق سعیهم فی الأرض بالفساد بقتلهم النفس الّتی حرّم اللّه ابتداء بغیر حقّ و کلّ من تحقّق دخوله فی ذلک دخل فی عموم قوله تعالی «إِنَّما جَزاءُ الَّذِینَ یُحارِبُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ» (۲)الآیه.

الثانی:أنّ البادی بالحرب معتد ابتداءا.و کلّ معتد کذلک فیجب الاعتداء

۱- (۱) ۹-۴۹.

۲- (۲) ۳۷-۵.

علیه لقوله تعالی «فَمَنِ اعْتَدی عَلَیْکُمْ فَاعْتَدُوا عَلَیْهِ» الآیه فوجب الاعتداء علیهم إذا بدءوا بالحرب .

الثالث:وصّاهم علی تقدیر وقوع الهزیمه منهم بإذن اللّه أن لا یقتلوا مدبرا:

أی مولّیا هاربا و لا یصیبوا معورا،و هو الّذی أمکنتهم الفرصه فی قتله بعد انکسار العدوّ کالمعور من الصید.و قیل:أراد بالمعور المریب و هو الّذی وقع فیه الشکّ أنّه محارب أم لا:أی لا تقتلوا إلاّ من علمتم أنّه محارب لکم.

الرابع:أن لا تجهزوا علی جریح.

و هذه الامور الأربعه المنهیّ عنها هاهنا هی من أحکام الکفّار حال الحرب.ففرّق علیه السّلام بین هؤلاء البغاه و بینهم فیها و إن أوجب قتالهم و قتلهم،و یلحق بذلک من أحکامهم ما نقله نصر بن مزاحم تماما لهذا الفصل بعد قوله:و لا تجهزوا علی جریح:و لا تکشفوا عوره،و لا تمثّلوا بقتیل، و إذا وصلتم إلی رجال القوم فلا تهتکوا سرّا و لا تدخلوا دارا إلاّ بإذن و لا تأخذوا شیئا من أموالهم.ثمّ یتّصل بقوله:و لا تهیجوا النساء،و المراد بذلک أن لا تثیروا شرورهنّ بأذی و إن بلغن الغایه المذکوره من شتم الأعراض و سبّ الامراء،و علّل أولویّه الکفّ عنهنّ بکونهنّ ضعیفات القوی:أی ضعیفات القدر عن مقاومات الرجال و حربهم.و سلاح الضعیف و العاجز لسانه،و بکونهنّ ضعیفات الأنفس:أی لا صبر لنفوسهنّ علی البلاء فیجتهدن فی دفعه بما أمکن من سبّ و غیره،و بکونهنّ ضعیفات العقول:أی لا قوّه لعقولهنّ أن یرین عدم الفایده فی السبّ و الشتم و أنّه من رذایل الأخلاق و أنّه یستلزم زیاده الشرور و إثاره الطبایع الّتی یراد تسکینها و کفّها .

و قوله:و إن کنّا.إلی آخره.

و قوله:و إن کنّا.إلی آخره.

تنبیه علی الأمر بالکفّ عنهنّ لأنّه إذا امر بالکفّ عنهنّ حال کونهنّ مشرکات ففی حال إظهارهنّ الإسلام أولی.و الواو فی و إنهنّ للحال.

و قوله:و إن کان الرجل.إلی آخره.

و قوله:و إن کان الرجل.إلی آخره.

تنبیه علی ما فی أذاهنّ من المفسده و هی السمه اللازمه لفاعله فی حالتی

حیاته و بعد وفاته،و ذلک تنفیر عن أذاهنّ فی معرض النهی عنه و تناولها بالفهر و الهراوه کنایه عن ضربها بهما،و-إن-فی قوله:و إن کنّا،و فی قوله:و إن کان.

هی المخفّفه من الثقیله و تلزم اللام خبرها فرقا بینها و بین إن النافیه.

۱۵-و کان یقول علیه السّلام

اشاره

إذا لقی العدو محاربا:

اَللَّهُمَّ إِلَیْکَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَ مُدَّتِ الْأَعْنَاقُ- وَ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ وَ نُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَ أُنْضِیَتِ الْأَبْدَانُ- اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَکْنُونُ الشَّنَآنِ- وَ جَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ- اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْکُو إِلَیْکَ غَیْبَهَ نَبِیِّنَا- وَ کَثْرَهَ عَدُوِّنَا وَ تَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا- «رَبَّنَا افْتَحْ بَیْنَنا وَ بَیْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَیْرُ الْفاتِحِینَ» أقول:روی أنّه علیه السّلام کان إذا اشتدّ القتال ذکر اسم اللّه حین یرکب.ثمّ یقول:

الحمد للّه علی نعمه علینا و فضله العمیم، «سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما کُنّا لَهُ مُقْرِنِینَ وَ إِنّا إِلی رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ» .ثمّ یستقبل القبله و یرفع یدیه و یقول:اللّهمّ إلیک نقلت الأقدام.الفصل.إلی قوله:خیر الفاتحین.ثمّ یقول:سیروا علی برکه اللّه.ثمّ یقول:اللّه أکبر اللّه أکبر لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر یا اللّه یا أحد یا صمد یا ربّ محمّدبسم اللّه الرحمن الرحیم و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلیّ العظیم «إِیّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّاکَ نَسْتَعِینُ» اللّهمّ کفّ عنّا أیدی الظالمین فکان هذا شعاره بصفّین.

اللغه

و أفضت القلوب : خرجت إلیه عن کلّ شیء و وصلت إلیه خالصه سرّها .و شخوص البصر : ارتفاعه نحو الشیء بحیث لا یطرف .و إنضاء الأبدان : هزالها .و صرّح:

ظهر،و هو فعل لازم .و الشنئان : العداوه و البغضاء .و مكتومه : المستور منه .و المراجل : القدور .و جيشها : غليانها .و الضغن : الحقد .و افتح: أی احكم .

و الفاتح : الحاكم .

المعنی

و لمّا كان مراده عليه السّلام جهادا خالصا للّه و عباده له،و من كمال العبادات أن تشفع بذكر اللّه و توجيه السرّ إليه.إذ كان ذلك هو سرّ العباده و فايدتها لا جرم كان دأبه فی جهاده التضرّع و الالتفات إلی اللّه بهذا الفصل و أمثاله مع ما يستلزمه من طلب النصر و الإعداد له.فأشار بإفضاء القلوب إلی الإخلاص له فی تلك الحال، و بمدّ الأعناق و شخوص الأبصار إلی ما يستلزمه الإخلاص من الهيئات البدنيّه، و بنقل الأقدام و إنضاء الأبدان إلی أنّ ذلك السفر و ما يستلزمه من المتاعب إنّما هو لوجهه و غايه الوصول إلی مرضاته، استعاره مرشحه و أشار إلی علّه قتالهم له فی معرض الشكايه إلی اللّه تعالی و هی تصريحهم بما كان مستقرّا فی صدورهم فی حياه الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم من العداوه و البغضاء و لجيش أضغانهم السابقه ممّا فعل بهم ببدر واحد و غيرهما من المواطن.فلفظ المراجل مستعار و وجه المشابهه غليان دماء قلوبهم عن الأحقاد كغليان المراجل،و لفظ الجيش ترشيح .ثمّ لمّا كانت غيبه النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و فقده هو السبب الّذی استلزم تصريح الشنئان و ظهور الأضغان و كثره العدوّ و تفرّق الأهواء لا جرم شكی إلی اللّه من تحقّقها و ما يسلزمه من هذه الشرور.ثمّ سأله أن يحكم بينه و بينهم بالحقّ اقتباسا من القرآن الكريم،لما أنّ إيقاع الحكم الحقّ بينهم يستلزم نصرته عليهم و ظفره بهم.إذ كان هو المحقّ فی جهاده.و باللّه التوفيق.

۱۶-و كان عليه السلام يقول

اشاره

لأصحابه عند الحرب

لاَ تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّهٌ بَعْدَهَا كَرَّهٌ- وَ لاَ جَوْلَهٌ بَعْدَهَا حَمْلَهٌ- وَ أَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا- وَ وَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا- وَ اذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَی الطَّعْنِ

ص:۳۸۶

الدَّعْسِیِّ وَ الضَّرْبِ الطِّلَحْفِیِّ- وَ أَمِیتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ فَوَ الَّذِی فَلَقَ الْحَبَّهَ وَ بَرَأَ النَّسَمَهَ- مَا أَسْلَمُوا وَ لَکِنِ اسْتَسْلَمُوا وَ أَسَرُّوا الْکُفْرَ- فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَیْهِ أَظْهَرُوهُ

اللغه

أقول: الفرّه : المرّه من الفرار .و الکرّه : الفعله من الکرّ و هو الرجوع علی العدوّ .و الجوله : الدوره .و المصارع : مواضع الصرع للقتلی .و ذمرته أذمره : أی حثثته .و الدعسیّ : منسوب إلی الدعس و هو الأثر .و الطلحف:

الشدید.و الیاء للمبالغه .و النسمه : الخلق.

المعنی

و قوله:لا تشتدّنّ علیکم إلی قوله:حمله .

و قوله: لا تشتدّنّ علیکم إلی قوله: حمله .

أی إذا رأیتم فی فرارکم مصلحه فی خدعه العدوّ کالجذب له بذلک حیث یتمکّن منه و یقع الفرصه فتکرّوا علیه حینئذ فلا تشتدّنّ علیکم الفرّه،و وجه الشدّه هنا أنّ الفرار بین العرب صعب شدید لما یستلزمه من العار و السّبه.فأشار إلی وجه تسهیله علیهم بأنّه إذا کان بعده کرّه فلا بأس به لما فیه من المصلحه،و یحتمل أن یرید أنّکم إذا اتّفق لکم إن فررتم فرّه عقّبتموها بکرّه فلا تشتدّنّ علیکم تلک الفرّه فتنفعلوا و تستحیوا فإن تلک الکرّه کالماحیه لها.و فیه تنبیه علی الأمر بالکرّه علی تقدیر الفرّه،و کذلک قوله:و لا بجوله بعدها حمله.

و یحتمل أن یرید فلا تشتدّنّ علیکم فرّه من عدوّکم بعدها کرّه منه علیکم فإنّ تلک الکرّه لمّا کانت عقیب الفرّه لم تکن إلّا عن قلوب مدخوله و نیّات غیر صحیحه.

و إنّما قدّم الفرّه فی هذا الاحتمال لأنّ مقصوده تحقیر تلک الکرّه بذکر الفرّه، و کان ذکرها أهمّ فلذلک قدّمت،و کذلک قوله:و لا جوله بعدها حمله.

ثمّ أمرهم بأوامر :

أحدها:

استعاره بالکنایه أن یعطوا السیوف حقوقها .و هو کنایه عن الأمر بفعل ما ینبغی أن یفعل.و لفظ العطاء مستعار لما تصل إلیه السیوف من الأفعال الّتی ینبغی أن تفعل بها .

الثانى:

کنایه أن یوطّنوا لجنوبهم مصارعها :أی یتّخذوا مصارع جنوبهم أوطانا لها.و هو کنایه عن الأمر بالعزم الجازم علی القتل فی سبیل اللّه و الإقدام علی أهوال الحرب.إذ کان اتّخاذ المصارع أوطانا للجنوب مستلزما لذلک العزم و الإقدام.

و روی:و وطّئوا-بالیاء-.

الثالث:أن یحثّوا أنفسهم علی الطعن الّذی یظهر أثره و الضرب الشدید:

أی یحملوها علی ذلک و یبعثوها بالدواعی الصادقه الّتی فیها رضی من تذکّر ما وعد اللّه عباده الصالحین.

الرابع:أن یمیتوا الأصوات

:أی لا یکثروا الصیاح فإنّه من علامات الفشل فعدمه یکون علامه للثبات المنافی للجبن و الصیاح.و قد سبقت الإشاره إلی ذلک .ثمّ أقسم بما یعتاده من القسم البارّ أنّ القوم لم یسلموا بقلوبهم حین أظهروا الإسلام فی زمن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بألسنتهم،و لکنّهم استسلموا خوفا من القتل و أسرّوا الکفر فلمّا وجدوا علیه أعوانا أظهروه.و هو إشاره إلی المنافقین من بنی امیّه کعمرو بن العاص و مروان و معاویه و أمثالهم،و روی مثل هذا الکلام لعمّار بن یاسر-رضی اللّه عنه-و باللّه التوفیق.

۱۷-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی معاویه،جوابا عن کتاب منه إلیه

وَ أَمَّا طَلَبُکَ إِلَیَّ؟الشَّامَ؟- فَإِنِّی لَمْ أَکُنْ لِأُعْطِیَکَ الْیَوْمَ مَا مَنَعْتُکَ أَمْسِ- وَ أَمَّا قَوْلُکَ- إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَکَلَتِ الْعَرَبَ إِلاَّ حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِیَتْ- أَلاَ وَ مَنْ أَکَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَی الْجَنَّهِ- وَ مَنْ أَکَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَی النَّارِ- وَ أَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِی الْحَرْبِ وَ الرِّجَالِ- فَلَسْتَ بِأَمْضَی عَلَی الشَّکِّ مِنِّی عَلَی الْیَقِینِ- وَ لَیْسَ أَهْلُ؟الشَّامِ؟ بِأَحْرَصَ

ص:۳۸۸

عَلَى الـدُّنْيَا- مِنْ أَهْـلِ؟الْعِرَاقِ؟ عَلَى الْـآخِرَهِ- وَ أَمَّا قَوْلُـكَ إِنَّا؟بَنُو عَبْـدِ مَنَـافٍ؟ فَكَـذَلِكَ نَحْنُ وَ لَكِنْ لَيْسَ؟أُمَيَّهُ؟ ؟كَهَـاشِمٍ؟- وَ لاَ؟حَرْبٌ؟ ؟كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ وَ لاَ؟أَبُو سُـفْيَانَ؟ ؟كَأَبِى طَالِبٍ؟- وَ لاَ الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَ لاَ الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ- وَ لاَ الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَ لاَ الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ- وَ لَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِى نَارِ جَهَنَّمَ- وَ فِى أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّهِ الَّتِى أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ- وَ نَعَشْـنَا بِهَا الـذَّلِيلَ- وَ لَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِى دِينِهِ أَفْوَاجاً- وَ أَسْـلَمَتْ لَهُ هَـذِهِ الْأُمَّهُ طَوْعاً وَ كَرْهاً- كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِى الدِّينِ إِمَّا رَغْبَهً وَ إِمَّا رَهْبَهً- عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَـبْقِهِمْ- وَ ذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْـلِهِمْ- فَلاَ تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً- وَ لاَ عَلَى نَفْسِـكَ سَبِيلاً أقول:روى أنّ معاويه استشار بعمرو بن العاص فى أن يكتب إلى علىّ كتابا يسأله فيه الشام فضحك عمرو و قال:أين أنت يا معاويه من خدعه علىّ؟.قال:

ألسنا بنى عبد مناف؟قال:بلى و لكن لهم النبوّه دونك.و إن شئت أن تكتب فاكتب.

فكتب معاويه إليه مع رجل من السكاسك يقال له عبد اللّه بن عقبه:أمّا بعد فإنّى أظنّك لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت و علمنا،لم يجبّها بعض على بعض.و إنّا و إن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما يندم بها على ما مضى و نصلح به ما بقى،و قد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمنى منك طاعه و لا بيعه و أبيت ذلك علىّ فأعطانى اللّه ما منعت و أنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنّك لا ترجو

من البقاء إلاّ ما أرجو و لا أخاف من القتل إلاّ ما تخاف،و قدو اللّه رقّت الأجناد و ذهبت الرجال و أكلت الحرب العرب إلاّ حشاشات أنفس بقيت،و إنّا فى الحرب و الرجال سواء و نحن بنو عبد مناف و ليس لبعضنا على بعض فضل إلاّ فضل لا يستذلّ به عزيز و لا يسترّق به حرّ.و السلام.فلمّا قرء علىّ عليه السّلام كتابه تعجّب منه و من كتابه ثمّ دعا عبد اللّه بن أبى رافع كاتبه و قال له:اكتب إليه:أمّا بعد فقد جاءنى كتابك تذكر أنّك لو علمت و علمنا أنّ الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت لم يحبّها بعض على بعض و أنا و إيّاك فى غايه لم نبلغها بعد،و أمّا طلبك إلى الشام.الفصل.

اللغه

الحشاشه : بقيّه الروح .و الطليق : الأسير الّذى اطلق من أسره و خلّى سبيله .و الصريح : الرجل خالص النسب .و اللصيق : الدعىّ الملصق بغير أبيه .

و المدغل : الّذى اشتمل باطنه على فساد كنفاق و نحوه .و سلف الرجل : آباؤه المتقدّمون .و خلفه : من يجىء بعده .و نعشنا : رفعنا .و الفوج : الجماعه .

و قد أجاب عليه السّلام عن امور أربعه تضمّنها كتاب معاويه:

أحدها:أنّه استعطفه إلى البقيّه و استدرجه لوضع الحرب

بقوله:إنّك لو علمت.إلى قوله:ما بقى.و فيه إشعار بالجزع من عضّ الحرب و الخوف من دوامها فأجابه عليه السّلام بقوله:و أنا و إيّاك فى غايه لم نبلغها بعد،و يفهم منه التهديد ببقاء الحرب إلى الغايه منها و هى الظفر به و هلاكه و هو مستلزم لتخويفه و التهويل عليه و منع ما طلب من وضع الحرب.

الثانى:أنّه سأل إقراره على الشام

مع نوع من التشجّع الموهم لعدم الانفعال و الضراعه،و ذلك فى قوله:و قد كنت سألتك الشام.إلى قوله:أمس.

و قوله:فإنّك لا ترجو.إلى قوله:ما نخاف.

إشاره إلى كونهما سواء فى رجاء البقاء و الخوف من القتل،و مقصود ذلك أن يوهم أنّه لا انفعال له عن تلك الحرب أيضا.

و قوله:و أنا أدعوك إلى ما دعوتك إليه أمس.

أى من طلب إقراره على الشام،و ذلك أنّه عليه السّلام حين بويع بالخلافه كان

معاویه سأل منه إقراره علی إمره الشام،و نقل عن ابن عبّاس أنّه قال له علیه السّلام:

ولّه شهرا و اعز له دهرا فإنّه بعد أن یبایعک لا یقدر علی أن یعدل فی إمرته و لا بدّ أن یجور فتعز له بذلک.فقال علیه السّلام:کلاّ «وَ ما کُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّینَ عَضُداً» .و روی:

أنّ المغیره بن شعبه قال له علیه السّلام:إنّ لک حقّ الطاعه و النصیحه أقرر معاویه علی عمله و العمّال علی أعمالهم حتّی إذا أتتک طاعتهم و تبعه الجنود استبدلت أو ترکت.فقال علیه السّلام:حتّی أنظر فخرج من عنده ثمّ عاد إلیه من الغد فقال:إنّی أشرت علیک أمس برأی و إنّ الرأی أن تعاجلهم بالنزع فیعلم السامع من غیره و یستقلّ أمرک ثمّ خرج من عنده.فجائه ابن عبّاس فأخبره بما أشار إلیه المغیره من الرأیین.فقال:أمّا أمس فقد نصحک و أمّا الیوم فقد غشّک.و قد کان الرأی الدنیاویّ الخالص فی حفظ الملک ذلک لکنّه علیه السّلام لمّا لم یکن لیتساهل فی شیء من أمر الدین أصلا و إن قلّ و کان إقرار معاویه و أمثاله علی الأعمال یستلزم العدول فی کثیر من تصرّفاتهم عن سبیل اللّه لا جرم لم یر إقراره علی العمل،و منعه ما سأل.

و لمّا کان منعه أوّلا ممّا سأل منعا خالصا للّه عن مشارکه الهوی و المیول الطبیعیّه لم یکن سؤاله ثانیا و استعطافه إیّاه مقرّبا له إلی إجابته خصوصا و قد أحدث تلک الحروب الشدیده الّتی أخذت من العرب ما أخذت و قتل من المهاجرین و الأنصار و سایر العرب من قتل،بل أجابه بعین ما أجابه أوّلا من الردّ و المنع فی قوله:

فلم أکن لاعطیک الیوم ما منعتک أمس.إذ العلّه فی المنع قائمه فی کلّ حین و زمان و هی المحافظه علی دین اللّه .

الثالث:حفظ الرجال.

و التبقیه علی الأجناد لحفظ الإسلام و تقویمه أمر واجب فلا جرم استعطفه و استدرجه إلی التبقیه علیهم بالتنبیه علی ذلک بقوله:و قدو اللّه.إلی قوله:بقیت.فأجابه علیه السّلام ألا و من أکله الحقّ فإلی النار و هو کبری قیاس حذفت صغراه للعلم بها،و تقدیرها:أنّ هؤلاء الأجناد الّذین قتلناهم إنّما قتلهم الحقّ:أی کان قتلهم بحقّ لبغیهم.و تقدیر هذه الکبری:و کلّ من قتله الحقّ فمصیره إلی النار فینتج أنّ مصیر من قتل من هؤلاء إلی النار.ثمّ هذه النتیجه تنبیه

على الجواب و هى فى قوّه صغرى قياس ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان من أهل النار فلا يجوز التبقيه عليه و لا الأسف لفقده .

الرابع:أوهم بقوله:و إنّا فى الحرب و الرجال سواء.

على أنّه ممّن لا ينفعل عن هذه الحروب و إن اشتدّت،و أنّ الضعف و الهلاك إن جرى فعلى العسكرين.و فيه نوع تخويف و تهويل.فأجابه عليه السّلام بقوله:فلست بأمضى.إلى قوله:

الآخره،و وجه كون الأوّل جوابا أنّه يقول:إنّك فى طلبك لما أنت طالب له على شكّ من استحقاقه و أنا على يقين فى ذلك و كلّ من كان فى شكّ من أمره فليس بأمضى فى حربه و قيامه عليه ممّن هو على ثقه فى أمره ينتج أنّك لست أمضى فى أمرك على الشكّ منّى على اليقين فى أمرى.و يفهم من ذلك أنّه يقول:بل أنا أمضى فى أمرى و أولى بالغلبه لكونى على بصيره و يقين.و حينئذ تكذب المساواه بينهما لكون المتيقّن أرجح فى فعله من الشاكّ،و وجه كون الثانى جوابا أنّه يقول:

إنّ أهل الشام يطلبون بقتالهم الدنيا و أهل العراق يطلبون بقتالهم الآخره و ليس أهل الشام بأحرص على مطلوبهم من الدنيا من أهل العراق على مطلوبهم من الآخره.

و يفهم من ذلك أنّه يقول:بل أهل العراق أحرص على الآخره من أهل الشام على الدنيا لشرف الآخره و لتيقّنهم حصولها،و انقطاع الدنيا و شكّ أهل الشام فى حصولها كما قال تعالى «فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللّهِ ما لا يَرْجُونَ» (1)و حينئذ تكذب المساواه فى الحرب و الرجال لشرف أهل الآخره على أهل الدنيا و لكون الأحرص أولى بالغلبه و القهر .

الخامس:أنّه نبّه بقوله:و نحن بنو عبد مناف.

إلى آخره على مساواته له فى الشرف و الفضيله و هو فى قوّه صغرى قياس ضمير من الأوّل.و تقدير كبراه:

و كلّ قوم كانوا من بيت واحد فلا فضل لبعضهم على بعض و لا فخر.فأجابه عليه السّلام بالفرق بينهما بعد أن سلم له الاشتراك بينهما فى كونهما من بنى عبد مناف و ذكر الفرق من وجوه خمسه بدء فيها بالامور الخارجه أوّلا من كمالاته و فضائله و

۱- ۱) ۴.۱۰۵.

رذائل خصمه متدرّجا منها إلى الأقرب فالأقرب.

فالأوّل:شرفه من جهه الآباء المتفرّعين عن عبد مناف،و ذلک أنّ سلک آبائه علیه السّلام أبو طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف،و سلک آباء معاویه أبو سفیان بن حرب بن امیّه بن عبد مناف،و ظاهر أنّ کلّ واحد من اولئک الثلاثه أشرف ممّن هو فی درجته من آباء معاویه.و قد ذکرنا طرفا من فضلهم علی غیرهم.

الثانی:شرفه من جهه هجرته مع الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و خسّه خصمه من جهه کونه طلیقا و ابن طلیق.و هذه الفضیله و إن کانت خارجیّه إلاّ أنّها تستلزم فضیله نفسانیّه و هی حسن الإسلام و النّیه الصادقه الحقّه،و کذلک ما ذکر من رذیله خصمه بدنیّه عرضت له إلاّ أنّ هذه الفضیله و الرذیله أقرب من الاعتبارین الأوّلین لکونهما حقیقیّتین بالآباء و همیّتین بالأبناء دون هاتین.

الثالث:و کذلک شرفه من جهه صراحه النسب و خسّه خصمه من جهه کونه دعیّا.و هذان الاعتباران أقرب ممّا قبلهما لکونهما اعتبارین لازمین لهما دون الأوّلین.

الرابع:شرفه من جهه کونه محقّا فیما یقوله و یعتقده،و رذیله خصمه من جهه کونه مبطلا.و هذان الاعتباران أقرب لکونهما من الکمالات و الرذائل الذاتیّه دون ما قبلهما.

الخامس:شرفه من جهه کونه مؤمنا و المؤمن الحقّ هو المستکمل للکمالات الدینیّه النفسانیّه،و خسّه خصمه من جهه کونه مدغلا:أی خبیث الباطن مشتملا علی النفاق و الرذائل الموبقه.و ظاهر أنّ هذین الاعتبارین أقرب الکمالات و الرذائل إلی العبد،و إنّما بدء بذکر الکمالات و الرذائل الخارجیّه لکونهما مسلّمه عند الخصم و أظهر له و للخلق من الامور الداخلیّه .ثمّ لمّا ذکر الرذائل المتعلّقه بخصمه أشار إلی کونه فی أفعاله و رذائله خلفا لسلف هوی فی نار جهنّم.ثم رتّب ذمّه علی ذلک.

و قوله:و لبئس الخلف.إلی قوله:جهنّم.

ص:۳۹۳

فی قوّه کبری قیاس استغنی بمفهومها عن صغراه.و تقدیرها:فأنت خلف تتبع سلفا،و کلّ خلف تتبع فی أفعاله و رذائله سلفا هوی فی نار جهنّم فهو کذلک، و کلّ من کان کذلک فبئس به.

السادس :أنّ معاویه لمّا أکّد ما به علّق من المساواه فی الفضل فی قوله:و لیس لبعضنا علی بعض فضل و استثنی من ذلک فقال:إلّا فضل لا یستذلّ به عزیز و لا یسترقّ به حرّ.أشار علیه السّلام إلی کبری هی کالجواب لذلک و هو قوله:و فی أیدینا بعد فضل النبوّه.إلی قوله:الذلیل،و ظاهر أنّ هذا الفضل الّذی حصل فی هذا البطن من هاشم هو سبب إذلالهم الأعزّاء و إنعاشهم و تقویتهم الأذلّاء و استرقاقهم الأحرار،و ذلک فضل عریت عنه بنو امیّه و غیرهم.فإذن قوله:و لیس لبعضنا علی بعض فضل إلّا فضل لا یستذّل به عزیز.إلی آخره قول باطل .ثمّ أردف هذه الفضیله بذکر رذیله لخصمه بالنسبه إلی فضیله شملت کثیرا من العرب،و تلک هی دخولهم فی الإسلام لا للّه بل إمّا لرغبه أو رهبه علی حین فاز أهل السبق بسبقهم إلی اللّه و حصل المهاجرون و الأنصار علی ما حصلوا علیه من الفضایل المسعده .ثمّ لمّا ظهر هذه الفرق من فضائله و رذائل خصمه نهاه عن أمرین:

کنایه أحدهما: أن لا یجعل للشیطان فی نفسه نصیبا .و هو کنایه عن النهی عن اتّباعه للهوی.

و الثانی: أن لا یجعل له علیه سبیلا .و هو کنایه عن النهی عن انفعاله عنه و فتح باب الوسوسه علیه،و هذا النهی یفهم منه أنّه قد جعل للشیطان فی نفسه نصیبا و له علیه سبیلا و أنّ ذلک النهی فی معرض التوبیخ له علی ذلک .و باللّه التوفیق.

۱۸-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی عبد اللّه بن عباس

،و هو عامله علی البصره :وَ اعْلَمْ أَنَّ؟الْبَصْرَهَ؟ مَهْبِطُ؟إِبْلِیسَ؟ وَ مَغْرِسُ الْفِتَنِ- فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ

ص:۳۹۴

إِلَيْهِمْ- وَ احْلُلْ عُقْدَهَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ- وَ قَدْ بَلَغَنِی تَنَمُّرُکَ؟لِبَنِی تَمِیمٍ؟ وَ غِلْظَتُکَ عَلَیْهِمْ- وَ إِنَّ؟بَنِی تَمِیمٍ؟ لَمْ یَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ- إِلاَّ طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ- وَ إِنَّهُمْ لَمْ یُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِی جَاهِلِیَّهٍ وَ لاَ إِسْلاَمٍ- وَ إِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّهً وَ قَرَابَهً خَاصَّهً- نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَی صِلَتِهَا- وَ مَأْزُورُونَ عَلَی قَطِیعَتِهَا- فَارْبَعْ ؟أَبَا الْعَبَّاسِ؟ رَحِمَکَ اللَّهُ- فِیمَا جَرَی عَلَی لِسَانِکَ وَ یَدِکَ مِنْ خَیْرٍ وَ شَرٍّ- فَإِنَّا شَرِیکَانِ فِی ذَلِکَ- وَ کُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّی بِکَ- وَ لاَ یَفِیلَنَّ رَأْیِی فِیکَ وَ السَّلاَمُ أقول:روی أنّ ابن العبّاس کان قد أضرّ ببنی تمیم حین ولّی البصره من قبل علیّ علیه السّلام للّذی عرفهم به من العداوه یوم الجمل لأنّهم کانوا من شیعه طلحه و الزبیر و عایشه فحمل علیهم ابن عبّاس فأقصاهم و تنکّر علیهم و عیّرهم بالجمل حتّی کان یسمّیهم شیعه الجمل و أنصار عسکر-و هو اسم جمل عایشه-و حزب الشیطان.

فاشتدّ ذلک علی نفر من شیعه علیّ علیه السّلام من بنی تمیم منهم حارثه بن قدامه و غیره.

فکتب بذلک حارثه إلی علیّ علیه السّلام یشکو إلیه ابن عبّاس.فکتب علیه السّلام إلی ابن عبّاس:

أمّا بعد فإنّ خیر الناس عند اللّه غدا أعلمهم بطاعته فیما علیه و له و أقواهم بالحقّ و إن کان مرّا.ألا و إنّه بالحقّ قامت السماوات و الأرض فیما بین العباد فلتکن سریرتک فعلا و لیکن حکمک واحدا و طریقتک مستقیما.و أعلم أنّ البصره مهبط إبلیس.الفصل.

اللغه

و التنمّر : تنکّر الأخلاق و تغیّرها .و الوغم : الحقد .و الماسّه : القریبه .

و مأزورون : أی یلحق بنا الوزر و هو الإثم .و اربع : أی توقّف و تثبت و فال

الرأی یفیل : أی ضعف و أخطأ .

المعنی

کنایه و أعلم أنّه کنّی بکون البصره مهبط إبلیس عن کونها مبدء الآراء الباطله و الأهواء الفاسده الصادره عن إبلیس المستلزمه لإثاره الفتن و کثرتها لأنّ مهبط إبلیس و مستقرّه محلّ لذلک،و أراد مهبطه من الجنّه . استعاره و استعار لفظ المغرس للبصره باعتبار کونها محلاّ تنشأ فیه الفتن الکثیره کما أنّ مغرس الشجر من الأرض محلّ لنشوه و نمائه .قال بعضهم:و فی قوله:مهبط إبلیس.نوع لطف فإنّ الوهم الّذی هو إبلیس النفس العاقله إذا انفرد بحکمه عن تدبیرها العقلیّ و خرج عن موافقه العقل العملیّ فیما یراه و یحکم به فقد هبط من عالم الکمال و موافقه العقل و تلقّی أوامره العالیه الّتی هی أبواب الجنّه إلی الخیبه السافله،و مشارکه الشهوه و الغضب فی حکمه بأصلحیّه الآراء الفاسده.و لمّا أحاط القضاء الإلهیّ بما یجری من أهل البصره من نکث بیعته علیه السّلام و مخالفته و کانوا ممّن عزلوا عقولهم عن الآراء المصلحیّه رأسا و هبط إبلیس و جنوده بأرضهم فأروهم الآراء الباطله فی صور الحقّ فلحقوا بهم فکان منهم ما کان و نزل بهم ما نزل من سوء القضاء و درک الشقاء فکانت بلدتهم لذلک مهبط إبلیس و مغرس الفتن الناشیه عن وسوسته و آرائه الفاسده.ثمّ أمره أن یحادثهم بالإحسان إلیهم:أی یعدهم بذلک،و أن یحلّ عقد الخوف عن قلوبهم. استعاره مرشحه بالکنایه و استعار لفظ العقده لما ألزمهم به من المخالفه[المخافه خ]بالغلظه علیهم و کثره الأذی لهم، و وجه المشابهه کون ذلک الخوف ملازما لهم معقودا بقلوبهم کالعقده للحبل و نحوه، و رشّح بلفظ الحلّ و کنّی به عن إزاله الخوف عنهم .و غرض هذه الأوامر أن لا ینفر قلوبهم منه و تثور أضغانهم فیعاودوا الخروج عن طاعته و إثاره الفتنه .ثمّ أعلمه بما یرید إنکاره علیه ممّا بلغه من تنمّره لهم،و أردف ذلک بذکر أحوال لهم یجب مراقبتهم و حفظ قلوبهم لأجلها:

استعاره مرشحه أحدها:أنّه لم یمت لهم سیّد إلاّ قام لهم آخر مقامه،و استعار له لفظ النجم ، و وجه المشابهه کون سیّد الجماعه و کبیرهم قدوه یهتدون به و یقتدون بآرائه فی الطرق المصلحیّه،و رشّح بذکر المغیب و الطلوع .

ص:۳۹۶

الثانى:أنّهم لم يسبقوا بوغم.و يحتمل وجهين:

أحدهما:أنّه لم يسبقهم أحد إلى الثوران و الأحقاد و حيث كانوا،فى جاهليّه أو إسلام لشرف نفوسهم و قلّه احتمالهم للأذى،و ذلك أنّ المهين الحقير فى نفسه لا يكاد يغضب و يحقد ممّا يفعل من الأذى.و إن غضب فى الحال إلاّ أنّه لا يدوم ذلك الغضب و لا يصير حقدا.

الثانى:يحتمل أن يريد أنّهم لم يسبقوا بشفاء حقد من عدوّ.و ذلك لقوّتهم و نجدتهم.فحذف المضاف.

الثالث :أنّ لهم ببنى هاشم قرابه قريبه إلى آخره.قيل:تلك القرابه لاتّصالهم عند إلياس بن مضر لأنّ هاشم ابن عبد مناف بن قصىّ بن كلاب بن مرّه بن كعب بن لوىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن حزيمه بن مدركه بن إلياس بن مضر،و تميم ابن مراد بن طانجه بن إلياس بن مضر،و زاد ترغيبا فى مواصلتهم و مداراتهم بكون صله الرحم مستلزمه للأجر فى الآخره،و تركها مستلزم للوزر.و قال:مأزورون.و الأصل موزورون.فقلّب ليجانس قوله:مأجورون.و فى الحديث لترجعنّ مأزورات غير مأجورات .ثمّ أردف ذكر تلك الأحوال الّتى يقتضى الرفق بهم بالأمر بالتوقّف و التثبّت فيما يجرى على يده و لسانه من فعل و قول أهو خير أو شرّ لأنّ التثبّت فى الامور أولى بإصابه وجه المصلحه،و أراد بالشرّ ما يجريه على رعيّته من عقوبه فعليّه أو قوليّه.

و قوله:فإنّا شريكان فى ذلك.

كالتعليل لحسن أمره له بالتثبت فى ذلك لأنّه لمّا كان واليا من قبله فكلّ حسنه أو سيّئه يحدثها فى ولايته فله عليه السّلام شركه فى إحداثها.إذ هو السبب البعيد لمسبّبها القريب،و أبو العبّاس كنيه عبد اللّه بن العبّاس.و العرب تدعو من تكرمه بالكنى.قال:اكنّيه حين اناديه لا كرمه.و لمّا كان عليه السّلام قد استصلحه للولايه و رآه أهلا لها أمره أن يلازم ظنّه الصالح فيه و لا يكشف عن ضعف ذلك الرأى و عدم مطابقته فيه بسوء صنيعه.و باللّه التوفيق.

ص:٣٩٧

۱۹–و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ- فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِکَ شَکَوْا مِنْکَ غِلْظَةً وَ قَسْوَةً- وَ احْتِقَاراً وَ جَفْوَةً- وَ نَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْکِهِمْ- وَ لَا أَنْ يُقْصَوْا وَ يُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ- فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّهِ- وَ دَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَهِ وَ الرَّأْفَهِ- وَ امْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَ الْإِدْنَاءِ- وَ الْإِبْعَادِ وَ الْإِقْصَاءِ «إِنْ شاءَ اللّهُ»

اللغه

أقول: الدهقان : معرّب يحتمل الصرف إن كان نونه أصليّه و إلّا فلا ينصرف للوصف و الألف و النون الزائدتين .و القسوه : غلظ القلب و شدّته .و أقصاه : أبعده .

و الجفوه : ضدّ البرّ .و الجلباب : الملحفه .و المداوله : تقليب كلّ واحد من القسوه و الرأفه على الآخر و الأخذ بكلّ منهما مرّه- من الإداله و هى الإداره- .

المعنى

و المنقول أنّ هؤلاء الدهاقين كانوا مجوسا.و لمّا شكوا إليه غلظه عامله فكّر فى امورهم فلم يرهم أهلا للإدناء الخالص لكونهم مشركين و لا إقصائهم لكونهم معاهدين فإنّ إدنائهم و إكرامهم خالصا هضم و نقيصه فى الدين،و إقصائهم بالكليّه ينافى معاهدتهم.

فأمره بالعدل فيهم و معاملتهم باللين المشوب ببعض الشدّه كلّ فى موضعه،و كذلك استعمال القسوه مرّه و الرأفه اخرى و المزج بين التقريب و الإبعاد لما فى طرف اللين و الرأفه و التقريب من استقرار قلوبهم فى أعمالهم و زراعاتهم الّتى بها صلاح المعاش و ما فى مزاجها بالشدّه و القسوه و الإبعاد من كسر عاديتهم و دفع شرورهم و إهانتهم المطلوبه فى الدين.و استلزم ذلك نهيه عن استعمال الشدّه و القسوه و الإبعاد فى حقّهم دائما و اللين و الرأفه و الإدناء خالصا، استعاره مرشحه و استعار لفظ الجلباب

لما أمره بالاتّصاف به و هو تلك الهيئه المتوسّطه من اللين المشوب بالشدّه بين اللين الخالص و الشدّه الصرفه،و رشّح بذكر اللين .و باللّه التوفيق.

۲۰-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى زياد بن أبيه

،و هو خليفه عامله عبد اللّه بن عباس على البصره، و عبد اللّه خليفه أمير المؤمنين على البصره و الأهواز و فارس و كرمان وَ إِنِّى أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صَادِقاً- لَئِنْ بَلَغَنِى أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً- لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ- ثَقِيلَ الظَّهْرِ ضَئِيلَ الْأَمْرِ وَ السَّلَامُ أقول:زياد هذا هو زياد بن سميّه امّ أبى بكره،دعىّ أبى سفيان،قد يعدّ فى أولاده من غير صريح بنوّه،و روى أنّ أوّل من دعاه ابن أبيه عايشه حين سئلت لمن يدعى.و كان كاتبا لمغيره بن شعبه ثمّ كتب لأبى موسى ثمّ كتب لابن عامر ثمّ كتب لابن عبّاس.و كان مع علىّ عليه السّلام فولّاه فارس.فكتب إليه معاويه يهدّده.

فكتب إليه:أتوعّدنى و بينى و بينك ابن أبى طالب أما و اللّه لئن وصلت إلىّ لتجدنى أحمز ضرابا بالسيف.ثمّ ادّعاه معاويه أخا له و ولّاه بعد علىّ عليه السّلام البصره و أعمالها و جمع له بعد المغيره بن شعبه العراقين.و كان أوّل من جمعا له.

اللغه

و الشدّه:

الحمله .و الوفر : المال .و الضئيل : الحقير .

المعنى

كنايه و حاصل الفصل تحذير زياد من خيانه مايليه من مال المسلمين و وعيده إن وقعت منه بالعقوبه عليها.و كنّى عنها بالشدّه و وصف شدّه تلك الشدّه باستلزامها امورا ثلاثه فيها سلب الكمالات الدنيويّه و الاخرويّه:

أحدها:نقصان ماله و قلّته.

و الثانى:نقصان جاهه.و كنّى عنه بقوله: ضئيل الأمر .و هما سالبان للكمال الدنيوىّ .

ص:۳۹۹

الثالث:ثقل ظهره بالأوزار و التبعات.و هو دالّ على سلب كماله الاخروىّ.

فإن قلت:كيف يريد ثقل الظهر بالأوزار و ليس ذلك بسبب شدّته عليه السّلام و إنّما الأوزار من اكتساب نفسه.

قلت:إنّ مجموع هذه الامور الثلاثه و هى سلب ماله و جاهه مع ثقل الظهر بالأوزار حاله يدعه عليها و هى حاله مخوفه مكروهه خوّفه بها.و لا شكّ أنّ تلك الحاله من فعله و إن لم يكن بعض أجزائها من فعله،أو نقول:الثلاثه أحوال متعدّده و الحال لا يلزم أن تكون من فعل ذى الحال،و يحتمل أن يكون ثقل الظهر كنايه عن التضعّف و عدم النهوض بما يحتاج إليه و يهمّه:أى يدعك ضعيف الحركه فى الامور ،و اللّه أعلم.

۲۱-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إليه أيضا فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً- وَ اذْكُرْ فِی الْيَوْمِ غَداً- وَ أَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ- وَ قَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ- أَ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ- وَ أَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ- وَ تَطْمَعُ وَ أَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِی النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَ الْأَرْمَلَهَ- أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ- وَ إِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِیٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَ قَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ وَ السَّلَامُ

اللغه

أقول: التمرّغ : التمعّك[التملّك خ]و التقلّب .

المعنى

و قد أمره فى هذا الفصل بأوامر :

أحدها:ترك الإسراف

و هو رذيله الإفراط من فضيله الاقتصاد المتوسّط

ص:۴۰۰

بینه و بین الإجحاف بالنفس و الإصرار بها و هو طرف التفریط من هذه الفضیله.

و الأمر بترک الإسراف مستلزم للأمر بهذه الفضیله لأنّ الأمر بالشیء علی حاله أمر بتلک الحاله أیضا.

الثانی:أن یذکر فی الیوم غدا

:أی یذکر فی حاضر أوقاته مستقبلها من یوم القیامه فإنّ فی ذلک زجرا للنفس و انکسارا عن الإشراف علی الدنیا و الاشتغال بها.

الثالث:أن یمسک من المال بقدر ضرورته.

و هو تفسیر للاقتصاد فی تناول الدنیا و حفظها.

الرابع:أن یقدّم الفضل منها لیوم حاجته

و هو یوم القیامه و ما بعد الموت.

و فیه استدراج لإنفاق المال فی سبیل اللّه فإنّ کلّ عاقل یعلم أنّ إسلاف ما لا یحتاج إلیه من فضول المال فی سبیل اللّه و تقدیمه لما یحتاج إلیه فی وقت حاجته من أکبر المصالح المهمّه . ثمّ استفهم علی سبیل الإنکار عن رجائه أن یؤتیه اللّه ثواب المتواضعین حال ما هو مکتوب فی علمه من المتکبّرین تنبیها منه علی أنّ ثواب کلّ فضیله إنّما ینال باکتسابها و التخلّق بها لا بالکون علی ضدّها.فمن الواجب إذن التخلّق بفضیله التواضع لینال ثوابها.و لن یحصل التخلّق بها إلاّ بعد الانحطاط عن درجات المتکبّرین فهو إذن من الواجبات،و کذلک استفهمه عن طمعه فی ثواب المتصدّقین حال اقتنائه للمال و تنعّمه به و منه ما للضعیف و الأرمله استفهام منکر لذلک الطمع علی تلک الحال فإنّ ثواب کلّ حسنه بقدرها و من لوازمها،و جزاء کلّ حسنه بحسبها و من لوازمها.و نبّه علی ذلک بقوله:و إنّما المرء مجزیّ بما أسلف.

إلی آخره،و فی قوله:قادم علی ما قدّم.من محاسن الکلام،و فیه الاسقاق.

۲۲-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی عبد اللّه بن العباس رحمه اللّه

و کان عبد اللّه یقول:ما انتفعت بکلام بعد کلام رسول اللّه،صلّی اللّه

عليه و آله کانتفاعی بهذا الکلام.

أَمَّا بَعْدُ- فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ یَسُرُّهُ دَرْکُ مَا لَمْ یَکُنْ لِیَفُوتَهُ- وَ یَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ یَکُنْ لِیُدْرِکَهُ- فَلْیَکُنْ سُرُورُکَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِکَ- وَ لْیَکُنْ أَسَفُکَ عَلَی مَا فَاتَکَ مِنْهَا- وَ مَا نِلْتَ مِنْ دُنْیَاکَ فَلاَ تُکْثِرْ بِهِ فَرَحاً- وَ مَا فَاتَکَ مِنْهَا فَلاَ تَأْسَ عَلَیْهِ جَزَعاً- وَ لْیَکُنْ هَمُّکَ فِیمَا بَعْدَ الْمَوْتِ

اللغه

أقول: الدرک : اللحوق .و لا تأس :و لا تحزن .

المعنی

و حاصل الفصل النهی عن شدّه الفرح بما یحصل من المطالب الدنیویّه و شدّه الأسف علی ما یفوت منها،و بیان ما ینبغی للإنسان أن یسرّ بحصوله و یأسف لفقده ممّا لا ینبغی له.فأشار إلی الأوّل بقوله:فإنّ المرء إلی قوله:لیدرکه،و هو خبر فی معنی النهی،و لفظ ما فی الموضعین مهمل یراد به المطالب الدنیویّه،و نبّه بقوله:ما لم یکن لیفوته.علی أنّ ما یحصل من مطالب الدنیا أمر واجب فی القضاء الإلهیّ وصوله إلی من یحصل له فهو کالحاصل فلا ینبغی أن یشتدّ فرحه عند حصوله،و بقوله:ما لم یکن لیدرکه.علی أنّ ما یفوت منها فهو أمر واجب فوته فالأسف علیه ممّا لا یجدی نفعا بل هو ضرر عاجل.ثمّ خصّصه بالخطاب علی سبیل الوصیّه و الموعظه و فصّل له ما ینبغی أن یسرّ و یأسف علیه ممّا لا ینبغی له فأمّا ما ینبغی أن یسرّ به فهو ما ناله من آخرته و ما ینبغی أن یأسف علیه فهو ما فاته منها ، و أمّا ما ینبغی أن لا یفرح به ممّا ناله من دنیاه لما عرفت من وجوب فنائها و کون القرب منها مستلزما للبعد عن الآخره و ما ینبغی أن لا یأسف علیه ممّا لم ینله منها لکون البعد عنها مستلزما للقرب من الآخره.

فإن قلت:کیف قال:ما نلت من آخرتک.و معلوم أنّه لا ینال شیء من الآخره إلّا بعد الموت؟.

قلت:یحتمل وجهین:أحدهما:لا- نسلّم أنّ من مطالب الآخره لا- یحصل إلاّ- بعد الموت فإنّ الکمالات النفسانیّه من العلوم و الأخلاق الفاضله و الفرح بها من الکمالات الاخرویّه و إن کان الإنسان فی الدنیا.الثانی:یحتمل أن یرید فلیکن سرورک بما نلت من أسباب آخرتک.فحذف المضاف و أقام المضاف إلیه مقامه.

و کذلک بیّن له ما ینبغی أن یکون همّه متوجّها نحوه و قصده متعلّقا به و هو ما بعد الموت من أحوال الآخره من سعاده دائمه یسعی فی تحصیلها أو شقاوه لازمه یعمل للخلاص منها.و باللّه التوفیق.

۲۳-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

قاله قبل موته علی سبیل الوصیه،لما ضربه ابن ملجم لعنه اللّه

وَصِیَّتِی لَکُمْ أَلاَّ تُشْرِکُوا بِاللَّهِ شَیْئاً- وَ؟مُحَمَّدٌ ص؟ فَلاَ تُضَیِّعُوا سُنَّتَهُ- أَقِیمُوا هَذَیْنِ الْعَمُودَیْنِ- وَ أَوْقِدُوا هَذَیْنِ الْمِصْبَاحَیْنِ وَ خَلاَکُمْ ذَمٌّ- أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُکُمْ- وَ الْیَوْمَ عِبْرَهٌ لَکُمْ وَ غداً مُفَارِقُکُمْ- إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِیُّ دَمِی- وَ إِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِیعَادِی- وَ إِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِی قُرْبَهٌ وَ هُوَ لَکُمْ حَسَنَهٌ- فَاعْفُوا «أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ یَغْفِرَ اللّهُ لَکُمْ» وَ اللَّهِ مَا فَجَأَنِی مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ کَرِهْتُهُ- وَ لاَ طَالِعٌ أَنْکَرْتُهُ- وَ مَا کُنْتُ إِلاَّ کَقَارِبٍ وَرَدَ وَ طَالِبٍ وَجَدَ- «وَ ما عِنْدَ اللّهِ خَیْرٌ لِلْأَبْرارِ» قال الرضی رحمه اللّه،و قد مضی بعض هذا الکلام فیما تقدم من الخطب، إلا أن فیه ههنا زیاده أوجبت تکریره.

أقول:هذا الفصل قال عليه السّلام فى بعض أيّام مرضه قبل موته و سيأتى شرح حال مقتله و وصيّته فى فصل أطول من هذا و أليق بذكر الحال عنده «إِنْ شاءَ اللّهُ» بعده

اللغه

و فجأه الأمر : أتاه بغته .و القارب : طالب الماء.و قيل:هو الّذى يكون بينه و بين الماء ليله .

و قد وصىّ عليه السّلام بأمرين هما عمود الإسلام و بهما يقوم:

أحدهما:أن لا يشركوا باللّه شيئا.

و هو التوحيد الخالص،و الشهاده به أوّل مطلوب بلسان الشريعه كما سبق بيانه.

و الثانى:الاهتمام بأمر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المحافظه على سنّته.

و قد علمت أنّ من سنّته وجوب اتّباع كلّما جاء و المحافظه عليه فإذن المحافظه على كتاب اللّه من الواجبات المأمور بها بالالتزام.و ظاهر أنّ إقامه هذين الأمرين مستلزم للخلوّ عن الذمّ، استعاره و لفظ العمود مستعار لهما ملاحظه لشبههما بعمودى البيت فى كونهما سببين لقيام الإسلام و عليهما مداره كالبيت على عمده ،و خلاكم ذمّ.كالمثل.يقال:افعل كذا و خلاك ذمّ:أى فقد أعذرت و سقط عنك الذمّ. مجاز من باب اطلاق اسم المتعلّق على المتعلّق ثمّ نعى نفسه إليهم،و أشار إلى وجه العبره بحاله بذكر تنقّلها و تغيّرها فى الأزمان الثلاثه ففى الماضى كان صاحبهم الّذى يعرفونه بالقوّه و الشجاعه و قهر الأعداء و عليه مدار امور الدنيا و الدين، و فى الحاضر صار عبره :أى محلّ عبره.فحذف المضاف،أو معتبرا.فأطلق اسم المتعلّق على المتعلّق مجازا ،و فى المستقبل مفارق لهم.ثمّ أردف ذلك ببيان أمره مع قاتله على تقديرى فنائه و بقائه،و يشبه أن يكون فى الكلام تقديم و تأخير و التقدير فأنا ولىّ دمى،و روى:أولى بدمى فإن شئت أقمت القصاص و إن شئت عفوت فإن أعف فالعفو لى قربه و إن أفن فالفناء ميعادى فإن شئتم فاقتلوا قاتلى و إن شئتم تعفو فالعفو لكم حسنه فاعفوا،لكنّه ذكر قسمى بقائه و فنائه ثمّ عقّبهما بذكر حكمهما مقترنين و اقتبس الايه فى معرض الندب إلى العفو ترغيبا فيه .ثمّ أقسم أنّه ما أتاه من بغته الموت وارد كرهه و لا طالع أنكره.و صدقه فى ذلك ظاهر فإنّه عليه السّلام كان سيّد الأولياء بعد سيّد الأنبياء.و من خواصّ أولياء اللّه شدّه محبّه اللّه و الشوق البالغ إلى ما أعدّ لأوليائه فى جنّات عدن.و من كان كذلك كيف يكره وارد الموت الّذى

هو بـاب وصوله إلى محابّه و أشرف مطالبه الّتى قطع وقته فى السعى لها و هى المطالب الحقّه الباقيه؟و كيف ينكره و هو دائم الترصّد و الاشتغال و الـذكر له؟. تشبيه ثمّ شبّه نفسه فى هجوم الموت عليه و وصوله بسببه إلى مـا اعـدّ له من الخيرات البـاقيه بالقارب الّذى ورد الماء،و وجه الشبه استقرا به لتلك الخيرات و وثوقه بها و استسهاله بسببها آفات الدنيا و شدائد الموت كما يستسهل القـارب عنـد وروده المـاء ما كان يجده من شدّه العطش و تعب الطريق،و فيه إيماء إلى تشبيه تلك الخيرات بالماء.و كـذلك شبّه نفسه بالطالب الواجد لما يطلبه،و وجه الشبه كونه قرّا عينا بما ظفر به من مطالبه الاخرويّه كما يطيب نفس الطالب للشىء به إذا وجده،و ظاهر أنّ طيب النفس و بهجتها بما تصيبه من مطالبها ممّا يتفاوت لتفاوت المطالب فى العزّه و النفاسه،و لمّا كانت المطالب الاخرويّه أهمّ المطالب و أعظمها قدرا و أعزّها جوهرا أوجب أن يكون بهجه نفسه بها و قرّه عينه بما أصاب منها أتمّ كلّ بهجه بمطلوب . اقتباس ثمّ اقتبس الآيه فى مساق إشعاره بوجدان مطلوبه متبها بها على أنّ مطلوبه فى الدنيا لم يكن إلاّ ما عند اللّه الّذى هو خير لأوليائه الأبرار من كلّ مطلوب يطلب .و باللّه التوفيق.

۲۴-و من وصيّه له عليه السّلام

اشاره

بما يعمل فى أمواله،كتبها بعد منصرفه من صفين

هَـذَا مَـا أَمَرَ بِهِ عَبْـدُ اللَّهِ؟عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَـالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟- فِى مَـالِهِ ابْتِغَـاءَ وَجْهِ اللَّهِ- لِيُولِجَهُ بِهِ الْجَنَّهَ وَ يُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَنَهَ مِنْهَا فَإِنَّهُ يَقُومُ بِـذَلِكَ؟الْحَسَنُ بْنُ عَلِىٍّ؟- يَأْكُـلُ مِنْهُ بِـالْمَعْرُوفِ- وَ يُنْفِقُ فِى الْمَعْرُوفِ- فَإِنْ حَـدَثَ؟بِحَسَنٍ؟ حَـدَثٌ وَ؟حُسَـيْنٌ؟ حَىٌّ- قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ

ص:۴۰۵

وَ أَصْـدَرَهُ مَصْـدَرَهُ- وَ إِنَّ لاِبْنَیْ؟فَاطِمَهَ؟ مِنْ صَـدَقَهِ؟عَلِیٍّ؟ مِثْلَ الَّذِی لِبَنِی؟عَلِیٍّ؟- وَ إِنِّی إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِیَامَ بِـذَلِکَ- إِلَی ابْنَیْ؟فَاطِمَهَ؟ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ- وَ قُرْبَهً إِلَی؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- وَ تَکْرِیماً لِحُرْمَتِهِ وَ تَشْرِیفاً لِوُصْلَتِهِ- وَ یَشْتَرِطُ عَلَی الَّذِی یَجْعَلُهُ إِلَیْهِ- أَنْ یَتْرُکَ الْمَالَ عَلَی أُصُولِهِ- وَ یُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَیْثُ أُمِرَ بِهِ وَ هُدِیَ لَهُ- وَ أَلاَّ یَبِیعَ مِنْ أَوْلاَدِ نَخِیلِ هَذِهِ الْقُرَی وَدِیَّهً- حَتَّی تُشْکِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً وَ مَنْ کَانَ مِنْ إِمَائِی اللاَّتِی أَطُوفُ عَلَیْهِنَّ- لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِیَ حَامِلٌ- فَتُمْسَکُ عَلَی وَلَدِهَا وَ هِیَ مِنْ حَظِّهِ- فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَ هِیَ حَیَّهٌ فَهِیَ عَتِیقَهٌ- قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ وَ حَرَّرَهَا الْعِتْقُ قال الرضی:قوله علیه السلام فی هذه الوصیه أن لا یبیع من نخیلها ودیه:

الودیه:الفسیله،و جمعها ودی،و قوله علیه السلام حتی تشکل أرضها غراسا.

هو من أفصح الکلام،و المراد به أن الأرض یکثر فیها غراس النخل حتی یراها الناظر علی غیر تلک الصفه التی عرفها بها فیشکل علیه أمرها و یحسبها غیرها أقول:رویت هذه الوصیّه بروایات مختلفه بالزیاده و النقصان و قد حذف السیّد منها فصولا و لنوردها بروایه یغلب علی الظنّ صدقها:عن عبد الرحمن بن

ص:۴۰۶

الحجّاج قال:بعث إليّ بهذه الوصيّه أبو إبراهيم عليه السّلام.هذا ما أوصى به و قضى فى ماله عبد اللّه علىّ «ابْتِغاءَ وَجْهِ اللّهِ» ليولجنى به الجنّه و يصرفنى به عن النار «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ» .إنّ ما كان لى بينبع من مال يعرف لى فيها و ما حولها صدقه،و رقيقها غير أبى رباح و أبى يبر و عتقاء ليس لأحد عليهم سبيل.فهم موالى يعملون فى المال خمس حجج و فيه نفقتهم و رزقهم و رزق أهاليهم.و مع ذلك ما كان بوادى القرى كلّه مال بنى فاطمه رقيقها صدقه و ما كان لى لبنى و أهلها صدقه غير أنّ رقيقها لهم مثل ما كتبت لأصحابهم،و ما كان لى بادنيه و أهلها صدقه،و القصد كما قد علمتم صدقه فى سبيل اللّه و إنّ الّذى كتبت و من أموالى هذه صدقه واجبه ببكّه حيّا أنا كنت أو ميّتا ينفق فى كلّ نفقه أبتغى بها وجه اللّه فى سبيل اللّه و جهه ذوى الرحم من بنى هاشم و بنى المطّلب و القريب و البعيد.و إنّه يقوم بذلك الحسن بن علىّ يأكل منه بالمعروف و ينفقه حيث يريد اللّه فى كلّ محلّل لا حرج عليه فيه،و إن أراد أن يبيع نصيبا من المال فيقضى به الدين فليفعل إنشاء لا حرج عليه فيه،و إن شاء جعله من الملك،و إنّ ولد علىّ أموالهم إلى الحسن بن علىّ و إن كانت دار الحسن غير دار الصدقه فبدا له أن يبيعها فليبعها إن شاء لا حرج عليه فيه فإن باع فإنّه يقسمها ثلاثه أثلاث فيجعل ثلثا فى سبيل اللّه،و يجعل ثلثا فى بنى هاشم و بنى المطّلب، و يجعل الثلث فى آل أبى طالب و أنّه يضعهم حيث يريد اللّه.ثمّ يتّصل بقوله:

و إن حدث بحسن حدث و حسين حىّ فإنّه إلى حسين بن علىّ و إنّ حسينا يفعل فيه مثل الّذى أمرت به حسنا،له مثل الّذى كتبت للحسن و عليه مثل الّذى على الحسن.ثمّ يتّصل بقوله:و إنّ الّذى لبنى فاطمه.إلى قوله:و تشريفا لوصلته.ثمّ يقول:و إن حدث بحسن و حسين حدث فإنّ للآخر منهما أن ينظر فى بنى علىّ فإن وجد فيهم من يرضى بهديه و إسلامه و أمانته منهم فإنّه يجعله إليه إنشاء و إن لم يرفيهم بعض الّذى يريد فإنّه يجعله فى بنى ابنى فاطمه و يجعله إلى من يرضى بهديه و اسلامه و أمانته منهم.و إنّه شرط على الّذى جعله إليه أن يترك المال على اصوله و ينفق من ثمره حيث أمره اللّه من سبيل اللّه و وجوهه و ذوى الرحم

من بنى هاشم و بنى المطّلب و القريب و البعيد،و أن لا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى إلى آخره.ثمّ يقول:ليس لأحد عليها سبيل هذا ما قضى علىّ أمواله هذه يوم قدم مسكن «اِبْتِغاءَ وَجْهِ اللّٰهِ» و الدار الآخره لا يباع منه شىء و لا يوهب و لا يورث «وَ اللّٰهُ الْمُسْتَعٰانُ» على كلّ حال،و لا يحلّ لامرئ مسلم يؤمن باللّه و اليوم الآخر أن يغيّر شيئا ممّا أوصيت به فى مال و لا يخالف فيه أمرى من قريب و لا بعيد.و شهد هذا أبو سمر بن أبرهه و صعصعه بن صوحان و سعيد بن قيس و هيّاج بن أبى الهيّاج،و كتب علىّ بن أبى طالب بيده لعشر خلون من جمادى الاولى سنه سبع و ثلاثين.

اللغه

يولجنى : يدخلنى .و الأمنه : الأمن .و حرّرها : جعلها حرّه .

المعنى

و أكثر هذه الوصيّه واضح عن الشرح غير أنّ فيها نكتا:

الاولى:جواز الوصيّه و الوقف على هذا الوجه،و تعليم الناس كيفيّه ذلك.

الثانيه :قوله:يأكل منه بالمعروف:أى على وجه الاقتصاد الّذى يحلّ له من غير إسراف و تبذير و لا بخل و تقتير و ينفق منه فى المعروف:أى فى وجوه البرّ المتعارفه غير المنكره فى الدين.

الثالثه:قوله:فإن حدث بحسن حدث.كنايه عن الموت.و الأمر يحتمل أن يريد به أمره بما أمره به و قيامه به تنفيذه و إجراؤه فى موارده،و يحتمل أن يريد به جنس الامور الّتى امر بالتصرّف فيها و بها.

الرابعه:الضمير فى قوله:بعده.للحسن.و فى أصدره.للأمر الّذى يقوم به.

و أمّا الضمير الّذى فى مصدره فيحتمل وجهين:

أحدهما:عوده إلى الحسن،و تقديره و أصدر الحسين الأمر كإصدار الحسن له و قضى فى المال كقضائه.و المصدر بمعنى الإصدار كقوله «وَ اللّٰهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبٰاتاً» (۱)أى إنباتا،و يحتمل أن يكون المصدر محلّ الإصدار:أى و أصدره فى محلّ إصداره.

ص:۴۰۸

۱- ۱) ۱۶-۷۱.

الثانی:و یحتمل أن یعود إلی الأمر الّذی وصیّ به علیه السّلام و یکون المعنی و وضع کلّ شیء موضعه.

کنایه الخامسه :قوله: أن یترک المال علی اصوله .کنایه عن عدم إخراجه ببیع أو هبه أو بوجه من وجوه التملیکات.

السادسه:قوله:و أن لا یبیع من أولاد نخیل هذه القری ودّیه حتّی یشکل أرضها غراسا.و الحکمه فی ذلک و جهان:

أحدهما:أنّ الأرض قبل أن تشکل غراسا ربّما یموت فیها ما یحتاج إلی أخلاف فینبغی أن لا یباع من فسیلها شیء حتّی تکمل غراسا و ثبت بحیث لا یحتاج إلی شیء.

الثانی:أنّ النخله قبل أن یشکل أرضها تکون بعد غیر مستحکمه الجذع و لا مشتدّه فلو قلع فسیلها من تحتها ضعف جدّا حتّی لا تکاد نتجت فأمّا إذا قویت و اشتدّت لم یکن علیها بقلع فسیلها کثیر مضرّه و ذلک حین یشکل أرضها و یتکامل غراسها و تلتبس علی الناظر حسب ما فسرّه السیّد-رحمه اللّه-.

کنایه السابعه :کنّی بالطواف علی إمائه عن نکاحهنّ و کنّ یومئذ سبع عشره منهنّ امّهات الأولاد أحیاء معهنّ أولادهنّ،و منهنّ حبالی،و منهنّ من لا ولد لها.

فقضی فیهنّ إن حدث به حادث الموت أنّ من کانت منهنّ لیس لها ولد و لا حبلی فهی عتیق لوجه اللّه لا سبیل لأحد علیها،و من کان منهنّ لها ولدا و هی حبلی فتمسّک علی ولدها و هی من حظّه:أی تلزمه.و یحسب ثمنها من حصّته و تنعتق علیه فإن مات ولدها و هی حیّه فهی عتیق لا سبیل لأحد علیها،و قضاؤه علیه السّلام بکون امّ الولد الحیّ محسوبه من حظّ ولدها و تعتق من مات ولدها من إمائه بعد موته بناء علی مذهبه علیه السّلام فی بقاء امّ الولد علی الرقّ بعد موت سیّدها المستولد و یصحّ بیعها.و هو مذهب الإمامیّه،و قول قدیم للشافعی،و فی الجدید أنّها تنعتق بموت سیّدها المستولد و لا یجوز بیعها،و علیه اتّفاق فقهاء الجمهور حتّی لو بیعت و قضی قاض بصحّه بیعها فالمختار من مذهب الشافعی أنّه ینقض قضاؤه.و باللّه التوفیق.

ص:۴۰۹

۲۵-و من وصيّه له عليه السّلام

اشاره

کان يکتبها لمن يستعمله على الصدقات،

و إنما ذکرنا هنا جملا منها ليعلم بها أنه کان يقيم عماد الحق،و يشرع أمثله العدل:فى صغير الأمور و کبيرها،و دقيقها و جليلها انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيکَ لَهُ- وَ لاَ تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً وَ لاَ تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ کَارِهاً- وَ لاَ تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَکْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِى مَالِهِ- فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَىِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ- مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ- ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّکِينَهِ وَ الْوَقَارِ- حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ- وَ لاَ تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّهِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُولَ عِبَادَ اللَّهِ- أَرْسَلَنِى إِلَيْکُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَ خَلِيفَتُهُ- لِآخُذَ مِنْکُمْ حَقَّ اللَّهِ فِى أَمْوَالِکُمْ- فَهَلْ لِلَّهِ فِى أَمْوَالِکُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ- فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لاَ- فَلاَ تُرَاجِعْهُ- وَ إِنْ أَنْعَمَ لَکَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ- مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ- أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ فَخُذْ مَا أَعْطَاکَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّهٍ- فَإِنْ کَانَ لَهُ مَاشِيَهٌ أَوْ إِبِلٌ فَلاَ تَدْخُلْهَا إِلاَّ بِإِذْنِهِ- فَإِنَّ أَکْثَرَهَا لَهُ- فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلاَ تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ- وَ لاَ عَنِيفٍ بِهِ- وَ لاَ تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَهً وَ لاَ تُفْزِعَنَّهَا- وَ لاَ تَسُوأَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا- وَ اصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ- فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ- ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِىَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ- فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ-

فلاَ تزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ- وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ- فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ- ثُمَّ اخْلِطْهُمَا ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً- حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ- وَ لاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً وَ لاَ هَرِمَةً وَ لاَ مَكْسُورَةً وَ لاَ مَهْلُوسَةً وَ لاَ ذَاتَ عَوَارٍ- وَ لاَ تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلاَّ مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ- رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ- حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ- وَ لاَ تُوَكِّلْ بِهَا إِلاَّ نَاصِحاً شَفِيقاً وَ أَمِيناً حَفِيظاً- غَيْرَ مُعْنِفٍ وَ لاَ مُجْحِفٍ وَ لاَ مُلْغِبٍ وَ لاَ مُتْعِبٍ- ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ- نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ- فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ- فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَ بَيْنَ فَصِيلِهَا- وَ لاَ يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا- وَ لاَ يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً- وَ لْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَ بَيْنَهَا- وَ لْيُرَفِّهْ عَلَى اللاَّغِبِ- وَ لْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَ الظَّالِعِ- وَ لْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ- وَ لاَ يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ- وَ لْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ- وَ لْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ وَ الْأَعْشَابِ- حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدَّناً مُنْقِيَاتٍ- غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَ لاَ مَجْهُودَاتٍ- لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ص- فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ- وَ أَقْرَبُ لِرُشْدِكَ «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»

اللغه

أقول: روّعه : أفزعه .و لا تخدج بالتحيّه : أى لا تنقضها.و روى يخدج

التحيّه:من أخدجت السحابه إذا قلّ قطرها .و أنعم له : أى قال:نعم .و العسف:

الأخذ بشدّه و على غير وجه .و الإرهاق : تكليف العسر .و الماشيه: الغنم و البقر .و العنيف : الّذى لا رفق له .و صدعت المال صدعين : قسّمت بقسمين .و العود:

المسنّ من الإبل و هو الّذى جاوز فى السنّ البازل .و الهرمه : العاليه السنّ .

و المكسوره : الّتى انكسرت إحدى قوائمها .و المهلوسه : الّتى بها الهلاس و هو السلّ .و العوار-بالفتح- : العيب،و قد يضمّ .و المجحف : الّذى يسوق المال سوقا عنيفا يذهب بلحمه و الملغب : المتعب .و اللغوب : الإعياء .و أوعزت إليه بكذا:

أى أمرته به .و حال بين الشيئين : حجز .و المصر : حلب كلّ ما فى الضرع من اللبن ،و التمصّر : حلب بقايا اللبن فيه .و الترفيه : الإراحه و استأن : أى ارفق .

و النقب : البعير الّذى رقّت أخفافه .و الغدر : جمع غدير الماء .و النطاف : المياه القليله :

و الأعشاب : جمع عشب و هو النبات .و البدن : السمان،الواحد بادن .و المنقيات : الّتى صارت من سمّها ذات نقى و هو مخّ العظام و شحم العين .و النقو : كلّ عظم ذى مخّ .

المعنى

و هذه الوصيه مشتمله على تعليم عامله على جبايه الصدقات قوانين العدل فى أخذها من أهلها.و مداره و أمره له على الشفقّه عليهم و الرفق بهم.و اعلم أنّ الرفق بالرعيّه و إن كان من أهمّ المطالب للشارع صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لاستلزامه تألّف قلوبهم و اجتماعها عليه و على ما جاء به من الحقّ إلاّ أنّه هاهنا أهمّ و الحاجه إليه أشدّ،و ذلك أنّ الغرض هنا أخذ بعض ما هو أعزّ المطالب عند الناس من أيديهم و هو المال و مشاركتهم فيه فقلوبهم هنا أقرب إلى النفار ممّا يدعون إليه من سائر التكاليف و هم إلى المداراه و الرفق أشدّ حاجه فلذلك أكّد عليه السّلام وصيّه العامل بالرفق بهم و المساهله منهم حفظا لقلوبهم. و فى الوصيّه مواضع:

الأوّل:أمره بالانطلاق معتمدا على تقوى اللّه غير مشرك فى تقواه غيره و لا موجّه نيّته فى انطلاقه إلى سواه لأنّ حركته هذه حركه دينيّه من جمله العبادات فيجب توجيهها إليه بالإخلاص.

الثانى:لا يفزع مسلما كما هو عاده الولاه الظالمين،و أن لا تختارنّ عليه

کارها:أی لا تختار شیئا من إبله أو ماشیته و هو کاره لاختیاره،و روی و لا یجتازنّ بالجیم:أی و لا یمرّنّ علی أرض إنسان و مواشیه و هو کاره لمرورک علیها و بها.

و انتصب کارها علی الحال من الضمیر المجرور.

الثالث :أمره إذا نزل بقبیله أن ینزل بمائهم لأنّ من عاده العرب أن تکون میاههم بارزه عن بیوتهم،و أن لا تخالط بیوتهم لما فی ذلک من المشقّه علیهم و التکلّف له.

الرابع:قوله:ثمّ امض إلیهم.إلی قوله:و لا تسوءنّ صاحبها.فیها تأدیب له بما ینبغی أن یفعله فی حقّهم ممّا یستلزم المصلحه،و تعلیم لأسباب الشفقّه علیهم من الأفعال کالسکینه و الوقار و القیام فیهم من الأقوال کالسلام و أداء الرساله و أحوال الأقوال کإتمام التحیّه و الرفق فی القول،و من التروک کان لا یخیف المسلم و لا یتوعّده و لا یعسفه و لا یرهقه عسرا و لا یدخل إبله و ماشیته من غیر إذنه و لا یدخلها دخول متسلّط و لا جبّار و لا عنیف و أن لا ینفرّ بهیمه و لا یفزعها و لا یسوء صاحبها فیها بضرب و نحوه لما فی ذلک کلّه من أذی صاحبها و تنفیر قلبه المضادّ لمطلوب الشارع.

الخامس :أنّه علّل نهیه عن دخولها بغیر إذن صاحبها بإنّ أکثرها له.و الکلام فی قوّه صغری قیاس ضمیر من الشکل الأوّل یستلزم حسن هذا النهی.و تقدیر کبراه:و کلّ من کان أکثر المال له فهو أولی بالتصرّف و الحکم و المال فیلزم أن لا یصحّ تصرّف غیره فیه و دخوله إلاّ باذنه.

السادس:قوله :و اصدع المال.إلی قوله:فی ماله.تعلیم لکیفیّه استخراج الصدقه الّتی فی الإبل و الماشیه،و هو أن یفرّق الإبل و الماشیه عند اختلاط الکلّ فرقتین ثمّ یخیّره فإن اختار قسما فلا ینازعه فیه و لیس له أن یستأنف فیه نظرا آخر،و کذلک یقسّم الصدع الباقی بنصفین و لا یزال یفعل کذلک حتّی ینتهی أحد الصدعین إلی مقدار الواجب من حقّ اللّه تعالی فی ذلک المال أو فوقه بقلیل فیؤخذ منه مقدار الواجب أو دونه بیسیر فیتمّم و یجعل لربّ المال اختیار أحد الصدعین

و الإقاله إن استقال من أخذ تلك القسمه تسكينا لقلبه و جبرا من تنقّص ماله.

السابع :نهاه أن يأخذ فى مال اللّه ما كان بأحد الصفات المذكوره كالعود و الهرمه و المكسوره و المهلوسه و المعيبه بكباد و نحوه مراعاه لحقّ اللّه تعالى و جبرا لحال مصارفه و هم الأصناف الثمانيه الّذين عدّدهم اللّه تعالى فى كتابه الكريم من الفقراء و المساكين و غيرهم.و قال قطب الدين الراوندىّ-رحمه اللّه-الظاهر من كلامه عليه السّلام أنّه كان يأمر بإخراج كلّ واحد من هذه الأصناف المعيّنه من المال قبل أن يصدع بصدعين.

الثامن :أنّه نهاه أن يأمن عليها و يوكّل بحفظها و سوقها إلاّ من يثق بدينه و أمانته واثقا من نفسه بحفظه حتّى يسلّمه إلى وليّهم يعنى نفسه عليه السّلام و يكون ناصحا:أى للّه و لرسوله،شفيقا:أى على ما يقوم عليه،أمينا حفيظا عليه غير ضعيف و لا مجحف و لا متعب له.و ذلك من الامور اللازمه فى حفظ الواجب فى حقّ اللّه تعالى.

التاسع :أمره أن يحمل إليه ما يجتمع معه و لا يؤخّره لأمرين:

أحدهما.الحاجه إلى صرفه فى مصارفه.

الثانى:الخوف من تلفه بأحد أسباب التلف قبل الانتفاع به.

العاشر:أنّه عاد إلى الوصيّه بحال البهائم و هو أن يأمر أمينه عند تسليم المال أن لا يحول بين ناقه و فصيلها،و لا يحلب جميع لبنها،لأنّ الأمرين يضرّان بالولد،و لا يجهدنّها ركوبا و تخصّصها به دون صواحباتها لأنّ ذلك ممّا يضرّبها و العدل بينها فى ذلك ممّا يقلّ معه ضرر الركوب و هو من الشفقّه الطبيعيّه ،و كذلك الترفيه على اللاغب و التأنّى بالناقب و الظالع،و كذلك أن يوردها فيما يمرّ به من الماء و الكلاء،و أن يروّجها فى ساعات الرواح للغايه الّتى ذكرها و هو أن يأتى بحال السمن و الراحه.و إنّما قال:لنقسمها على كتاب اللّه و سنّه نبيّه و إن كان ذلك أمرا معلوما من حاله عليه السّلام لأنّه لمّا بالغ فى الوصيّه بحالها فربّما سبق إلى بعض الأوهام الفاسده أنّ ذلك لغرض يختصّ به يخالف الكتاب و

السنّه.ثمّ رغّبه فی ذلک بکونه أعظم لأجره عند اللّه و أقرب لهداه و رشده لطریق اللّه و هو ظاهر:أمّا أنّه أعظم لأجره فلکونه أکثر مشقّه و أکثریّه الثواب تابعه لأکثریّه المشقّه،و أمّا أنّه أقرب لرشده فلسلوکه فی ذلک علی أثره علیه السّلام و اقتدائه بهداه الّذی لم یکن عارفا به.و باللّه التوفیق.

۲۶-و من عهد له علیه السّلام

اشاره

إلی بعض عماله،و قد بعثه علی الصدقه

آمُرُهُ بِتَقْوَی اللَّهِ فِی سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَ خَفِیَّاتِ عَمَلِهِ- حَیْثُ لاَ شَاهِدَ غَیْرُهُ وَ لاَ وَکِیلَ دُونَهُ- وَ آمُرُهُ أَلاَّ یَعْمَلَ بِشَیْءٍ مِنْ طَاعَهِ اللَّهِ فِیمَا ظَهَرَ- فَیُخَالِفَ إِلَی غَیْرِهِ فِیمَا أَسَرَّ- وَ مَنْ لَمْ یَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَ عَلاَنِیَتُهُ وَ فِعْلُهُ وَ مَقَالَتُهُ- فَقَدْ أَدَّی الْأَمَانَهَ وَ أَخْلَصَ الْعِبَادَهَ- وَ آمُرُهُ أَلاَّ یَجْبَهَهُمْ وَ لاَ یَعْضَهَهُمْ- وَ لاَ یَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالْإِمَارَهِ عَلَیْهِمْ- فَإِنَّهُمُ الْإِخْوَانُ فِی الدِّینِ- وَ الْأَعْوَانُ عَلَی اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ- وَ إِنَّ لَکَ فِی هَذِهِ الصَّدَقَهِ نَصِیباً مَفْرُوضاً وَ حَقّاً مَعْلُوماً- وَ شُرَکَاءَ أَهْلَ مَسْکَنَهٍ وَ ضُعَفَاءَ ذَوِی فَاقَهٍ- وَ إِنَّا مُوَفُّوکَ حَقَّکَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ- وَ إِلاَّ فَإِنَّکَ مِنْ أَکْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً یَوْمَ الْقِیَامَهِ- وَ بُؤْسَی لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَ الْمَسَاکِینُ- وَ السَّائِلُونَ وَ الْمَدْفُوعُونَ وَ الْغَارِمُونَ وَ ابْنُ السَّبِیلِ- وَ مَن

ص:۴۱۵

اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَهِ وَ رَتَعَ فِی الْخِیَانَهِ- وَ لَمْ یُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَ دِینَهُ عَنْهَا- فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ وَ الْخِزْیَ فِی الدُّنْیَا- وَ هُوَ فِی الْآخِرَهِ أَذَلُّ وَ أَخْزَی- وَ إِنَّ أَعْظَمَ الْخِیَانَهِ خِیَانَهُ الْأُمَّهِ- وَ أَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الْأَئِمَّهِ وَ السَّلَامُ

اللغه

أقول:یقال: جبهته بالمکروه : إذا استقبلته به .و عضهته عضها : رمیته بالبهتان و الکذب .و الفاقه و البؤس و الفظع : الشدّه .

المعنی

و قد أمر علیه السّلام بأوامر بعضها یتعلّق بأداء حقّ اللّه تعالی و بعضها یتعلّق بأحوال الرعیّه و الشفقّه علیهم لغایه نظام حالهم و تدبیر امورهم.فالّذی یتعلّق بحقّ اللّه تعالی أمران:

أحدهما :أن یتّقیه فیما یسرّ من اموره و یخفی من أعماله و هی التقوی الحقّه المنتفع بها.

و قوله:حیث.

إشاره إلی موضع إسرار العمل و إخفاء الامور.و أتی بقوله:لا شهید غیره و لا وکیل دونه فی معرض الوعد له و التخویف باطّلاعه تعالی علی سرائر العباد و خفیّات أعمالهم و تولّیه لها دون غیره.و نبّه بکونه هو الشهید دون غیره علی عظمته مع الردّ لما عسی أن یحکم به الوهم مطلقا من أنّ السرائر و الامور الخفیّه لا یطّلع علیها غیر من هی له.

الثانی :أن یوافق فی طاعته للّه تعالی بین ما أظهره و ما أبطنه،و یخلص أعماله الظاهره من الریاء و السمعه،و ذلک قوله:و أمره أن لا یعمل.إلی قوله:فیما أسرّ.و-ما-فی قوله:فیما.بمعنی الّذی و یحتمل أن تکون مصدریّه.و فیما ظهر:

أی للناس من طاعه اللّه.

و قوله:و من لم یختلف.إلی قوله:العباده.

ترغیب له فیما أمره به من عدم اختلاف السریره و العلانیه و الفعل و القول

ص:۴۱۶

بکون ذلک مستلزما لإخلاص عباده اللّه و لأداء أمانته الّتی کلّفها عباده علی ألسنه رسله و أئمّه دینه،و ظاهر کون ذلک مستلزما لثواب اللّه و الأمن من سخطه .و أمّا ما یتعلّق بأحوال الرعیّه و الشفقّه علیهم فمنه ما یتعلّق بحال أرباب الأموال الّتی یستحقّ علیهم الصدقه،و منه ما یتعلّق بأرباب الصدقه المستحقّین لها:أمّا الأوّل فأن لا یلقاهم بمکروه و لا یرمیهم ببهتان و کذب و أن لا ینقبض عنهم و یترفّع علیهم تفضیلا لنفسه بالإماره.و انتصب تفضیلا علی المفعول له.

و قوله:و إنّهم الإخوان.إلی قوله:الحقوق.

إشاره إلی احتجاج بقیاس ضمیر من الشکل الأوّل یستلزم حسن الانتهاء عمّا أمر بالانتهاء عنه و وجوبه،و المذکور فی قوّه صغری،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان أخا فی الدین و عونا علی استخراج الحقوق فیجب أن لا یفعل فی حقّه شیء ممّا أمرت بالانتهاء عنه،و أمّا أنّهم الأعوان علی استخراج الحقوق فلأنّ الحقوق المطلوبه منهم إنّما تحصل بواسطتهم،و حصولها منهم إنّما یتمّ بالشفقّه علیهم و أن لا یفعل معهم شیء ممّا نهی عنه علیه السّلام فإنّ کلّ تلک الامور ممّا ینفّر طباعهم و یشتّت نظام شملهم و منه یکون قلّه مال الصدقه المستحقّه علیهم،و یحتمل أن یدخل فی هؤلاء الجند أیضا ،و أمّا ما یتعلّق بالمستحقّین للصدقه فأن یوفّیهم حقوقهم منها،و أشار إلی الحجّه علی وجوب ذلک علیه بقوله:و إنّ لک.إلی قوله:و إنّا موّفوک حقّک،و هو فی قوّه صغری ضمیر من الشکل الأوّل،و تقدیر کبراه:و کلّ من کان له نصیب مفروض و حقّ معلوم فی شیء و له شرکاء فیه بصفه الفقر و المسکنه و هو مستوف لحقّه منه فواجب علیه أن یوفّی شرکاؤه حقوقهم:أمّا الصغری فظاهره.و أمّا الکبری فأشار إلی بیانها بقیاس آخر من الشکل الأوّل مرکّب من متّصلین.فأشار إلی الصغری بقوله:و إلاّ.إلی قوله:إلی یوم القیامه.و نبّه علی الکبری بقوله:و لو شاء إلی قوله:و ابن السبیل.و هی فی قوّتها إذ الأصناف المذکورون من مستحقّی الصدقه هم الخصوم و هم أکثر الناس و کان الأوسط متّحدا،و صار تقدیر القیاس و إن لا توفّهم حقّهم فإنّک ممّن خصومه

أكثر النـاس:أى الفقراء و المسـاكين و سائر الأصـناف يوم القيامه،و كلّ من كان خصومه أكثر الناس و هم الأصـناف المـذكوره فبؤسا له عند اللّه يوم القيامه، و ينتج متّصله مركّبه من مقدم الصغرى و تالى الكبرى و هى إن لا توفّهم حقوقهم فبؤسا لك،و هو فى معرض التهديـد و التنفير له عن ظلمهم و الاستبداد عليهم بشـىء من الصـدقه،و شركاء عطف على قوله:حقّا معلومـا.و أهل المسكنه صفه له،و بؤسا نصب على المصدر.و أمّا الأصناف المستحقّين للصدقات فهم الثمانيه المعدوده فى القرآن الكريم بقوله «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ» إلى قوله «وَ ابْنِ السَّبِيلِ» (۱)فأمّا الفقير فقال ابن عبّاس و جماعه من المفسرين:إنّه المتعفّف الّذى لا يسأل،و المسكين هو الّذى يسأل و عن الأصمعى أنّ الفقير هو الّذى له ما يأكل و المسكين هو الّذى لا شىء له،و أمّا العاملون عليهم فهم السعاه فى جبايه الصدقات.و يعطيهم الإمام منها بقدر اجور أمثالهم،و أمّا المؤلّفه قلوبهم فكانوا قوما من أشراف العرب يتألّفهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مبدء الإسلام و يعطيهم سهما من الزكاه ليدفعوا عنه قومهم و يعينوه على العدوّ كالعبّاس بن مرداس و عيينه بن الحصن و غيرهما ثمّ استغنى المسلمون عن ذلك عند قوّتهم،و أمّا فى الرقاب:أى فى فداء الرقاب.فقال ابن عبّاس:يريد المكاتبين و كانوا يعطون سهما ليعتقوا به،و أمّا الغارمون فهم الّذين لزمتهم الديون فى غير معصيه و لا إسراف،و أمّا فى سبيل اللّه فهم الغزاه و المرابطون، و أمّا ابن السبيل فهو المنقطع به فى السفر و يعطى من الصدقه.و إن كان غنيّا فى بلده.و قد ذكر عليه السّلام هاهنا فى معرض إيجاب الشفقّه و الرحمه له خمسه و هم الفقراء و المساكين و يدخل فيه السائلون ثمّ المدفوعون و يشبه أن يريد بهم العاملين عليها و سمّاهم مدفوعين باعتبار أنّهم يدفعون لجبايه الصدقات أو لأنّهم إذا أتوا إلى من لا زكاه عليه فسألوه هل عليه زكاه أم لا دفعهم عن نفسه.ذكرهم هنا بهذا الوصف لكونه وصف ذلّ و انقهار و كونه عليه السّلام فى معرض الأمر بالشفقّه عليهم.

قال بعض الشارحين:أراد بهم الفقراء السائلين لكونهم يدفعون عند السؤال.ثمّ

ص:۴۱۸

۱- ۱) ۶۰-۹.

الغارم و ابن السبيل.و إنّما ذكر هؤلاء الخمسه أو الأربعه لكونهم أضعف حالا من الباقين.

و قوله :و من استهان.إلى قوله:و اخرى.

يشبه أن يكون كبرى قياس ضمير احتجّ به فى معرض الوعيد و التخويف من الخيانه على لزوم الذلّ و الخزى له فى الدارين على تقدير أن لا ـ يوفّيهم حقوقهم و تقدير القياس و إن لا ـ توفّهم حقوقهم تكن مستهينا بالأمانه راتعا فى الخيانه غير منزّه نفسك و دينك عنها،و كلّ من كان كذلك فقد أحلّ بنفسه فى الدنيا الذلّ و هو فى الآخره أذلّ و أخزى،و روى أخلّ بنفسه:أى ترك ما ينبغى لها،و روى أحلّ نفسه:أى أباحها.و الذلّ على هاتين الروايتين مبتدأ خبره فى الدنيا.و الخيانه أعمّ من الغشّ و هى رذيله التفريط من فضيله الأمانه.و الغشّ رذيله تقابل فضيله النصيحه و هما داخلتان تحت رذيله الفجور.

و قوله :و إنّ أعظم الخيانه.إلى آخره.

تنبيه على عظم الخيانه هاهنا.إذ كانت خيانه كلّيّه عامّه الضرر لأكثر المسلمين،و مستلزمه لغشّ الإمام الّذى هو أفضل الناس و أولاهم بالنصيحه فإذا كان مطلق الخيانه و لو فى حقّ أقلّ الخلق و أحقر الأشياء منهيّا عنها و يستحقّ العقاب و الخزى عليها فبالأولى مثل هذه الخيانه العظيمه.و كلّ ذلك فى معرض الوعيد و التنفير عن الخيانه و الاستهانه بالأمانه.و باللّه التوفيق.

۲۷-و من عهد له عليه السّلام

اشاره

إلى محمد بن أبى بكر،رضى اللّه عنه حين قلده مصر

القسم الأول

اشاره

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ- وَ ابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِى اللَّحْظَهِ وَ النَّظْرَهِ- حَتَّى لاَ ـ يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِى حَيْفِكَ لَهُمْ- وَ لاَ يَيْأَسَ

ص:۴۱۹

الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ- فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ- عَنِ الصَّغِيرَهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَ الْكَبِيرَهِ وَ الظَّاهِرَهِ وَ الْمَسْتُورَهِ- فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ وَ إِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ- وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَ آجِلِ الْآخِرَهِ- فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ- وَ لَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ- سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ وَ أَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ- فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ- وَ أَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَهُ الْمُتَكَبِّرُونَ- ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ وَ الْمَتْجَرِ الرَّابِحِ- أَصَابُوا لَذَّهَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ- وَ تَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ- لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَهٌ وَ لَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّهٍ- فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَ قُرْبَهُ- وَ أَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ- فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَ خَطْبٍ جَلِيلٍ- بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً- أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً- فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّهِ مِنْ عَامِلِهَا- وَ مَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا- وَ أَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ- إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وَ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ- وَ هُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ- الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَ الدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ- فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ حَرُّهَا شَدِيدٌ وَ عَذَابُهَا جَدِيدٌ- دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَهٌ- وَ لَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَهٌ

وَ لاَ تُفَرَّجُ فِيهَا كُرَبُهُ- وَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ- وَ أَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا- فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ- عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ- وَ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلَّهِ- وَ اعْلَمْ يَا؟مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ؟- أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ؟مِصْرَ؟- فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ- وَ أَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ- وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلاَّ سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ- وَ لاَ تُسْخِطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ- فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ- وَ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ- صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا- وَ لاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ- وَ لاَ تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لاِشْتِغَالٍ- وَ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ

اللغه

استعاره أقول: قلّده الأمر : جعله فى عنقه كالقلاده .و اللفظ مستعار .و حظى من كذا : أى صار له منه حظوه و هى المنزله و الحظّ الوافر .و الجبّار : البالغ فى التكبر .و الطرداء : جمع طريد و هو ما يطرد من صيد .و الخلف : العوض .

المعنى

و هذا الفصل من العهد ملتقط من كلام طويل و مداره على امور:

الأوّل :وصيّته محمّدا-رضى اللّه عنه-بمكارم الأخلاق فى حقّ رعيّته،و ذكر أوامر:

كنايه أحدها: أمره بخفض الجناح .قيل:و أصله أنّ الطائر يمدّ جناحيه و يخفضهما ليجمع فراخه تحتها إيهاما للشفقه عليها.فاستعمل كنايه عن التواضع الكائن عن

ص:۴۲۱

الرحمه و الشفقّه كما قال تعالى «وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ» (۱)و قد بيّنا أنّ التواضع ملكه تحت فضيله العفّه.

الثانى: أمره بإلانه جانبه كنايه عن الرفق فى الأقوال و الأفعال و عدم الغلظه عليهم و الجفاوه فى حقّهم فى كلّ الأحوال.و هو قريب من التواضع،و من لوازمه.

الثالث: أمره أن يبسط لهم وجهه و هو كنايه عن لقائهم بالبشاشه و الطلاقه من غير تقطيب و عبوس.و هو من لوازم التواضع أيضا.

الرابع: أن يواسى بينهم فى النظره و اللحظه و هى أخفّ من النظره،و هو كنايه عن الاستقصاء فى العدل بينهم فى جليل الامور و حقيرها و قليلها و كثيرها.

و قوله:حتّى لا يطمع.إلى قوله:عليهم.

بيان وجه الحكمه فى أمره بالمساواه بينهم فى اللحظه و النظره على حقارتهما.

فإن قلت:فلم خصّص العظماء بالطمع فى الحيف و الضعفاء باليأس من العدل؟.

قلت:لأنّ العاده أنّ الولاه و الأمراء إنّما يخصّصون بالنظره و الإقبال بالبشاشه الأغنياء و العظماء دون الضعفاء و ذلك التخصيص مستلزم لطمعهم أن يحاف لهم،و الإعراض عن الضعفاء مستلزم لليأس من العدل فى حقّهم.و الضمير فى قوله:

عليهم.يرجع إلى العظماء.

مجاز الثانى :الوعيد للعباد بسؤال اللّه لهم عن صغير أعمالهم و كبيرها و ظاهرها و مستورها،و الإعلام بأنّهم مظنّه عذابه لبدأهم بمعصيته و البادى أظلم.قال الراوندى -رحمه اللّه-:المراد بأظلم الظالم.قلت:و يحتمل أن يكون قد سمىّ ما يجازيهم به من العدل ظلما مجازا لمشابهه الظلم فى الكميّه و الصوره كما سمىّ فى القصاص اعتداء فى قوله «فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ» (۲)ثمّ نسب إليه فعلهم فصدق إذن أفعل التفضيل باعتبار كونهم بدءوا بالمعصيه و كذلك الإعلام بأنّه تعالى مظنّه الكرم بالعفو عنهم .

۱- ۱) ۸۸-۱۵.

۲- ۲) ۱۹۰-۲.

الثالث :إعلامهم بما ينبغى لهم من استعمال الدنيا و التنبيه على كيفيّه استعمالها الواجب بوصف حال المتّقين فيها ليقتدوا بحالهم و هى ما أخبر عنه بقوله:

ذهبوا بعاجل الدنيا.إلى قوله:و لا ينقص لهم نصيب من لذّه،و خلاصه حالهم المذكوره أنّهم أكثر فايده من أهل الدنيا.إذ حصلوا من اللـذّه فى دنياهم على أفضل ما حصل لأهلها من لـذّاتهم بها مع زياده الفوز الأكبر فى الآخره بما وعد فيها المتّقون،و اعلم أنّ الّذى يشير إليه من عاجل الـدنيا فى حق المتّقين الّذين شاركوا أهلها فيها و حظوا به منها ممّا حظى به المترفون و أخذه الجبابره المتكبّرون هو ما حصلوا عليه من لـذّات الـدنيا المباحه لهم بقدر ضرورتهم و حاجتهم كما روى عنه فى صفتهم بلفظ آخر:شاركوا أهل الـدنيا فى دنياهم و لم يشاركهم أهل الـدنيا فى آخرتهم أباحهم فى الـدنيا ما كفاهم و به أغناهم قال اللّه عزّ اسمه «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ» (۱)الآيه سكنوا من الدنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما اكلت شاركوا أهل الـدنيا فى دنياهم فأكلوا معهم من طيّبات ما يأكلون و شربوا من طيّبات ما يشربون و لبسوا من أفضل ما يلبسون و تزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون و ركبوا من أفضل ما يركبون أصابوا لـذّه الـدنيا مع أهل الـدنيا و هم فيها جيران اللّه يتمنّون عليه فيعطيهم ما يتمنّون لا يردّ لهم دعوه و لا ينقص لهم نصيبا من لـذّه.فأمّا وجه كونهم أكلوها على أفضل ما اكلت و سكنوها بأفضل ما سكنت فلأنّهم استعملوها على الوجه الّذى ينبغى لهم و قد امروا باستعمالها عليه.و ظاهر أنّ ذلك الوجه أفضل الوجوه،و أمّا أنّهم شاركوا أهل الـدنيا فى طيّباتها فظاهر،بل نقول:إنّ لـذّتهم بما استعملوا منها أتمّ و أكمل،و ذلك أنّ كلّ ما استعملوه منها من مأكول و مشروب و منكوح و مركوب إنّما كان عند الحاجه و الضروره إليه،و قد علمت أنّ الحاجه إلى الشىء كلّما كانت أشدّ و أقوى كانت اللذّه به عند حصوله أتمّ و أعلى و ذلك من الامور الوجدانيّه.فثبت إذن أنّهم حظوا منها بما حظى به المترفون و أخذوا منها أخذه

۱- ۱) ۳-۷.

الجبابره المتكبّرين مع ما فضّلوا به من الحصول على آجل الآخره الّذى لم يشاركهم أهل الدنيا فيه كقوله تعالى «وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ نَصِيبٍ » (۱)و أمّا الزاد المبلّغ لهم إلى ساحل العزّه و حضره الجلال فهو التقوى الّذى اتّصفوا به كما قال تعالى «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى» (۲)و قد علمت معنى كونه زادا غير مرّه. استعاره مرشحه و استعار للتقوى و الطاعه لفظ المتجر باعتبار كون الغايه المقصوده منها استعاضه ثواب اللّه المشبه للثمن،و رشّح بذكر المربح:

أى المكسب للربح،و ذلك باعتبار زياده فضل ثواب اللّه فى الآخره على ما بذله العبد من نفسه من العمل .

و قوله:أصابوا لذّه زهد الدنيا.

إشاره إلى بعض ما يزود به من اللذّات فى الدنيا و هو لذّه الزهد.إذ كان لهم بطرح الدنيا عن أعناق نفوسهم و وصولهم بسببه إلى ما وصلوا إليه من الكمالات العاليه ابتهاجات عظيمه أجلّ و أعلى ممّا يعده المترفون و المتكبّرون لذّه و خيرا.

و هم الّذين يحقّ لهم أن يتكبّروا على المتكبّرين.إذ كان الكمال الّذى به تكبّر المتكبّرون أمرا خاليا ضعيفا بالقياس إلى الكمال الحقّ الّذى حصل عليه هؤلاء.

و قوله:و تيقّنوا أنّهم جيران اللّه غدا.

أى يوم القيامه،و هو إشاره إلى جهه فرحهم بجوار اللّه و التذاذهم به المضاف إلى ما أصابوه من لذّه زهد الدنيا و تلك الجهه هى ما حصلوا عليه من اليقين باللّه و الوصول التامّ إليه بعد مفارقه الأبدان،و ذلك معنى جواره.

و قوله:لا تردّ لهم دعوه.

إشاره إلى بعض فضائلهم الّتى انفردوا بها أيضا المتفرّعه على كمال نفوسهم و كرامتهم عند اللّه اللازمه عن لزوم طاعته و هو كونهم مجابى الدعوه مع ما شاركوا غيرهم فيه من تمام اللذّه فى الدنيا و انفردوا به من تمامها فى الآخره.

۱- ۱) ۱۹-۴۲.

۲- ۲) ۱۹۲-۲.

الرابع :تحـذيرهم من الموت و قربه و تنبيههم على غايته من ذلك التحـذير و هو أن يعدّوا له عدّته الّتى يلقى بها و لا يكون كثير ضرر و قـد علمت أنّه التقوى و العمل الصالـح،و أكّد الأمر بإعداد عدّته بالتنبيه على عظم ما يأتى به من الأمر و الخطب الجليل،و أشـار إلى أنّ ذلـك الأـمر قـد يكون خيرا خالصـا دائمـا و قـد يكون شـرّا خالصـا دائمـا لتشـتدّ الرغبه و تقوى فى إكمـال العـدّه المستلزمه لتحصيل ذلك الخير و لدفع ذلك الشرّ.ثمّ نبّه على أنّ ذلك الخير الّذى يأتى به الموت هو الجنّه و ذلك الشرّ هو النار و أنّ المقرّب إلى كـلّ منهمـا و المسـتلزم للحصـول عليه هو العمـل له بقوله :فمن أقرب.إلى قوله:عاملهـا.ثمّ نبّه بقوله:و أنتم.إلى قوله:خلقكم.على أنّ هـذا الأـمر المسـتعقب لإحـدى هـاتين الغـايتين العظيمتين و هو الموت لاـ بـدّ من لقـائه ليتأكّـد الأمر عليهم بالاسـتعداد له.و اسـتعار لهم لفظ الطرداء ملاحظه لشبههم بما يطرد من صيد و نحوه و لشبههه بالفارس المجدّ فى الطلب الّذى لا بـدّ من إدراكه الطريـده،و ظاهر أنّه ألزم لكلّ امرء من ظلّه.إذ كان ظلّ المرء قد ينفكّ عنه حيث لا ضوء و الموت أمر لازم لا بدّ منه.

كنايه و قوله: و الموت معقود بنواصيكم .

كنايه عن لزومه و كونه لا بـدّ منه من اقتضاء:أى مشـدود و مربوط بنواصـيكم و ذلك الربط إشاره إلى حكم القضاء الإلهى به و كونه ضـروريّا للحيوان ،و إنّما خصّ الناصـيه لأنّها أعزّ ما فى الإنسان و أشـرف،و اللازم لها أملك له و أقدر على ضـبطه.و نحوه قوله تعالى «فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَ الْأَقْدامِ» (1)استعاره و اسـتعار لفظ الطىّ لتقضّـى أحوال الـدنيا و أيّامها الّتى يقطعها الإنسان وقتا فوقتـا ملاـحظه لشـبه أحوالها بما يطوى من بساط و نحوه،و ظاهر أنّ ذلك الطىّ من خلفهم خلفا خياليّا بالنسـبه إلى ما يسـتقبلونه من أحوالهـا بوجوه هممهم .ثمّ لمّـا كرّر ذكر الموت و أكّـد لزومه بطىّ الـدنيا رجع إلى التحـذير من غايته و هى النار و وصـفها بأوصافها ليشتدّ الحذر منها و هى بعد قعرها.و ممّا يتبه عليه ما روى أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سمع هدّه فقال

ص:۴۲۵

۱- ۱) ۴۱-۵۵.

لأصحابه:هذا حجر القى من شفير جهنّم فهو يهوى فيها منذ سبعين خريفا و الآن حين وصل إلى قعرها.و كان ذلك إشاره إلى منافق مات فى ذلك الوقت و عمره سبعون سنه،و قد أشرنا إلى ذلک من قبل.و شدّه حرّها کقوله تعالى «قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا» (۱)و حدّه عذابها کقوله تعالى «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ» (۲)و كونه ليست بدار رحمه و لا يسمع لها دعوه كقوله تعالى «رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها» (۳)الآيه.إلى قوله «تُكَلِّمُونِ» و كونها لا تفرّج فيها كربه كقوله تعالى «فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» و قوله «وَ نادَوْا يا مالِكُ» إلى قوله «ماكِثُونَ» (۴).

الخامس:قوله :و ان استطعتم.إلى قوله:بينهما.أمر لهم بالجمع من شدّه الخوف من اللّه و حسن ظنّ به و هما بابان عظيمان من أبواب الجنّه كما علمته فيما سلف.ثمّ أشار إلى أنّهما متلازمان بقوله:فإنّ العبد.إلى قوله:خوفا للّه:

أى أنّ مقدار حسن ظنّ العبد بربّه مطابق و ملازم لمقدار خوفه منه و إنّ زيادته مع زيادته و نقصانه مع نقصانه.

و اعلم أنّه عليه السّلام لم يجعل أحدهما علّه للآخر بل هما معلولا علّه واحده مساويا بها و هى معرفه اللّه.ثمّ لمّا كانت معرفه اللّه تعالى مقوله بحسب الشدّه و الضعف كان حسن الظنّ به و رجاؤه و شدّه الخوف منه أيضا ممّا يشتدّ و يضعف بحسب قوّه المعرفه و ضعفها إلّا أنّ كلّ واحد منها يستند إلى ضعف من المعرفه و اعتبار خاصّ يكون هو مبدء القريب أمّا فى حسن الظنّ و الرجاء فأن يلحظ العبد من ربّه و يعتبر جميع أسباب نعمه على خلقه حتّى إذا علم لطايفها فى حقّهم ممّا هو ضرورىّ لهم كآلات الغذاء،و ما لهم إليه حاجه كالأظفار،و ما هو زينه كتقويس الحاجبين و اختلاف ألوان العينين،و بالجمله ما ليس بضرورىّ علم أنّ العنايه الإلهيّه إذا لم يقصر فى أمثال هذه الدقايق حتّى لم يرض لعباده أن يفوتهم

۱- (۱) ۸۲-۹.

۲- (۲) ۵۹-۴.

۳- (۳) ۱۰۹-۲۳.

۴- (۴) ۷۷-۴۳.

الموائد و المزايا فى الزينه و الحاجه كيف يرضى بسياقتهم إلى الهلاك الأبدىّ بل إذا أراد اعتبارا فى هذا الباب علم أنّه تعالى هيّأ لأكثر الخلق أسباب السعاده فى الدنيا حتّى كان الغالب على أكثرهم الخير و السلامه سنّه اللّه الّتى قد خلت فى عباده و علم أنّ الغالب فى أمر الآخره ذلك أيضا لأنّ مدبّر الدنيا و الاخره واحد و هو اللطيف بعباده و هو الغفور الرحيم،و حينئذ تكون الملاحظات و الاعتبارات مستلزمه لحسن الظنّ و باعثه على الرجاء.و من هذه الاعتبارات النظر فى حكمه الشريعه و سببها و مصالح الدنيا،و وجه الرحمه على العباد بها،و بالجمله أن يعتبر صفات الرحمه و اللطف.و أمّا فى الخوف فأقوى أسبابه أن يعرف اللّه تعالى و صفات جلاله و عظمته و تعاليه و سطوته و استغناءه،و أنّه لو أهلك العالمين لم يبال و لم يمنعه مانع،و كذلك ساير اعتبارات الصفات الّتى يقتضى العنف و إيقاع المكاره كالسخط و الغضب،و لذلك قال تعالى «إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ» (۱)و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

أنا أخوفكم للّه.و بحسب اشتداد المعرفه بتلك الاعتبارات يكون حال الخوف و احتراق القلب ثمّ يفيض أثر ذلك على البدن فيحصل التحوّل و الصغار و الغشيه و الرعقه و الرعده على الجوارح فيكفّها عن المعاصى و يقيّدها بالطاعات استدراكا لما فرّط منه فى الصفات فيفيد قمع الشهوات و تكدير اللذّات،و لاحتراق القلب بالخوف يحصل له ذبول و ذلّه يفارقه معها كثير من الرذائل كالكبر و الحسد و الحقد و البخل و غيرها.ثمّ إنّ الجمع بينهما يستلزم كثيرا من الفضائل،و ذلك أنّ معرفه اللّه تعالى و اليقين به إذ حصل هيّج الخوف من عقابه و الرجاء لثوابه بالضروره،و هما يفيدان الصبر إذ حفّت الجنّه بالمكاره فلا صبر على تحمّلها إلاّ بقوّه الرضا،و حفّت النار بالشهوات فلا صبر على قمعها إلاّ بقوّه الخوف.و لذلك قال علىّ عليه السّلام:من اشتاق إلى الجنّه سلّى عن الشهوات،و من أشفق من النار رجع عن المحرّمات.ثمّ يؤدّى مقام الصبر إلى مقام المجاهده و التجرّد لذكر اللّه و دوام الفكر فيه و هى مؤدّيه إلى كمال المعرفه المؤدّى إلى الانس المؤدّى

۱- ۱) ۲۵-۳۵.

إلى المحبّه المستلزمه لمقام الرضا و التوكّل.إذ من ضروره المحبّه الرضا بفعل المحبوب و الثقه بعنايته.و لمّا ثبت أنّهما معلولا علّه واحده ثبت أنّهما متلازمان و ليسا بمتضادّين و إن ظنّ ذلك فى ظاهر الأمر بل ربّما غلب أحدهما على الآخر بحسب غلبه أسبابه فيشتغل القلب به و يغفل عن الآخر فيظنّ أنّه يعانده و ينافيه، و لذلك أتى عليه السّلام هنا بإن المقتضيه للشكّ فى استطاعتهم للجمع بينهما ثمّ نبّهه على إحسانه إليه بتوليته أعظم أجناده ليتبنى عن التذكير بتلك النعمه ما يريد أن يوصيه به.

السادس:نبّهه على ما ينبغى له و هو أولى به و ذلك أن يخالف على نفسه الأمّاره فيما تأمر به من السوء و الفحشاء و ساير مناهى اللّه إلى ما يحكم به العقل و الشرع من طاعته و أن ينافخ عن دينه و يجاهد شياطين الإنس و الجنّ عنه و لو لم يكن له من الدهر إلاّ ساعه فينبغى أن لا يشغلها إلاّ بالمجاهده عن دينه و أن لا يسخط اللّه برضا أحد من خلقه:أى لمتابعه أحد من خلق اللّه فيما يسخط اللّه.

و قوله:فإنّ فى اللّه.إلى قوله:فى غيره.

احتجاج على وجوب مراعات رضاه تعالى دون غيره بقياس ضمير من الأوّل المذكور فى قوّه صغرى.و تقدير الكبرى:و كلّما كان فى اللّه خلف عن غيره و ليس فى غيره خلف منه فالواجب اتّباع رضاه و أن لا يسخط برضا غيره .ثمّ أمره أن يصلّى الصلاه لوقتها الموقّت لها:أى المعيّن.و اللام للتخصيص و التعليل و أن لا يقدّمها على وقتها لفراغه فى ذلك الوقت و لا يؤخّرها عن وقتها لشغله عنها بغيرها فإنّها أهمّ من كلّ شغل و أولى.ثمّ أعلمه أنّ كلّ شىء من الأعمال الصالحه تبع للصلاه.و المراد أنّ الإنسان إذا حافظ على صلاته و أتى بوظائفها فى أوقاتها يوشك أن يكون على غيرها أولى بالمحافظه و إذا تساهل فيها فهو فى غيرها أكثر تساهلا،و ذلك أنّها عمود الدين و أفضل العبادات كما روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد سئل عن أفضل الأعمال فقال:الصلاه لأوّل وقتها،و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أوّل ما يحاسب به العبد الصلاه فمن تمّت صلاته سهل عليه غيرها من العبادات و من نقصت

صلاته فإنّه یحاسب علیها و علی غیرها.

و اعلم أنّه ذکر أمر الصلاه فی هذا العهد بکلام طویل هدّه السیّد-رحمه اللّه-و فیه بیان حال الصلاه و لواحقها و أوّله أنّه قال:و انظر إلی صلاتک کیف هی فإنّک إمام لقومک إن تتمّها أو تخفّفها.فلیس من إمام یصلّی بقوم یکون فی صلاتهم نقصان إلاّ کان علیه و لا ینقص من صلاتهم شیء و إن تتمّها بحفظ فیها یکن لک مثل اجورهم و لا ینقص به ذلک من اجورهم شیئا.و انظر إلی الوضوء فإنّه من تمام الصلاه تمضمض ثلاثا و استنشق ثلاثا،و اغسل وجهک،ثمّ یدک الیمنی، ثمّ الیسری،ثمّ امسح رأسک و رجلیک فإنّی رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یصنع ذلک.

و اعلم أنّ الوضوء نصف الإیمان.ثمّ ارتقب وقت الصلاه فصلّها لوقتها و لا تعجّل بها قبله لفراغ و لا تؤخّرها عنه لشغل فإنّ رجلا سأل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن أوقات الصلاه فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:أتانی جبرئیل فأرانی وقت صلاه الظهر حین زالت الشمس و کانت علی حاجبه الإیمن،ثمّ أرانی وقت العصر و کان ظلّ کلّ شیء مثله،ثمّ صلّی المغرب حین غربت الشمس،ثمّ صلّی العشاء الأخیره حین غابت الشمس،ثمّ صلّی الصبح فأغلس بها و النجوم مشتبکه.فصلّ بهذه الأوقات و الزم السنّه المعروفه و الطریق الواضح.ثمّ انظر رکوعک و سجودک فإنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان أتمّ الناس صلاتهم و أخفّهم عملا فیها،و اعلم أنّ کلّ شیء من عملک تبع لصلاتک فمن ضیّع الصلاه فإنّه لغیرها أضیع.أسأل اللّه الّذی یری و لا یری و هو بالمنظر الأعلی أن یجعلنا و إیّاک ممّن یحبّ أن یرضی حتّی یعیننا و إیّاک علی شکره و ذکره و حسن عبادته و أداء حقّه و علی کلّ شیء اختار لنا فی دیننا و دنیانا و آخرتنا.

القسم الثانی و من هذا العهد ایضا

فَإِنَّهُ لاَ سَوَاءَ إِمَامُ الْهُدَی وَ إِمَامُ الرَّدَی- وَ وَلِیُّ ؟النَّبِیِّ؟ وَ عَدُوُّ

؟النَّبِيِّ؟- وَ لَقَدْ قَالَ لِي؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟- إِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَ لاَ مُشْرِكاً- أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ- وَ أَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ- وَ لَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ- عَالِمِ اللِّسَانِ- يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَ يَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ

أقول:هذا الفصل متّصل بقوله:و آخرتنا من فصل الصلاه،و أوّله:و أنتم يا أهل مصر فليصدق قولكم فعلكم و سرّكم علانيتكم.و لا تخالف ألسنتكم قلوبكم إنّه لا يستوى.إلى قوله:تنكرون.ثمّ يتّصل به يا محمّد بن أبى بكر اعلم أنّ أفضل العفّه الورع فى دين اللّه و العمل بطاعته و إنّى اوصيك بتقوى اللّه فى سرّ أمرك و علانيتك و على أىّ حال كنت عليه:الدنيا دار بلاء و دار فناء،و الآخره دار الجزاء و دار البقاء.فاعمل لما يبقى و اعدل عمّا يفنى، «وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا» :إنّى اوصيك بسبع هى جوامع الإسلام:اخش اللّه عزّ و جلّ فى الناس و لا تخش الناس فى اللّه،و خير العلم ما صدّقه العمل،و لا تقض فى أمر واحد بقضائين مختلفين فيختلف أمرك و تزوغ عن الحقّ و أحبّ لعامّه رعيّتك ما تحبّ لنفسك و أهل بيتك و أكره لهم ما تكره لنفسك و أهل بيتك فإنّ ذلك أوجب للحجّه و أصلح للرعيّه، و خض الغمرات إلى الحقّ و لا تخف فى اللّه لومه لائم و انصح المرء إذا استشارك و اجعل نفسك اسوه لقريب المسلمين و بعيدهم جعل اللّه مودّتنا فى الدين و خلّتنا إيّاكم و خلّه المتّقين و أبقى لكم حتّى يجعلنا بها «إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ» .

أحسنوا أهل مصر موازره أميركم و أثبتوا على طاعتكم تردوا حوض نبيّكم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أعاننا اللّه و إيّاكم على ما يرضيه.و السلام عليكم و رحمه اللّه و بركاته.

و القمع : القهر و الاذلال .

و اعلم أنّه لما أمرهم بترك النفاق و موافقه الفعل الجميل نلقول الجميل

استدرجهم إلى ذلک و جذبهم إليه بالفرق بينه و بين غيره من الأئمّه فأشار بإمام الهدى و ولىّ النبىّ إلى نفسه.و بإمام الردى و بعدوّ النبىّ إلى معاويه،و أسند الخبر المشهور إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ،و أراد بمنافق الجنان عالم اللسان معاويه و أصحابه كلّ ذلک ليفيئوا إلى طاعته عليه السّلام و ينفروا عن خصمه.و أمّا سرّ الخبر فظاهر أنّ المؤمن لإيمانه لا يخاف منه على المسلمين،و أمّا المشرک فإنّ اللّه يقمعه و يذلّه بشركه ما دام مشركا متظاهرا بالشرک لظهور الإسلام و غلبه المسلين و اتّفاقهم على مجانبته و معاداته و عدم الإصغاء إلى ما يقول،و إنّما يخاف عليهم المنافق الّذى من شأنه إسرار الكفر و إظهار الإسلام و تعلّم أحكامه و مخالطه أهله فهو يقول بلسانه ما يقولون و يفعل ما ينكرون،و وجه المخافه منه أنّ مخالطته لأهل الإسلام مع إظهاره له يكون سببا لاصغائهم إليه و مجالستهم له و الاغترار بما يدّعيه من إصداقه.

و صدق علمه اللسانىّ و قدرته على الشبه المضلّه و تنميقها بالأقوال المزّوقه يكون سببا لانفعال كثير من عوامّ المسلمين و فتنتهم عن الدين.

و قوله:إنّ أفضل العفّه الورع.

فالورع هو لزوم الأعمال الجميله و هو ملكه تحت فضيله العفّه،و ظاهر أنّها جماع الفضايل الّتى تحت العفّه فيكون أفضل من كلّ منها.

و قوله:و اخش اللّه فى الناس.

أى خف منه فيما تفعله بهم من شرّ تعصّيه به.

و قوله:و لا تخش الناس فى اللّه.

أى لا تخف أحدا منهم و لا تراقبه فيما يفعله من طاعه اللّه فتعدل عن طاعته لخوفک منهم.و باللّه التوفيق.

۲۸-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى معاويه جوابا،و هو من محاسن الكتب

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِی كِتَابُکَ- تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ؟مُحَمَّداً ص؟

ص:۴۳۱

لِدِینِهِ- وَ تَأْیِیدَهُ إِیَّاهُ لِمَنْ أَیَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ- فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْکَ عَجَباً- إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاَءِ اللَّهِ تَعَالَی عِنْدَنَا- وَ نِعْمَتِهِ عَلَیْنَا فِی نَبِیِّنَا- فَکُنْتَ فِی ذَلِکَ کَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَی؟هَجَرَ؟- أَوْ دَاعِی مُسَدِّدِهِ إِلَی النِّضَالِ- وَ زَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِی الْإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وَ فُلاَنٌ- فَذَکَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَکَ کُلُّهُ- وَ إِنْ نَقَصَ لَمْ یَلْحَقْکَ ثَلْمُهُ- وَ مَا أَنْتَ وَ الْفَاضِلَ وَ الْمَفْضُولَ وَ السَّائِسَ وَ الْمَسُوسَ- وَ مَا لِلطُّلَقَاءِ وَ أَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ- وَ التَّمْیِیزَ بَیْنَ الْمُهَاجِرِینَ الْأَوَّلِینَ- وَ تَرْتِیبَ دَرَجَاتِهِمْ وَ تَعْرِیفَ طَبَقَاتِهِمْ- هَیْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَیْسَ مِنْهَا- وَ طَفِقَ یَحْکُمُ فِیهَا مَنْ عَلَیْهِ الْحُکْمُ لَهَا- أَ لاَ تَرْبَعُ أَیُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَی ظَلْعِکَ- وَ تَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِکَ- وَ تَتَأَخَّرُ حَیْثُ أَخَّرَکَ الْقَدَرُ- فَمَا عَلَیْکَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ وَ لاَ ظَفَرُ الظَّافِرِ- وَ إِنَّکَ لَذَهَّابٌ فِی التِّیهِ رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ- أَ لاَ تَرَی غَیْرَ مُخْبِرٍ لَکَ- وَ لَکِنْ بِنِعْمَهِ اللَّهِ أُحَدِّثُ- أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ تَعَالَی مِنَ الْمُهَاجِرِینَ وَ الْأَنْصَارِ- وَ لِکُلٍّ فَضْلٌ- حَتَّی إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِیدُنَا قِیلَ؟سَیِّدُ الشُّهَدَاءِ؟- وَ خَصَّهُ ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ بِسَبْعِینَ تَکْبِیرَهً عِنْدَ صَلاَتِهِ عَلَیْهِ أَ وَ لاَ تَرَی أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَیْدِیهِمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ- وَ لِکُلٍّ فَضْلٌ- حَتَّی إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ- قِیلَ الطَّیَّارُ فِی الْجَنَّهِ وَ ذُو الْجَنَاحَیْنِ- وَ لَوْ لاَ

مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيهِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ- لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّهً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ- وَ لاَ تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ- فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّهُ- فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَ النَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا- لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا- وَ لاَ عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِکَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا- فَنَكَحْنَا وَ أَنْكَحْنَا- فِعْلَ الْأَكْفَاءِ وَ لَسْتُمْ هُنَاکَ- وَ أَنَّى يَكُونُ ذَلِکَ كَذَلِکَ وَ مِنَّا؟النَّبِيُّ؟ وَ مِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ- وَ مِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَ مِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلاَفِ- وَ مِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّهِ وَ مِنْكُمْ صِبْيَهُ النَّارِ- وَ مِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَ مِنْكُمْ حَمَّالَهُ الْحَطَبِ- فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَ عَلَيْكُمْ- فَإِسْلاَمُنَا مَا قَدْ سُمِعَ وَ جَاهِلِيَّتُنَا لاَ تُدْفَعُ- وَ كِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا- وَ هُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ» - وَ قَوْلُهُ تَعَالَى «إِنَّ أَوْلَى النّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» - فَنَحْنُ مَرَّهً أَوْلَى بِالْقَرَابَهِ وَ تَارَهً أَوْلَى بِالطَّاعَهِ- وَ لَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ- ؟يَوْمَ السَّقِيفَهِ؟ ؟بِرَسُولِ اللَّهِ ص؟ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ- فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ- وَ إِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ- وَ زَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وَ عَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ- فَإِنْ يَكُنْ ذَلِکَ كَذَلِکَ

فَلَيْسَتِ الْجِنَايَهُ عَلَيْکَ- فَيَکُونَ الْعُذْرُ إِلَيْکَ- وَ تِلْکَ شَکَاهٌ ظَاهِرٌ عَنْکَ عَارُهَا

وَ قُلْتَ إِنِّی کُنْتُ أُقَادُ- کَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّی أُبَايِعَ- وَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ- وَ أَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ- وَ مَا عَلَی الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَهٍ فِی أَنْ يَکُونَ مَظْلُوماً- مَا لَمْ يَکُنْ شَاکّاً فِی دِينِهِ وَ لاَ مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ- وَ هَذِهِ حُجَّتِی إِلَی غَيْرِکَ قَصْدُهَا- وَ لَکِنِّی أَطْلَقْتُ لَکَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِکْرِهَا- ثُمَّ ذَکَرْتَ مَا کَانَ مِنْ أَمْرِی وَ أَمْرِ؟عُثْمَانَ؟- فَلَکَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِکَ مِنْهُ- فَأَيُّنَا کَانَ أَعْدَی لَهُ وَ أَهْدَی إِلَی مَقَاتِلِهِ أَ مَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَ اسْتَکَفَّهُ- أَمَّنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَی عَنْهُ وَ بَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ- حَتَّی أَتَی قَدَرُهُ عَلَيْهِ- کَلاَّ وَ اللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ «اللّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْکُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاّ قَلِيلاً» وَ مَا کُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّی کُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً- فَإِنْ کَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِی وَ هِدَايَتِی لَهُ- فَرُبَّ مَلُومٍ لاَ ذَنْبَ لَهُ- وَ قَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّهَ الْمُتَنَصِّحُ

- وَ مَا أَرَدْتُ «إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ»

«وَ ما تَوْفِيقِى إِلاّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ» وَ ذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِى وَ لِأَصْحَابِى عِنْدَكَ إِلاَّ السَّيْفُ- فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ- مَتَى أَلْفَيْتَ؟بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ- وَ بِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ- فَلَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ

- فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ- وَ يَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ- وَ أَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِى جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ- وَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ- شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ- مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ- أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ- وَ قَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وَ سُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ- قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا- فِى أَخِيكَ وَ خَالِكَ وَ جَدِّكَ وَ أَهْلِكَ- «وَ ما هِىَ مِنَ الظّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» أقول:هذا الكتاب ملتقط من كتاب ذكر السيّد منه فصلا سابقا،و هو قوله:فأراد قومنا إهلاكك نبيّنا.و قد ذكرنا كتاب معاويه الّذى هو هذا الكتاب جواب له،و ذكرنا الكتاب له بأسره هناك و إن كان فيه اختلاف ألفاظ يسيره بين الروايات.

اللغه

و خبأت الشيء : سترته .و طفق : أخذ و جعل .و هجر : مدينه من بلاد البحرين .و النضال : المراماه .و المسدّد : الّذى يقوّم غيره لأمر و يهديه إليه .

و اعتزلك : تباعد عنك .و الثلم : الكسر .و الطليق : من اطلق بعد الأسر .و الربع : الوقوف .و الظلع : العرج .و الذرع : بسط اليد .و التيه: الضلال و التحيّر فى المفاوز .و الروّاغ : كثير الميل عن القصد .و الجمّه: الكثيره .و مجّ الماء من فيه : ألقاه .و الرميّه. الصيد يرمى ،و الصنيعه: الحسنه .و الفلج :

الفوز .و الشكاه و الشكيّه و الشكايه:ظاهره و الظاهر : الزائل و المخشوش : الّذی جعل فی أنفه خشاش،و هو خشبه تدخل فی أنف البعير ليقاد بها .و الغضاضه: الذلّه و المنقصه .و سنح : اعترض .و أعدی : أشدّ عدوانا .و المعّوقين: المثبّطين .و الظنّه:

التهمه .و المنصّح : المبالغ فی النصيحه .و الاستعبار : البكاء .و ألفيت كذا : وجدته .

و النكول : التأخّر جبنا .و الإرقال : ضرب من السير السريع .و الجحفل:

الجيش العظيم .و الساطع : المرتفع .و القتام : الغبار .و السرابيل : القمصان .

و النصال : السيوف .

المعنی

اشاره

و قد أجاب عليه السّلام عن كلّ فصل من كتاب معاويه بفصل.و الكتاب أفصح ما اختار السيّد-رحمه اللّه-من الكتب

و فيه نكت :

الاولی:

استعاره أنّه استعار لفظ الخبأ لما ستره الدهر فی وجود معاويه من العجب ثمّ فسّر العجب فقال: إذ طفقت .إلی قوله: النضال .و وجه العجب هنا أنّه أخبر أهل بيت النبیّ بحال النبیّ و ما أنعم اللّه به عليه من اصطفائه له لدينه و تأييده بأصحابه مع علمهم البالغ بحاله و كونهم أولی بالإخبار عنها.و ضرب له فی ذلک مثلين:

أحدهما:قوله: كناقل التمر إلی هجر .و أصل هذا المثل أنّ رجلا قدم من هجر إلی البصره بمال اشتری به شيئا للربح فلم يجد فيها أكسد من التمر فاشتری بماله تمرا و حمله إلی هجر و ادّخره فی البيوت ينتظر به السعر فلم يزدد إلّا رخصا حتّی فسد جميعه و تلف ماله فضرب مثلا لمن يحمل الشیء إلی معدنه لينتفع به فيه، و وجه مطابقه المثل هنا أنّ معاويه حمل الخبر بما أخبر به إلی معدنه الّذی هو أولی به منه كحامل التمر إلی معدنه.و هجر معروفه بكثره التمر حتّی أنّه ربما يبلغ خمسين جلّه بدينار-و وزن الجلّه مائه رطل،فذلک خمسه ألف رطل-و لم يسمع مثل ذلک فی بلاد اخری.و هجر اسم قد يذكّر لقصد الموضع و لذلک صرفها شاعرهم حيث يقول:

و خطّها الخطّ إرقالا و قال قلی: اوّل لا نادما أهجر قری هجر

تشبیه الثانیه:أنّه شبّه بداعی مسدّده إلی النضال ،و وجه التشبیه هنا أیضا حمل الخبر إلی من هو أولی به منه کما یدعو الإنسان مسدّده و استاده فی الرمی إلی المراماه،و مسدّده أولی بأن یدعوه إلی ذلک .

الثانیه:أنّ معاویه لمّا اقتصّ حال أصحابه و ذکر الأفضل فالأفضل منهم

معرّضا بأفضلیّتهم علیه مع عدم مشارکتهم له فی الفضل أجابه بأنّ ذلک التفضیل و الترتیب إمّا أن یتمّ أولا.فإن تمّ فهو بمعزل عنک.إذ لیس لک نصیب و لا ـ شرک فی درجاتهم و مراتبهم و سابقتهم فی الإسلام فیکون إذن خوضک فیه خوضا فیما لا یعنیک، و إن نقص فلیس علیک من نقصانه عار و لا یلحقک منه و هن.فخوضک فیه أیضا فضول .

استفهام علی سبیل الاستحقار و الإنکار و قوله: و ما أنت.إلی و ما للطلقاء .

استفهام علی سبیل الاستحقار و الإنکار علیه أن یخوض علی صغر شأنه و حقارته فی هذه الامور الکبار.و المنقول أنّ أبا سفیان کان من الطلقاء فکذلک معاویه فهو طلیق و ابن طلیق .

و قوله: هیهات .

استبعاد لأهلیّته لمثل هذا الحکم و ترتیب طبقات المهاجرین فی الفضل.ثمّ ضرب له فی حکمیه ذلک مثلین آخرین:

أحدهما:قوله: لقد حنّ قدح لیس منها ،و أصله أنّ أحد قداح المیسر.

-إذ کان لیس من جوهر باقی القداح ثمّ أجاله المفیض-خرج له صوت تخالف أصواتها فیعرف به أنّه لیس من جملتها فضرب مثلاـ لمن یمدح قوما و یطریهم و یفتخر بهم مع أنّه لیس منهم،و تمثّل به عمر حین قال الولید بن عقبه بن أبی معیط:أقبل من دون قریش.فقال عمر:حنّ قدح لیس منها.

الثانی:قوله: و طفق یحکم فیها من علیه الحکم لها .یضرب لمن یحکم علی قوم و فیهم و هو من أراذلهم،و لیس للحکم بأهل بل هم أولی منه.إذ شأن الأشراف أن یکونوا حکّاما.و مراده أنّ معاویه لیس من القوم الّذین حکم بتفضیل بعضهم

على بعض فى شيء،و ليس أهلا للحكم فيهم .

الثالثه:

استفهام على سبيل التنبيه استعاره قوله: أ لا ـ تربع أيّها الإنسان على ظلعك .استفهام على سبيل التنبيه له على قصوره عن درجه السابقين و التقريع له على ادّعائه لها:أى أنّه فليترفّق بنفسك و لا يكلّفها عليه و ليقف بها عن مجاراه أهل الفضل حال ظلعك.و استعار لفظ الظلع لقصوره،و وجه المشابهه قصوره عن لحوق رتبه السابقين فى الفضل كقصور الظالع عن شأو الضليع ، كنايه و كذلك قوله: و تعرف قصور ذرعك ،و قصور ذرعه كنايه عن قصور قوّته و عجزه عن تناول تلك المرتبه.و حيث أخّره القدر إشاره إلى مرتبته النازله الّتى جرى القدر بها أن تكون نازله عن مراتب السابقين.و قد أمره بالتأخّر فيها و الوقوف عندها تقريعا و توبيخا بها .

و قوله: فما عليك .إلى قوله: الظافر .

فى قوّه احتجاج على وجوب تأخّره بحسب هذه المرتبه بقياس ضمير من الشكل الأوّل،و المذكور فى قوّه صغراه و تقديرها:فغلب المغلوب فى هذا الأمر الكبير ليس عليك منه شيء،و تقدير الكبرى:و كل من كان كذلك فيجب تأخّره عنه و اعتزاله إيّاه و إلاّ لكان سفيها بدخوله فيما لا يعنيه.

الرابعه

:قوله: و إنّك لذهّاب فى التيه :أى كثير الذهاب و التوغّل فى الضلال عن معرفه الحقّ،كثير العدول عن العدل و الصراط المستقيم فى حقّنا و عن الفرق بيننا و بينكم و معرفه فضائلنا و رذائلكم .ثمّ نبّهه على وجه الفرق بينهم و بين من عداهم من المهاجرين و الأنصار بذكر أفضليّه بيته الّتى انفردوا بها دونهم فى الحياه و بعد الممات بعد أن قرّر أنّ لكلّ من الصحابه فضلا لتثبت الأفضليّه لبيته بالقياس إليهم،و ذلك قوله: أ لا ترى .إلى قوله: الجناحين .فمن ذلك أفضليّتهم فى الشهاده.و شهيدهم الّذى أشار إليه عمّه حمزه بن عبد المطّلب-رضى اللّه عنه-و أشار إلى وجه أفضليّته بالنسبه إلى ساير الشهداء من وجهين:

أحدهما:قولىّ و هو تسميته الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سيّد الشهداء.

و الثانى:فعلىّ و هو أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خصّه بسبعين تكبيره عند صلاته

علیه فی أربع عشره صلاه،و ذلک أنّه کان کلّما کبّر علیه خمسا حضرت جماعه اخری من الملائکه فصلّی بهم علیه أیضا،و ذلک من خصائص حمزه-رضی اللّه عنه- و شرف بنی هاشم فی حیاتهم و موتهم،و منه أفضلیّتهم لما فعل ببعضهم من التمثیل به کما فعل بأخیه جعفر بن أبی طالب من قطع یدیه فسمّاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بذلک الاعتبار ذا الجناحین و الطیّار فی الجنّه.و من المنقول عن علیّ علیه السّلام من الشعر فیه و الفخر إلی معاویه:

و جعفر الّذی یضحی و یمسی یطیر مع الملائکه ابن امّی

و قد ذکرنا مقتلهما و قاتلهما من قبل .ثمّ أشار إلی أنّ له فضایل جمّه تعرفها فیه قلوب المؤمنین و لا تمجّها آذانهم،و إنّما ترک تعدیدها و ذکرها فی معرض الفخر بها لنهی اللّه سبحانه عن تزکیته لنفسه،و الذاکر یعنی نفسه.و إنّما نکّره و لم یأت بالألف و اللام و لم ینسبه إلی نفسه لأنّ فی ذلک صریح الدلاله علی تزکیته لنفسه. استعاره و استعار لفظ المجّ لکراهیّه النفس لبعض ما تکرّر سماعه و إعراضها عنه فإنّها تصیر کالقاذف له من الاذن کما یقذف الماجّ الماء.

استعاره بالکنایه و قوله: فدع عنک من مالت به الرمیّه .

أی فدع عنک أصحاب الأغراض و المقاصد المفسده و لا تلتفت إلی ما یقولون فی حقّنا کعمرو بن العاص،و یحتمل أن تکون الإشاره إلیه بعینه علی طریقه قولهم:إیّاک أعنی فاسمعی یا جاره.و استعار لفظ الرمیّه،و کنّی بها عن الامور الّتی تقصدها النفوس و ترمیها بقصودها،و نسب المیل إلیها لأنّها هی الجاذبه للإنسان و المایله الحامله علی الفعل .

الخامسه:

استعاره-مجاز إطلاقا لاسم المقبول علی القابل و الحالّ علی المحلّ قوله:فإنّا صنایع ربّنا.إلی قوله.لنا .

و هذا تنبیه من وجه آخر علی أفضلیّتهم من جهه اختصاص اللّه سبحانه إیّاهم بالنعمه الجزیله،و هی نعمه الرساله و ما یستلزمه من الشرف و الفضل حتّی کان الناس عیالا لهم فیها،إذ کانت تلک النعمه و لوازمها إنّما وصلت إلی الناس بواسطتهم و منهم.و أکرم بها فضیله و شرفا علی سایر الخلق.و هذا التشبیه فی قوّه صغری من

الشكل الأوّل فی معرض الافتخار و الاحتجاج علی أنّه لا ینبغی لأحد أن یعارضهم فی شرف أو یفاخرهم و ینافسهم فی فضیله،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان بصفه أنّه صنیعه ربّه بلا واسطه و الناس بعده صنایع له و بواسطته فلا ینبغی لأحد من الناس أن یعارضه فی فضل أو یجاریه فی شرف.و یجوّز بلفظ الصنائع فی الموضعین إطلاقا لاسم المقبول علی القابل و الحالّ علی المحلّ.ثمّ کثر ذلک المجاز،یقال:فلان صنیعه فلان.إذا اختصّه لموضع نعمته کقوله تعالی «وَ اصْطَنَعْتُکَ لِنَفْسِی » (۱).

کنایه و قوله: لم یمنعنا،إلی قوله:هناک .

امتنان فی معرض الافتخار أیضا.و عادیّ منسوب إلی عاد قوم هود،و النسبه إلیه کنایه عن القدم،و وجه الامتنان هو أنّهم لم یمتنعوا علی فضلهم علیهم من خلطهم إیّاهم بأنفسهم فی مناکحتهم.و فعل الأکفاء منصوب علی المصدر عن فعل مضمر.

و قوله: هناک .

کنایه عن مرتبه الکفاءه فی النکاح:أی و لستم أهلا لتلک المرتبه ،و الواو فی و لستم للحال و العامل خلطناکم.ثمّ أشار إلی بیان ما ادّعاه من نفی کونهم أهلا لمخالطتهم بالمقابله بین حال بنی هاشم و حال بنی امیّه لیظهر من تلک المقابله رذیله کلّ واحد ممّن ذکر من بنی امیّه بإزاء فضیله کلّ واحد ممّن ذکر من بنی هاشم و بظهور فضائل الأفراد و رذائلهم یتبیّن نسبه البیتین فی الشرف و الخسّه .

فذکر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قابله بالمکذّب له من بنی امیّه و هو أبو جهل بن هشام.و إلیه الإشاره بقوله «وَ ذَرْنِی وَ الْمُکَذِّبِینَ» (۲)الآیه.قیل:نزلت فی المطلبین ببدر، -و کانوا عشره-و هم أبو جهل،و عتبه و شیبه ابنا ربیعه بن عبد شمس،و نبیه و متبه ابنا الحجّاج،و أبو البختری بن هشام،و النضر بن الحرث،و الحرث بن عامر،و ابیّ بن خلف،و زمعه بن الأسود.فذکر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بفضیلته و هی النبوّه و ذکر أبا جهل برذیلته و هی تکذیبه.ثمّ أسد اللّه و هو حمزه بن عبد المطّلب و

۱- ۱) ۴۳-۲۰.

۲- ۲) ۱۱-۷۳.

سمّاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بذلك لشجاعته و ذبّه عن دين اللّه.و قابله بأسد الأحلاف و هو أسد بن عبد العزّى و الأحلاف هم عبد مناف و زهره و أسد و تيم و الحرث بن فهر،و سمّوا الأحلاف لأنّ بنى قصىّ أرادوا أن ينتزعوا بعض ما كان بأيدى بنى عبد الدار من اللواء و النداوه و الحجابه و الرفاده و هى كلّ شىء كان فرضه قصىّ على قريش لطعام الحاجّ فى كلّ سنه و لم يكن لهم إلاّ السقايه فتحالفوا على حربهم و أعدّوا للقتال ثمّ رجعوا عن ذلك ناكصين و أقرّوا ما كان بأيديهم.ثمّ سيّدا- شباب أهل الجنّه و هما الحسن و الحسين عليهما السّلام و قابلهما بصبيه النار.و قيل:هم صبيه عقبه بن أبى معيط حيث قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم له:لك و لهم النار.و قيل:هم ولد مروان بن الحكم الّذين صاروا أهل النار عند البلوغ و كانوا صبيه حين أخبر عليه السّلام بذلك.

ثمّ خير نساء العالمين و أراد فاطمه عليها السّلام و قابلها منهم بحمّاله الحطب و هى امّ جميل بنت حرب عمّه معاويه كانت تحمل حزم الشوك فتنشرها بالليل فى طريق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليعقره. استعاره و عن قتاده أنّها كانت تمشى بالنميمه بين الناس فتلقى بينهم العداوه و تهيج نارها كما توقد النار بالحطب فاستعير لفظ الحطب لتلك النميمه للمشابهه المذكوره،و منه قولهم:فلان يحطب على فلان.إذا كان يغرى به.

و قوله: فى كثير .إلى قوله: و عليكم .

أى و هذا الّذى ذكرناه من فضائلنا و رذائلكم قليل فى كثير ممّا لنا من الفضايل و عليكم من الرذائل.قال:عليكم من الرذائل.لأنّ الامور بثمراتها و ما تستلزمه و ثمره الرذائل على الشخص مضرّتها و تبعاتها .

و قوله: فإسلامنا .إلى قوله: لا تدفع .

إشاره إلى أنّ شرف بيته على غيره لا يختصّ به فى الإسلام فقط فإنّ شرف بنى هاشم فى الجاهليّه أيضا مشهور و مكارم أخلاقهم لا يدفعها دافع،و قد نبّهنا على ذلك فى المقدّمات،و كما نقل عن جعفر بن أبى طالب لمّا أسلم قال له النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

إنّ اللّه شكر لك ثلاث خصال فى الجاهليّه فما هى؟قال:يا رسول اللّه ما زنيت قطّ لأنّى قلت فى نفسى:إنّ ما لا يرضاه العاقل لنفسه لا ينبغى أن يرضاه

لغيره تكرّما،و لا كذبت كذبه قطّ تأثّما،و لا شربت الخمر قطّ تذمّما لأنّه يذهب العقول.

و قوله: و كتاب اللّه يجمع لنا ما شذّ عنّا .

أى يوجب لنا بصريح حكمه و يجمع لنا ما شذّ عنّا من هذا الأمر و سلبناه و هو شروع فى الاحتجاج على أولويّته من غيره بهذا الأمر من الخلفاء و من يطمع فى الخلافه و بيّن ذلك من وجوه:

أحدها:قوله تعالى «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِی كِتابِ اللّهِ» (1)و وجه الاستدلال أنّه عليه السّلام من أخصّ اولى الأرحام بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كلّ من كان كذلك فهو أولى به و بالقيام مقامه مع كمال استعداده لذلك أمّا الصغرى فظاهره و أمّا الكبرى فللآيه.

الثانى :قوله تعالى «إِنَّ أَوْلَى النّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ» (2)الآيه.و وجه الاستدلال أنّه عليه السّلام كان أقرب الخلق إلى اتّباع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أوّل من آمن به و صدّقه و أفضل من أخذ عنه الحكمه و فصل الخطاب كما بيّناه.و كلّ من كان كذلك فهو أولى بخلافته و القيام مقامه فيما جاء به الآيه.فظهر إذن أنّه عليه السّلام أولى برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بمنصبه تاره من جهه قرابته و تاره من جهه طاعته و اتّباعه .

الثالث:قوله: و لمّا احتجّ .إلى قوله: دعواهم .

و هو إلزام لهم.و صورته أنّ الأنصار لمّا طلبوا الإمامه لأنفسهم و قالوا للمهاجرين:منّا أمير و منكم أمير.احتجّت المهاجرون عليهم برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنّهم من شجرته الّتى أشار إلى كون الأئمّه منها بما رووه عنه من قوله:الأئمّه من قريش.فسلّموا لهم ذلك و غلبوا عليهم.فلا يخلو ذلك الغلب إمّا أن يكون لكونهم أقرب إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الأنصار أو لغير ذلك،فإن كان الأوّل فأهل بيته أولى بذلك الحقّ لأنّهم أقرب إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ممّن عداهم و هم ثمره تلك الشجره و غايتها و إن كان بغيره فحجّه الأنصار قائمه و دعواهم للإمامه باق،إذ لم يكن ما رووه من

۱- ۱) ۷۶-۸.

۲- ۲) ۶۱-۳.

الخبر دافعا لقولهم إلّا من جهه كونهم من قريش الموجب لهم لقربهم و بعد الأنصار عنه و قد فرض أنّ جهه الأقربيّه غير معتبره هنا .

السادسه:جوابه عمّا ادّعاه بزعمه من حسده عليه السّلام لساير الخلفاء و بغيه

عليهم،

و تقرير الجواب أنّه لا يخلو إمّا أن يكون هذه الدعوى صادقه أو كاذبه فإن كانت صادقه كما زعمت فليست جنايتى عليك حتّى يكون عذرى عنها إليك بل ذلك فضول منك و خوض فيما لا يعنيك.و أكّد ذلك بالمثل.و البيت لأبى ذويب و أوّله:

و عيّرها الواشون أنّى احبّها و تلك شكاه ظاهر عنك عارها

و يضرب لمن ينكر أمرا ليس منه فى شىء و لا يلزمه إنكاره .

السابعه:

جوابه عمّا ادّعاه توبيخا له و غضّا من منصبه و هو قوده إلى البيعه للخلفاء قبله كما يقاد الجمل المخشوش قهرا و كرها و إذلالا و هو وجه التشبيه فقلّب عليه السّلام تلك الدعوى و بيّن أنّ ذلك ليس ذمّا له بل مدحا،و لا فضيحه بل على مدّعيها،و أشار إلى كونها مدحا و ليست ذمّا بقوله: و ما على المسلم .إلى قوله:

بيقينه .و وجه ذلك أنّه عليه السّلام لمّا كان ثابتا على اليقين التامّ فى علومه مبرّء عن الريب و الشبهه فى دينه فكان ذلك هو الكمال الحقّ و الفضل المبين الّذى لا نقصان معه لم يكن عليه غضاضه فى ظلم غيره له و لم يلحقه بذلك نقصان و لا ذمّ بل كان انفراده بالثبات على الدين الخالص مع الاجتماع على ظلمه فضيله تخصّه فيكون ذكرها مستلزما لمدحه و تعظيمه،و كذلك ليس فى ذكرها فضيحه عليه،إذ الفضيحه هى إظهار عيب الإنسان و نقصه و حيث لا عيب فلا فضيحه،و أمّا أنّها فضيحه لمعاويه فلظهور نقصانه فى عدم الفرق بين ما يمدح به و يذمّ.

و قوله: و هذه حجّتى .إلى قوله: ذكرها .

أى أنّ حجّتى هذه على كونى مظلوما فى أخذى لبيعه غيرى لست أنت المقصود بها.إذ لست فى هذا الأمر فى شىء فتخاطب فيه بل القصد بها غيرك،و أراد الّذين ظلموا و إنّما ذكرت لك منها بقدر ما دعت الحاجه إليه و سنح لى أن أذكره فى جوابك .

الثامنه:

جوابه عمّا ادّعاه عليه فی أمر عثمان و تأليبه و خذلانه و ذلک قوله:

فلک أن تجاب عن هذه لرحمک.مع إنکاره عليه ما سبق من الکلام فإنّ فيه إرشادا عظيما لوضع الکلام مواضعه،و تنبيه على أنّه لا يجوز أن يخوض الإنسان فيما لا يعنيه.و قرب رحمه منه لکونه من بنی اميّه.و حاصل جوابه أنّه عکّس عليه ما ادّعاه و بيّن أنّه هو الّذی کان عدوّه و خاذله فإنّه عليه السّلام کان ناصره و معرض نفسه للذبّ عنه فاستفهم عن أيّهما کان أعدى عليه و أهدى لمقاتله:أی لوجوه قتله و مواضعه من الآراء و الحيل استفهام توبيخ له،و أراد بقوله:أمن بذل نصرته.إلى قوله:

فاستعقده و استکفّه.نفسه عليه السّلام،و ذلک أنّ عثمان کان متّهما له عليه السّلام بالدخول فی أمره.فلمّا اشتدّ عليه الحصار بعث إليه و عرض نصرته.فقال:لا أحتاج إلى نصرتک لکن اقعد عنّی و کفّ شرّک.و ذکر نفسه بصفه بذل النصره ليظهر خروجه ممّا نسب إليه من دمه و هو فی قوّه صغرى قياس ضمير تقديرها:إنّی بذلت له نصرتی.و تقدير کبراه:و کلّ من بذل لغيره نصرته فليس من شأنه أن يتّهم بخذلانه و ينسب إلى المشارکه فی دمه،و أشار إلى دخول معاويه فی دمه بقوله:أمّن استنصره فتراخى عنه و بثّ المنون إليه.و ذلک أنّه بعث حال حصاره إلى الشام مستصرخا بمعاويه فلم يزل يعده و يتراخى عنه لطمعه فی الأمر إلى أن قتل.و ذکر القدر و نسبه القتل إليه هاهنا مناسب لتبرّيه من دمه،و الکلام أيضا فی قوّه صغرى قياس ضمير احتجّ به على أنّ معاويه هو الساعی فی قتله،و تقديرها أنّک ممّن استنصره و استعان به فسوّفه و قعد عنه و بثّ المنون إليه و عوّق و عنه و ثبّط عن نصرته،و أشار إلى ذلک بقوله:لقد «عَلِمَ اللّهُ» الآيه بعد أن ردّ دعواه عن نفسه بقوله:کلّا:أی کلّا لم أکن أنا أعدى عليه و لا أهدى لمقاتله منک.و تقدير الکبرى:و کلّ من کان کذلک فهو أولى بالنسبه إلى دمه و السعی فی قتله.و الآيه نزلت فی جماعه من المنافقين کانوا يثبّطون أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عنه .

التاسعه:

قوله: و ما کنت اعتذر .إشاره إلى ما عساه کان سببا لتوهّم کثير من الجهّال أنّه دخل فی دمه و هو إنکاره عليه ما کان نقمه الناس عليه من أحداثه الّتی

ص:۴۴۴

أشرنا إليها قبل،و بيان أنّ ذلك ليس ممّا يعتذر عنه لأنّ ذلك كان إرشادا له و هدايه فإن يكن ذلك هو الّذى توهّمه ذنبا إليه فلا منى عليه فربّ ملوم لا ذنب له و أنا ذلك الملوم،إذ لم يكن ما فعلته ذنبا،و قد يستفيد الظنّه المتنصّح و أنا ذلك المتنصّح إذ لم يكن قصدى إلّا إصلاح ذات البين بقدر الاستطاعه.

و قوله: فربّ ملوم لا ذنب له .

مثل لأكتم بن صيفى و يضرب لمن قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه و هم لا يعرفون حجّته و عذره فيه،و كذلك قوله:و قد يستفيد الظنّه المتنصّح يضرب مثلا لمن يبالغ فى النصيحه حتّى يتّهم أنّه غاش.و صدر البيت:

و كم سقت فى آثاركم من نصيحه و قد يستفيد الظنّه المتنصّح

العاشره:

جوابه عن وعيده له بالحرب الّتى كنّى بالسيف عنها.

كنايه فقوله: فلقد أضحكت بعد استعبار .

كنايه عن أنّ وعيده لمثله عليه السّلام من أبلغ الأسباب المستلزمه لأبلغ عجب.

إذ كان الضحك بعد البكاء إنّما يكون لتعجّب بالغ غريب و هو كالمثل فى معرض الاستهزاء به .و قيل:معناه لقد أضحكك من سمع منك هذا تعجّبا بعد بكائه على الدين لتصرّفك به.

استفهام إنكارى و قوله: متى ألفيت .إلى آخره.

استفهام له عن وقت وجدانه لبنى عبد المطّلب بصفه النكول عن الحرب و الخوف من السيف استفهام إنكار لوقت وجدانهم كذلك فى معرض التنزيه لهم عن الجبن و الفشل .

و قوله: فلبّث قليلا تلحق الهيجا حمل .

مثل يضرب للوعيد بالحرب.و أصله أنّ حمل بن بدر رجل من قشير اغير على إبل فى الجاهليّه فى حرب داحس و أغار و استنقذها.و قال:

لبّث قليلا يلحق الهيجا حمل ما أحسن الموت إذ الموت نزل

و قيل:أصله أنّ مالك بن زهير توعّد حمل بن بدر.فقال حمل:لبّث قليلا

يلحق الهيجا حمل.البيت.فارسل مثلا.ثمّ أتى و قتل مالكا،فظفر أخوه قيس بن زهير به و بأخيه حذيفه فقتلهما و قال:

شفيت النفس من حمل بن بدر و سيفى من حذيفه قد شفانى

و قوله: فسيطلبك .إلى آخر.

شروع فى المقابله بالوعيد بالسير الشديد إليه فى الجيش العظيم،و وصفه بأوصاف تزلزل أركان العدوّ من شدّه الزحام و سطوح القتام.إلى آخره.و شديدا و متسربلين نصبا على الحال.و سربال مفعول به لمتسربلين.و سربال الموت كنايه إمّا عن الدرع أو العدّه الّتى يلقون بها الموت و يخوضون فى غمراته،و إمّا عن ملابسهم من الثياب أو الهيئات و الأحوال الّتى وطّنوا أنفسهم على القتل فيها كالأكفان لهم.و إنّما كان أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربّهم لكمال يقينهم بما هم عليه من الدين الحقّ و ثقتهم بالوعد الإلهىّ الصادق .و الذريّه البدريّه الّتى صحبتهم إشاره إلى أولاد من كان من المسلمين مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم بدر،و قد ذكرنا أنّ أخاه المقتول حنظله بن أبى سفيان و خاله الوليد بن عتبه و جدّه عتبه بن ربيعه إذ هو أبو هند امّ معاويه، و كنّى بالظالمين فى الآيه عن معاويه و أصحابه.و جميع ما ذكره من أوصاف الجحفل و ما يصحبه من الذرّيه البدريّه و السيوف الهاشميّه و التذكير بمواقعها بمن وقعت به من أهله و وعيده أن يصيبه منها ما أصابهم من أبلغ ما يعدّ به الخطيب للانفعال و الخوف.و باللّه التوفيق.

۲۹-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى أهل البصره

وَ قَدْ كَانَ مِنِ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَ شِقَاقِكُمْ- مَا لَمْ تَغْبَوْا عَنْهُ- فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ وَ رَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ- وَ قَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ- فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ

الْأُمُورُ الْمُرْدِيَهُ- وَ سَفَهُ الْآرَاءِ الْجَائِرَهِ إِلَى مُنَابَذَتِى وَ خِلاَفِى- فَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِى وَ رَحَلْتُ رِكَابِى- وَ لَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِى إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَهً- لاَ يَكُونُ؟يَوْمُ الْجَمَلِ؟ إِلَيْهَا إِلاَّ كَلَعْقَهِ لاَعِقٍ- مَعَ أَنِّى عَارِفٌ لِذِى الطَّاعَهِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ- وَ لِذِى النَّصِيحَهِ حَقَّهُ- غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِیٍّ وَ لاَ نَاکِثاً إِلَى وَفِیٍّ

اللغه

أقول: غبت عن الشیء و غبته : إذا لم تفطن له ،و المردیه : المهلکه .و الجائره : المنحرفه عن الصواب .و المنابذه : المخالفه و المراماه بالعهد و البیعه .

المعنی

و قد بدء فی هذا الفصل بوضع ذنوبهم و تقریرها علیهم لیحسن عقیبها العفو أو المؤاخذه. استعاره و استعار لفظ الحبل لبیعتهم إیّاه،و لفظ الانتشار لنکثهم.وجه الاستعاره الأولی کون البیعه سببا جامعا لها و ناظما لامورهم و متمسّکا یوصل إلی رضاه اللّه کالحبل الناظم لما یربط به،و وجه الثانیه ظاهر .و نبّه بقوله:ما لم تغبوا عنه.علی علمهم بما فعلوه و تعهّدهم لفعله لیتأکّد علیهم الحجّه.ثمّ لمّا قرّر ذنوبهم أردفها بذکر امور قابلها بها کرما و هی العفو عن مجرمهم و رفع السیف عمّن أدبر منهم و قبول من أقبل إلیه منهم و الرضا عنه .ثمّ أردف ذلک بوعیدهم بکونه مستعدّا لقتالهم و إیقاعه بهم وقعه یستصغر معها وقعه الجمل إن لو عادوا إلی الفتنه ثانیا. استعاره و استعار لفظ الخطو لسوق الامور المهلکه و سفه آرائهم الجایره بهم إلی منا بذته و محاربته ثانیا.و وجه المشابهه تأدّیها بهم إلی خلافه کتأدّی القدم بصاحبها إلی غایته .و تقدیر الشرط فإن عدتم إلی خلافی فها أنا مستعدّ لکم. کنایه و کنّی بتقریب جیاده و ترحیل رکابه عن کونه مستعدّا للکرّه علیهم .و رحّلتها:شدّدت الرحال علی ظهورها.و یکفی ذلک فی وعیدهم علی خلافه لأنّ مجرّد خلافهم علیه لا یستلزم وجوب إیقاع الوقعه بهم لاحتمال أن یرجعوا و یتوبوا بوعیده أو بعلمهم ببقائه علی

الاستعداد لحربهم و الإيقاع بهم فلذلك جعل الشرط فی وعیده بالإیقاع بهم أن یلجئوه إلی المسیر إلیهم و محاربتهم،و ذلک بأن یعلم أنّ الأمر لا یستقیم إلاّ بالإیقاع بهم فیحمله ضروره حفظ الدین علی ذلک.

کنایه و قوله: فی وصف تلک الوقعه لا یکون یوم الجمل.إلی قوله:لاعق .

کنایه عن غایه شدّه إیقاعه بهم.و وجه تشبیه وقعه الجمل بالنسبه إلیها باللعقه هو الحقاره و الصغر.ثمّ لمّا توعّدهم بما یخشی من الوعید أردفه بما یرجی معه من ذکر اعترافه بفضل ذی الطاعه و بحقّ ذی النصیحه منهم و أنّه غیر متجاوز متّهما بعقوبه إلی بریء و لا ناکثا بعهده إلی وفیّ به لئلاّ تشتدّ علیهم و طأته فیئسوا من رحمته فیشتدّ نفارهم منه،و یکون ذلک داعیه فسادهم .

۳۰-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی معاویه

فَاتَّقِ اللَّهَ فِیمَا لَدَیْکَ- وَ انْظُرْ فِی حَقِّهِ عَلَیْکَ- وَ ارْجِعْ إِلَی مَعْرِفَهِ مَا لاَ تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ- فَإِنَّ لِلطَّاعَهِ أَعْلاَماً وَاضِحَهً- وَ سُبُلاً نَیِّرَهً وَ مَحَجَّهً نَهْجَهً وَ غَایَهً مُطَّلَبَهً- یَرِدُهَا الْأَکْیَاسُ وَ یُخَالِفُهَا الْأَنْکَاسُ- مَنْ نَکَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَ خَبَطَ فِی التِّیهِ- وَ غَیَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ وَ أَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ- فَنَفْسَکَ نَفْسَکَ فَقَدْ بَیَّنَ اللَّهُ لَکَ سَبِیلَکَ- وَ حَیْثُ تَنَاهَتْ بِکَ أُمُورُکَ- فَقَدْ أَجْرَیْتَ إِلَی غَایَهِ خُسْرٍ وَ مَحَلَّهِ کُفْرٍ- فَإِنَّ نَفْسَکَ قَدْ أَوْلَجَتْکَ شَرّاً وَ أَقْحَمَتْکَ غَیّاً- وَ أَوْرَدَتْکَ الْمَهَالِکَ وَ أَوْعَرَتْ عَلَیْکَ الْمَسَالِکَ أقول:أوّل هذا الکتاب:أمّا بعد فقد بلغنی کتابک تذکر مشاغبتی و تستقبح

ص:۴۴۸

موازرتی و تزعمنی متجبّرا و عن حقّ اللّه مقصّرا.فسبحان اللّه کیف تستجیز الغیبه و تستحسن العضیهه.إنّی لم اشاغب إلاّ فی أمر بمعروف أو نهی عن المنکر و لم أتجبّر إلاّ-علی مارق أو ملحد أو منافق و لم آخذ فی ذلک إلاّ بقول اللّه و رسوله «وَ لَوْ کانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ» و أمّا التقصیر فی حقّ اللّه فمعاذ اللّه جلّ ثناؤه من أن اعطّل الحقوق المؤکّده و أرکن إلی الأهواء المبتدعه و اخلد إلی الضلاله المحیّره.و من العجب أن تصف یا معاویه الإحسان و تخالف البرهان و تنکث الوثایق الّتی هی للّه عزّ و جلّ طلبه و علی عباده حجّه مع نبذ الإسلام و تضییع الأحکام و طمس الأعلام و الجری فی الهوای و التهوّس فی الردی.ثمّ یتّصل بقوله: فاتّق اللّه .الفصل المذکور.و من هذا الکتاب أیضا:و إنّ للناس جماعه ید اللّه علیها و غضب اللّه علی من خالفها.

فنفسک نفسک قبل حلول رمسک فإنّک إلی اللّه راجع و إلی حشره مهطع و سیبهضک کربه و یحلّ بک غمّه فی یوم لا یغنی النادم ندمه و لا یقبل من المعتذر عذره «یَوْمَ لا یُغْنِی مَوْلًی عَنْ مَوْلًی شَیْئاً وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ» .

اللغه

و العضیهه : الإفک و البهتان .و الطمس : إخفاء الأثر .و نهجه : واضحه .و مطّلبه بتشدید الطاء و فتح اللام : أی مطلوبه جدّا منهم .و الأکیاس: العقلاء .و الأنکاس : جمع نکس و هو الدنیء من الرجال .و نکب : عدل .و الخبط. المشی علی غیر استقامه .و الخسر : الخسران .و الاقتحام : الدخول فی الأمر بشدّه .

و الوعر : الشدید .و المهطع : المسرع .و بهضه الأمر : أثقله .

المعنی

و الفصل موعظه.فأشار علیه السّلام علیه بتقوی اللّه فیما لدیه من مال المسلمین و فیئهم، و أن ینظر فی حقّه تعالی علیه و آثار نعمته فیقابله بالشکر و الطاعه،و أن یرجع إلی معرفه ما لا عذر له فی أن یجهله من وجوب طاعه اللّه و رسوله و طاعه الإمام الحقّ .

استعاره و قوله: فإنّ للطاعه أعلاما واضحه .

أی الطاعه للّه،و استعار لفظ الأعلام لما یدلّ علی الطریق إلی اللّه من الکتاب و السنّه القولیّه و الفعلیّه و من جملتها أئمّه الحقّ و الهدی فإنّهم أصل تلک الأعلام و حاملوها .و عنی بالسبل النیّره و المحجّه النهجه الطرق إلی اللّه

المـدلول عليهـا بأعلامهـا المـذكوره،و بالغـايه المطلوبه من الخلق وصولهم إلى حضـره قـدس اللّه طـاهرين مجرّدين عن الهيئات البدنيّه الدنيّه مستمعين للكمالات الإنسانيّه النفسانيّه.

و اعلم أنّ الطـاعه اسم لقصـد تلك الأعلام و سـلوك تلك المحجّه طلبا لتلك الغايه،و الضـمير فى قوله: يردها و يخالفها و عنها راجع إلى المحجّه و الأعلام الواضـحه عليها،و ظاهر أنّ العقلاء هم الّذين يختارون ورود تلك المحجّه و يقصدون أعلامها و أنّ أدنياء الهمم يخالفون إلى غيرها فيعـدلون عن صـراط اللّه الحقّ و يحبطون فى تيه الجهل و يغيّر اللّه بذلك نعمته عليهم و يبدّلهم بها نقمته فى دار الجزاء .ثمّ لمّا أشار عليه بما أشار و أوضـح له سـبل السـلامه و ما يلزم مخالفها من تغيير نعمه اللّه و حلول نقمته أمره أن يحفظ نفسه بسـلوك تلك السبل عمّا يلزم مخالفتها و العدول عنها من الامور المذكوره.ثمّ أعلمه بأنّ اللّه بيّن له سبيله و أراد سبيل طاعته المأمور بسلوكها.و هو فى قوّه قياس صغرى ضمير من الشكل الأوّل أوجب عليه به سلوك تلك السبيل.و تقدير الكبرى:و كلّ من بيّن اللّه له سبيله الّتى أوجب عليه سلوكها فقد وجب عليه حفظ نفسه بسلوكها.

و قوله:و حيث تنـاهت بـك اموركـ.فحسـبك مـا تنـاهت بـك إليه.ثمّ فسّـر ذلـك الحيث الّـذى أمره بالوقوف عنـده و هو غايه الخسر:أى الغايه المستلزمه للخسر الّتى هى منزله من منازل الكفر،و أخبره أنّه قد اجرى إليها و كفى بها غايه شرّ. استعاره بالكنايه و إجرائه إلى تلك الغايه كنايه عن سعيه و عمله المستلزم لوصوله إليها.

يقال:اجرى فلان إلى غايه كـذا:أى قصـدها بفعله.و أصـله من إجراء الخيل للسـباق.و لفظ الخسـر مسـتعار لفقـدان رضوان اللّه و الكمالات الموصـله إليه،و إنّمـا جعـل تلـك الغايه الّتى اجرى إليها منزله كفر لأنّ الغايات الشـرّيه المنهىّ عن قصـدها من منازل الكفّار و مقاماتهم فمن سلك إليها قصدا و بلغها اختيارا فقد لحق منازل الكفر و محالّه .

استعاره و قوله: و إنّ نفسک قد أو لجتک شرّا .

أی أدخلتک فی شرّ الدنیا و الآخره،و أراد نفسه الأمّاره بالسوء بما سوّلت له من معصیه اللّه و مخالفه الإمام الحقّ،و یروی:قد أوحلتک:أی ألقتک فی الوحل.و هو مستعار لما وقع فیه من المعصیه و الاختلاط عن الجهل،و أقحمتک غیّا:أی أدخلتک فی الغیّ و الضلال ،و أوردتک المهالک:أی الموارد المهلکه من الشبهات و المعاصی، و أو عرت علیک المسالک:أی مسالک الهدی و طرق الخیر لأنّ النفس الأمّاره بالسوء إذا أوردت الإنسان سبل الضلاله و سهّلت علیه سلوکها بوسوستها و تحسینها للغایات الباطله لزمه بسبب ذلک البعد عن طرق الهدی و مسالک الخیر،و استصعاب سلوکها.و باللّه التوفیق و العصمه و به الحول و القوّه و العون و التسدید.

هذا آخر المجلّد الرابع من هذا الکتاب.

فهرست ما فی هذا الجزء من الخطب و ما یجری مجریها

من الکتب و العهود و الوصایا

العنوان الصفحه

کلامه علیه السّلام عند دفن سیّده النساء فاطمه علیها السّلام ۲

کلامه علیه السّلام فی التنفیر عن الدنیا و الترغیب إلی الآخره ۵

کلامه علیه السّلام فی الأمر بالتجهیز من الدنیا کثیرا ما ینادی به أصحابه ۷

کلامه علیه السّلام کلّم به طلحه و الزبیر بعد بیعته بالخلافه و قد عتبا علیه من ترک مشورتهما و الاستعانه فی الامور بهما ۹

کلامه علیه السّلام فی تأدیب قومه و إرشادهم إلی السیره الحسنه ۱۳

کلامه علیه السّلام فی بعض أیّام صفّین و قد رأی الحسن علیه السّلام یتسرّع إلی الحرب ۱۴

کلامه علیه السّلام لمّا اضطرب علیه أصحابه فی أمر الحکومه ۱۵

کلامه علیه السّلام حین دخل علی العلاء بن زیاد الحارثی ۱۶

کلامه علیه السّلام فی جواب سائل سئله عن أحادیث البدع ۱۹

خطبه له علیه السّلام فی الإشاره إلی مادّه أجرام الأرضیّه و السماویّه ۲۵

خطبه له علیه السّلام یستنهض بها أصحابه إلی جهاد أهل الشام ۲۷

خطبه له علیه السّلام فی تحمید اللّه باعتبارات إضافیّه و سلبیّه ۲۸

خطبه له علیه السّلام فی تقسیم الخلق إلی خیار و شرار ۳۰

دعائه علیه السّلام و فیه تحمید اللّه باعتبار نعمه ۳۶

خطبه له علیه السّلام یرغّب أصحابه فی الوحده و جمع الکلمه و الاتّفاق علی أوامره ۳۸

ما أجاب علیه السّلام بمن أکثر علیه الثناء ۴۶

كلامه علیه السّلام فی التظلّم و التشكّی إلی اللّه و الاستعانه به علی قریش ۴۹

كلامه علیه السّلام لمّا مرّ بطلحه و عبد الرحمن بن عتاب بن اسید و هما قتیلان یوم الجمل ۵۱

كلامه علیه السّلام فی وصف السالک المحقّق إلی اللّه ۵۳

كلامه علیه السّلام بعد تلاوه(ألهاكم التكاثر)۵۵

كلامه علیه السّلام عند تلاوه(رجال لا تلهیهم تجاره)۶۶

كلامه علیه السّلام عند تلاوه(یا أیّها الإنسان ما غرّک بربّک الكریم)۷۴

كلامه علیه السّلام فی التبرّی من الظلم و شدّه اهتمامه بحقوق العباد ۸۳

دعائه علیه السّلام فی الالتجاء إلی اللّه تعالی ۸۸

خطبه له علیه السّلام فی التحذیر من الدنیا و من الاشتغال بها عن اللّه ۸۹

دعائه علیه السّلام فی التضرّع إلی اللّه تعالی ۹۳

كلامه علیه السّلام فی مدح بعض من ولیّ الخلافه قبله،و بیان تأویلات الشیعه فی ذلک ۹۶

كلامه علیه السّلام فی وصف بیعته بالخلافه ۹۹

خطبه له علیه السّلام فی التنبیه علی فضیله التقوی من اللّه ۱۰۰

كلامه علیه السّلام فی صفه الزهّاد ۱۰۷

خطبه له علیه السّلام خطبها بذی قار و هو متوجّه إلی البصره ۱۰۹

كلامه علیه السّلام كلّم به عبد اللّه بن زمعه ۱۱۰

كلامه علیه السّلام عند ما رأی عیّ جعده بن هبیره المخزومی عن الكلام ۱۱۲

كلامه علیه السّلام حین یلی غسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ۱۱۸

خطبه له علیه السّلام فی تحمید اللّه تعالی باعتبارات من التنزیه ۱۲۲

كلامه علیه السّلام فی صفه عجیب خلق أصناف من الحیوانات ۱۲۹

خطبه له علیه السّلام فی التوحید،و تجمع هذه الخطبه من اصول العلم ما لا تجمعه خطبه ۱۴۶

ص:۴۵۳

خطبه له علیه السّلام یختصّ بذکر الملاحم ۱۸۲

خطبه له علیه السّلام فی الوصیّه بتقوی اللّه و ذکر الموت ۱۸۸

خطبه له علیه السّلام فی تفسیر الایمان باللّه تعالی ۱۹۲

خطبه له علیه السّلام فی الأمر بتقوی اللّه تعالی و الاستزاده للآخره ۲۰۱

خطبه له علیه السّلام فی تحمید اللّه تعالی و تنزیهه و اقتصاص أحوال الناس عند انبعاث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ۲۱۲

خطبه له علیه السّلام تسمّی بالقاصعه فی التوبیخ و النهی عن الکبر و عمّا یلزمه

الفصل الأوّل منها فی تحمید اللّه تعالی و أنّ العزّ و الکبریاء له ۲۳۲

الفصل الثانی منها فی بیان ما کان لإبلیس من کثره الطاعه و إحباطها بکبر ساعه ۲۴۷

الفصل الثالث شرح ما لزم الامم الماضیه بالکبر و اختبار اللّه عباده ببیته الحرام ۲۶۹

الفصل الرابع فی التوبیخ علی المعصیّه من غیر سبب،و الأمر بالتعصّب فی محلّه ۲۸۶

الفصل الخامس فی اقتصاصه لحاله،و الإشاره إلی قوّته فی دینه ۳۰۷

کلامه علیه السّلام قاله لعبد اللّه بن عبّاس و قد جاءه برساله من عثمان ۳۲۲

کلامه علیه السّلام اقتصّ فیه ذکر ما کان منه بعد هجره النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ۳۲۴

خطبه له علیه السّلام فی الموعظه و الأمر باغتنام الفرص فی مهل الدنیا ۳۲۵

خطبه له علیه السّلام فی بیان الحکمین و تنفیر الناس عن أعدائه بذکر مذامّهم ۳۲۸

خطبه له علیه السّلام یذکر فیها آل محمّد علیهم السّلام بمالهم من محامد الأوصاف ۳۳۲

کلامه علیه السّلام یحثّ فیه أصحابه علی الجهاد ۳۳۴

باب المختار من کتبه علیه السّلام إلی أعدائه و امراء بلاده ۳۳۷

کتابه علیه السّلام لأهل الکوفه بعد فتح البصره ۳۴۱

كتابه عليه السّلام لشريح بن الحارث القاضی فی الكوفه ۳۴۲

كتابه عليه السّلام إلی بعض امراء جيشه ۳۴۸

كتابه عليه السّلام إلى الأشعث بن قيس و هو عامل آذربيجان ۳۵۰

كتابه عليه السّلام إلى معاويه ۳۵۲

كتابه عليه السّلام أيضا إلى معاويه ۳۵۴

كتابه عليه السّلام إلى جرير بن عبد اللّه البجلى لمّا أرسله إلى معاويه ۳۵۸

كتابه عليه السّلام إلى معاويه ۳۶۰

كتابه عليه السّلام إلى معاويه يوبّخه على ما هو عليه من الاغترار بمكائد الشيطان ۳۷۰

وصيّه له عليه السّلام وصّى بها جيشا بعثه إلى العدوّ،و أشار إلى بعض آداب الحرب ۳۷۶

وصيّه له عليه السّلام لمعقل بن قيس حين أنفذه إلى الشام مقدّمه له ۳۷۹

كتاب له عليه السّلام إلى أميرين من امراء جيشه ۳۸۱

وصيّه له عليه السّلام لعسكره قبل لقاء العدوّ بصفّين ۳۸۲

قوله عليه السّلام إذا لقى العدوّ محاربا ۳۸۵

قوله عليه السّلام لأصحابه عند الحرب ۳۸۶

كتابه عليه السّلام إلى معاويه جوابا عن كتاب منه إليه ۳۸۸

كتابه عليه السّلام إلى عبد اللّه بن عبّاس و هو عامله على البصره ۳۹۴

كتابه عليه السّلام إلى بعض عمّاله ۳۹۸

كتابه عليه السّلام إلى زياد بن أبيه و هو خليفه عامله عبد اللّه بن عبّاس على البصره ۳۹۹

كتابه عليه السّلام إلى زياد بن أبيه يرشده إلى ما يفيد النفس بعد الموت ۴۰۰

كتابه عليه السّلام إلى عبد اللّه بن العبّاس رحمه اللّه ۴۰۱

كتابه عليه السّلام قاله قبل موته على سبيل الوصيّه لمّا ضربه بن ملجم لعنه اللّه ۴۰۳

وصيّه له عليه السّلام بما يعمل فى أمواله كتبها بعد انصرافه من صفّين ۴۰۵

وصيّه له عليه السّلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات ۴۱۰

ص:۴۵۵

عهده علیه السّلام إلی بعض عمّاله،و قد بعثه علی الصدقه ۴۱۵

عهده علیه السّلام إلی محمّد بن أبی بکر لمّا قلّده مصر ۴۱۹

کتابه علیه السّلام إلی معاویه جوابا ۴۳۱

کتابه علیه السّلام إلی أهل البصره ۴۴۶

کتابه علیه السّلام إلی معاویه ۴۴۸

فهرست المطالب ۴۵۲

ص:۴۵۶

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛
١.JAVA
٢.ANDROID
٣.EPUB
٤.CHM
٥.PDF
٦.HTML
٧.CHM
٨.GHB
إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
١.ANDROID
٢.IOS
٣.WINDOWS PHONE
۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵
هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱
قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩